

ازمنة الحضارة في العراق الحديث

محاولة لدراسة عوامل التأخر في العراق

بقلم

محمد توفيق حسين

الجامعة الاميركية - بيروت

١٩٥١

مقدمة

مضى على العراق مئة ان تخلص من الحكم التركي وثلاثون عاما ونيف وهو يسير في طريق التقدم والحضارة . ولكن سيره هذا ظل بطي . الخطوات محدودة النطاق واشبه ما يكون بالعرج منه بالسير الدائب المتزن . وارى في هذه الرسالة ان ابحت العوامل التي تعرقل تقدم البلاد ، وتبطي سير الشعب في سبيل ما يهدف اليه من تقدم ، وحياة كريمة رغبة .

ولما كنت اعتقد ان الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية وحدة متواشجة الاصول والفروع ودائمة الحركة ، متفاعلة العناصر فقد بحثت مختلف ووه حياة الشعب بحثا مفصلا واضحا للنبرة على العوامل التي تكون في رايي اسس المشكلة التي ابحت فيها . ولتسهيل البحث ، وتوضيح الفكرة ، قسمت الموضوع الى ثلاثة اقسام . بحثت في القسم الاول كيان البلاد الاجتماعي ، ورسمت صورة لحالة الشعب جهدت في ان اجعلها تامة مطابقة للواقع . وبحثت في القسم الثاني الكيان الاقتصادي ، والاقتصادى ووقفت طويلا عند المشكلة الزراعية والتي هي من اهم مشاكل البلاد ، ان لم تكن مشكلتها الاولى ، طالما كان اكثر من ثلاثة ارباع السكان فلاحين يزدهرون الارض ويتقدمون على الزراعة اعتمادا مباشرا او غير مباشر . وبحثت في القسم الثالث الكيان السياسي فتتبعته فيه نشوء مصالح بريطانيا العظمى في العراق ، وتطور علاقتها به وحتى يظهر مدى مسؤولية هذه الدولة فيما يشكو العراق من تاخر . ثم بحثت اخيرا في نظام الحكم في العراق ، فتتبعته نشوءه وتكونه ، وتكلمت عن دستوره واهم شرائحه ، ووصفت جهازه الادارى وحتى يستبين مقدار مسؤولية هذا النظام في وجود مشاكل البلاد ، ومدى استعداد له لتحقيق الإصلاحات الضرورية .

وحرصت على ان ابحت كل مشكلة بحثا تاريخيا ، فاتتبع جذورها ، وما سبب نشوءها وتطورها ، لان هذه الطريقة اجد ان تعيننا على تفهم المشكلة ، وتعيين المسؤولين عن وجودها ، والاطلاع على ما قدم لعلاجها من دواء .

ولا بد لي من ان احدد معنى كلمة حضارة التي جعلتها اساسا لمرئى هذه الرسالة . ان الشعب المتحضر في رايي ، هو الشعب الذى تكون اغلبيته افراد حائزة على الحد الأدنى من الثقافة التي تمكن الانسان من فهم الحيلولة والاستمتاع بثمرات العلوم والفنون ، وادراك حقوقه وواجباته كمواطن وانسان .

وهو الشعب الذي تتمتع اقلية افراده بمسنوى غير يلائق بالانسان ويتيح لها التمتع بحياتها ، ويجنبها التفكير المفلق في المستقبل ^{ومعها} فمن هدر كرامتها الانسانية في سبيل الحصول على لقمة ما نكاد نسد الجوع . وتقيم الابد . وهو الشعب الذي تكون اقلية افراده صحيحة الاجسام متامة العافية بوانرة النشاط . واخيرا هو الشعب الذي تدبر اموره حكومة تمثل مصالح اقلية افراده ، وتسون حقوقه وتيسر له امكانية التمتع بحرياته الاساسية وتوفر له الوسائل التي تعينه على التقدم والانطلاق في مجال الابداع الواعي .

والحق ان هذا الموضوع واسع الافاق ، متشعب الاطراف ، ولا يوفيه حقه عدد ^{العلم الاجتماعي ، لغة الباحث الفرس . . . وقد اقدمت على بحثه ، والاعلم قد علمت في} من المتخصصين بمختلف علوم التجارة والسياسة والاقتصاد ، موضحا امكانياتي في مجال البحث المركب ، لتيقني من ان هذا الموضوع وامثاله ما تحتاجه الحياة الفكرية العربية احتياجا شديدا ، وان بدون البحث في علل تاخر البلاد العربية ، بحثا شاملا ، متقصيا ، لا يمكن التوصل الى وصف العلاج الشافي . ولعلمي ان هذا الموضوع لا يمكن ان يبحث الا بهذه الطريقة من التحليل المركب الشامل . وما يشفع لي في اقتحام هذا البحث الواسع ، الشامل ، الخطير ، كوني قد عانيت مدى سنوات طوال . فقد درست اكثر مواضيعه اثنا السنوات الست التي قضيتها في التعليم . وقد كتبت في نواح من هذا البحث عشرات المقالات في جريدة الشعب ومجلتي "المجلة" و "الرابطة الثقافية" ايام كنت اساهم في تحريرها بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٦ . ولقد زرت العراق من اقاص الى اقاص ، وفي فترات مختلفة ، باحثا ، مستطلعا ، دارسا ، مفتحا العينين ، والفكر ، والضمير . وكلنت هذه المواضيع التي اعالجها الان تحتل تفكيري ، وتوجه ضميري ، منذ صباى الباكر ، حتى لقد أصبحت المحور الذي يدور حوله كياني العقلي بأسره .

لقد حاولت ، في كتابة هذه الرسالة ، ان ارجع كل حادثة استشهد بها وكل صورة وارسمها ، وكل فكرة اعرض لها ، الى مرجع امين موثوق بصحته ، فلم اسير فورة / لنفسي ، ولم اعتمد على الذاكرة الا نادرا ، ليكون البحث موضوعيا ، ملزم بالحجة ، بعيدا عن العاطفة الخادعة ، وهوى النفس الممضلة . على انني لا ازعم انني اطلعت على جميع المصادر التي تبحث في شؤون العراق فاستقصيتها استقصاء ، فقد حال اتساع الموضوع ، ومضيق الوقت ، وفقر مكتبة الجامعة بالكتب ، ودون الاستعانة ببعض المصادر الممنوعة . ولما كنت ابحت في اسباب تاخر البلاد ، فقد اكدت على نقاط الضعف والتاخر

واطلت الوقوف عند عوامل الفساد التي تنخر كيان البلاد ، فجاءت لذلك اكثر الصور
التي رسمتها قاتمة الالوان ، كثيبة الملامح ، نابضة بالاعلم . ولم يكن ذلك عن
نية سيئة في تمويه حقيقة ما حصل في البلاد من تقدم ، ولا عن قصد خبيث
في اغفال جهود القادة المصلحين .

ولا بد لي من ان انوه بالفضل الذي اسبغته علي استاذي الدكتور نبيه امين فارس
رئيس دائرة التاريخ في جامعة بيروت الاميركية ، والجهود التي بذلها في مساعدتي
في اعداد هذا البحث . فلولا توجيهه القويم ، وارشاده النير ، وتشجيعه المستمر
لما استطعت ان اتم هذا العمل المجهود . فله خالص شكري ، وعظيم تقديري ،
وصادق اعترافي بالجميل .

محمد توفيق حنين

القسم الاول : الكيان الاجتماعي

الفصل الاول : عدد السكان

(١) احصاء النفوس : اثبت الاحصاء الرسمي لسكان العراق ، الذي قامت به الحكومة العراقية في ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، ان المجموع العام للسكان هو ٤,٧٩٦,٥٠٠ نسمة منهم ٢,٢٥٣,١٧٠ ذكر ، و ٢,٥٤٣,٣٣٠ انثى (١) . وبما كنا ان نقدر نفوس العراق بخمسة ملايين نسمة ، اذا علمنا ان بعض سكان الريف وعدد من افراد القبائل البدوية الرحالة لم يشتركوا في تسجيل نفوسهم (٢) ، و ساعتمد هذا الرقم فيما يلي من الابحاث ، وقد قدر عدد القادرين على العمل من المذكور ب ٧,٠٠٠,٠٠٠ شخص في عام ١٩٤٤ (٣) .

وقد ر نفوس المدن التي يزيد عدد سكانها عن ٢٥,٠٠٠ نسمة بحوالي ١,١٥٠,٠٠٠ نسمة ، اي بنسبة ٢٥ بالمئة من مجموع السكان تقريبا . اما الريفيون من سكان القرى فتتراوح نسبتهم بين ٦٥ بالمئة و ٧٠ بالمئة الى مجموع سكان البلاد (٤) . وقد ر عدد افراد القبائل الرحل ، عام ١٩٣٠ ، ب ٢٣٤,٠٠٠ نسمة ، اي نحو ٨ بالمئة من مجموع السكان (٥) ، وقد رهم السيد عباس المزوي بنحو ٣٠٠,٠٠٠ نسمة (٦) ، اما السيد جعفر خياط فيقدر عددهم بحوالي ٤٥٠,٠٠٠ نسمة (٧) ، اي نحو ٦ بالمئة من مجموع السكان حسب احصاء سنة ١٩٤٧ .

-
- (١) المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٤٧ (مطبوعة الحكومة ببغداد ، ١٩٤٦) ، ص ١٧
(٢) احمد عبد الباقي وهوني بكر صدقي وعبد المطلب الهاشمي ، "جغرافية العراق والبلاد العربية" (بغداد ، ١٩٤٧) ، ص ١٠٧ . وسائبر الى هذا المصدر فيما بعد بعبد الباقي . وانظر كذلك ساطع الحصري ، "حولية الثقافة العربية" (القاهرة ، ١٩٤٦) ، ص ١١٠ وسائبر الى هذا المصدر فيما بعد بكلمة "حولية"

ولعل الرقم الاخير اقرب الى الواقع . فهو احدثها زمنا ، كما ان نسبة عدد البدو الى مجموع السكان تقرب من النسبة التي ذكرها دوسن . مع اخذ زيادة السكان . خلال هذه المدة ، بنظر الاعتبار .

(ب) كثافة السكان : تبلغ مساحة العراق ٤٥٢,٥٠٠ كيلومترا مربعا . وعلى هذا تكون كثافة السكان في الكيلومتر المربع الواحد ١١ شخصا^(٨) وهذا العدد ضئيل اذا ما قارناه بكثافة السكان في البلاد المجاورة . حيث تبلغ كثافة النفوس في سوريا ١٠,٥٧٢ شخصا في الكيلومتر المربع ، وفي لبنان ١٢,٩١ ، وفي فلسطين ٤٦,٦٥ ، وفي تركيا ٢١,٢ ، وفي مصر ١٤,٢^(٩) . على ان ارض العراق ليست جميعها صالحة للسكن ، ففيها الجبال الباردة الجرداء ، وفيها الصحارى القاحلة ، ولا يسكن الناس الا في الاراضي المزروعة فعلا او الاراضي القابلة للزراعة ، وفي بعض انحاء الجبال والصحراء حيث تتوفر المراعي والمياه . واذا اعتبرنا كثافة السكان بالنسبة للاراضي القابلة للزراعة والتي تقدر مساحتها ب ١٢١,٠٠٠ كيلومتر مربع ، يعيب الكيلومتر المربع الواحد ٤١,٣٢ نسمة . في الوقت الذي يعيب الكيلومتر المربع الواحد من مثل هذه الاراضي ٥٣ نسمة في سوريا و ٤٥٠ في مصر^(١٠) . ويعيب الكيلومتر المربع الواحد من الاراضي المزروعة فعلا ، والتي تقدر مساحتها ب ٢٣,٠٠٠ كيلومتر مربع ، ٢٢١ نسمة

«The Middle East : A Political And Economic Survey» The Royal Institute of International Affairs (London, 1950) p. 239. (٣)

وقد كتب الفصل الخامس بالعراق من هذا الكتاب السيد سيتون لويد مستشار مديرية الانوار القديمة في العراق سابقا . وسأشير الى هذا الكتاب بكلمة "الشرق الاوسط"

(٤) جعفر خياط ، القرية العراقية : دراسة في احوالها واصلاحها (بيروت ١٩٥٠) ص ١٣
وسأشير اليه فيما بعد بكلمة "القرية العراقية" . يبلغ عدد سكان المدن التي تضم اكثر من خمسين الف نسمة حسب الاحصاء الاخير كما يلي : بغداد : ٣٦٤,٠٠٤١ ، الموصل : ٢٠٣,٢٧٣ ، البصرة : ١٣,٨٨١ ، كركوك : ٦١,٠٣٥ ، الحلة : حوالي ٥٠,٠٠٠ . راجع "الشرق الاوسط" ص ٢٣٨ .

(٥) السير ارنت دوسن ، "بحث في كيفية التصرف بالاراضي والمسائل المتعلقة بذلك"

(مطبوعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٣٢) ، ص ٩ . وسأشير اليه فيما بعد بدوسن .

(٦) عباس العزاوي المحامي ، "عشائر العراق" ج ١ (بغداد ، ١٩٣٧) ص ٤٣٥ . وسأشير اليه فيما

بعد بعزاوي .

(٧) "القرية العراقية" ص ١٠٧

(٨) عبد الباقي ص ١٠٧

ثم ان كثافة السكان ليست واحدة في جميع انحاء البلاد ، فهي تختلف بالنسبة لوفرة المياه وخصوبة التربة وملائمة المناخ للحياة ، وهي تشتد حيث تزدهر الصناعة والتجارة ، وفي الاماكن المقدسة عند بعض الطوائف الدينية حيث يؤمها الناس للحج والزياره والاقامة . ففي منطقة الشامية يبلغ معدل كثافة السكان في الميل المربع الواحد (٤٦٤) نسمة (١١) بينما يبلغ معدل كثافة السكان في لواء الدليم (٤٠٧٠ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد . وفيما يلي جدول بكثافة النفوس في الالوية حسب احصاء عام ١٩٤٧ (١٢) .

اللواء	مجموع النفوس	كثافة السكان في الكيلومتر المربع	نسبة النفوس المئوية في كل لواء للمجموع
بغداد	٨٠٥٩٢٩٣	٤٠٠٢٢٠	١٦٠٨
الموصل	٦٠٥٥٨٩	١١٠٩١٨	١٢٠٥
البصرة	٣٥٢٥٠٣٩	٢٨٠٥٧٠	٧٠٣
كركوك	٢٨٥٥٨٧٨	١٤٠٣٨٧	٦٠٠
الديوانية	٣٨٣٥٧٨٧	٢٥٠٧٠٤	٨٠٠
العمارة	٣٠٨٥١٠٨	١٦٠٤١٤	٦٠٤
الحلة	٢٦١٥١٠٣	٤٩٠٥٤٦	٥٠٥
المنتفك	٣٦٩٥٨٠٦	٢٦٠١٣٧	٧٠٧
الكوت	٢٢٤٥٧١٢	١٤٠٠٢٥	٤٠٧
الدليم	١٩٣٥٢٩٤	٤٠٢٦٧	٤٠٠
اربيل	٢٤٠٥٢٧٣	١٤٠٥٧٧	٥٠٠
السليمانية	٢٢٢٥٧٣٢	٢٣٠٦٧٣	٤٠٦
ديالى	٢٧٣٥٣٢٦	١٧٠١٥٠	٥٥٧
كربلاء	٢٧٦٥٦٢٠	٤٦٠٩٥٧	٥٠٨
المجموع	٤٧١١٥٠٠		

(١) سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في العراق * (بيروت ، ١٩٣٨) ص ١٣ وشاثير اليه فيما بعد بحمادة .

(١٠) المصدر السابق ص ١٤

(ج) عوامل قلة السكان : ان عدد نفوس العراق ضئيل جدا بالنسبة لمساحة البلاد الواسعة

وبالنسبة لما تستطيع الارض انتاجه من محاصيل زراعية ، وبالنسبة للثروة المعدنية المخبأة في باطنها .

وقلة السكان هي احد العوامل المهمة في تاخر البلاد الزراعي ، وفي تاخر الانتعاش الاقتصادي

بصورة عامة . فان قلة الايدي العاملة قد ادى الى بقاء مساحات واسعة من الارض القابلة للزراعة

بوراء عاطلة عن الانتاج ، وإلى عدم اهتمام الفلاح بالارض ، فاذا ما نضبت خصوبة ارضه ، وظهرت على

سطحها الاملاح ، نتيجة لعدم استخدامه الماء ، استخدمها صحيحا ، تحول الى قطعة ارض اخرى .

وقد كان سكان العراق في العصر العباسي اكثر عددا من سكانه اليوم . فكانت المدن المزدهرة

بالصناعة والتجارة تغمر بالناس ، وكانت القرى تعج بالفلاحين . ولكن الفوضى السياسية التي حلت في

البلاد في اواخر العصر العباسي وبلغت ذروتها بعد سقوط الدولة العباسية على التتر الغزاة (

واختلال الامن) وتهديم قنوات الري وسدودها ، الذي ادى الى ضياع كثير من الاراضي للزراعة وإلى

فقر الفلاحين وانتشار الاوبئة والامراض ، وبعث القبائل البدوية بالسكان وانحطت الصناعة والتجارة (

وتفشي الجهل) ادت الى تضائل عدد السكان . ومع ان حال البلاد قد تحسنت نوعا ما منذ قيام الحركة

الوطنية ، فقد قضي على الاوبئة وساد الامن في البلاد او كاد ، وانقطعت الغزوات والحروب التي كانت

تقوم دون انقطاع في البلاد وتزهو فيها النفوس ، وقامت المؤسسات الصحية ، وخاصة في المدن ، تعنى

بشؤون المرضى ، وان كانت هذه العناية محدودة النطاق ، وانشأت الحكومة مشاريع اسالة المياه المعقمة

في المدن ، وانتشر التعليم ، فان السكان ما زالوا يزدون زيادة بطيئة ما تكاد تحس ، وما زال النقص

في السكان واضحا ملموسا .

واذا اردنا ان نبحث في عوامل نقص السكان وجدناها مسببة عن النظام الاقتصادي والاجتماعي

بالدرجة الاولى ، ومن عوامل اخلاقي سنذكرها في حينها . هنالك عوامل عديدة تزيد في الولادات

وتشجع على النسل . لعادة الزواج المبكر مستحبة بين اغلبية الشعب ، والاستنكار من الاولاد .

وخاصة بين الفلاحين ، والقبائل الرحل والفقراء من سكان المدن . مرغوب فيه مهما ساءت حال الرجل

الاقتصادية وقست عليه الفاقة والحرمان ، وتعدد الزوجات كثير الحدوث وخاصة في القرى (١٢) ،

وعادة اسقاط الاجنة محرمة شرعا وقانونا ويستنكرها المجتمع اشد الاستنكار ، اما عادة ضبط النسل

فدخيلة على الشعب لا يمارسها الا عدد ضئيل من سكان المدن المثقفين . كل هذه العوامل يجب

(١١) احمد فهمي " تقرير حول العراق " (بغداد ، ١٩٢٦) ، ص ٢٠ وسامير اليه فيما بعد باحمد

(١٢) المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧ ص ١٨ - ٢٠ .

ان تؤدي الى زيادة الولادات . وفي الحق ان الولادات في العراق كثيرة . " ويتراوح معدل الاولاد الذين يولدون لكل ام بين ٥ و ٦ اولاد " (١٤) . ولكن الوفيات كثيرة ايضا " فقد دلت بعض التحقيقات على ان ٣٥ بالمئة على الاقل من مجموع الاطفال الذين يولدون كل عام يموتون قبل بلوغهم السنة الواحدة من العمر ، وهكذا تستمر عملية الوفاة في الاعمار الاخرى . كما دلت بعض التحريات المحلية (في بغداد) على ان معدل زيادة السكان تتراوح بين ١ و ١ ١/٢ سنويا . ولا يتجاوز المعدل العام لطول العمر البشري (٢٥) سنة (١٥) . وفيما يلي جدول بالولادات والوفيات المسجلة للاطفال دون السنة الواحدة من العمر في المدن الرئيسية الثلاث مع نسبة الوفيات في كل الف ولادة (١٦) . مع العلم بان هذه الارقام لا تشمل الا الحوادث المسجلة بينما هنالك حوادث لم تسجل ولم يجر عليها اي تخمين .

(١٣) يقول الاستاذ عزاوي ج ١ ص ٣٣١ " وفي الوقت نفسه يحضون على اخذ النساء (١) افراد القنائل) والاكثر منهن ليكون للمرء اولاد بكيد بهم اعداءه ويقهر منافسيه ، فيقولون : خوذ من النساء وجيد العداة " .

(١٤) هاشم جواد ، " مقدمة في كيان العراق الاجتماعي " (بغداد ، ١٩٤٦) ص ٢٤ وسائير اليه فيما بعد بجواد .

(١٥) المصدر السابق ص ٢٥

(١٦) " المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٣ " نقلا عن جواد ص ٢٥ فيما يختص بارقام السنوات ١٩٣٨ - ١٩٤٣ ، " المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧ " ص ٢١ فيما يختص بارقام السنوات ١٩٤٤ - ١٩٤٦ .

جدول بالولادات والوفيات للاطفال (دون السنّة الواحدة من العمر) في المدن الرئيسية الثلاث .

السنة	بفداد				الموصل				العمرة			
	الولادات	الوفيات	النسبة لكل ألف ولادة	بفداد	الولادات	الوفيات	النسبة لكل ألف ولادة	بفداد	الولادات	الوفيات	النسبة لكل ألف ولادة	بفداد
١٩٣٨	٨,٨٦٣	٢,٢٧٩	٢٥٧	٣,٧٦٥	١٦٦	٦٢٤	١٦٦	١,٧٧٠	٤٤٣	١٣٩	٤٤٣	٢٥٠
١٩٣٩	١١,١١٩	٢,١٣١	٢٣٤	٣,٨٨٨	١٨٨	٧٣٠	١٨٨	١,٧١٦	٤١٥	١٣١	٤١٥	٢٣١
١٩٤٠	١٦,٨٢٢	٢,٤٣٧	٢٥٢	٣,٨٤٩	١٩٠	٧٣٣	١٩٠	١,٦٦٣	٤١١	١٣٦	٤١١	١٣٦
١٩٤١	١٠,٣٣٣	٢,١٤٢	٢٣٧	٣,٠٦١	١٥٠	٦١١	١٥٠	١,٤٩٧	٣٠١	١٣١	٣٠١	٢٠١
١٩٤٢	١٦,٣٥٨	٢,١٩٣	٢٦٢	٣,٧٣٦	١٤٥	٥٤٠	١٤٥	١,٨١٨	٢٤٦	١٣٥	٢٤٦	١٣٥
١٩٤٣	١١,٠٤٩	١,٦١٦	١٤٦	٣,٨٧٩	١١٦	٤٤٦	١١٦	٢,١٥١	٣٠١	١٣١	٣٠١	١٣١
١٩٤٤	١١,١٦٧	١,١٣٩	١٠١	٣,٨١٤	١١٣	٤٣٦	١١٣	٢,١٠٦	٣١٩	١٣١	٣١٩	١٥١
١٩٤٥	١٢,٤٨٨	١,٢٠١	٩٦	٥,١٥٤	٦٨	٣٥١	٦٨	٢,٥٧٤	٢١٧	١١٥	٢١٧	١١٥
١٩٤٦	١٧,٠١١	١,٣٠٢	٧٦	٤,٨٣٧	٨١	٣٩٤	٨١	٣,٦٠٩	٣٥٥	١١٨	٣٥٥	١١٨

فإذا كان معدل الوفيات مرتفعاً إلى هذا الحد في المدن الرئيسية حيث ينعم الناس بشي من حضارة ومستوى عيش جيد نسبياً ، فلا شك أن هذا المعدل أكثر ارتفاعاً في القرى حيث تميز الكثرة السكان ، وحيث يسود الفقر والجهل والمرض ، وينعدم وجود المؤسسات الصحية والمياه الصالحة للشرب ، وجميع وسائل الوقاية والعلاج (١٧) .

أن نقر السكان ليس مسبباً عن ضآلة في النسل وقلة في الولادات بل هو مسبب بالدرجة الأولى عن زيادة في الوفيات . أن المسؤول عن كثرة الوفيات هو هذه الأمراض المنتشرة في البلاد انتشاراً واسعاً وأخصها الملاريا والبلهارزيا والانكستوما والسل والزهرى التي تفتك بأرواح الشعب وتضعف الأم أثناء الحمل ، فإذا ما كتب للطفل أن يرى النور ، جاءه عليلاً موهي العظام ، لا يستطيع تحمل الأمراض الكثيرة التي تفتك بأجسام الأطفال الغضة فتكاً يهول هذا الفقر الذي ينوء به عامة سكان الريف ومعظم سكان المدن والذي يحول بين الناس وبين تناول الحد الأدنى من الأغذية الضرورية لبناء الجسم وأعداده أعداداً يمكنه من التغلب على الأمراض ، والذي يحول بين الناس وبين المعيشة الصحية النظيفة المريحة ، وهذا الجهل الذي ترزح تحته كآبوسه أكثرية الشعب ، فيمنعهم من اتباع الطرق الصحيحة في المعيشة وتربية الأطفال ، ويغريهم باعتناق الخرافات والباطيل ، تم انعدام مياه الشرب المعقمة في الريف ، وفقدان المؤسسات الصحية في القرى وقلة جداولها في المدن . وسوف افصل القول في هذه العوامل في الفصل الذي سأخصصه للصحة والمؤسسات الصحية (١٨) .

(١٧) قدر مركز تومين الشرق الاوسط في سنة ١٩٤٣ أن ٣٥٠ طفلاً من بين كل ١٠٠٠ طفل يموتون قبل أن يبلغوا العام الواحد من عمرهم في العراق . ويموت ٥٠٠ طفل من بين كل ١٠٠٠ قبل أن يبلغوا العام الخامس من عمرهم . راجع الشرق الاوسط ص ٢٣٩ .

(١٨) راجع " الشرق الاوسط " ص ٢٣٩ .

الفصل الثاني : قوميات السكان

كان العراق منذ فجر التاريخ ملتقى لشعوب مختلفة . جاء بعضها غازيا فاتحا ، تغريه خصوبة تربته ووفرة حاصلاته . فاستقر وتحضر . واثاء بعضها من الصحراء او من الجبال لاجئا من عدو يطارده ، او هاربا من مجاعة تهدده ، فتهب وخرب وعاد الى جباله او صحاريه .
جاء السومريون والعيلاميون من اقصى الجنوب الشرقي ، والاكراد من الشرق ، والاكديون والعموريون والاشوريون والكلدانيون والاراميون الساميون من جزيرة العرب ، وحل فيه الاخمينيون والفرس من هضبات ايران ، وغزاه اليونان يقودهم الاسكندر المقدوني ، واخيرا استقر فيه العرب فاسسوا فيه مدينتهم وطبعوه بطابعهم الخاص الذي لا يزال واضح المعالم قويا . ثم كان العصر العباسي فنزح الى العراق اقوام عديدون منهم الترك والفرس والزنج . وفي اواخر هذا العصر حل فيه التتر والمغول .

كانت هذه الامم تتعارض حينها ، فيفنى الضعيف او يندمج في القوى ، او تتعاون فيما بينها على رهاية المدنية وخدمة البلاد . ولكنهم امتزجوا على كل حال ، وخاصة في المدن ، فكونوا شعبا متجانسا الصفات . على ان بعض هذه الشعوب ظلت محافظة على خصائصها القومية الى الوقت الحاضر ، متمسكة بتقاليدها ، متكلمة بلغاتها الاصلية . وليس من هي في هذا الفصل ان اتبع تاريخ كل قومية من القوميات الحاضرة بالتفصيل ، واذكر مآتيها الغابرة ، وانما اريد ان اعرض لها باختصار ، شارحا علاقتها بالمشكلة التي اعالجها ، مشكلة الحضارة ، من حيث هي قوميات .

تعوزنا الاحصاءات الحديثة المضبوطة عن عدد افراد كل قومية من هذه القوميات التي تعيش في العراق ، ونسبتهم العددية الى مجموع السكان ، واحوالهم الاجتماعية والاقتصادية . وقد يعود سبب عدم وجود هذه الاحصاءات المضبوطة الى عدم اهتمام الحكومة بالاحصاءات الحياتية والاجتماعية للسكان الا حديثا ، وقلة خبرة القائمين بالاحصاء ، وعدم مساهمة الناس في الاحصاء وقلة تاييدهم للقائمين به . ويعود عدم وجود احصاءات مضبوطة عن الطوائف الدينية والاقليات القومية ^(ط) الى ان الحكومة العراقية تعتبر جميع ابنا البلاد جنسية واحدة هي الجنسية العراقية ، بهرف النظر عن العناصر الاصلية ^{التي يجهلون منها} والدين الذي يدينون به ، والطوائف التي ينتمون اليها . ان ما ساذكره في هذا الفصل والفصول القادمة من ارقام ونسب انما هي تقديرات ارجوان تكون قريبة من الواقع .

يوئل العرب اكثرية الشعب العراقي وتبلغ نسبتهم ٧٨ بالمئة الى مجموع السكان ، ثم يليهم الاكراد وتبلغ نسبتهم ١٦ بالمئة ، ويوئل الاتراك نسبة قليلة من السكان لا تتجاوز ٢ بالمئة (١) .
ويوئل الاقوام الاخرون ، وهم الارمن والفرس والاشوريون والكلدان واليهود ، ٤ بالمئة من مجموع السكان .

(١) العرب : يوئل العرب اغلبية السكان اذ يبلغ عددهم حوالي (٢,٩٠٠,٠٠٠) نسمة تقريبا وهم يسكنون في الالوية الجنوبية والغربية بين حدود العراق الشرقية وبادية نجد في القسم الجنوبي منه ، وبين نهر دجلة وبادية الشام في القسم الشمالي منه ، على ان قسما من العرب يسكنون ذقة دجلة اليسرى في قسمة الاوسط .

ان تاريخ العرب في العراق قديم جدا " فقد كانوا منذ اقدم الازمان يفدون الى تخوم الجزيرة الشرقية حتى اذا ما وصلوا الى وادي الفرات اقاموا في ربوعه " (٢) . على ان هجرة القبائل العربية الى جنوب العراق بلغت اوجها في القرن السادس الميلادي . فلما كان الفتح الاسلامي دخل العراق في حكم العرب ، وتغلب العنصر العربي على البلاد وما يزال . وليس للعرب ، بحكم كونهم اكبر قومية في البلاد ، مشكلة قومية خاصة بهم .

(ب) الاكرد : يسكن الاكراد عامة المنطقة الجبلية الممتدة على ملتقى الحدود الايرانية - التركية - العراقية ، الى الجنوب الغربي من بحر قزوين . اما اكراد العراق فيسكنون في الالوية الشمالية الشرقية بين حدود العراق الشرقية وخط وهي يمر من قراخو وشرقي اربيل وكركوك في المنطقة الجبلية ، وهم قوم آريون لم يتوصل العلماء الي اليقين في حقيقة اصلهم . فمن العلماء من جعلهم من الجنس التوراني ومنهم من نسبهم الى الجنس الارى ، ومنهم من ذهب الى انهم ينتمون الى قبائل غوتو التورانية التي ذكرها الاشوريون باسم (هر دو) او (كر دو) حيث كانت تسكن الجبال الواقعة في شمال بلاد اشور . فلما سقطت نينوى بيد الكلدانيين والماديين ، وزالت دولة الاشوريين من الوجود ، اختلطت تلك القبائل بالماديين تدريجيا ، واندجت بهم ، فتغلبت عليهم الاوصاف الارية ، وامسوا من الشعوب الارية .

(١) عبد الباقي ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) فيليب حتي وادوارد جرجي وجبرائيل جبور ، " تاريخ العرب (مطول) ج ١ (بيروت ، ١٩٤٦) ،

اما لغتهم فتعتبر فرما من فروع اللغات الآرية ، وهي قريبة الشبه باللغة الفارسية (٣) .

يؤلف الاكراد اكبر قومية في العراق بعد العرب ، ويبلغ عددهم في الوقت الحاضر حوالي (٨٠٠,٠٠٠) نسمة تقريبا (٤) . وهم ينقسمون الى قبائل عديدة ، بعضها ما يزال في حالة بدوية متقلبة ، على ان معظمهم يعيشون في القرى ويشغلون في الزراعة وتربية المواشي ، وبعضهم يسكنون في المدن ويشغلون في مختلف الحرف ، ومنهم قسم كبير في مختلف دوائر الحكومة وقواتها المسلحة ، وهم منتشرون في مختلف المدن العراقية .

(٣) طه الهاشمي ، "مفصل جغرافية العراق " (بغداد ، ١٩٣٠) ص ٩٧ - ٩٨ . وسامير اليه بكلمة الهاشمي . يقول السيد محمد امين زكي ، "خلاصة تاريخ الكرد وكردستان" نقله عن الكردية محمد علي عوني ، (مصر ، ١٩٣٩) ، ص ٦٣ - ٦٤ ، بعد ان عرض بتفصيل بالاراء لشخبة من العلماء في اصل الاكراد وبخاصة اراء فلاديمير مينورسكي وبالسير سيدني سميث ، : ان كردستان الذي هو الموطن الاول للسلاطة البشرية الثانية وموضع انتشارها الى جهات اخرى حسب الحادثات التاريخية ، كان يسكنه في فجر التاريخ شعوب جبال (ذاغروس) التي كانت عبارة عن شعوب (لولو) و (كوتي) و (كاسي) و (خالدي) و (سوبارو - هوري) . وكان الشعب العيلامي يقيم في منتهى الشرق الجنوبي منه . ونظرا لبعض المناسبات وشاركها لغوية ، ذهب بعض المستشرقين الى ان هؤلاء الشعوب من السلالة القوقاسية . فهذه الشعوب كلها ما عدا الشعب العيلامي هي الاصل القديم جدا للشعب الكردي . وقد ابدت نشاطا سياسيا كبيرا في عهد كل من السومريين والاكاديين وفي اوائل عهد الاشوريين ويظهر ان سيول مهاجرات العنصر الآري (هندو - اوري) الى جبال ذاغروس واولا الى شرقيها وغربيها اخيرا - ويظن ان هذه المهاجرات ابتداء من القرن العاشر والتاسع قبل الميلاد - قد اوقعت بقايا السكان الاصليين لمنطقة جبال ذاغروس وبلاد كردستان تحت سلطان هؤلاء الوافدين الجدد فجعلتهم اربين . وكان الشعب الميدي اقوى واكبر شعب بين هؤلاء الاربين الوافدين جماعات وشعوباً

ان النظام الاقطاعي القبلي الذي يعبر الاكراد في ظله ، والذي يفسح المجال للزعما والشيوخ والاغوات ان يسودوا ويتحكموا فيمن تحت سيطرتهم من الناس كما يشاؤون ، والجبال المنيعه التي يعيشون في اكتافها ، جعلتهم يميلون الى الاستقلال وينفرون من كل سلطة تفرض عليهم من الخارج . وتاريخهم بطوله سلسلة من الحروب والمعارك ضد الحكومات المركزية التي ينضون تحت لوائها ، " ولم تستطع الحكومة التركية بسط نفوذها على كردستان تماما ، وبقي الاكراد طوال تاريخهم يعيشون مستقلين في بلادهم خاضعين لاوامر رؤسائهم الاغوات والبيكات ، معتمدين عند الحاجة بجبالهم المنيعه . ولم يكن باستطاعة الاتراك اخضاعهم تماما لبعدهم عن المراكز العسكرية وقربها من الحدود الايرانية الروسية . " (٥)

ومنذ نهاية الحرب العالمية الاولى اصبح اكراد العراق " مشكلة " تكلفت الحكومتان البريطانية والعراقية كثيرا من الجهد والمال والضحايا لحلها . ويجدر بنا ، لاجل ان نفهم هذه المشكلة حق الفهم وتذكر مدى اعضالها ، ان نتتبع مراحلها ، ونستقصي الاشكال التي ظهرت فيها .

(٤) يقول السيد عبد الرزاق الحسيني ، " تاريخ العراق السياسي الحديث " ج ٣ (ص ١٤٨ ، ١٤٩) ص ٢٧٨ . (سائير اليه فيما بعد بالحسيني) " اما عددهم (يعني الاكراد) في العراق فقد جاء في التقرير الذي رفعته البعثة الموفدة وفقا لقرار مجلس عصبة الامم " عن مسألة الحدود بين تركيا والعراق انه (٤١١٠٠٥٠) نسمة موزعا كما يلي : في السليمانية (١٨٩٠١٠٠) وفي كركوك (٤٧٥٥٠٠) وفي اربيل (١٢٠٠٦٥٠) وفي الموصل (٨٣٥٠٠٠) ويرى السيد محمد امين زكي انه اكثر من (٦٠٠٠٠٠٠) . وللشيخ الملا مصطفى نعمة الله الكردي ابحاث جغرافية عن " كردستان العراقية " نشرها في مجلة كلاوز التي تصدر في بغداد باللغة الكردية ، ادعى فيها ان عددهم لن يقل عن مليون نسمة ، لان الاحصاءات الرسمية لم تتناول القبائل الرحالة . ويقدرهم الهاشمي ، ص ١٢ ب ٤٥٠٠٠٠٠ ، ويقدرهم : *Ernest Main , "Iraq From Mandate to Independence" (London, 1935) p. 133* . (سائير عليه فيما بعد باسم مين) بحوالي ٥٠٠٠٠٠٠ نسمة تقريبا .

ولكنني ارى ان الرقم الذي اوردته هو اقرب للحقيقة : لان نفوس الاكراد قد زادت منذ القيام بالتقديرات المشار اليها اعلاه ، ولان معظم المصادر تجمع على ان نسبتهم الى مجموع سكان العراق تقدر بين ١٦ بالمئة و ١٧ بالمئة ، لان نفوس النوبة اربيل وكركوك والسليمانية ، ومعظم سكانها اكراد ، يبلغ ٢٤٨٠٨٨٤ (راجع اعلاه ص) . يضاف اليهم الاكراد الساكنون في اقصية الموصل الكردية الاربعة :

كان الشعور القبلي عند الاكراد ، الى زمن قريب ، من الشعور القومي . ولا زال هذا الشعور القومي ضعيفا في المناطق الريفية البعيدة عن مراكز الحركات السياسية . الا انه استجدت في هذا العصر الحديث عوامل عديدة عملت على توحيد مشاعر الاكراد ، ويبحث الوعي القومي فيهم . من هذه تكثر عدد الاكراد في المدن . فقد درج الاكراد على عدم الاشتغال بالصناعة والتجارة ، ولكن منذ اجيال قليلة ظهرت طبقة بوجوازية كردية تشعر شعورا قوميا قويا . وثاني هذه العوامل ظهور المثقفين الاكراد . كانت ثقافة هؤلاء المثقفين تركية في العهد التركي ، وعربية واوروبية في عهد الحكومة العربية . وقد ذاب قسم منهم في الثقافتين العربية والتركية . الا ان معظمهم ظلوا متمسكين بثقافتهم القومية ، واخذوا يعملون على انماؤها ونشرها . اخذ هؤلاء المثقفون يبعثون الادب الكردي وينمون ، واخذوا ينشئون الصحف والمجلات الكردية في السليمانية وبغداد . وهم على اتصال بمراكز الحياة الكردية في تركيا وسوريا وجمهورية ارمينيا السوفيتية . ويقوم هؤلاء المثقفون ، الان ، ببعث الوعي القومي عند الاكراد ، ونشر فكرة الوحدة الكردية بينهم ، وفرس فكرة الاستقلال في عقولهم (٦) .

نشط الاكراد منذ نهاية الحرب العالمية الاولى في المطالبة بتأسيس دولة كردية مستقلة في المناطق الكردية التي كانت خاضعة للدولة العثمانية . فقام "الحزب الوطني الكردي في الاستانة" يطالب الهيئة الدولية التي اتمت الاستانة بتوحيد المناطق الكردية ومنحها حكما ذاتيا كما اتصل رجال الحزب باللجان الاوروبية والامريكية التي الفت لاستفتاء الشعوب المنفصلة عن الدولة العثمانية وعرضوا عليها رغبة الاكراد في الاستقلال . وتكونت في مصر ، في كانون الثاني ١٩١٩ ، "جمعية وطنية للکرد" ، طلبت المساعدة البريطانية لتكوين دولة مستقلة . وانتخب رؤساء الجمعيات الكردية كافة الجنرال شريف باشا السليمانى ، وكان مقيما في باريس ، ممثلا عاما للقضية الكردية لدى الحلفاء في مؤتمر الصلح .

ولا يقل عددهم فيها عن ١٠٠٠٠٠٠ نسمة . وجاء في "الشرق الوسط" ، ص ٥٩ ، ان احدث تقدير للاكراد هو كما يلي : ١٠٥٠٠٠٠٠ في تركيا ، و ٨٠٠٠٠٠٠ في العراق ، و ٦٠٠٠٠٠٠ في ايران ، و ٢٥٠٠٠٠٠ في سوريا ، و ٢٠٠٠٠٠ في ارمينيا السوفيتية . وذكرت M. V. S. S. Williams "Britain and The Arab States" (London, 1948) p. 44 Note 2 ان عددهم يقدر عام ١٩٤٣ ب ٢٤٠٠٠٠٠ . وتقول في موضع اخر من الكتاب نفسه ، ص ٢٨ ، ان عددهم يقدر باكثر من ٨٠٠٠٠٠٠ شخص . (وسأشير الى هذا المصدر فيما بعد باسم وليامس .

فقدم شريف باشا مذكرة الى مجلس الحلفاء الاعلى في اذار سنة ١٩١٩ . طالب فيها باستقلال كردستان وجعل الكرد امة واحدة . وقد اثمرت هذه المساعي فاقر مجلس الحلفاء الاعلى في باريس حق الاكراد في تكوين دولة مستقلة . وجاءت معاهدة سيفر ، الموقعة بين تركيا والحلفاء في ١٠ آب سنة ١٩٢٠ ، فاكدت هذا الحق (٧) . تقرر المادة الرابعة والستون من هذه المعاهدة حق الاكراد الساكنين في تركيا والعراق ، في تأسيس دولة مستقلة لهم اذا كانت اكريتهم ترغب في ذلك وهذا نصها (٨) : " اذا قدم في ميعاد سنة ، ابتداء من تاريخ تنفيذ هذه المعاهدة ، الشعب الكردي المقيم في المناطق المعينة بالمادة ٦ ، طلبا الى جمعية الامم مفصحا فيه بان لغلبية سكان هذه المناطق ترغب في ان تكون مستقلة عن تركيا ، واذا آمنت الجمعية المذكورة ان هذا الشعب قادر على الاستقلال اوصت بذلك ، فتتعهد تركيا من الان بان تعمل بهذه الوصية وتتنازل من جميع حقوقها وامتيازاتها في هذه المناطق . وستكون تفصيلات هذا التنازل موضوع اتفاق خاص يعقد بين اهم دول الحلفاء وبين تركيا . ففي حالة حصول التنازل ، وعندما يحصل ، لا ترفع اية معارضة من قبل دول الحلفاء المذكورة نحو اتحاد الاكراد المقيمين في جزء من اراضي كردستان الداخلة الى اليوم في ولاية الموصل اتحادا بمحض ارادتهم مع حكومة الاكراد المستقلة . "

لقد قبلت الحكومة البريطانية الانتداب على العراق في شهر ايار سنة ١٩٢٠ . ولكنها لم تترك نهائيا السياسة الكردية المتضمنة في معاهدة سيفر الا بعد التوقيع على معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٣ . وكان نتيجة ذلك ان سياسة الحكومة البريطانية ، وسياسة الحكومة العراقية التي تأسست في ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ ، صيغت بشكل يفسح المجال لاحتمال تطبيق معاهدة سيفر فيما يختص بالاكراد (٩) .

A. H. Hourani, "Minorities in the Arab World" (London, 1947), pp. 95-6

(٥) العاشمي ص ١١ . وقابل

(وسائير اليه فيما بعد بحوراني)

(٦) راجع حوراني ص ١٦

in The Treaties of Peace : 1919-1923,
Carnegie Endowment for

(٧) راجع الحسيني ج ٣ ص ٢٧١ - ٨٠

(٨) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨١ . وانظر النشر الانكليزي في :

"International Peace" vol. 2 (New York, 1924), pp. 807-8

(وسائير اليه فيما بعد باسم "معاهدات الصلح" .)

على ان الحلفاء لم يستمسكوا بهذا المبدأ ، كما رفضته الحكومة التركية ، فجاءت معاهدة لوزان خالية من اى تعهد بشأن استقلال كردستان . وقد عملت الحكومة التركية ، بعد ان تخلعت من مشاكلها الداخلية وتقوى نفوذها بانتصارها على اليونان ، على ان تبقى الاكراد تحت سيطرتها . وتحول دون تأسيسهم دولة مستقلة تكون خطرا يهددها من الخلف (١٠) . وعلى هذا فقد اصبحت قضية اكراد العراق قضية داخلية تخمر العراق وحده . ومهما يكن من عدم تطبيق نصوص معاهدة سيفر فقد تركت اثرها في عقول الاكراد العراقيين الطامحين الى الاستقلال ، وقوت ايمانهم بعدالة قضيتهم .

كانت السليمانية ، ولم تزل ، معقل الحركة الكردية ورأسها المفكر . وكان الشيخ محمود اقوى زعيم فيها في بداية حكم الانكليز للعراق . سجنه الاتراك اثناء الحرب ، فلما اوشكت تلك الحرب على الانتهاء ، اطلقوا سراحه ، وفوضوا اليه ادارة منطقة السليمانية ، فحكمها باسم الدولة العثمانية . وامدوه بالمال والسلاح ، وذلك لكي يوجهوا الاكراد ضد الحلفاء ويعرقلوا حكم الانكليز للعراق . وبعد اعلان الهدنة اقنعه بعض عملاء الانكليز بفائدة الاتفاق مع السلطات البريطانية ، فوافق ، وسلم الحامية التركية للقوات الانكليزية في تشرين الثاني سنة ١٩١٨ . وعينت السلطات الانكليزية حاكما على السليمانية ، كما عينت بعفرو "سا" القبائل المتاخمة لهذه المدينة حاكما على الوحدات الادارية ، واستبدلت بالموظفين العرب والترك موظفين اكرادا .

على ان زعماء القبائل الكردية لم يكونوا متفقين على نوع الحكم الذى ينشدونه للمنطقة الكردية ، ولم تكن اهداف القضية الكردية واضحة لديهم وضوحا تاما . ففي الاجتماع الذى عقده الكولونيل "ثي . ني - ولسن" الحاكم الملكي في العراق ، في اليوم الاول من كانون الاول سنة ١٩١٨ ، والذي حضره ستون زعيما يمثلون قبائل "سنه" و "ساقر" و "هاورمان" ، اعرب فريق من المجتمعين عن رغبته في قيام حكومة كردية مستقلة ، وطالب غيرهم بالحاق منطقتهم بالعراق ، ورأى اخرون ان تربط المنطقة الكردية بحكومة لندن مباشرة . كما ان هو "لا" الرو "سا" لم يجمعوا على زعامة الشيخ محمود (١١) .

وبعد ان رجع الكولونيل ولسن الى بغداد تسلم من الشيخ محمود مريضة وقع عليها اربعون رئيسا هذا نصها (١٢) ، " لما كانت الحكومة البريطانية قد اعلنت ، من قبل ، عن رغبته في تخليص الشعوب الشرقية من ارهاق الترك ، وفي مساعدتها على تكوين استقلالها ، فان الرو "سا" يطلبون منها بصفتهم

(١) راجع *Special Report* by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq During the period ١٩٢٥-١٩٣١ (London, ١٩٣١) P. ٢٥٢ . (وساثير اليه بتقرير خاص)

ممثلين عن كردستان ان تضعهم تحت حمايتها ، وان تربطهم بالعراق لكي لا يفقدوا فوائد مثل هذه
الرابطة . وهم يطلبون الى الحاكم المدني العام في العراق ان يرسل اليهم مثلاً عنه لمد يد
المساعدة اللازمة لتمكين الشعب الكردي من احراز التقدم بصورة سلمية وعلى اسس مدنية باشراف بريطانيا .
والحكومة اذا ساعدتهم ، وحمتهم ، يتعهدون لها بقبول اوامرها وارشاداتها * وقد ارسل الكولونيل
ولسون للشيخ محمود رسالة مآلها^(١٣) : " ان الحكومة البريطانية تعضده من الناحية الادبية ، ولا تعارض
من يريد الانضمام اليه من القبائل الكردية الممتدة من الزاب الكبير الى ديارلي عدا الذين يقطنون
الاراضي الايرانية ، وانه ، الشيخ محمود ، انما يحكم هذه المنطقة كممثل للحكومة البريطانية التي
يجب ان تنفذ تعليماتها وتحترم * .

ولكن السلطات البريطانية ، بعد ان وطدت نفوذها في السليمانية ، ارادت ان تحد من
نفوذ الشيخ محمود . وادرك هو والنوابا البريطانية فاعلمن العصيان واحتل السليمانية في ٢١ ايار
سنة ١٩١١ . ولكن القوات الانكليزية تغلبت عليه ، بعد خمس اشهر جسيمة ، واسرته . وحكم عليه
بالاعدام ، ثم ابدل هذا الحكم بالسجن المؤبد ، ونفي الى الهند حيث اقام^{صغير} عام ١٩١١ .

وعند تأسيس الحكومة "الموقفة" في العراق في تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ ظل المعتمد السامي
البريطاني محتفظا بالسيطرة على المنطقة الكردية سيطرة مطلقة . غير ان السلطات البريطانية اخذت
تلمس صعوبة انشاء دولة كردية منفصلة تماما عن المناطق التركية من النواحي الجغرافية والاقتصادية
والسياسية . وان فصل المنطقة الكردية في العراق عن العراق معناه فصل مفتوحات كردستان من
اسواقها الطبيعية في بغداد والموصل ، وهذا ما يهدد مصالح الاكراد انفسهم ، ويعود عليهم
بالضرر (١٤) . ولهذا اصدر المعتمد السامي في ٦ ايار سنة ١٩٢١ البيان التالي (١٥) :

" ينظر المندوب السامي نظراً لعلينا في التدابير الادارية الواجب اتخاذها في المستقبل بحق ادارة
المناطق الكردية في العراق وقد بلغه ان هناك مخاوف تساور القلوب من احتمال الحاقهم بحكومة بغداد
الامر الذي ألجا البعض الى المطالبة بنظام استقلالي ، وبلغه في الوقت نفسه ان قادة الراي الكردي
العام يشعرون بالروابط الاقتصادية والصناعية التي تربطهم بالعراق ، وفي هذه الحانة يرغب فخامة
المندوب ان يحصل - ان امكن - على ما يشير الى امانى الكرد الحقيقية فان كانوا يفضلون البقاء في
كنف الحكومة العراقية فانه مستعد لان يقترح على مجلس الدولة بحل على الوجه الآتي :

(١٠) انظر مين ص ١٣٤ .

(١١) الحسيني ج ٣ ص ٢٨٢

(١٢) المصدر نفسه ص ٢٨٢

(١٣) المصدر نفسه

١ - فيما يتعلق بالمناطق الكردية الواقعة في لواء الموصل ، والداخلية ضمن حدود الانتداب البريطاني يشكل لواء فرعي ، يتألف من اقلية نراخو وعقرة ودهوك والعمادية على ان يكون مركزه (دهوك) وان يكون تحت هيمنة معاونة متصرف بريطاني ، ويكون القائمقامون بريطانيون ، على ان يحل محلهم موظفون من الكرد والعرب ، الذين يحسنون اللغة الكردية ويرضى عنهم الاكراد ، ويدعن هذا اللواء الفرعي في شؤونه المالية ، والثقافية ، الى حكومة بغداد الوطنية ، ويرسل بالطبع ممثلين عنه الى الجمعية التأسيسية ، ولكنه في الامور المتعلقة بالادارة العامة يراجع القائمقامون المتصرف كما ان التعيينات الادارية يقوم بها المندوب السامي بمشاوره الحكومة المحلية .

٢ - سيدبر المندوب امر اشراك الضباط البريطانيين في ادارة اربيل ، وكويسنجق ، وراوندوز ، وينال تعهدا بمراعاة رغبات الاهلين في امر تعيين موظفي الحكومة . اما تفاصيل ذلك فتوقع طالما تسمح الحالة .

٣ - تعامل السليمانية كمصرفية يحكمها متصرف شوري علم . ان يعين من قبل المندوب وان يلحق به مستشار انكليزي ، ريثما يتم تعيين المتصرف . يقوم الحاكم السياسي مقامه ، ويخول المتصرف من السلطات ما يوافق عليها المندوب ، بعد استشارة المتصرف ومجلس الدولة ، ويكون القائمقامون في الوقت الحاضر بريطانيين ، على ان يحل محلهم اكراد حينما يتصور رحال اكفاء لهذه الغاية .

وقد قبل الاكراد القاطنون في لوائي الموصل واربييل ، فاصبحوا من العراقيين . واما اكراد السليمانية فقد رفضوا فكرة الانضمام الى العراق ، فظل هذا اللواء تحت السلطة البريطانية يحكمه موظف بريطاني مسؤول امام المندوب السامي ، ومعاونته مجلس ملي منتخب (١٦) . وعندما شرع بالاستفتاء العام لانتخاب سمو الامير فيصل بن الحسين ملكا على العراق امتنع اكراد السليمانية عن التصويت ، وطالب جماعة من اكراد كركوك باقامة دولة كردية الا انهم لم يقبلوا الانضمام الى السليمانية ، واما اكراد الموصل واربييل فقد صوتوا الى جانب انتخاب الامير فيصل الا انهم اشترطوا ان تمنحهم الحكومة الحكم اللامركزي ، كما اشترطوا كذلك بانه اذا تحقق ما جاء في المادة ٦٤ من معاهدة سيفر فلن يكونوا ملتزمين بانتخابهم هذا (١٧) . يقول السيد عبد الرزاق الحسيني (١٨) : رايه هذا يعزى ان نتيجة الاستفتاء كانت ممثلة في ٩٦ بالمئة بدلا من ١٠٠ بالمئة .

(١٣) المصدر نفسه ص ٢٨٢ - ٨٣ .

(١٤) انظر تقرير خاص ص ٢٥٣ .

وفي هذه الاثناء اعيد الشيخ محمود الى السليمانية فاخذ يستعيد نفوذه، ويستجمع قواه، واهلن الثورة في عام ١٩٢٢. وسمى نفسه ملك كردستان، وُلف وزارة قومية. ولكن القوات البريطانية تمكنت من احتلال السليمانية. فلان الشيخ بالفرار. ولما عقد بروتوكول ٣٠ نيسان ١٩٢٣، بين العراق والحكومة البريطانية، عدل نهائيا عن ابقاء منطقة السليمانية تحت سيطرة المعتمد البريطاني، وجعلت لواء كبقية الالوية العراقية، تدبره وزارة الداخلية، وتراعي حسيات الكرد بتعيين موظفين من الشبان الاكراد.

وتوتر الموقف من جديد، واخذ اهالي السليمانية يجلبون عنها، فعاد اليها الشيخ محمود، واحتلها في ١١ تموز ١٩٢٣. ولكن الجيش العراقي تمكن، بمساعدة قوة من السلاح الجوي البريطاني، من اعادة احتلال السليمانية في تموز ١٩٢٤، وعاد الاهلون الى منازلهم. وبقي الشيخ محمود في الجبال المجاورة يجبي الاتاوة من العارة، وبهاجر القهائل بين الغبنة والغبنة.

وفي اوائل شهر كانون الثاني ١٩٢٥ اوفدت عصبة الامم لجنة للتحقيق في الخلاف التركي العراقي حول منطقة الموصل. وقد ذكرت اللجنة في تقريرها الموضوع الى عصبة الامم ما يلي (١١) : "يحب مراعاة رغبات الاكراد فيما يخص تعيين موظفين اكراد لادارة ملكتهم، وترتيب الامور العدلية والتعليم في المدارس، وان تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية في هذه الامور". وعندما قررت عصبة الامم ابقاء المنطقة المتنازع عليها للعراق، جزء لا يتجزأ منه، اشترطت على الحكومة البريطانية ما يلي (٢٠) : "تدعى الحكومة البريطانية بصفتها الدولة المضيفة، الى ان تعرض على المجلس التدابير التي ستتخذ من اجل ان تؤمن للاكراد من اهل العراق التسهيلات المتعلقة بالادارة المحلية التي اوصت بها لجنة الحدود في استنتاجاتها الاخيرة". وقد قامت الحكومة العراقية بتنفيذ هذه الشروط، ويستدل على ذلك ما جاء في المذكرة المؤرخة في ٢٤ شباط ١٩٢٦ التي قدمتها الحكومة البريطانية الى مجلس العصبة، وعندما احيلت هذه

(١٥) الحسني ج ٣، ص ٢٨٣ - ٢٨٤، وراجع النمر الانكليزي في "تقرير خاص"، ص ٢٥٣ - ٤

(١٦) انظر "تقرير خاص"، ص ٢٥٤

(١٧) المصدر السابق، ص ٢٥٤

هذه المذكرة الى "لجنة الانتداب الدائمة" ايدت هذه اللجنة قيام العراق بالواجبات التي طلبت العصبة اليه ان يقوم بها . وفيما يلي اهم ما جاء في هذه المذكرة (٢١) :

" ان ثلاثة واربعين من مجموع سبعة وخمسين موظفا المستخدمين من قبل وزارتي المالية والداخلية في المناطق الكردية هم اكراد . بينما هناك تسعة موظفين (بصورة تدرجية في عدد الموظفين غير الاكراد المستخدمين في مناطق كردية . وان سياسة استخدام الاكراد فقط دون غيرهم ، حيثما يوجد من له اهلية ورغبة في الاستخدام ، جارية بكل مواظبة . "وتستخدم وزارة العدلية ثلاثة عشر موظفا (حكما وروما كتبة) في المناطق الكردية وعشرة منهم اكراد ، وتجرى المرافعة باللغة الكردية . وتحرر محاضر الجلسات في السليمانية وكوى سنجق التابع الى لواء اربيل بالكردية . وترتبط بها الترجمة العربية عند احالة الدعوى الى محكمة الاستئناف او محكمة التمييز ، ويستخدم ستة موظفين اكراد في حين الوظائف في مناطق غير كردية . " وهاخذ الاكراد حصتهم في الاشتراك في ادارة الحكومة المركزية . فان عشرين من مجموع عشرين عينا هما كرديان (لان الاخرين نصف اكراد) واربعة عشر مندوبا من مجموع ٨٨ هم اكراد وان وزير المالية هو كردي . كما ان وزير الاشغال والمواصلات كذلك . " ويؤلف الكرد نحو ٧ بالمئة من مجموع سكان البلاد ، وان ٢٤ بالمئة من مجموع قوة الشرطة هم اكراد ، وفي الجيش يؤلفون ١٤ بالمئة ، في حين ان ٢٣ بالمئة من مستخدمي السكك الحديدية هم اكراد . ويبلغ مجموع الافراد المستخدمين في الشرطة ، والجيش ، والسكك الحديدية ، ما ينيف على (٢٠٠٠٠) منهم اكثر من (٤٠٠٠) او ٢٠ بالمئة اكراد . " . " ويوجد في المناطق الكردية خمس وعشرون مدرسة ، منها خمسة مختصة بالمسيحيين ، وتستعمل فيها اللغات الكلدانية والعربية . اما لغة التعليم في الستة عشر مدرسة المتبقية ، فهي الكردية . ان اللغة الرئيسية للتعليم في المدارس الاربع الباقية ، حيث تتالف تلامذتها من تماري واكراد هي العربية . على ان تستعمل الكردية للايضاح بكل حرية . "

Philip Willard Ireland, "Iraq: A study in Political Development" (London, 1937),

(١٨) الحسني ج ٣ ، ص ٢٨٤ . يقول :
ص ٣٢٤ ، حاشية ٣ : "من الصعب معرفة كيفية الحصول على هذه النسبة ، حيث ان سكان كركوك بحسب احصاء ١٩١٨ - ١٩١٠ او بموجب احصاء ١٩٣٠ يكونون ٦ بالمئة من نفوس العراق ما عدا لواء السليمانية . " (وماشير الى هذا المصدر فيما بعد بايرلاند .)

(١٩) الحسني ج ٣ ، ص ٢٨٩ . وانظر كذلك "تقرير خاص" ص ٢٥١ .

(٢٠) الحسني ج ٣ ، ص ٢٧٩ . وانظر كذلك "تقرير خاص" ، ص ٢٥١ .

(٢١) الحسني ج ٢ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

بما ان
الاعراق
واللغات
التي
تستخدم
في
الوظائف
في
البلاد
خارج

وقد تفرغت الحكومة لانها امر الشيخ محمود ، فارسلت قوة من الجيش اثلث قريته بنجوين، في ٢٠ نيسان ١٩٢٧ ، واضطرت في حزيران ١٩٢٦ ، على قبول شروط الحكومة التي موّدها : ان يخادر العراق ولا يعود اليه الا بترخيص من الحكومة ، وان ترجع اليه املاكه ، وتعفو الحكومة عن عدد من اتباعه . (٢٢)

ربما يبدو من هذا العرض السريع لتطور القضية الكردية ان القائمين على ادارة دفتها هم من الشيوخ والاقطاعيين فحسب ، الذين افوا التفرد بشؤونهم ، ومارسوا التحكم في اتباعهم ، واعتادوا الاستقلال وهدم الخضوع للسلطة المركزة . ولكن القضية تكون مشوهة ناقصة اذا فهمت على هذا الشكل . فالحقيقة ان الشباب الكردي المتعلم الناهض ، المؤمن بالقومية الكردية ، وعلى الاخر في المدن الكردية الكبرى السليمانية واربيل ، اشترك في الحركة اشتراكا فعليا ، وساهم في حمل العامة على المطالبة بالاستقلال . وما كانت القضية لتتوقف على ثورات الشيخ محمود فحسب ، والتي كانت مبنية على دوافع شخصية اكثر مما هي قائمة على المفاهيم القومية ، بل انها امتدت حتى شملت جماعات كبيرة من الاكراد في مختلف المدن الكردية . كان بعض المشتغلين في القضية الكردية مخلصين في مساهمهم ، وكان بعضهم يستغلون الحركة لمصالحهم الخاصة ، وكان بعضهم مؤجرين للانكليز . ففي شهر شباط من عام ١٩٢٩ قدم ستة من نواب الاكراد في المجلس النيابي عريضة الى رئيس الوزراء طالبوا فيها بما يلي .

- ١- تزويد نفقات المعارف في كردستان .
- ٢- تاليف وحدة كردية تضم السليمانية واربيل وكركوك ولواء اخر يكون جديدا من الاقضية الكردية في لواء الموصل ، وان يتولى امر هذه الوحدة الادارية مفتش كردي عام ، ويكون الصلة الوحيدة بين هذه المنطقة وبين حكومة بغداد .
- ٣- تزويد نفقات المصالح العامة في كردستان (٢٣)

وقد استنكر رئيس الوزراء والمندوب السامي البريطاني ما جاء في هذه العريضة

(٢٢) انظر "تقرير خامس" ، ص ٢٦٠

(٢٣) الحسيني ج ٣ ص ٢٦٠ . وراجع كذلك "تقرير خامس" ص ٢٦٢ .

بشان تكوين وحدة كردية من المناطق الكردية . وفي الوقت نفسه اهزت الحكومة بازالة اسباب الشكوى، ومن ذلك انها شرعت قانونا يجعل اللغة الكردية لغة رسمية في الاقضية التي يكون الكرد فيها الاكثرية الساحقة .

وهدأت الحالة قليلا . ولكن عندما شرع في المفاوضات التي اسفرت عن عقد المعاهدة العراقية - البريطانية الرابعة في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ . كان الاكراد يأملون ان تحتوى هذه المعاهدة على نص يضمن لهم حقوقهم التي اشارت اليها عصبة الامم في القرار الذي اتخذته عندما قررت ابقاء منطقة الموصل للعراق . فلما نشر نص المعاهدة وكانت خالية من كل ما يتعلق بالقضية الكردية ، ثار نائهم ، وشرعوا يرسلون المرائخ والاحتجاجات الى عصبة الامم والى دوائر المندوب السامي في بغداد . اما لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الامم فقد ردت هرائض الاكراد وخاصة ما يتعلق منها بانشاء دولة كردية تحت اشراف عصبة الامم ، واوصت مجلس العصبة بما يلي : (١) ان يرد عريضة وجوه الاكراد ، ما يتناول منها غرض تاليف حكومة كردية تحت اشراف عصبة الامم . (٢) ان يطلب الى الدولة المنتدبة ان تلاحظ فيما اذا كانت التدابير التشريعية والادارية التي وضعت لتضمن للاكراد الوضعية التي هم اهل لها ، ينظر اليها بنظر الاعتبار . وتوضع قيد التنفيذ دون اى نقص او تماهل . (٣) ان ينظر في حكمة اشتراط اتخاذ التدابير التي تضمن للاكراد بقاء مثل هذه الوضعية اذا ما تخلف العراق نهائيا من وصاية الدولة المنتدبة (٢٤) . واما وكيل المندوب السامي فقد اصطحب وكيل رئيس الوزراء وقاما بجولة في المناطق الكردية ، ولقيا الخطب مبينين حسن نوايا الحكومة العراقية تجاه الكرد ، ورفضتها الشديدة في ترقية احوالهم واعمار بلادهم ، فهدات الحالة ردها من الزمن لتنفجر في السليمانية بشكل عنيف . ففي يوم ٦ ايلول سنة ١٩٣٠ دعي حوالي ٣٠ وجيها من وجوه السليمانية الى الاجتماع في سراى الحكومة لانتخاب الهيئة التفتيشية لانتخاب المجلس النيابي الجديد . فهاجم جمهور من سكان السليمانية المجتمعين ورموهم بالحجارة وحطموا ٥٣ نافذة من نوافذ السراى واستعان المتصرف بالشرطة والجيش . ووقع اصطدام بين المتظاهرين وقوات الحكومة اسفر عن قتل ١٤ شخصا من الاهلين وجندى واحد

(٢٤) الحسيني ج ٣ ص ٢١١ . وراجع " تقرير خامر " ، ص ٢٦٤

وجرح ٢٣ شخصا من الاهلين . و ٣ من الجنود ، و ١٠ من الشرطة .^(٢٥) واستغل الشيخ محمود هذه الفتنة . فنقض عهده للحكومة . ودعا القبائل الكردية للانضمام اليه . وكتب الى المعتمد البريطاني في بغداد يطالب بتخلي الحكومة العراقية عن المنطقة الممتدة من خانقين الى زاخو ، واقامة دولة كردية تحت الانتداب البريطاني الى حين تعطي عصبة الامم قرارها النهائي^(٢٦) . وارسلت الحكومة جيشها لاختضاعه . وفي ١٣ ايار سنة ١٩٣١ اضطر الشيخ للاستسلام الى الحكومة العراقية . فجئ به الى بغداد ، وابعد الى السجاسة^(٢٧) بالناصرة ، فعنه . ثم سمح له اخيرا بالاقامة في بغداد . فلبث فيها الى شهر ايار ١٩٤١^(٢٨) ولم يكذب بعضي فترعام على القضاء على ثورة الشيخ محمود في السليمانية حتى ثار الشيخ احمد البارزاني في ربيع عام ١٩٣٢ . ولم تتمكن الحكومة من اخماد ثورته الا بعد تضحيات جسام . ولكن الشيخ احمد وجماعة من اتباعه هربوا عبر الحدود وسلموا انفسهم للسلطات التركية .

ان هذه الثورات الدموية المتواصلة التي ارهقت فيها ارواح المئات من رجال الحكومة ومن الثوار . والتي عطلت تقدم كردستان السلمي فترة من الزمن . وهذه ^{احتجاجات} الاضطرابات والمطالبات بالاستقلال والمساواة . التي كانت تنهال على الحكومة العراقية ودارالاعتقاد في بغداد . وعلى مجلس عصبة الامم في جنيف . لم تذهب دون ان تحقق بعض النتائج النافعة لكردستان . وقد كانت الحكومة العراقية امينة ، الى حد ما ، على تطبيق ما جاء في الدستور من اعتبار العراقيين جميعا مواطنين متساوين في الحقوق . فانشات المدارس في كردستان حيث يتلقى الطلاب علومهم باللغة الكردية . وجعلت لغة المرافعات في المحاكم اللغة الكردية .

(٢٥) المصدر السابق . ص ٢١٥

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦١

(٢٧) لم يكن اسكان الشيخ محمود في بغداد نهاية المطاف لهذا التأثير الذي اتخذ الثورة على الحكومة العراقية في بغداد حرفة له ، والذي كانت تهمه الزعامة والسيطرة الشخصية والمنافع الذاتية اكثر مما يهمه استقلال الاكراد . والذي اتخذ الانكليز "صديقا" بعينهم وقت الحاجة . ويستلغون به كلما اشتد ضغط الوطنيين العرب عليهم . وكلما قويت الحركة التحريرية في البلاد . تقول السيدة Freya Stark في كتابها "East is West" المطبوع في لندن في ايلول ١٩٤٥ ، ص ١٨٤ "اتنا اضطرابات ايار ١٩٤١ (تقعد ثورة رشيد عالي الكيلاني) هرب (تعني الشيخ محمود) من بغداد وعاد الى جباله ، واخذ يثير قبائله . ولكن في صالح البريطانيين المحاصرين هذه المرة . وقبل ان يتمكن من همل اي شي" عادت الى الحكم في العراق حكومة صديقة ، ولكن الشيخ كان عازما على المضي في ثورته .

وفتحت ابواب الخدمة في الدوائر الحكومية امام الاكراد ، وسرت لشبانهم الدخول الى جميع الكليات والمدارس الحكومية في بغداد . وقامت باصلاحات اقتصادية واجتماعية وادارية تعدل ما قامت به في المناطق العربية من العراق . وان كانت الاصلاحات التي قامت بها الحكومة ، سواء في المناطق العربية او الكردية ، ضئيلة بالنسبة لحاجات السكان ومتطلبات العصر الحاضر . وهذه الحالة في كردستان ، او كانت تبدو هادئة ، فقد حصل الثوريون الاوائل على مناصب رفيعة في الدولة فاصبح منهم الوزراء والنواب والاعيان والموظفين الكبار ، واستقر معظمهم في بغداد والفواحي حباتها المتحضرة الرخية ، ووالو الحكومة وايدوها ، واصبح قسم كبير منهم يفضلون ان يكونوا وزراء ونوابا وموظفين كبارا في دولة كبيرة عاصمتها بغداد على ان يكونوا زعماء لدولة محدودة المساحة ، غنية المدن ، قليلة الخيرات . وان كان بعض هؤلاء ما زالوا يستغلون القضية الكردية ، ويلوحون بظلامه الاكراد بين حين واخر ، تقوية لنفوذهم عند الاكراد ، وتخويفا للحكومة للحصول على ما يريدون . وقد استطاعت الحكومة ان تستميل الى جانبها قسما كبيرا من الاقطاعيين والشيوخ والاقوات والمتنفذين ، وقوت نفوذهم ، وثبتت سيطرتهم وزادت ثرواتهم ، وهنا أخطأت الحكومة ، وما كان لها الا ان تخطي ، بحكم طبيعة تكوينها ، فبدلا من ان تملح احوال الاكراد عامة وتسبغ رعايتها عليهم جميعا ، وتخلق منهم مواطنين راضين باحوالهم مؤيدين لها ، اهتمت بنفر من المتنفذين المحظوظين فافسدت عليها قلوب العامة .

خلال الحرب العالمية الثانية ازدادت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في كردستان حدة وتناقضا ، كما حصل في مناطق العراق الاخرى . فقد ساءت احوال معظم الناس الاقتصادية ، وضاق بهم سبل العيش . فالمناطق الجبلية لا تنتج من الحبوب ما يكفي حاجة السكان ، وقد اصبح استيراد الكميات اللازمة من الحبوب ، في زمن الحرب ، صعب التحقيق لفقر الفلاحين الاكراد ، وعدم وجود منظمة للغذاء ، وعدم تسير المواصلات . وانثر بينهم ما ذاع زمن الحرب من دعايات تدعو الى اصلاح اجتماعي ، وانصاف العامة من الناس ، والقضاء على شرور العصور الفاسدة . وما اثر في الراي العام الكردي بصورة خاصة الحركات السياسية التي حدثت في المناطق الكردية الايرانية حيث تخلف الاكراد من السيطرة الايرانية منذ ان

رغم تغير الصفة الجوهرية لهدفه ، لولا ان بذلت محاولات مجهدة لارجاعه عن غرضه . وهو الان يعبيرني السلبيانية مكرما . وقد اصبح احد ابناؤه (بابا علي) وزيرا ، والاخر نائبا .

احتل الحلفاء ايران في عام ١٩٤١ ، واسسوا جمهورية كردية في ايران على مقربة من المناطق الكردية في العراق . يضاف الى هذا اثر المثقفين الاكراد في بعث الوعي القومي عند جماهير شعبهم ، وتبنيهم الى المساواة الادارية التي يعانونها ، والظلم الاجتماعي الذي يكابدونه ^(٢٨) . كل هذه العوامل زادت التفكير السياسي عند الاكراد حدة واتساعا وعمقا . ففي تموز ١٩٤٢ هرب الزعيم البارزاني الملا مصطفى من السليمانية ، حيث كان مقيما فيها اقامة اجبارية بعد عصيانه على الحكومة عام ١٩٣١ ، واعلن الثورة على الحكومة في منطقته بارزان ، وهاجم مخافر الشرطة في منطقة الحدود . وقد تجمع حوله كثير من الاكراد ، ولكن الحكومة توصلت الى اتفاق معه ، ووعدته باصلاح ما يشكو منه سوء الحالة في منطقته . فعندما عدل السيد نوري السعيد وزارته ادخل فيها السيد ماجد مصطفى ، وهو من رجالات الاكراد المعروفين ، وزيرا بلا وزارة ، وعهد اليه بمهمة احلال السلام في المنطقة الكردية ، وازالة ما يشكو منه الاكراد . وكان من نتيجة مساعي السيد ماجد مصطفى ان قدم الملا مصطفى بمحبه جماعة من الزعماء البارزانيين الى بغداد في كانون الثاني وشباط ١٩٤٤ ، ليقدموا ولائهم لسمو الوصي على العرش . وتنطوى الاتفاقية التي توصلت اليها الحكومة مع الملا مصطفى على ان يسكن هو خارج المنطقة البارزانية ، وان يسمح لاخيه الشيخ احمد ، الذي كان منفيا في الحلة ، بالعودة الى منطقته . وان يعاد تأسيس مخافر الشرطة في المنطقة البارزانية ، على ان تنسحب منها وحدات الجيش العراقي . على ان ما حقته الحكومة من تعهداته لم يبرز التأثير البارزاني ، فاعلن ثورته الثانية في ١٥ آب ١٩٤٥ ^(٢٩) ، وحشدت الحكومة معظم قواتها للقضاء على حركته ، والبت عليه القبائل الكردية الموالية لها ، فلم يجد بدا ، امام هذا الضغط المتعاضد ، من الالتجاء الى ايران .

(٢٨) يقول السيد حوراني ، ص ١٨ - ١٩ " لم يبق الاكراد باية ثورة بين عامي ١٩٣٢ و ١٩٤٣ . وان ظلوا متذمرين ، غير راضين بتقبل سلطة الحكومة . ويعود هذا التذمر لسببين رئيسيين : اولهما نمو الشعور القومي الكردي الذي يعود الى الظهور التدريجي لطبقة من المثقفين الاكراد من جهة موالي رد الفعل الطبيعي ضد الوحدة العربية من جهة اخرى . وقد يكون للتشجيع الذي قدمه الفرنسيون للشعور القومي الكردي في الجزيرة السورية ، والروس للاستقلال الذاتي الكلاي في القفقاس ، بعض التأثير على نمو هذا الشعور القومي ، وان كان هذا التأثير محدودا . اما السبب الثاني ، الذي هو اكثر اهمية ، فيجب ان نبحث عنه فيما كانت تشكو منه القبائل الكردية من حيف اداري خاص . فلم تقم الحكومة الا باضعف المحاولات لتطبيق القوانين التي صدرت في فترة الانتداب . ودرجت الدوائر الحكومية في بغداد على تجاهل مطالب المقاطعات النائية عن العاصمة . ولم يكن للاكراد وسيلة

(٣٠)

وفي ايران ساعد في اقامة الجمهورية الكردية ، وحارب الحكومة الايرانية دفاعا عنها . فلما انهارت هذه الجمهورية جمع اموانه واجتاز الحدود العراقية . على ان الحكومة العراقية كانت متاهبة له فاستلم قسم من جماعته الى الحكومة ، وبينهم اخوه الشيخ احمد وبعض الضباط وكثير من النساء والاطفال والمجاهدين . وتراجع هو ومن بقي من اموانه ، واجتاز الحدود التركية الايرانية ، والتجأ الى اذربيجان السوفيتية ، وما يزالون فيها . وقد اعدمت الحكومة عددا من الضباط المسلمين ، وسجنت جماعة من المحاربين ، يقدر عددهم بحوالي الالفين ، واعادت الباقين الى قراهم المهدة ، وحقلهم المحروقة المقفرة ، وبيوتهم التي دمرتها الطائرات ، وخصصت مبلغا من المال لاعاشتهم ، ومساعدتهم على استئناف حياتهم .

هل حلت القضية الكردية حلا نهائيا مرضيا ؟ ان القاء نظرة سريعة على الحركات السياسية في كردستان تساعدنا على اجابة هذا السؤال . هنالك حركات سياسية مختلفة الغايات والاساليب ، بقوى اثرها على الدوام بين الثققلين ، ويزداد نفوذها على العامة من الشعب الكردي . وان كانت بعض هذه الحركات تعمل في الخفاء ، ولا تستطيع ان تعلن من نفسها جهارا . فالشيوعيون الذين قويت حركتهم وازدادوا عددا منذ الحرب العالمية الثانية ينادون بان السبب الرئيسي لما يعانيه الشعب الكردي من اوضاع سيئة ، ومستوى غير بائس منحنطه وسوء في الادارة ، هو النفوذ البريطاني والرجعية المحلية المؤتمرة بامره ، المعاولية له . وان ادراك امانى الاكراد لا يتحقق الا بتوحيد القوى مع المناضلين من عرب العراق ، الذين يشكون من الحالة السيئة ، ويحانون التأخر والفاقة والحرمان ذاته .

لاسطاع اصواتهم للحكومة بصورة مؤثرة ، وارغامها على الالتفات لحاجاتهم . لقد اخفق الموظفون العرب في المناطق الشمالية على العموم ، في تفهم عقلية الاكراد ومطالبهم ، (بينما نجح الموظفون الاكراد في المناطق العربية ، غالبيا ، نجاحا ممتازا) . وربما كانت الهوة بين الادارة والشعب على اوسع ما تكون في لواء الموصل ، حيث تخضع الادارة ، الى حد كبير لنفوذ العرب من سكان الموصل نفسها . ويبدو اهمال الحكومة في كل نواحي الحياة . فالمدارس قليلة ، والموجود منها معد ، بصورة عامة ، للتعليم باللغة العربية . ولم تقم الحكومة بعمل اى شي* لتحسين الزراعة ، وتوسيع الاراضي المزروعة ورفع مستوى المعيش . *

(٢١) انظر وليامس ص ٣٣ - ٣٤ .

(٣٠) اقيمت هذه الجمهورية الكردية في مهاباد ، وانتخب قاضي محمد رئيسا لها في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٦ . وبعد ان اعادت الحكومة الايرانية احتلالها لاذربيجان ، ألقت القبض على قاضي محمد ، وحكمت عليه بالاعدام . وقد شفق في ٣١ آذار ١٩٤٧ . انظر "الشرق الاوسط" ص ٥٩ .

وبعد ان يتحرر العراق نهائيا من كل نفوذ خارجي . ومن كل تسلط للرجعية في الداخل
يقرر الشعب الكردي ما اذا كان ينبغي الاستقلال التام . او الاستقلال الذاتي ضمن حدود
المملكة العراقية . او يبقى على وضعه الحالي جزئيا غير منفصل من الدولة العراقية . وكانوا
يصدرن جريدة سرية بعنوان "آزادي" اي التحرر . ونفوذهم قوى في السليمانية واربيل
وكويسنجق وما حولها من قرى . وهناك جماعة اخرى . من المنحصرين للقومية الكردية ،
يدعون الى الاستقلال . وينادون بادخال الاساليب الديمقراطية في الادارة . والقيام
بالاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية وكانوا يصدرن جريدة سرية بعنوان "رزكاري" اي النجاة .
ويلتف حول هذه الجماعة طائفة من الشبان المتعلمين في المدن الكردية . وقسم من
الاقطاعيين الناقمين على الحكومة . ونفر من الثوريين القداماء .

من هذا يتضح ان جواب السؤال الذي قدمته في اول هذه الفقرة يتوقف على
مدى عزم الحكومة على ادخال الاصلاحات الجذرية في كردستان . والتي تتناول حياة عامة
الشعب الكردي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . فالقضية اذن . اذا تجاوزنا الروح القومية
هند الاكراد . هي جزء من المشاكل العديدة التي سعالجها في الفصول القادمة .

(ج) الأتراك .

يبلغ عدد الأتراك حوالي (١٠٠٠٠٠٠) نسمة . وهم يسكنون في الالبوة الشمالية .
في المساحة الضيقة بين المنطقة الكردية الواقعة في الشمال والشمال الشرقي والمنطقة العربية
الواقعة في الغرب والجنوب الغربي . ويبدأ هذه الساحة من تلعفر الكائنة في شمال غربي
الموصل وتمتد نحو القرى الكائنة في الجنوب الشرقي من الموصل وتتر من اربيل والتون كبهري
وكركوك وخانقين وتنتهي في جوار مندلي . و هم يتعلمون بالقرابة العنصرية بالأتراك
العثمانيين . ولعلمهم من بقايا الأتراك الذين اتى بهم الخلفاء العباسيون في القرن الثالث
للهجرة لتأييد دولتهم . وبعضهم من بقايا الأتراك السلاجقة . (٣١) واغلبية الأتراك فلاحون .
ومنهم من يسكنون المدن ويشغلون بمختلف الحرف . ومنهم عدد كبير في مختلف دوائر
الحكومة . وليست لهؤلاء الأتراك مشاكل قومية خاصة . ولا مطامح انفصالية . ولئن كان بعض
شبانهم المتعلمين يحملون ميولا تورانية . ويؤمنون باسجاد تركيا الكمالية . ويقراون صحفها وادابها
فان ذلك لا يتعدى الميل العاطفي . والاهجاب بامة يتون اليها بقرابة العنصر .

(د) الفرس .

لا علاقة للفرس المقيمين في العراق في الوقت الحاضر بالفرس الذين حكموا العراق قبل الفتح الاسلامي ، او الفرس الذين استعان بهم العباسيون على ادارة البلاد . وكان لهم في الدولة العباسية نفوذ عظيم . وانما هاجر هؤلاء الى العراق منذ عهد قريب . بعضهم جاء ليشغل في التجارة وفي بعض الحرف الاخرى ، ويسكن معظم هؤلاء في بغداد والكاظمية وبعضهم جاء لبواعت دينية وهم يسكنون في الكاظمية والنجف وكربلاء وسامرا . والفرس جالية صغيرة^(٣١) . وهم كقومية لا يشكلون معضلة قومية او اجتماعية ، وليست لهم مطالب قومية خاصة . وفي كل سنة يقد الى العراق عشرات الالوف من الزوار الايرانيين ، نساء ورجالا ، لزيارة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف والكاظمين وسامرا .

(هـ) الارمن .

كان قسم من الارمن يسكنون في العراق قبل الحرب العالمية الاولى ويشغلون في التجارة وبعض الحرف الاخرى . ولكن عددهم ازداد منذ اواخر تلك الحرب على اثر المذابح والاضطهاد الذي حل بهم في تركيا . وقد سكن معظمهم في المدن الكبرى وعلى الاخص في الموصل وبغداد والبصرة . ويسكن قسم منهم في شطال الموصل ويشغلون في الزراعة . ولا يعرف عدد نفوس الارمن الساكنين في العراق بالضبط ، وقد قدر السيد طه الهاشمي عددهم بثلاثين الف شخص^(٣٢) . وللارمن عدد من المدارس والنوادي الخاصة تديرها جمعيات اهلية ، كما لهم كنائس في بغداد والموصل . وقد رحل قسم منهم الى ارمينية عام ١٩٤٨ . وينتظر قسم من الباقين الترخيص لهم بالسفر . وارمن العراق عموما وادعون ، نشطون ، مسالمون .

(و) الكلدان .

من بقايا الاقوام القديمة التي كانت تسكن العراق قبل الفتح الاسلامي . وهم يسكنون الان في بعض القرى الكائنة في شرقي الموصل كالفوش وتلشقف وتلكيف وبطانية بالهاتية وبرطلة . كما يسكن قسم منهم بعض القرى في اقضية العمادية وزاخو وعقرة .

(٣١) حمادة ، ص ٢٧ .

(٣٢) تذكر وليامس ، ص ٤٦ حاشية ٢ . ان عددهم ٦٥,٠٠٠ شخص .

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٨٥ .

وتوجد في تركيا بعض الجاليات الكلدانية في ديار بكر وسمرقند وجزيرة ابن عمر . وهم يولفون
أكثرية نصارى العراق^(٣٤) . يشغل معظم الكلدان في الزراعة . وقراهم ، ولا تزيد من العشرة ،
كبيرة عامة ، في بعضها كنائس واسعة حديثة البناء ، وفي كل منها مدرسة ابتدائية واحدة أو أكثر .
وهم مجدون نشطون . وقد ضاقت حياة القوية عن نشاطهم فهاجر قسم منهم إلى أمريكا وأصبح بعضهم
من ذوي الثراء العريض هناك . وهاجر قسم كبير منهم إلى مختلف أنحاء العراق وخاصة بغداد
والموصل والبصرة . كما دخل بعضهم في خدمة الحكومة واشتغل آخرون في التجارة . على أن
أغليتهم يشتغلون في الفنادق والمطاعم والحانات .

يتكلم الكلدانيون اللغة السريانية وإن كانت تختلف عن اللغة المكتوبة بعض الاختلاف بحكم
اختلاطهم بالعرب وتأثرهم باللغة العربية . ومستقبل هذه اللغة ، في رأي فيرمكين ، فمنهم جميعا
تقريبا ، يتكلمون اللغة العربية إلى جانب لغتهم الأصلية ، وذلك نتيجة لطرق المواصلات الحديثة التي
زادت من احتكاكهم بالعرب والمدارس التي يتعلم فيها أولادهم وبناتهم دروسهم باللغة العربية
وللتجنيد الإجباري الذي يجعل الشاب منهم يقضي مدة خدمته العسكرية في محيط عربي . وهم لا
يتكلمون لغتهم الخاصة إلا إذا خلا بعضهم إلى بعض ، أما فيما عدا ذلك فهم يتكلمون اللغة العربية
كمعظم سكان العراق . وأرى أنه لن تنقضي غير بضعة أجيال حتى ينسى الكلدانيون لغتهم ويصلحنون
اللغة العربية في حديثهم .

(ز) الآشوريون .

يزعم الآشوريون أنهم من سلالة الآشوريين القدماء . ولكن العلماء لم يقطعوا برأي في أصلهم
فقد جوز بعض المؤرخين انتسابهم إلى القوم الذين سكنوا الجبال فيط مضى ونشأ منهم الأكراد .
كما يجوز السيد طه العاشمي أن يكونوا من نصارى العراق القدماء الذين سكنوا أطراف الموصل ونزحوا
إلى الجبال في زمن الفتوحات الإسلامية ، وانغردوا عن النصارى الآخرين^(٣٥) . ويذهب السيد حوراني
إلى أنهم "يحتمل أن يكونوا من سلالة القبائل التي نزحت من السهول إلى الجبال الشمالية أثناء
الغزو المنولي ، ويقوا فيها إلى عصرنا هذا" .^(٣٦) . وهم مسيحيون من اتباع المذهب النسطوري ،
ويتكلمون اللغة السريانية الآرامية المزوجة ببعض الألفاظ الأجنبية ، ويبلغ عددهم في العراق حوالي
٣٧٠٠٠٠ نسمة^(٣٧) . كانوا يسكنون قبل الحرب العالمية الأولى مجال حكارى الواقعة في القسم
الجنوبي الشرقي من تركيا ، وفي السهول الممتدة إلى الغرب من بحيرة أرميا في فارس ، وفي الأراضي

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ . وتعليق ، لباص ، ص ٤٦ حاشية ٢ ، الأرقام التالية عن عدد
المسيحيين : الأرثوذكس : ٢٠٦٨٨ ، الكاثوليك : ٣٣/١١٣ ، الطوائف الأخرى : ٤٧/٦٠١ .

(٣٥) العاشمي ص ١٠٧ — ١٠٩ .

الواقعة الواقعة الى الجنوب من مقاطعة حكارى والتي تكون الان جزءا من العراق . وكانوا يشتغلون في الزراعة ولا يختلفون في احتياجاتهم الاجتماعية عن الاكراد المحيطين بهم . وعندما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى ثار نسا طرة حكارى على الاتراك ، ماملين محونة روسيا . وعندما اخرجهم الاتراك من ديارهم انضموا الى جماعتهم النسا طرة والى الروس في منطقة ارميا . على ان انصار روسيا حطم مركزهم فاضطروا الى الحرب جنوبا الى همدان ، بعد ان قاموا الاتراك ردحا من الزمن وهناك نزع البريطانيون سلاحهم ، وارسلوهم الى مخيمات اللاجئين في بعقوبة ، وانفقوا عليهم طوال ماي ١٩١٨ و ١٩١٩ (٢٨) وقد استفاد منهم الانكليز استفادة عظيمة ، اذ جندوا زهاء الفين من شبانهم كما استعانوا بهم على ^{استعانوا بهم على فتح الثورة العراقية في صيف ١٩٢٠} مقاتلة القوات التركية غير النظامية التي كانت تنير على شمالي العراق العراق (٢٩) ونظم الانكليز قوة منهم اطلقوا عليها اسم ٢ الليفي (٤٠) . كان هؤلاء الانثوريون ياملون في الرجوع الى موطنهم الاصلي . فلما قررت عصبة الامم ابقاء تلك المنطقة في تركيا ، وعندما اعلنت الحكومة التركية انها لن تسمح للانثوريين بالعودة الى ديارهم ، فزمو على اتخاذ العراق موطننا دائما . وقد ساعدتهم الحكومة العراقية واحسنت معاملتهم . فمحتكم اراضي خصبة في اقضية السامرية وزاخود هوك وراوندوز ، واعترفت بالشاب مارشمون رئيسا دينيا لهم ، وخضعت له راتبا قدره (٣٠٠٠) روبية يدفع له في نهاية كل شهر من خزينة الدولة (٤١) . كانت قضية الانثوريين سهلة الحل ولكن شات سياسة الانكليز وهفوة بعض موظفيهم في العراق ، ومطامح الانثوريين وهوس المتطرفين ، ووجود بعض الحرضين على الفتنة في صفوفهم ^{ويفض المذهب الشيعي في ارميا} ، ورفض الحكومة العراقية ^{الدينية في ارميا} ان تخلق منها مشكلة تعقد حلها حتى انتهت في صيف عام ١٩٢٣ ، بذلك الشكل المؤسف الخزي . طالب الانثوريون ، بعضهم لا جميعهم ، بان تخصص لهم منطقة في الشمال يسكنون فيها جميعا ، وان يمنح لهم الحق بتأسيس حكومة ذات استقلال ذاتي داخل المملكة العراقية . وكلا المطلبين مسرف في التعسف مستحيل التحقيق . فما كان بإمكان الحكومة ان تجد لهم منطقة صالحة للزراعة تضمهم جميعا الا اذا اجلت الاكراد من بعض قراهم . كما ان سكانهم في منطقة واحدة يزيد في طموحهم ، ويدد سلامة الدولة وامن الاكراد . وعلى الاخر اذا علمنا ان الانكليز كانوا يمنحون الجندي المسرح عند انتهاء الخدمة في الليفي بندقية ومثلي طلقة ، حتى اصبح عدد هؤلاء عشرة الاف شخص ليسوا قادرين على حمل السلاح واستعماله لحسب بل ويملكون هذا السلاح بالفعل ، كما انهم اعتادوا النظام العسكري التام (٤٢) . وقد افترقا بمساعدة الانكليز لهم حتى اصبحوا

Harry Charles Luke, "Mozul And Its

Significance" (London, 1925) P. 193.

(٢٦) حوراني ، ص ١٩ . وقد ذهب هذا المذهب

حيث يقول : "بعد ان سقطت الخلافة العباسية وعاصمتها بغداد على يد هولاكو انتقل البطارقة الشنطوريين الى الشمال وزعموا اوقاتهم بين الموصل وبين عاصمة هولاكو في اذربيجان ، قزاقا او مرفة ، الواقعة الى الشرق من بحيرة ارميا ، والباعدة سبعين ميلا الى الجنوب من تبريز . ولكن

يشعرون بانهم الفاتحون الحاكمون للعراق . * وكانوا يكرهون العرب ويحتقرونهم بصورة عامة ويحتقرون الجيش العراقي بصورة خاصة ، وقد شجعهم على هذا ضباطهم من الانكليز * (٤٣) . ولم يكن لهم عداوة للشعب العراقي من ان يعيشوا معه في وئام . فقد اصطدموا مع اهالي الموصل في يوم ١٥ آب ١٩٢٣ اصطداما مسلحا ادى الى (١٨) اصابة بين قتيل وجريح ، ولولم يسارع الانكليز بنقلهم الى كركوك لحدثت مذبحه كبرى . واصطدموا مع سكان كركوك في ١٤ ايار من السنة التالية ، فحدثت مجزرة مروعة ذهب ضحيتها نحو مئتي شخص بين قتيل وجريح (٤٤) . فاكسبوا بذلك ، وباصطدامهم العدائية الاخرى ، كراهية العرب والاكراد . ولم يكرههم العراقيون لانهم مسيحيون ، كما تزعم الاوساط الاوربية والاستعمارية . فقد عاش المسيحيون وما زالوا اخوانا للمسلمين من العراقيين ، ولكن لانهم كانوا غلظا ، متشاكسين ، يريدون بهم شرا ، ولانهم اموان الانكليز المخلصون . وعندما اعلنت المعاهدة الانكليزية - العراقية الرابعة (١٩٣٠) اخذ جماعة مارشمعون يرسلون العرائش الى عصبة الامم يطالبون فيها بترحيلهم من العراق او باستمرار الانتداب البريطاني على العراق (٤٥) . فزاد عليهم هذا من نفقة الحكومة والشعب عليهم . وقد رد مجلس عصبة الامم عرائش الاتوريين ولم يمررها لقلق الاتوريين من استقلال العراق لان العراق قدم كل الضمانات لحماية حقوق الاقليات . وعلى هذا اتخذ مجلس العصبة القرار التالي في يوم ١٤ كانون الاول من عام ١٩٣٢ (٤٦) . ان المجلس ، وفقا للقرار الذي قدمته اللجنة المكلفة بقراره المؤرخ في ٥ كانون الاول ١٩٣٢ بتحضير مسودة قرار حول قضية الطائفة الاتورية في العراق على ضوء تقرير لجنة الانتدابات الدائمة المؤرخ ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٢ يوافق على نظرية لجنة الانتداب الدائمة بانه لا يمكن قبول طلب الاتوريين المتضمن حكم ذاتي اداري داخل العراق ويحيط علما بكل ارتياح بتسريح مثل العراق عن نية الحكومة باختيار خبير اجنبي من خارج العراق يساعد على لعدة محدودة في اسكان جميع العراقيين غير المستوطنين وفي ضمهم الاتوريين وفي تنفيذ مشروع اسكان اتوريي العراق في حالات مناسبة وعلى قدر الامكان برحدات متشابهة على ان لا تضر الحقوق الموجودة للاهلين الحاليين

بعد المذابح التي اقترفها تيمورلنك هرب من بقي من النسطوريين حيا الى مرتفعات كردستان طلبا للنجاة .

(٣٧) بين ، ص ١٤٠ .

(٣٨) حوراني ، ص ١٠٠ . حيث يقول ان عددهم في هذه المعسكرات بلغ عام ١٩١٩ ، ٢٥٠٠٠٠ شخص . اما وليامس فتذكر ان عددهم كان ٢٠٠٠٠٠ شخص .

(٣٩) الحسني ج ٣ ، ص ٢١٢ .

(٤٠) كلمة انكليزية معناها المجندون . ويلفظها العامة اللبي .

(٤١) الحسني ج ٣ ، ص ٢١١ .

وانه من المؤكد ان الحكومة العراقية ستتخذ كل التدابير لتسهيل سكن الاتوريين المذكورين في غير محل ان التدابير المذكورة اعلاه لا تقدم حلا كاملا للمعضلة ويبقى اتوريون غير راغبين او غير قادرين على السكن في العراق . وملتزم من الحكومة العراقية ان تتفضل وتطلعه في حكمه على نتيجة التدابير المأذكرة .^{٥٠} ولم يفت مجلس الحصة ان يقرر ايضا :^{٥١} ان مستقبل الاتوريين يتوقف عليهم في الدرجة الاولى ، متى اظهروا اخلاصهم وولاءهم للحكومة العراقية . كما ان راي لجنة الانتدابات الدائمة كان كذلك .^{٥٢} (٤٧)

ومندما خيبت عصبة الامم امالهم ، ولم تستطع الحكومة البريطانية مساعدتهم على تحقيق رغباتهم التي اصبحت تتعارض مع التزاماتها للعراق ، هزموا على تحقيق مطالبهم لاقوة .^{٥٣} لم يوضحوا من هزمهم على ترك خدمة الحكومة البريطانية فحسب بل انهم كانوا يصرحون سرا بانهم قادرون على الاستيلاء على قطيع من الارض في لواء الموصل ليستقروا فيها . كما انهم كانوا يصرحون بجلاء بانهم سيدفعون عن مراكزهم تلك بقوة السلاح .^{٥٤} (٤٨) . وقد قام جماعة مار شمعون باعمال استغزائية في اوائل آب ١٩٣٣ فقابلهم الجيش العراقي بالقتل . وكانت بعض اعمال الجيش بالغة القسوة وعلى الاخص ما حدث في قرية سميل^(٤٩) . وقد اثار حوادث الاتوريين عاصفة من الاستياء في اوربا ، وشوهدت سمعة العراق في الاوساط الدولية والشعبية . وقد سافر وفد عراقي برئاسة ياسين الهاشمي وعضوية نوري السعيد الى جنيف في يوم ٢٢ ايلول ١٩٣٣ ، وعرض المسألة امام مجلس عصبة الامم . وقد صرح الوفد بان الاتوريين في العراق يقسمون الى فريقين كبريى احدهما مواليا للحكومة ، ومطيعا لقوانينها وانظمتها ، فهويتمنى في العراق متمتعاً بالحقوق التي يتمتع بها باقي العراقيين ، واعلن الاخر عصيانه على نظم البلاد وقوانينها المشروعة فلا بد من ايجاد ماوى له خارج العراق . وان الحكومة العراقية مستعدة لتقديم المساعدة المالية لتسفير الفريق الثاني الى خارج العراق بقدر ما تسمح به احوالها المالية .^(٥٥)

(٤٢) مين ، ص ١٤٠ .

(٤٣) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٤٤) الحسيني ج ٣ ، ص ٢٩٥ . ذكر الحسيني في الصفحة نفسها ان عدد القتلى والجرحى في بلاغ الحكومة هو ٦٥ قتيلا و ٤٤ جريحا . ولا زال الناس في الموصل يذكران الاصطدام مع الاتوريين بمرارة ، وهم يسمون هذه الحادثة بـ (دقة التيارية) .

(٤٧) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ .

(٤٨) مين ، ص ١٤١ .

ان المذابح التي تعرض لها الاتوريون ، وخوفهم من حدوث امثالها في المستقبل ، حطمت
محنوياتهم ، فهاجر ٦٠٠٠ شخص منهم واستقروا في منطقة الخابور الاعلى في سوريا ، واعرب ١٥٠٠
من الباقين من رغبتهم في ترك العراق . والف مجلس عصبة الامم لجنة خاصة لاسكانهم . وقد قررت
اللجنة اخيرا ، بعد ان قدمت عدة اقتراحات لاسكانهم في البرازيل وفياتة البريطانية ومنطقة نهر العاصي
في سوريا رفضت جميعا ، ان يسكن المهاجرون الى سوريا في منطقة الجزيرة نهائيا ، بينما يجب على
الباقين ان يستقروا في العراق . اما الذين مكثوا في العراق ، والذين عادوا اليه فقد بقي بعضهم
في قراهم في منطقة العمادية وراوندوز ، واستقر الآخرون في بعض القرى حول الموصل . وقد قررت
لجنة بريطانية عينتها الحكومة العراقية لدراسة احوال الاتوريين عام ١٩٣٨ بان وضع الاتوريين
الاقتصادي الساكنين في الموصل الشمالية لا ينقص عن اوضاع سائر سكان تلك المنطقة (٥١) . على ان
مشكلة المهاجرين بقيت نحو من ثماني سنوات معقدة ، فكان يتردد بعضهم بين سوريا والعراق ،
ويكافح الآخرون ليتخذوا من اراضي الاحسجة سكنا لهم . فلما كان الاصطدام بين الجيش العراقي
والبريطاني الذي ادى الى احتلال العراق في شهر كانون من عام ١٩٤١ مكن الانكليز معظم
الاتوريين من العودة الى العراق (٥٢) . واطادوا استخدام كثير منهم في قوة الليفي .
والاتوريون اليوم جماعة سالمة يشتغل بعضهم في القوات البريطانية الجوية في قطاري الشعبية
وسن الذبان ، ويشتغل كثير منهم عمالا في شركات النفط ، ويعمل الباقون في الزراعة . وقد قدر ان
خمسا وسبعين بالمائة منهم يعتمدون اقتصاديا على البريطانيين (٥٣) . ولا يكونون الان مشكلة قومية
الا اذا اراد الانكليز ، وارادوا هم ، ان يعيدوا تمثيل الماسة العاضية ، ولا ارى ان بإمكانهم او في
رغبتهم ، ان يفعلوا ذلك .

(٤٩) نظمت مذبحة في هذه القرية للاتوريين العزل . وقد قتل في هذه القرية وفي غيرها من القرى
قاربة ٦٠٠ شخص ، ونهبت متون قرية . راجع الشرق الوسط " ص ٥٨ . وانظر تفاصيل حادثة
قرية سميل في ص ١٥٠ - ١٥١ الذي يذكر ان الجيش والشرطة ، بمساعدة ابناء القبائل العربية
والكردية ، دمروا عشرين قرية تدميرا تاما ، ودمروا عشرين قرية اخرى تدميرا جزئيا .

(٥٠) تاريخ العراق السياسي الحديث ج ٣ ، ص ٣٠٥

(٥١) راجع حوراني ، ص ١٠٢

(٥٢) " تاريخ العراق السياسي الحديث " ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٥٣) حوراني ، ص ١٠٢ .

(ح) اليهود

اليهود من سكان العراق القدماء . ويتحدر قسم منهم من اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر الى بابل في اواخر القرن السادس قبل الميلاد . (٥٤) وقد استطاع اليهود خلال اقامتهم هذه الطويلة في العراق ان يجعلوا من انفسهم جزءا من الشعب العراقي ، فتخلقوا باخلاقه ، واكسبوا عقلية ، واصطنعوا اللغة العربية في حديثهم (٥٥) وان ظلوا محافظين على نقاوتهم العنصرية . وهم منتشرون في معظم المدن العراقية . على ان اغليتهم يسكنون في بغداد ان يقدر عددهم فيها بنحو ٦٠ ألفا (٥٦) اما عددهم جميعا فيقدر بحوالي مئة وعشرين ألف نسمة (٥٧)

يتعاطى قسم من اليهود التجارة والصرافة ، ومنهم كبار التجار في العراق . ولكن اغليهم يشتغلون في مختلف الحرف والامال التي لا تدرك الا دخلا ضئيلا محدودا ، ولا يختلفون عن باقي السكان من حيث التأخر الاجتماعي والفاقة . ويعمل قسم منهم في دوائر الحكومة .

ما كان يهود العراق معضلة اجتماعية في يوم من الايام . فالحكومة تعتبرهم مراقبين لا فرق بينهم وبين غيرهم من المواطنين في الحقوق . وكثائهم وبجالسهم الروحية وحاكمهم الدينية محترمة مصونة ومدارسهم الخاصة ، والمدارس الحكومية الرسمية ، مفتحة الابواب امام شبانهم ، وقد عاشوا في وئام مع سائر اسكان . فعلى الرغم من تحمس الشعب لقضية فلسطين ، وتعاطف نقمته على الصهاينة ، الذين يريدون ان يؤسسوا لهم وطناً قومياً في فلسطين على حساب المواطنين الاصليين من العرب ، بقي اليهود بعيدين عن شكوكه ، في مامن من نقمته . ففي اثناء المظاهرات الماخبة التي اشتركت بها جماهير الشعب في بغداد ، في شباط ١٩٢٩ ، احتجاجاً على زيارة السير الفريد مونا الى العراق ، وخلال المظاهرات التي حدثت في شهر آب ١٩٢٩ على اثر حوادث حائط المبكى ، احتجاجاً على السياسة البريطانية وعلى نشاط الصهاينة المتزايد في فلسطين ، لم يعتد احد من الناس على اليهود ولم يصعبهم باذى (٥٨) . ولكن هذه المعاملة السخاء لليهود اعتورها بعض التفسير منذ ان تسلفت الدعاية النازية في العراق في النصف الثاني من العقد الثالث من هذا القرن ، وان كان الذين اعتنقوا مبدا التعصب العنصري ضد اليهود والكراهية لهم اقلية لا تتعدى القوميين المتأثرين بالعنصرية النازية من مؤيدي نادي المثني .

(٥٤) حمادة ، ص ٢٦ وبين ، ص ٢١

(٥٥) يتكلم اليهود الفقيرون في كردستان اللغة الكردية ، وشتغلون تجاراً وحرفيين في المدن ، على ان قسماً منهم يقيمون في قرى حوالى العمادية وشتغلون بالزراعة . انظر حوراني ، ص ١٠٤

(٥٦) ال حمادة ، ص ٢٦

وطراً على قضية اليهود تغيير آخر بعد المذبحة التي حدثت في اليوم الثاني من حزيران سنة ١٩٤١، والتي كانت خاتمة سيطرة حركة رشيد عالي الكيلاني . لقد توقف القتال في صباح اليوم الاول من حزيران ١٩٤١، وفر رشيد عالي ووزراؤه وتركوا البلاد دون حكومة . وكان الشعب خلال هذه الفترة خائب الامل ، مبرر النفس متحفزاً للانتقام . وفي صباح اليوم الثاني من حزيران اغار الجهاد واثناب الناس على الاحياء اليهودية الفقيرة . (كانت الشرطة تحرس بيوت اغنياء اليهود) ، فنهبوا ، وقتلوا عدداً كبيراً لا يعلم مقداره بالضبط ، بينهم كثير من النساء والاطفال . وفي ظهر ذلك اليوم نزل الجيش العراقي الى الشوارع ، وعمل على وضع حد للمذبحة ، وقتل من المشتركين في اعمال النهب والتخريب والتقتيل بين الستين والسبعين شخصاً . وفي الساعة الخامسة اعلن منع التجول ، فافترت الشوارع من الناس ، وهذات الحال ، وانتهت فترة ذلك اليوم المخزي المشؤوم (٥٩)

تختلف الروايات في تعيين المسؤول الرئيسي الذي حرض على هذا العمل الضيق . واغرى الناس به . تقول السيدة فريا ستارك ما معناه (٦٠) " ان الثوار المتفهمين من جماعة رشيد عالي الكيلاني ارادوا ان يثيروا الشعب ويهجموا على السفارة البريطانية . ولكن هذه الحركة انفجرت قبل ان تنضج ، ثم تحولت الى الاحياء اليهودية ، يحدوا الناس نقتلهم على اليهود بسبب قضية فلسطين ، وتخريبهم سهولة النهب والسلب . " ويذهب اخرون الى ان الحركة جاءت عفوية لعدم وجود حكومة في البلد ، ولما اعقب فشل الحرب ضد الانكليز من فوضى في المدينة . على ان آخرين يعتقدون ان هذه الحركة اثارها واغرى بها عملاء الانكليز ليحولوا نفقة الشعب ضد الانكليز الى مجار اخرى ، وليخلقوا جواً من القلق والرهب بحيث يكون دخول الجيش الانكليزي الى بغداد امراً مرغوباً فيه . ويستدلون على ذلك بقولهم ان الجيش الانكليزي كان معسكراً باقرب من الكاظمية ، ولو شاءت السلطات

(٥٧) الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ (بغداد ١٩٣٦) ، ص ٧٢٦ وسأشير اليه فيما بعد بالدليل العراقي . اما وليامز ، ص ٤٦ حاشية ٢ ، فتذكر ان عددهم ١٠٠،١٧٠ شخص .

(٥٨) مين ، ص ٣١ ، وراجع كذلك " الشرق الاوسط " ، ص ٢٤٢ .

(٥٩) ستارك ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٦٠) " اليهود واليهودية " ، ص ١٥٩ .

البريطانية منع هذه المذاج لدخل الجيش في بغداد مبكرا ذلك الصباح . ولقضى على الفتنة في مهدها . اما انا فلا استبعد ان تكون هذه العوامل مجتمعة قد ادت الى هذه الحادثة المؤسفة .

ومهما يكن من شيء فقد وقعت هذه الحادثة التي اسفرت لها اقلية الشعب ، والمهم ان نتتبع آثارها ونتائجها . لم ينس اليهود مرارة الحادثة ، وازداد تخوفهم من الشعب ، وكظم قسم من شبانهم غيظهم في صدورهم ، وفكروا في ايجاد مخرج لهم من هذه الاوضاع فلما قدم الجنود البولنديون العاملون مع الجيش البريطاني الى العراق اثناء الحرب ، كان بينهم عملاء نشطون للحركة الصهيونية . فاخذوا يبنون الدعاية الصهيونية بين الشبان اليهود - كانت هنالك دعاية للصهيونية قبل هذا التاريخ ولكنها كانت خافتة الصوت ، ضئيلة التأثير - ويغرونهم بالسفر الى فلسطين ، وقد سفروا نفرًا منهم الى فلسطين فعلا . وكانت السلطات البريطانية تمد دعاية الصهيونية هؤلاء بالمعونة . وكانت الحكومة العراقية ساكنة عن اعمالهم رغم افتضاح امرهم . ولكن اقلية يهود العراق كانت ترى ان الحركة الصهيونية لا تجدى يهود العراق نفعا ، وانه خير لهم ان يتفاهموا مع الشعب العراقي ، وياملوا في مستقبل مجهول (١) . وعلى الاخر عندما عاد قسم من اليهود الذين هربوا الى فلسطين واخذوا يتحدثون عن صعوبة الحياة هناك ، وعن احتقار اليهود الاوربيين للشرقيين من اليهود ، وخاصة العراقيين منهم . واسس قسم من هذه الجماعة التي لا تدب بالصهيونية عصبية مكافحة الصهيونية " في اواخر عام ١٩٤٥ ، واصدروا جريدة تتكلم باسمها . وقد استمرت العصبية تبين على صفحات جريدتها ، وفي اجتماعاتها العامة ، حقيقة الحركة الصهيونية العدوانية ، وخطرها على يهود العراق لما تولده بين العرب واليهود من عداوة . ولكن هذه العصبية لم تعمّر طويلا اذ حلتها الحكومة ، واغلقت جريدتها ، متهمه القائمين بها بانسبوعية .

واحدثت مأساة فلسطين الاخيرة اهتف تغيير في حياة يهود العراق . دخلت الجيوش العربية فلسطين . ونشط خلال هذه الفترة دعاة القومية في دعايتهم ضد يهود العراق . واخذت جرائد حزب الاستقلال "لواء الاستقلال" و "البقعة" تشن عليهم الحملات متهمه

(٦١) يقول حوراني في ص ١٠٤ : " وفي الحق ان يهود العراق ، كسائر اليهود الشرقيين ، ليسوا صهاينة عقيدة على وجه العموم . وان قسما منهم يصرحون بانهم قوميون عرب وانهم معادون للصهيونية " .

اياهم جميعا بالصهيونية ، والتآمر مع الاعداء ، وتدمر الناس الى مقاطعة التجار اليهود وشراء حاجاتهم من التجار المسلمين ، حتى اوقرت صدور الناس ، واثارت حفاظهم : وقامت الحكومة اليهود فاحالت العشرات منهم الى المجالس العرفية وطردت كثيرا منهم من دوائرها . واستغلت الشرطة الاحكام العرفية ، ^{واخذت} وطردت تبتز اموال اليهود بالتخويف والتهديد والتلويح لهم بالسجون . وهاش جميع اليهود خلال تلك الفترة في جو من الخوف والقلق والتوجس : ومن كان لا يعطف على الصهيونية من شبانهم اصبح يتمنى ان يعضوى تحت لواء دولتها ليخلص ما هو فيه . واوقف معظم التجار اليهود اعمالهم الا قليلا ، وهرب قسم منهم اموالهم الى الخارج ، حتى اوشكت الحركة التجارية - التي تشكو من ازمة حادة - ان تشل في العراق بأكمله . وهرب قسم كمنهم الى فلسطين او ايران :

وعندما رأت الحكومة كثرة المهاجرين استصدرت قانونا في ٩ آذار ١٩٥٠ يسمح لليهود بالسفر الى اسرائيل على ان يتخلو عن جنسيتهم ويأخذوا معهم مقدارا معيناً من المال . وقد سافر فعلا مئات منهم الى اسرائيل . وقد بلغ عدد الذين طلبوا اسقاط الجنسية عنهم بعد مضي سنة من الهجرة هذا القانون ، اكثر من مئة الف يهودي . سافر منهم بضعة الاف الى اسرائيل ويستعد الآخرون للسفر . وقد شرعت الحكومة ، في ١٠ آذار ١٩٥١ ، قانونا بتجميد احوال اليهود المسقطه عنهم الجنسية .

الفصل الثالث : اديان السكان

ان اقلية الراقيين مسلمون ان تبلغ نسبتهم ١٤ بالمئة^(١) الى مجموع السكان :
 ولهم المسيحيون . وهم ينقسمون الى طوائف متعددة ، مختلفة في مذاهبها وطقوسها
 وبنائنها ولغاتها . ويعيش اكثر من ٦٠ بالمئة منهم في مدينة الموصل وما جاورها من
 القرى . " وهم ينتمون الى الكنائس المسيحية الشرقية كالروم الانثوذكس ، والنساطرة ،
 والارمن واليعاقبة ، ومنهم من انضموا الى كنيسة رومية واعترفوا بسيادة البابا الروحية وهم
 الكلدان ، والارمن الكاثوليك ، والسريان ، وهناك عدد من المسيحيين الانجيليين (البروتستانت)
 وللمسيحيين كنائس في المدن الكبرى^(٢) . ولهم اليهود ، ثم ثلاث طوائف دينية اخرى وهم
 الصابئة او "الصبة" ، واليزيدية ، والشبك . كما ان في البلاد عددا من البهائية والمجوس .
 يسكن نحو ثلثي اليزيديين في قضا "سنجار" ويسكن الباقون في قضا "الشيخان من
 لوا" الموصل . ولا يعلم عن اصلهم شي "موتوق بصحته" . ويجوز ان يكونوا من الاكراد الذين
 هاجروا من الشمال الى الجنوب ، وانفردوا عن بني قومهم ، وظلوا محتفظين بدينهم القديم^(٣) .
 اما اصل تصببتهم فمختلف عليها كذلك . فهم يزعمون انها نسبة الى يزيد بن معاوية^(٤)

(١) عهد الباقي ، ص ١١١ : وكما قلت انه لا توجد احصاءات دقيقة لعدد افراد كل فئوية
 في العراق فكذلك اقول بالنسبة لافراد كل ديانة او افراد كل طائفة دينية . والاحصاءات
 الموجودة كلها مبنية على التقدير والتخمين ، وهذا احداث التقديرات : جاء في "الشرق الاوسط"
 ص ٢٤٠ : ان عدد افراد الطوائف الدينية يقدر على عام ١٩٤٣ كما يلي : المسلمون الشيعة :
 ٢.٠٠٠.٠٠٠ ، السنة ٢.١٠٠.٠٠٠ ، المسيحيون : الانثويون النساطرة : ٣٠٠.٠٠٠ ، البنا
 الطوائف المسيحية الاخرى : ٦٠.٠٠٠ ، اليهود : ١٠.٠٠٠ ، اليزيديون : ٣٠.٠٠٠ ،
 الصابئة : ٣٠٠٠ ، الشبك : ١٢.٠٠٠ . على ان الكاتب يناقض نفسه عندما يقول في الصفحة
 ذاتها ان الشيعيين يفوقون عدد السنيين ، بما فيهم العرب والاكرد ، بحيث تكون نسبتهم اليهم
 كنسبة ثمانية الى خمسة . وتذكر وليامس ، ص ٤٦ حاشية في الارقام التالية :
 المسلمون السنة : ٨٣٣.٠٢٩ ، الشيعية : ٥٢٣.٦١٢ ، المسيحيون : الارثوذكس ٦٨٨.٢٠ ،
 انثوليك ٣٣.٠٦٣ ، الطوائف الاخرى ٦٠٩.٤٧ ، اليهود : ١٧٠.٦٠ ، الصابئة : ٦.٠٠٨ ،
 اليزيديون ٨٢٨.٣٣ .

(٢) حمادة ، ص ٣ .

(٣) الياسمي ، ص ١٠٩ .

ويقول بعض العلماء انهم ينتسبون الى يزيد بن ابيس الخارجي ، ويذهب فيهم الى ان الكلمة مأخوذة من "يزد" أو "يزدان" الفارسية القديمة ومعناها الله أو الكائن الاعلى ، أو "يزد" التي تعني خالق بالعبادة ، وتطلق في دين الفرس على الملائكة التي تتوسط بين الله والبشر .
يظهر ان احد هذين الاشتقاقين هو الاقرب الى العوالم فيكون اصل معنى اليزيدية "اتباع الله" أو "اتباع الملائكة" (٥).

يو من اليزيديون بوجود اله اكبر خالق لهذا الكون ، الا انه قد فوض امر العناية الكون الى الشيطان ، وساعده و منفذ مشيئته . والشيطان — الذي كان الملاك الاعظم — وهى الله فعاقبه لعصيانه ثم تاب عليه ، وحكمه في الكون قادر على ان ينزل بالبشر جميع انواع العذاب ، والواجب يقضي على الناس ان يسبحوه ، ومجدوه ، ويستعطفوه (٦) وعلى هذا فتسميتهم بمستعطفى الشيطان اصح من دعوتهم بعبدة الشيطان (٧) وقد صنعوا لهذا الشيطان ، او طاووس ملك ، تمثال ديك ، ومنوع من النحاس الاصفر ، واقف على حامل يشبه الشمعدان . ويوجد لطاووس ملك ، تمثال مستقر في معهد الشيخ هادى وتمثيل ستة اخرى تنتقل في القبائل اليزيدية (٨) والحق ان ديانتهم مزيج من اكثر ديانات الشرق الادنى . يقول الباحث ت . منزل ، في دائرة المعارف الاسلامية ، جلد ٤ ، ص ١١٦٤ ، "ان اصل وتطور ديانة اليزيدية المركبة لم يوضحا بعد ، غير انه يظهر ان عقيدتهم تشمل عناصر وثنية قديمة (لكيما ليست من قبيل عبادة الشمس والقمر) ، وعناصر ايرانية زرادشتية (بعض ما يشبه الثنوية الفارسية) ، وبابوية (مذهب المعرفة الفارسي) ، ويهودية (تحريم بعض الاطعمة) ، ونصرانية — خاصة النمطية — (المعمودية ، العشاء الرباني ، زيارة الكنائس المسيحية في حفلات الزواج ، تحليل شرب الخمر) ، واسلامية (الختان والصوم ، تقديم الضحايا ، الحج ، الكتابات القبرية الاسلامية) ، وصوفية رافضية (كتان العقيدة ، الوجد ، تعظيم عدد كبير من شيوخ الصوفية) ، وصابئية (القفص) ، وشامانية (طرق الدفن ، تفسير الرؤى ، الرقص) (٩)

(٤) اسماعيل جون ، "اليزيدية قديما وحديثا" (بيروت ، ١٩٣٤) وقد عني بنشره وكتب مقدمته ، الدكتور قسطنطين زريق . ص ٧٧ ، ٩٢ . وانظر كذلك من "ط" من المقدمة . وسائير الى هذا الكتاب فيما بعد "باليزيدية قديما وحديثا" .

(٥) المصدر السابق ، ص "ط" .

(٦) المصدر السابق ، ص "ي" و "ك" .

(٧) مين ، ص ٢٩ .

(٨) مين ، ص ٣٠ .

ينقسم اليزيديون الى قبائل عديدة رغم قلة عددهم : ويشغل معظمهم في الزراعة وتربية المواشي . وهم يخضعون في حياتهم الاجتماعية لنظام طبقات واضح الحدود . صارم التطبيق . فهم ينقسمون بمجموعهم الى طبقتين : الكهنة والموام . والكهنة ينقسمون الى عدة طبقات ، وهي بحسب اهميتها وعلو منزلتها : الشيخ ، والبير ، والفقيه ، والكويك ، ودون الجميع الفراش والشاوش ، وخادم قبر الشيخ عادلي (١) .

يسكن الصابئة او الصبة على ضفاف الانهار في القسم الجنوبي من العراق وخاصة في الوجة الحسنة والعتك والبصرة وفي نواحي الحمرة والاهواز . وقد ترحل قسم منهم الى بغداد والموصل وغيرها من مدن العراق الكبيرة طلبا للرزق . ويتكلم الصابئة اللغة السريية ، الا ان لهم لغة دينية خاصة بهم تعرف بالمندائية ، وهي لغة سامية تقرب من السريانية وقد تداخلت فيها كلمات فارسية وعربية (١.١) .

اما اصل الصابئة فغير معروف . وهناك اراء مختلفة في الموضوع . يقول كراي شو : " يطلق هذا الاسم على فرقتين متميزتين عن بعضهما تمام التمييز . (١) المندائيين والصبة ، وهم فرقة يهودية - مسيحية ، تمارس الحصاد في العراق (مسيحيو يوحنا المعمدان) ، (٢) صابئة حران ، وهم فرقة وثنية ، بقيت مدة طويلة في ظل الحكم الاسلامي ، وهذه الفرقة مهمة لعقائدها ولما نبغ فيها من العلماء . والظاهر ان الصابئين الذين ورد ذكرهم في القرآن والذين دعاهم مع اليهود والنصارى ، في ثلاثة مواضع ، باهل الكتاب ، اي اصحاب الكتب المنزلة وهم المندائيون . يجب ان يكون الاسم قد اشتق من الجذر العبراني ص - ب - ع ، " فطس " انحص " بسقوط العين ، ويجب ان يعني " المتحدون " اي الذين يمارسون الحصاد بطريقة الخس في الماء . ويحتمل ان يكون الصابئة الوثنيون ، الذين لم يعرفوا هذه الشجيرة اطلاقا ، وقد اصطنعوا هذا الاسم ليحضوا بالتساهل الذي اسبغه الاسلام على المسيحيين واليهود . والصابئة يتحدون ، ولكن ليس الحصاد المعروف عند المسيحيين ، بل الانغماس في الماء والافتسال فيه ولهذا نجدهم يعيشون على ضفاف الانهار . وعلى كل واحد منهم ان يغتسل بالماء الجاري بعد كل خطيئة يرتكبها منها كانت بسيطة . ويحاول الصبة اليوم من البن الصباغة والتجارة والحداثة والزراعة ، الا انهم اشتغلوا بصباغة المينا ، اي نقش الفضة وحفرها وتليبسمها بالمينا ، وهم طائفة وديعة مسالمة ، نشيطة .

(٩) اليزيدية قديما وحديثا ، ص "ي" من المقدمة .

(١٠) الدليل العراقي ، ص ٧٥٠ والمصدر السابق ، ص "ل" و "م" من المقدمة .

(١١) الدليل العراقي ، ص ٧٣٩ .

(١٢) B. Carra De Vaurcourt. Sabia . Encyclopaedia of Islam (London - ١٩٨٤) - P. 27.

اما الشبك فيسكنون القرى الواقعة في جنوب الموصل على الضفة نهر دجلة اليسرى . وهم يتكلمون اللغة التركية المشوبة بكثير من الكلمات العربية . ولا يستبعد ان يكونوا من اصل تركماني . وديانتهم مزيج من الاسلام والنصرانية واليهودية . وهم يشتغلون جميعا في الزراعة .

لا اريد ان اسهب القول في الطوائف الدينية في العراق ، فأتحدث من تاريخها وعقائدها ، وشعائرها ، واحقق في صحة ما تقوم عليه من ايمان ، فذلك من اختصاص الفلاسفة واللاهوتيين ومؤرخي الاديان . ولم اطل القول في احوال الصابئة واليزيديين والشبك الا لان مذاهبهم قريبة بحاجة الى ايضاح . ان ما يهمنا من امر الطوائف الدينية في العراق هو علاقتها بمسكلة التي نعالجها ، مشكلة الحضارة . هل بين هذه الطوائف الدينية استخدام ظاهرا وخفي يبلبل المجتمع ، ويقسمه على ذات ، ويبعد قواه ؟ هل تقف هذه الطوائف عائقا يسد على الشعب طريق التقدم ، والتحضر ، والانطلاق في مجالات جديدة للخلق والابداع ؟ هل تستبد الطوائف الكبرى بالطوائف الصغيرة القليلة العدد فتوقف نشاطها ، وتحد من حريتها ، وتفرض عليها ارادتها وايمانها فرضا ؟

ينص الدستور ، او القانون الاساسي العراقي كما يسمى رسميا ، على ان العراقيين كلهم متساوون في الحقوق والواجبات ، وان اختلفوا في القومية والدين واللغة (١٤) ومع ان الاسلام هو الدين الرسمي للدولة فان الدستور يكفل حقوق الاقليات الدينية . فلها كامل حريتها في اقامة شعائرها الدينية ، وكنائسها ومعابدها محترمة مصونة (١٥) وللطوائف المختلفة حق تاسيس المدارس لتعليم افرادها بلغاتها الخاصة ، والاحتفاظ بها ، على ان يكون ذلك موافقا للمناهج العامة التي تعين قانونا (١٦) وللاقليتين الدينتين الكبيرتين في البلاد : المسيحية والموسوية مجالس روحانية طائفة تنظر في المواد المتعلقة بالنكاح والصداق والطلاق والتفويض والنفقة الزوجية وتصديق الوصيات ،

(١٣) انظر الهاشمي ، ص ١١٠ . يقول السيد حوراني ص ٩ : " الشبك جماعة من اصل كردي ، يسكنون في المنطقة التي يسكنها اليزيديون ، ولا يوجد ما يميزهم عنهم تمييزا واضحا ، وديانتهم مكونة من عناصر يزيديية وشيعية مغالية " . اما ان في عقائد الشبك عناصر شيعية مغالية فحق ، والمسلمون في الموصل يدعونهم الرواحن . ويقول الدكتور زريق في مقدمة " اليزيدية قديما وحديثا " "لكن هذه الفرقة (يعني الشيعة) جماعة الشبك ذات التقاليد والعادات الخاصة " . واما انهم يسكنون في مناطق اليزيديين ، وانهم لا يميزون عنهم تمييزا واضحا ، وانهم من اصل كردي ، فشي . اراه بعيدا عن الواقع .

(١٤) القانون الاساسي العراقي ، مع تعديلاته (مطبعة الحكومة بغداد ، ١٩٤٤) ، المادة السادسة .

وساثير اليه فيما بعد بالقانون الاساسي .

(١٦) المصدر السابق ، المادة الثالثة عشرة .

اي بجميع الامور الشخصية خلا تلك الداخلة ضمن اختصاص المحاكم المدنية (١٧) كما
ضمت القوانين للاقلية حقوقها السياسية فمنحتها حق ارسال ممثلين عنها الى المجلس
النباي . فلكل من الموسويين والمسيحيين اربعة نواب . ولا يحترف القانون بالطائفة المذهبية
الا فيما يختص بالاحوال الشخصية . فلا يسال المرء عند دخوله المدارس الرسمية ، او عند
توظيفه في الدوائر الحكومية ، امسلم هو ام مسيحي ؟ الكاثوليكي ام بروتستانتي ؟ اسني ام شيعي ؟
كل ما يسال المرء منه ان يكون عراقيا . وشعار الحكومة في هذا الكلمة التي تعزى الى الملك
فيصل الاول : " الدين لله والوطن للجميع " .

قد تقول : كل هذا حق لا شك فيه . وهو مسجل في دستور البلاد ، ومكتوب في القوانين .
ولكن امطبق هو حق في الواقع ام لا يزال حبرا على ورق محمول الصفحات ك هذه الحرية الفردية
التي تقرأ عنها في الدستور ولا تقع لها على اثر في الحياة ؟ اما ان كقوق الطوائف الدينية التي
نصت عليها القوانين محترمة مصونة فتحق لا شك فيه . ولكن يبقى افراد الطوائف الدينية ، بصفتهم
اشخاصا مفردين ، هل لهم جميعا متساوون في الحقوق بنظر من الدين الذي يعتنقونه ؟
ابادر فاجيب من هذا السؤال بالاجاب مع بعض التحفظ . فالحكومة تستهدف المساواة التامة
في الحقوق بين العراقيين جميعا . ولكن من هي الحكومة ؟ انها مجموعة افراد من الشعب ،
يحمل كل منهم في ذهنه تقاليد الوسط الذي نشأ فيه ، والناس الذين يعتمد عليهم في اداة
منصبه . ومن هنا كان بعض المتحمسين لطوائفهم الدينية يستغلون مراكزهم الحكومية ويقربون
بعض ابناء طوائفهم ويفضلونهم على غيرهم من ابناء الشعب في المعاملة . وهذا جزء من " المحسوبة "
التي تشيع في جهاز الدولة ، والتي مبعثها عدم تطبيق الديمقراطية الصحيحة في الحكم ،
وفقدان رقابة الشعب الفعالة على جهاز الدولة بواسطة مجالسه المنتخبة ، وضعف سيطرة الراي
العام المتمثل في الاحزاب والجمعيات والصحافة الحرة . وليست تقاليد الشعب العراقي واحدة
في جميع البلاد . فما زالت اثار الباطني بغيض حية تعمل ، وان اصبح عملها اخف وطأة واقل شرا .
فقد كانت الطائفة في العهد العثماني حقيقة واقعة ، تفرق الناس وتميق نمو البلاد . وقد
وجدت تلك النزعات تربة خصبة في جعل الناس ، كما نعمتها الحكومة الصفوة الشيعية ، والحكومة
العثمانية السنية ، اللتان كانتا تختصمان على حكم البلاد . وجاء المستعمرون الانكليز فعملوا
جهدهم على اذكاء هذه النزعة الضارة لتفريق الشعب واضعاضه ، والمائة من مشاكله السياسية ،

ان الحوادث السياسية الجديدة التي انتابت البلاد منذ الاحتلال الانكليزي الى وقتنا هذا ، وهذه المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي اخذ يحسها بها الشعب احسدا معينا ، وعمل على اصلاحها وازالة شرورها ، قربت السكان ، ووحدت بينهم ، ووسعت من آفاق افكارهم الدينية .

على ان اللاتيفية ، وان تضاعف شأنها وطاقاتها ، لا زالت اداة بيد جماعة من المتنفذين الحكوميين ، والمصممين ، وانصار الاستعمار ، وبعض الانتهازيين من المثقفين ، يتوصلون بها الى تحقيق غاياتهم ، ونيل ما يبتغون من منصب وسلطة وثروة وجاه (١١)

(١٨) قرأت قبل ثلاث سنوات مقالة للاستاذ ساطع الحصري نشرها في جريدة الزمان البغدادية ذكر فيها ان الملك فيصل الاول ، في مفتتح عهده في العراق ، كلفه البحث في شؤون المعارف . فوجد ان المستشار الانكليزي في وزارة المعارف قد اقنع وزير المعارف الشيعي بان تؤسس ثلاثة دور للمعلمين : دار معلمين مسيحية في الموصل ، واخرى شيعية في الفرات الاوسط ، وثالثة سنية في بغداد . وذكر الاستاذ الحصري انه لم ينجح في احباط هذا التنظيم الذي يسمى الى تحقيقه المستشار الانكليزي ، وتأسيس دار معلمين واحدة للعراق بأكمله في بغداد ، الا بعد جهود جبارة ، وكفاح طويل .

عندما اشتد الضغط على وزارة صالح جبر ، ووقف الشعب بوجه معاهدة بورتسموث . عمل هو وانصاره ومن يحركه من وراء الستار ، على نشر التفرقة الطائفية ، وبحث الشقاق بين السنة والشيعة . " فارسل نفرا منهم السيد ^{ضيا} جعفر وزير المواصلات والاشغال يبتون سموم التفرقة ويوزعون المنشائر الضارة . مشفوعة بالبذل السخي ، لصدعوا الجبهة المتماكة . (٢٠) ولكن الشعب فهم حقيقة هذه المؤامرة على وحدة صفوفه ، فلم يولها اهتماما . وخرجت المظاهرات الشعبية من الكاظمية . فاثبتت عمليا فشل المفرقين . كما فهم الشعب غايات تلك الجماعات التي يحمل افرادها على اذرعهم شارات " شباب محمد " والتي نظمها الحكومة والاحزاب الموالية لها ، لتفريق المظاهرات . والاعتداء على المواكب ، فاحبط اعمالها وقابلها بالاحتقار .

ويجب ان لا اهل ذكر المحاولات التي قامت وتقوم ، بها مئات من اعداء التقدم والاصلاح لاقحام الدين في السياسة . ودعوة الناس الى التخلي عن بعض الجماعات السياسية بحجة ان مبادئها مخالفة للدين . معادية لمبادئه . على ان هذه المحاولات المظلمة لم تلق نجاحا الا في اوساط معينة ^{وقد} استنكرها المتقنون ، وعابوا على القائمين بها استغلالهم هذا المشين للدين . وفي هذا الصدد يقول السيد عبد الرزاق الظاهر من زعماء حزب الاحرار (٢١) : " ولقد تبدى في الافق القريب ، وفي ايامنا هذه ، اسلوب جديد في مظهره ، عتيق في طرائقه . وصرنا نسمع اقحام الدين والالحاد في المنازعات السياسية ، حول المبادئ السياسية اليسارية او اليمينية ولو ان الذي عمد الى هذا السلاح كان من عامة الناس (ا) جهلائهم لهان الامر . ولكنه رجل له مكانة في البلد . ودكتور في اختصاصه . هو الدكتور سامي شوكة . وعلى هذا نأري لزاما علي ان اتقدم بكل احترام ناصحا ومرشدا .

(١١) ان هؤلاء الطائفيين ، مثل جميع الطائفيين في جميع الاقطار ، لا يعترفون بالتعصب الطائفي من عقيدة وايمان . وانما يصدرون عملهم عن مصلحة ذاتية ومنافع دنيوية او عن تفكير ضيق الافاق . ونفوس بدائية الشعور . قبلية الاحساس . اذكر ان « مديرا عاما » متقاعدا كلفني منذ خمس سنوات ان اقرا له مسودة كتاب الفقه من الدين . حلل الرجل في كتابه هذا نشوء الاديان وبرهن بالادلة العلمية والتاريخية على ان فكرة الله انما هي من اختراع الانسان . وان الاديان جميعا ليست مساوية منزلة وانما هي في وضع الانبياء انفسهم . ولكنه عندما عرض للخلاف بين السنة والشيعة ، اندفع يفضل السنة على الشيعة . اذ كان سنيا . ويتعصب لهم . ويسخف عقائد الشيعة . مع انه نفى حقيقة الدين باسره في الفصول الاولى من كتابه .

واحسبني اعبر عن رأى الطبقة المثقفة اذا صارحت بان اسلوبه لا يلقى القبول . وانه يتناول
شؤون الدين وهي ليست موضع بحث او جدل . وكان الاجدر بالدكتور ان يعالج موضوع
النزاع من اساسه . فيدلي بالادلة التي تؤيد المذهب اليميني الذي له وجهته واساليبه
في طرق معالجة الاصلاح . وان يحارب العلم بالعلم والمنطق بالمنطق . اما الالتجاء
الى الدين . او ادعاء الدين . فهو اسلوب لا ينبغي عن فطنة العراقيين وما هو معروف
عنهم من الذكاء الفطري .

يزعم بعض الباحثين في الشؤون الاسلامية من الاوربيين . وجاريهم في زعمهم هذا
بعض المشككين من الشبان المسلمين المثقفين . ان الدين الاسلامي بطبيعته يعارض
الحضارة العصرية . ولا يحتل العلم الحديث . وما على المسلمين اذا ارادوا ان يتحضروا
ويصبحوا امة ذات كيان عصري . الا ان ينبذوا دينهم هذا نبذا . او يعتاضوا عنه بدين غيره .
يلائم الحضارة ويساير العلم . ولا يحول بين معتنقيه وبين هذه الحياة الجديدة المتحضرة
التي تنهات عليها الام في عصرنا هذا . قد يكون هذا الزعم الحق كله . وقد لا يكون
على شيء من الحق . اما انا فادع المؤمنين من المسلمين يدافعون عن دينهم الحنيف
بما يلهمهم دينهم من براهين وحجج مقنعة . واترك الباحثين من الاوربيين والمشككين من
شبان العرب يؤيدون زعمهم بادلة العلم وبراهين التاريخ . وابحث القضية من طريق اخر
ارجو ان يفتنينا عن هذا الجدل المرهق العنيف . لقد هداني تفكيري المستر في
احوال المسلمين من العراقيين الى ان الشعب العراقي باغلبيته . غير متدين . وان ما يمارسه
من شعائر لا تمت الى الدين الصحيح بصلة . وان الدين لم يتغلغل في قلوب ابنا الشعب
ولم ينفذ الى عقولهم . ان اساس الدين الصحيح . كل دين صحيح . هو الشعور الدائم
بوجود الله والخوف منه . هو تقوى الله والخشوع له وتوحيده . واحترام كل ما خلق وما اوصى
به خلقه . هذه الخمائص المهمة للدين تجهلها اقلية الشعب . يحدثنا السيد احمد
فهمي : " في السنين الاخيرة ارتجل احد المجتمعين تحت الطيارة في جهة الرميثة
الهوسة التالية . واخذت تنشدها الجموع المحتشدة : متعجب خالق له بعبيره .

(٢٠) صدر الدين شرف الدين . سحابة بورت سماوث (بيروت ١٩٤٨) . ص ١٥٢ . والشائع
ان من الذين قاموا باعداد تلك المنشير . في مطابع مديرية السكة الحديدية . وتوزعها صباح بن
نوري السعيد . والصحافي عادل هوني . وكلاهما سنيان .

(٢١) عبد الرزاق الظاهر . " صور من العراق " (القاهرة . ١٩٤٧) . ص ٣ - ٤ .

فيها إشارة الى الآية الكرمة (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) ٢٢ .

هذا شاعر شعبي يسخر من الله ، ويتمك على قرانه ، والجموع المحتشدة حوله ترد هذا السخر مؤيدة له ، معلنة ابتهاجها به . نظم الشاعر هذه الهوسه (الاهزوجة) عام ١٩٢٠ أثناء الثورة العراقية ، عندما رأى لأول مرة طيارة بريطانية ، وقد سمعت في السنوات الاخيرة أثناء تجوالي في جنوب العراق اناسا عديدين يروون هذه الهوسه ويرددونها ، ولم اري بينهم مستأ منها ، ناقما على الشاعر ، او مكفرا اياه . وما هكذا يكون توقير الله واحترامه . وما عليك اذا اردت ان تتأكد من صدق هذه الملاحظة الا ان تجول في اسواق اية مدينة عراقية وتسمع كيف يتلفظ الناس اسم الله والدين في شتائمهم ولعناتهم . او اقصد اى بائع تشاء وحاول ان تساويه وتشتط في المساومة معه . ثم سجل الايطان المخلقة قبل الله والدين والكتب والانبياء جميعا التي يؤكك لك فيها انه مصرخك القول . يريد بك خيرا ، وهو يعلم انه يكذب عليك ويحاول فشك . وما هكذا يكون احترام الله والخوف منه . يحدثنا القرآن انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا قرأت عليهم آياته زادتهم ايمانا . فالخشوع عند ذكر اسم الله والخوف منه من الخصائص المهمة للمؤمن . وابن عامة العراقيين من هذا كله . انهم يستمعون الى القرآن يتلى عليهم من المذيع ، والى ذكر الله تردده على اسطعمهم الدناثر والمآذن الكبيرة المنتشرة في كل مكان . وهم جالسون في المقاهي ، وكانهم لا يسمعون شيئا ، واذا سمعوا فلا يفتقون ما يسمعون شيئا ، فهم مشغولون باحاديثهم او لعبهم . وما هكذا يكون الخشوع لله ، والخوف منه ، والاطمئنان بذكره . وهل اول على ان الشعب العراقي غير متدين اصلا من ان اكرية الشبان المتعلمين ملاحدة لا يؤمنون بدين ؟ وهذه ظاهرة قد لا يوجد لها نظيرا في سائر البلاد العربية ، وهي ان دلت على شي . فعلى ان ايمان الشعب العراقي بدينه ايمان سطحي وانما يعتنقه من عقائد ليس الا خرافات مشوشة تنهزم امام اقل حقائق العلم ، فقد تنزل الخرافات والاعتقادات الباطلة المبنية على الجهل وتبقى العقول نظيفة مفتحة للمعرفة ، اما الايمان الصحيح المتغرس عميقا في النفس فقد يبقى مع المعرفة والثقافة ، وقد يكافح العلم زمانا طويلا .

(٢٢) احمد فهمي ، ص ٤٧ : معنى هذه الشطرة ان الله يتمعجب بان خلق البعير وفخر

بعمله هذا . ثم يلتفت الشاعر مخاطبا الله في الشطرة الثانية يا سوى طيارة "

قائلا ولك اصنع طيارة اذا كنت قديرا .

فإذا تعدينا هذه الأمور التي تتصل بجوهر الايمان ، الى العبارات والفروض ، رأينا
 اقلية العراقيين بعيدة عن اداء فروض الدين بتامها ، والتي لا يكون المسلم مسلما بدونها .
 فعلى الرغم من تشديد الحكومة النكير على المفطرين علنا ، وغلقيها المسام والحقاقي في ايام
 رمضان ، نرى اكرية الشعب لا تقيم وزنا ابدا الفرض الاساسي من فروض الاسلام ولا لاوامر الحكومة .
 ثم الا يدل هذا التشديد من قبل الحكومة ، وان كان مبعثه النفاق والتعلق لمواظف رجال الدين ،
 واين هم المصلون ؟ اسال الجوامع الخالية .

وما ابعد الشقة بين المسلمين وبين الاسلام الصحيح في ناحية المعاملات . ان اقلية
 الشعب فلاحون ، بعضهم مستقرون استقارا دائما وبعضهم شبه مستقرين ، ولكنهم جميعهم ينتهون
 الى قبائل وما زالوا مستسكين بمبادئهم القبلية التي هي اقرب الى عادات الجاهلية الاولى ،
 التي جاء الاسلام لتغييرها واصلاحها ، منها اني الاستزيم . فالأخذ بالتار ، والانتقام من
 القاتل نفسه او من اقاربه او ابناك مشيرته كان شائعا في القبائل العراقية ، ولا يزال . رغم انتشار
 مؤسسات حفظ الامن الحكومية في اطراف البلاد . وهو عادة منافية لاحكام الاسلام .

وكانت القبائل العراقية تغزو بعضها بعضا الى وقت قريب . والخزوغير مقبول في الشريعة
 الاسلامية باى وجه من الوجوه . لانه نهب مريح ، وفارة على احوال الخير ، والحكم به ما ينافي
 الشرع .^{٢٣} والوسقة شائعة في العرف العشائري . ومعنى الوسقة انه اذا سرق لاحد الاشخاص
 مال ولم يستطع استرجاعه من السارق فبماكانه ان يغرم اقارب الناهب او ما يسمى بلزومه . وهذا
 لا يقبله الشرع بوجه . فقد امكن القرآن (ولا تروا فوة وزراخرى) وان العقل والشرع لا يقبلان ان
 يلزم غير المعتدى ، وان يؤخذ غير الجارم .^{٢٤} وكل مثل هذا في كثير من العرف العشائري .

وقد تسألني : اذا كان معظم العراقيون غير متدينين كما تزعم ، وغير متقنين باحكام الاسلام
 ولا مراعين لفروض الدين ، فهل تعتبرهم ملاحدة كفارا ، بنوا الحادهم على هدي النطق ، وتوصلوا الى
 الكفر بالدلائل ؟ وهل خلت عقولهم من دين ، اى دين كان ؟

(٢٣) عزراوي ج ١ ص ٤٠٨ .

(٢٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٤١٣ .

في بعض النسخ عدم نفيها عن دواعي الدين ؟

لا شك في ان قسما من العراقيين متدينون ، معقوا الشعور بايمانهم ، مخلصون فيط يمارسون من عبارات وشعائر . وتجد هؤلاء بين الاقليات الدينية ، التي تحس بوجوداتها الديني بحكم كونها اقلية . كما تجد هؤلاء في المدن وخاصة بين افراد الطبقة الوسطى ، التي ينتمي اليها معظم رجال الدين . وهؤلاء المتدينون ، على قلة عددهم بالنسبة لمجموع السكان ، يخلقون هذا الانطباع الذي يجعل العراقيين يبدون وكأنهم متمسكون باهداب الدين ، حريصون على صيانة حرمانه ، بحكم اتصالهم بالحركة الفكرية ، وتفوذهم على الحكومة . ولكن هذه الاقلية المتدينة لا يمكن ان تؤخذ مقياسا ونموذجا لجميع العراقيين . فالحق ان معظم العراقيين غير متدينين او هم لا يعرفون من الدين الا قضايا مشوشة هي اقرب للخرافات منها الى اصول الدين الصحيح . اما الهدو فلا تختلف عقليتهم الدينية عن عقلة اجدادهم في الجاهلية الا قليلا . وهم ما زالوا يعيشون كما عاشوا ، وايمانهم سطحي ، ولم تدخل الشريعة في قلوبهم ، اولم تنفذ فيهم نفوذ صاحبها .^{٢٥} واما سكان القى والارياف وكثير من سكان المدن فدينهم مزيج من اعتقادات دينية مشوشة منحللة ، وخرافات متعددة الاصول والاشكال ، قد تخلخلت حقيقة في نفوسهم . واما الاكراد فقد اضافوا الى هذا كله تسكهم الشديد بالطرق الصوفية التي عملت على تشويه ايمانهم وافراقهم بعبادات وشعائر بعيدة من روح الدين الاسلامي ، خارجة على تعاليمه الصحيحة . ومن الدو سفان تزا بالتصوف فيراهم ، ودخل المشعوذون من هذه الطرق المرفوب فيها ، وصاروا يعطادون العوام لما لهم من كسوة الصلاح . فاذا كان اصل وجود الطرق مهروفا الى الاصلاح فقد دخل في دورة المراسيم ايضا . ملاحظ منوم اعدل اشبه باداء المفروضات دون تفهم غايتها ، وانها تنهي من الفحشاء ، والمنكر ، نساء الحالة ، وعظم العصاب ، من هذه حتى حارت التلقينات باطنية ، موجهة نحو طلب (اصلاح السيرة) ظاهرا وحكم الاحتشام بالفروض المقررة شرعا فصارت واسطة ابطال الامرين ، وعادات اعظم آفة مخربة للدين ، واقصى عامل لهدم العقيدة ، وتباعد من السلوك المرضي .^{٢٦}

(٢٥) المصدر السابق ج ١ ، ص ٤٢٤

(٢٦) المصدر السابق ج ٢ ، ص ٢٢٤ - ٢٥٠

والخلاصة ان الشعب العراقي غير متدين ، بالمعنى الصحيح لكلمة تدين ، وان معظم اعتقاداته خرافات وحادات تحدرت اليه من عصر الجهل الخوالي ، او تحرفت عن عقائد اسلامية سليمة ، وانه انما يتمسك برجال الدين ، احيانا ، ويوليهم احترامه ، بحكم الجهل ، او بحكم العادة ٢٧ ، او بحكم هذا الوضع الاقراطي الذي يحيا في ظله ، والذي يجعل الناس تتساق مدفوعة بمنازع الرهبة او الرجا ، وراء مدعي الاصلاح ، والمتسلطين من رجال الدنيا والدين . وانا موقن اليقين كله ان هذا الشعب ، الذي تحمل ارواح ابناءه طاقة تامة على الخلق والابداع لا تحد ، اذا ما اتبع له ان يتعلم العلوم الحديثة ، فسرعان ما سيتخطى من عقائده هذه ، وتصبح عقول ابنائه ، عند ذاك ، نظيفة ، خالية من كل دين ، مستعدة الاستعداد كله لتقبل الحضارة الغربية ، وهضمها ، والمشاركة الخلاقة فيها . وعلى هذا فانا لا اعتقد ان الدين في العراق يكون مشكاة اساسية ، تحول بين الشعب وبين ما ينشده من تقدم حضارى . على انني لا انكر ان عقائد اشعب هذه ، مهما كانت سطحية مرتبكة ، قد تكون في الوقت الحاضر خطرا موقتا على تقدم البلاد ، بحكم كونها عرضة لان يستغلها النفعيون ، والمتزعمون ، والمفروقون واعدا ، التقدم ، ويتخذوا منها وسيلة لتفريق الامة ، وسحابة الانكار الاصلاحية الحرة . وهذا الخطر الموقت لاستغلال عقائد الشعب في غير صالح البلاد يزول نهائيا اذا تحقق امران : تثقيف الشعب بالعلوم الحديثة التي تربيه الحق من الباطل ، واقامة الحكم الديموقراطي الصحيح الذي يسد الطريق على المتزعمين ، والنفعيين ، والمفوقين ، والمذجلين .

(٢٧) يقول احمد فوهي ص ٤٦ : "يجل القوم السادة والعلماء غاية الاجلال ، وتارة يكون هذا بدافع العادة ، لانهم اعتادوا ان يحترموا اولئك السادة والعلماء على الوجه المذكور وهذا بخلاف امرائنا .

الفصل الرابع احوال السكان الاجتماعيه

يقسم سكان العراق بحسب احوالهم الاجتماعية واساليب معيشتهم الى ثلاثة اصناف: القبائل الرحل، وسكان الريف المستقرين وشبه المستقرين، وسكان المدن. وهذا التقسيم غير نهائي، فليس بالامكان تصنيف السكان تصنيفاً مضبوطاً في الظروف الحاضرة، بحيث توضع حدود ثابتة بين جماعة واخرى. فالعشائر المستقرة ما زالت تحتفظ بعقليتها القبلية و بكثير من عادات البدو ونظمهم الاجتماعية، وما زالت العشائر شبه المستقرة تمارس الرعي، وتنتقل من محل الى آخر، وتحتفظ بكثير من اوضاعها القبلية، رغم استقرارها في الارض، واتخاذها الزراعة اسلوباً في الحصول على القوت. كما ان هجرة الريفيين الى المدن مستمرة. والحقيقة ان المجتمع العراقي يمر الان في طور انتقال. فقد اخذ اساسه الاقتصاد يتغير. وهذا التغير استتبع تغيرات في العلاقات الاجتماعية وفي التكوين العقلي للسكان. فالقبائل الرحالة مقبلة على التوطن والاستقرار وان عارض كثير من افرادها هذه الحركة، لان حياة الرعي والتنقل أصبحت لا تلائم العصر الحاضر، ولا تعين على العيش. واخذ شيخ القبائل و رؤساؤها يتحولون الى ملاكين واقطاعيين ثابتي الحقوق. واصبح كثير من الفلاحين مستاجرين للارض او عمالا زراعيين بعد ان كانوا يشاكون في الارض التي تمتلكها القبيلة بأسرها.

واخذ كثير من الحرفيين والصناع يفقدون اعمالهم و يصبحون عمالا ماجورين نتيجة لمزاحمة البضائع الاجنبية لمنتجاتهم ولتأسيس المعامل الكبيرة في البلاد. ثم ان اتصال سكان الريف بالمدن الذي يسره طرق المواصلات الحديثة، و تاثيرهم بعقلية سكان المدن بواسطة المدارس التي تنشأ في الريف، وبواسطة الجنود الذين انهمأوا خدمتهم العسكرية مما ترك اثراً، وان كان سطحياً، في عقول الريفيين، وجعلهم اسرع فهماً لما في مجتمعهم هذا المتأخر من متناقضات ومساوئ.

القبائل البدوية الرحالة

(١)

اشهر القبائل البدوية في العراق ثلاث: شمر، وعنزة، والضيفر. اما شمر فتقسم الى قسمين كبيرين شمر طوقة وقد استقرت في الاقسام الوسطى والجنوبية ومارست الزراعة، و شمر جربة وتساكن في القسم الشمالي من العراق، وفي الجزيرة بين دجلة و الفرات. والساحة التي تنتقل فيها هذه القبيلة تمتد شرقاً. وقد استقر قسم من شمر جربة في جنوب الموصل الا ان معظم افرادها ما يزالون بدواً رحلاً ينتقلون في البقعة الخصبة التي مر ذكرها فيما تقدم. وقد كانت هذه القبيلة وما زالت وفي نزاع مستمر مع قبائل الدليم والبقارة وهشائري الكردية واليزيدية الساكنين في اطراف سنجار.

من شمر شمر ديرة الزور شمالة الى هور عقر قوق جنوباً ومن عنزة غرباً الى هور الموصل

- حد قبل ثلاثة أعوام صدام بين شمر الجرية وشيرة البوتموت قرب ثلعفر أزهقت فيها عشرات الأرواح .
- إلا أن القبيلة التي يكن لها الشمريون الحدا^١ هي قبيلة منزة ، وكثيرا ما يخزونها بعضها بعضا .
- وينشب بينهما صراع مسلح عنيف .

أما القبائل منزة فهي من أكبر القبائل البدوية التي تتجول في بادية الشام . وهي تنقسم إلى عدة قبائل كبيرة أهمها : الرولة والسبعة ، وولد علي ، والفدعان ، والعمارات . وهذه القبائل هاجرت من جزيرة العرب في أوائل القرن الثامن عشر . وقبائل منزة يسكن معظمها ضمن الحدود السورية . أما التي تسكن العراق منها فهي العمارات وهي تسكن في الساحة الواقعة بين هور الحمل وكر بلا ، إلى ما يقرب من دير الزور . وهي تقيم في الخريف بين كربلاء وشتاء . وأما مركز إقامتها الاعتيادي فقريه الرحالية . وهي مولفة من فرقتين العمارات والد هاشمة وتسكن عشيرة الفدعان في سوريا غير أنها تتجول في أربع العراق . وهي تسكن عادة على ضفاف الفرات في غرب دير الزور وحوالي نهر الخابور .

وأما الصغير فهي أصغر القبائل البدوية . وهي تسكن الشامية وتتجول في السهول الواسعة الممتدة من السماوة إلى الزبير . وهالك قبائل عديدة موطنها الأصلي نجد إلا أنها تتجول في الأقسام الجنوبية الغربية من العراق في بعض فصول السنة وأهمها عبدة ، والعجمان والمطير .

يسكن البدو بيوت الشعر ، ويحترفون رعي الخيل والد مال والأفنام ، فسينون بتربيتها . وهي تكون كل ثروتهم والاعمال الذي يقوم عليه اقتصادهم . وهم يتنقلون من محل إلى آخر سعيا وراء العشب والماء ، ويحسب ما تلبسه عليهم الفصول والمناخ . وأما أسلوب معيشتهم فنائية في البساطة . فطعام البدو يتكون من الخبز والتمر واللبن عابها ، ومن الرز واللحم في فترات متباعدة . كما أن البدو قد اعتادوا حديثا على القهوة والشاي ، وأصبح هذا إذا ان الشراهان يولفان عنصر اسما في حياتهم اليومية^٢ ، ومصرف الاسرة البدوية في السنة يقل كثيرا عن نفقات الفلاح في البلاد الشرقية إذ يكفي العائلة البدوية الفقيرة مبلغ يتراوح بين ١٠ جنيهات و ١٥ جنيرا (بمعايير ما قبل الحرب) وهي تحصل على هذا الأيراد في الظروف العادية من بيع رأسين أو ثلاثة من الأبل يمكن تعويضها عن طريق الزيادة الطبيعية في عدد القطيع . وهلاوة على ذلك اعتاد البدوي عن طريق الزيارات النادرة التي يقوم بها للمدينة أن يبيع بعض الصوف وهدا قليلا من الأفنام ومقدارا من الزبد ثم يشتري من الثمن الذي يحصل عليه الأرز والدقيق والسكر والبن والتمر . فإذا كان على قدر من الثراء اشترى جلبابا لنفسه وأخر لنزوجه إلى جانب سر وساط

- حدث قبل ثلاثة أعوام صدام بين شمر الجرية وحشيرة البوميت قرب تلعفر ازهقت فيها عشرات الأرواح .
- إلا أن القبيلة التي يكن لها الشمريون العداء هي قبيلة عنزة ، وكثيرا ما يغزو بعضها بعضا .
- وينشب بينهما صراع مسلح عنيف .

أما لقبائل عنزة فهي من أكبر القبائل البدوية التي تتجول في بادية الشام . وهي تنقسم إلى عدة قبائل كبيرة أهمها : الرولة والسبعة ، وولد علي ، والفطعان ، والعمارات . وهذه القبائل هاجرت من جزيرة العرب في أوائل القرن الثامن عشر . وقبائل عنزة يسكن معظمها ضمن الحدود السورية . أما التي تسكن العراق فهي العمارات وهي تسكن في الساحة الواقعة بين هور الحمير وكربلاء ، إلى ما يقرب من دير الزور . وهي تقيم في الخريف بين كربلاء وشتاتة . وأما مراكز إقامتها الاعتيادي فقرية الرحالية . وهي مولفة من فرقتين العمارات والد هاشمة وتسكن عشيرة الغدعان في سوريا غير أنها تتجول في أرض العراق . وهي تسكن عادة على ضفاف الفرات في غرب دير الزور وحوالي نهر الخابور .

وأما الضخيرة فهي أصغر القبائل البدوية . وهي تسكن الشامية وتتجول في السهل الواسعة الممتدة من السماوة إلى الزبير . وهناك قبائل عديدة موطنها الأصلي نجد إلا أنها تتجول في الأقسام الجنوبية الغربية من العراق في بعض فصول السنة وأهمها عبدة ، والعجمان والمطير .

يسكن البدو بيوت الشعر ، ويحترفون رعي الخيل والبغال والأغنام ، فيسكنون بتريتها . وهي تكون كل ثروتهم والاساس الذي يقوم عليه اقتصادهم . وهم ينتقلون من محل إلى آخر سعيا وراء العشب والماء ، وحسب ما تلبية عليهم الفصول والمناخ . وأما أسلوب معيشتهم فغاية في البساطة . طعام البدو يتكون من الخبز والتمر واللبن غالبا ، ومن الرز والحم في فترات متباعدة . كما أن البدو قد اعتادوا حديثا على القهوة والشاي ، وأصبح هذا أن الشراهان يولفان عنصرا أساسيا في حياتهم اليومية . ومُصروف الأسرة البدوية في السنة يقل كثيرا عن نفقات الفلاح في البلاد الشرقية إذ يكفي العائلة البدوية الفقيرة مبلغ يتراوح بين ١٠ جنيهات و ١٥ جنيتها (بما يبر ما قبل الحرب) وهي تحصل على هذا الأيراد في الظروف العادية من بيع رأسين أو ثلاثة من الأبل يمكن تعويضها عن طريق الزيادة الطبيعية في عدد القطيع . وهلاوة على ذلك اعتاد البدوي عن طريق الزيارات النادرة التي يقوم بها للمدينة أن يبيع بعض الصوف وهددا قليلا من الأغنام ومقدارا من الزيت ثم يشتري من الثمن الذي يحصل عليه الأرز والدقيق والسكر واللبن والتمر . فإذا كان على قدر من الثراء اشترى جلبابا لنفسه وآخر لزوجته إلى جانب سرج وبساط جديد (١)

يكون البدو إحدى المشاكل الأساسية التي تعانيها البلاد ، والتي لا بد من حلها حلاً صحيحاً إذا أريد لهذه البلاد أن تنعم بشي* من رهاية وحضارة واستقرار . فالبدو يكونون إحدى العوائق التي تعرقل نمو اقتصاديات البلاد . فهم كمنتجسين لا يقومون إلا بدور ضئيل في الاقتصاد الوطني . وحتى هذه الحيوانات التي يعنون بتربيتها لا تستوفي الشروط المطلوبة في المواشي في الوقت الحاضر من حيث النوعية والعدد ، نتيجة لعدم اتباع الطرق العلمية في التربية والتغذية والانتاج . وهم كمستهلكين لا يفيدون اقتصاديات البلاد إلا افادة ضئيلة جداً ، نتيجة لضآلة موارد هم وسيطة حياتهم التي يمكن سد حاجاتها بأقل البضائع وأبخصها ثمناً .

والبدو يعيش خاضعاً لأحكام الطبيعة ، مستعبداً لقواها العمياء* . وهو مهما بذل من جهد لا يستطيع أن يغير شيئاً من طبيعة هذا النظام الاقتصادي البدائي الذي يعيش في ظله ومن هنا كان استسلامه للأقدار وتكاسله* «والبدو لا يعرف شيئاً عن الغد أو التفكير في المستقبل والاستعداد لما ينتظر أن يقع من الأحداث . فهو متأثر بالتجارب التي مرت عليه خلال القرون والتي جعلته يرى أن الله سيهيئ* له دائماً ضروريات الحياة . فالعالم الذي يعيش فيه ليس فيه مجال للأفكار الخاصة بالواجب والعمل . ولا ريب أن حياة القصد التي يحيها والتي لا مثيل لها شرط من الشروط الأولية لهذا النظام الذي يعيش في ظله . ولكننا لا نتظرن في مثل هذا الجوان إنتاج شي* له صفة الدوام أو عمل يتطلب الأناة والابداع الواعي» . (١) أن هذه الحياة الموحنة القاسية التي يحيها وهذا النظام الاقتصادي البدائي الذي يعيش في ظله ، طبعاً عقلية بطابع قريب لا يلائم الحياة العصرية التي تهدف البلاد إلى تحقيقها . فهو لا يشعر بهولاً* إلا نحو أسرته وأفراد عشيرته . ومما اتسع افقه الاجتماعي فلن يتجاوز القبيلة التي ينتمي إليها . وهو قد تعود أن يطيع شيخه ويحترمه ويأتمر بأمره ويمنحه ولا*ه خالماً .

(١) Alfred Bowne, "State And Economics in the Middle East" (London, 1968) وسأشير إلى هذا المصدر فيما بعد بـ "بونييه" . وهذه الفقرة منقولة عن الترجمة العربية . 366.

آ. بونييه "الدولة والتنظيم الاقتصادي في الشرق الأوسط" ترجمة دكتور رائد البراي (القاهرة) ، (١٩٥٠) ص ٣٧٨ .

(٢) بونييه ص ٣٦٧ من الأصل وص ٣٧٩ - ٣٨٠ من الترجمة العربية .

أما فكرة الوطن والدولة فبعيدة عن فهمه بأن لم نقل بغيضة عنده متناقضة لطبعه . وهو يريد أن يعين حراً ينتقل من محل إلى آخر ، ويضع يده على كل شيء يستطيع أن يناله سواء كان ذلك الشيء ملكاً لأفراد خارج القبيلة أو ملكاً للدولة . وهو يسمى بهذا أن يتجاهل ما وسعه الجهد كل ما يتصل بوظيفة الدولة في الشرق ، كالاعتراف بالسلطة المركزية الإدارية وفروعها في الأقاليم والالتزام بأداء الضرائب وإطاعة القوانين . (٣)

إنه لما ينبعث على الألبان أن يعيش سكان البلاد على هامش الحياة هذه العيشة الغريبة الشقية بعيدين عن المشاركة بأبسط مظاهر الحضارة . على أن مشكلة البدو لا تقتصر عليهم أنفسهم فحسب بل إنها لتمتد حتى تشمل جماعات كبيرة من سكان البلاد . فعقليتهم هذه الضيقة وجبايتهم القاسية الخشنة وعدم شعورهم بواجب تقديم ولائهم للدولة جعلهم ينظرون إلى الأغراب عن قبيلتهم نظرة العداء . لقد انقطع الغزو ، وخلص الناس من الخاوة (الأتاوة) التي كان البدو يفرضونها على الفلاحين وقوافل المسافرين بعد أن قوي نفوذ الحكومة في البادية وانتشرت قوة الشرطة السيارية في أطرافها مستعينة بمساوئ النقل الحديثة السريعة . ولكن الخصومات ما زالت قائمة بين البدو والمستوطنين من السكان (٤) . وبدورهم محور القتال حول المراعي والمياه . فالبدو ويرون أن أراضي الرعي هذه ملك لله ، ومن حق الناس جميعاً أن ينتفع بها ويرعوا دوابهم فيها متى شاءوا . أما الفلاحون فيزعمون بحقوقهم بأن هذه المراعي الداخلة في نطاق قراهم ملك خاص لهم ، وأن مراعيهم هذه إذا نصب ما فيها من حطب فليس بإمكانهم الانتقال بدوابهم إلى مواضع أخرى بعيدة كما يفعل البدو والرحل .

(٣) بؤنيه ص ٢٦٧ وص ٣٨٠ من الترجمة العربية .

(٤) (ذكر الأستاذ علي الشرفي عند تقديمه كتاب البادية لمؤلفه عبد الجبار الراعي " ذكر بعض الباحثين عن أقدم عصور التاريخ في العراق أن نزاعاً تاريخياً كان ولا يزال على حدود العراق المتصلة بالبادية بين الفلاح والراعي على مياه الفرات ودرجته الزراعية . فالفلاح العراقي يريد تنظيم الري وترتيب السقي والراعي العربي يريد أن تكسر المدود وتغمر متون الأنهر ليفلت الماء فيكثر الحشيش في البادية العراقية " راجع محمود الجندبي " المشكلة الزراعية في العراق " (بغداد ١٩٥٠) ص ٤٨ . وسأشير إليه فيما بعد بالجندبي .

لقد أصبح سكان البد وفي الوقت الحاضر حاجة قومية ملحة ، تفتضيها مصلحة البد وانفسهم ومصلحة الفلاحين الذين يريدون ان يخلصوا من مضايقات البد واعتداءاتهم على مزارعهم ومراعيهم ويامنوا شرهم . كما ان وجود البد وخطر يهدد كيان الدولة وكل نهضة قومية واجتماعية . فالبدو كما قلت ، لا يشعرون بالولاء للوطن ولا يرون في وجود الدولة الا شرا عليهم ، وتقييدا لحريتهم . وهم لا يخضعون الا لروسائهم وشيوخهم . وهؤلاء الروساء والشيوخ مستعدون لتقديم ولائهم ووضع انفسهم في خدمة كل من يقدم لهم احسن العطا . وقد اتخذت الحكومة الانكليزية المتنفذين من روساء شمر الجربة اصداقا او ثيا لها ، وقوت نفوذهم ليحرسوا لها النفط البريطانية وانايب شركة النفط العراقية وليكونوا لها عوناً في توطيد نفوذها في البلاد . (٥)

وقد اصبحت حياة البد وانفسهم تستوجب توطئهم وتعودهم على ممارسة الزراعة . فقد انقطع الغزو والاتاوة وبذلك فقدوا موردين من اهم موارد رزقهم ، كما انهم فقدوا ما كانوا يحصلون عليه من اجر لقا ، نقلهم البضائع على جمالهم بعد ان شاع استخدام السيارة والقطار في النقل . والمرامي التي يعتمد عليها البد وفي رعي مواشهم اخذت تنقلص وتضيق مساحتها شيئا فشيئا نتيجة لانتشار الزراعة . وقد قامت الحكومة باسكان طائفة من البد وفضحتهم الاراضي الخصبة وشجعتهم على الزراعة والاستقرار في الارض على ان الحكومة اتبعت طريقا خائفا في تطبيق هذه السياسة فجاءت النتيجة هكسرة ما كان يدور اليه المصلحون ، وعكس ما تتطلبه مصلحة البد والبلاد . اعطت الحكومة الاراضي لشيوخ البد وفاضات الى نفوذهم ، وكروساء للقبائل ، نفوذا جديدا يستمدونه من تملكهم الارض ومن ازدياد ثرواتهم من المحاصيل الزراعية . واصبح البد في الحر فلاحا ماجورا او مستأجرا للارض فقيرا . وقد حافظ هذا الفلاح الجديد على تقاليد البدوية وخضوعه للشيوخ وولائه له . ان ارتباط البد في برئيس قبيلته واطاعته اياه اطاعة عميا جعل منه - حتى بعد انصرافه للزراعة - مهابا او قناع . (٦) واحسن مثال نقدمه لهذه السياسة الخاطئة هو اسكان قسم من عشيرة شمر الجربة في اطراف الموصل . فقد استولى الشيوخ على الاراضي الخصبة وتملكوها بواخذوا يستغلون جهود افراد و اثرهم الذين لم ينتفعوا من توطئهم ولم يشعروا بمصلحة اساسية تربطهم بالارض وتحببها اليهم . يقول الاسناد عبد الرزاق الظاهر بصدد هذه القضية في وتظل في لواء الموصل صفحة من الاقطاع حديثه الظهور وهي من مبتكرات الاحتلال ومنقعات العهد الوطني في دور العرج والتبليل .

(٥) تحتل قبيلة شمر الارض المتعوجة تموجا لطيفا بين دجلة و الفرات . هذه الارض التي تضم مدن اشور القديمة والتي تكون خضراء في الربيع وتنقلب الى صحراء في الصيف . وتحرس شمر مخازن شركة النفط البريطانية ومحطاتها ومستودعاتها ، وهم مالى حد ما ، وكلاء ومعتمدون لشركة النفط هذه في الصحراء . وقد ساعدوا اثنا اضطرابات ايار ١٩٤١ في قطع خط سكة الحديد

فقد اقتضت السياسة — وهو اقتضا معقول — ان تهتم الحكومة بقبائل شمر الساكنين في اطراف الموصل بوقتر اعطاءهم مساحات واسعة من الاراضي لهذا الغرض . وشيرة شمر من القبائل العربية الاصلية والمهمة ولكن الايدي لعبت بهذا المشروع النبيل ونفذته على انه اعطاء واقطاع لبيوت المشيخة من تلك العشيرة ، وحققت مشيرة شمر " بخير لا يعوزها الا الغلخ والطعام " كما يقول المثل المشهور ويقول المطلعون ان مساحة تلك الاقطاعات بلغت ارقاما خيالية وتجاوزت النصف مليون من الدونمات . وهكذا تتحول الاعمال التي يقصد منها النفع العام الى منافع فردية ومنافع شخصية . (٧) ان الخطة الصحيحة لاسكان البدو والرحل تتحقق بمنح الارض ملكية خاصة تسجل باسماء افراد القبيلة انفسهم ، وبالحدد من نفوذ المشايخ والروسا ، وذلك بنشر الامن في القرى الجديدة ونشر التعليم بين الفلاحين ، وبغرس روح المواطنة الصحيحة في نفوسهم . وبذلك نخلق من البدو المشيعين بالروح الفردية ، المعادين للدولة والنظام والسكان المختلطين بمواطنين نافعين يقدمون ولاهم للوطن ولا يشعرون بسلطة غير سلطة الدولة والقانون ، ويشاركون بقية الشعب فيما يسعون اليه من تمدن ورفق وحياة راقية .

تتمة (٥) الذي يمر في منطقهم اثنا زحف الجيش الامكليتي على بغداد " مسأرك ص ١٨٨

(٦) جواد ص ١٩

(٧) عبد الرزاق الظاهر ، " الاقطاع والديوان في العراق " (القاهرة ١٩٤٦) ص ٧٣ — ٧٤

(٢) سكان القرى والارياف من العشائر المستقرة وشبه المستقرة •

والاعتماد

استقر كثير من القبائل في الارض وتركوا التنقل/على الرعي واخذت تعارس الزراعة • وتبلغ نسبتهم الى مجموع السكان البلاد حوالي ٢٢ ٪/٥ (٨) وهم يسكنون في قرى صغيرة • بعضها لا يزيد عدد نفوسها عن ٥٠ شخصا • وبعضها قد يزيد عدد سكانها عن ٥٠٠٠ شخص • اما سكان القرى والارياف من العشائر شبه المستقرة فهم وسط بين البدو والعشائر المستقرة استقرارا تاما • فقد استقر هؤلاء • وبدأوا يتحضرون • واستبدلوا بيوت الشعر اكواخا من الطين او صرائف من القصب البردي • الا انهم يتخللوا من حياة الرعي تماما • فمنهم من يعمل في الزراعة جزا من السنة • ويصرف ما بقي من السنة في رعي الماشية • وقد يتنقلون من ارضهم التي استقروا عليها الى ارض اخرى فاذا ما بارت ارضهم اولم تعد تصلح للرعي • وتبلغ نسبتهم الى مجموع سكان البلاد نحو ٤٨ ٪/٥ (٩) •

تحضر داخل

وتسكن بعض القبائل العربية للحاضرة نصف الاهوار في اطرافها • وبيوتهم عبارة عن صرائف بسيطة يشيدونها بالقصب والبردي • وتقوم هذه الصرائف على الجزر الرملية التي تنتشر داخل الاهوار • فاذا لم توجد هذه الجزر واضطر الناس لسكنى منطقة من المناطق اقاموا لهم جزيرة اصطناعية بان يضعوا طبقات من الطين بعضها فوق بعض يتخللها الحبر والقصب والقش لتصلب وتتماسك • وقد يشيدون بيوتهم على اعمدة منصوبة في الماء • وينتقلون من جزيرة الى اخرى داخل الاهوار بقوارب مستطيلة • مستدة الحيزوم، تسمى المشاحيف (مفردا مشحوف) وهم يزرعون الرز ويصنعون بترية البقر والجاموس • على ان كثيرا منهم يعتمد على صيد الاسماك وطيور الماء • وهؤلاء الناس الذين يطلق عليهم اسم "المعدان" هم اكثر العراقيين فقرا • وجهلا بوسوء صحة • وتأخرا اجتماعيا • ولا اعدوا الحقيقة اذا قلت ان احوالهم الاجتماعية والفكرية والاقتصادية ليست احسن من احوال سكان الاهوار قبل قيام الحضارة السورية الاكديف (١٠) والحقيقة انه ليس صعب التمييز بين هذين الصنفين من السكان من حيث المعيشة والاحوال الاجتماعية • وان كان شبه المستقرين اقرب الى البداوة • واكثر ~~محافظة~~ محافظة على التقاليد والعاد القبلية من العشائر المستقرين استقرارا تاما • وعلى هذا فلا اى ضرورة لبحث احوال كل طائفة على افراد الا حيث تقتضي طبيعة البحث التمييز •

(٨) حمادة ص ٢١-٢٢

(٩) المصدر السابق ص ٢٠

(١٠)

ما زال أفراد العشائر يتبعون ، بعد تحضرهم واستقرارهم في الأرض الانظمة والعادات التي كانوا يتبعونها وهم بدور رجل . فتنهم ينقسمون الى قبائل . والقبيلة تنقسم الى عشائر ويطلقون وافخاذ . ولكل عشيرة او فخذ شيخ او رئيس تاتر بامرهم وتدين له بالولاء . وقد كان الشيخ يودي وظيفة اجتماعية مهمة ، ويحتل مركزا اساسيا في كيان القبيلة او العشيرة . فهو الذي كان يدير امور افراد ، ويعنى بالدفاع عن القبيلة ، ويوفر المنازعات والخصومات ويرشد القبيلة اثناء اقامتها وضعنها ، ويقودها في الحروب . وهو الذي يقري الضيوف ويكلمة مختصرة كان الشيخ يقوم بوظيفة الحكومة عندما كانت سلطة الحكومة لا تمتد الى البادية ولا تطل على الريف . فلما اخذت العشائر تستقر في الارض وتمارس الزراعة كانت الاراضي الزراعية والمراعي تعتبر ملكا مشاعا بين افراد القبيلة جميعا . وكان الشيخ يعين لكل فرد حصته من الارض ويوفر المنازعات التي تنشأ حول حقوق الملكية او التصرف في العياد . كان الشيخ يملك ارضا واسعة كبيرة ، كما كان افراد القبيلة يقدمون له شيئا من ايراداتهم وذلك لكي يقوم بالاعباء الملقاة على عاتقه ^{بكم} كونه الرئيس الاعلى للقبيلة كما اسلفت . كانت علاقة الشيخ بافراد قبيلته متينة الاواصر . فهو مقيم بينهم ، متصل بهم ولم يحوالهم .

وهو كان يحمي حياة ^{بكم} يشبه حياة سائر افراد القبيلة في شكلها ، وان كانت تختلف عنها في فخامتها وابعثتها وما يشيع فيها من اسباب الترف الذي لا يستطيع ان يتمتع به الفلاحون الكادحون الفقراء . فتمازل الشيخ رحبة واسعة ، وطعامهم متنوع الالوان ، والبستهم مصنوعة من القماش الجيد الغالي الثمن ، واثاث بيوتهم وثيرة مريحة .

على ان هذه الحال قد تغيرت تغييرا جوهريا منذ ان اتصلت المدن العراقية المختلفة بخطوط السكك الحديدية والسيارات ومنذ ان اتصلت البلاد بالعالم الخارجي اتصالا تجاريا محكما منظما . فراجت التجارة وازداد الطلب على المحاصيل الزراعية للاستهلاك المحلي وللتصدير الى خارج القطر . وقد انتبه الشيخ الى اهمية الزراعة وفائدة الاستثمار من الاراضي فبعد ان كان اقتصادهم الزراعي مبنيا على سد حاجاتهم من المحاصيل الزراعية اصبحوا الان ينتجون للبيع وللحصول على اعظم ما يستطيعون من الارباح . وزاد اتصالهم بالمدينة ، وتذوتوا متارف الحياة العصرية فازداد تطلبتهم للمال . واخذوا يمتلكون الاراضي الزراعية الخصبة و يسجلونها باسمائهم حتى لقد اصبح فيهم من يملك نصف مليون مشاركة ومن يملك مليون مشاركة . واخذوا يشترون على الفلاحين في الايجار ، واخذون من محاصيلهم ما يستطيعون فلا يتركون لهم من ثمرات كدحهم الا ما يكاد يمد رقبتهم ويقيم اورد اسرهم ، ويقيمهم من الموت جوعا ، لا حبا بهم وعظما عليهم ، وانما لم يستطيعوا ان يشتغلوا ويعطوهم ما ينفقونه على حياتهم هذه الرخية المترفة .

لقد استبدل معظم الصراف الواسعة التي كانوا يبنونها بالقصب وسقفونها بالحصر، وبيوت الشعر، بقصور فخمة عصرية مضا، أغلبها بالكهرباء، موشة بالاثاث الاوربي الفخم، مجهزة بوسائل الراحة العصرية حيث يستقبلون فيها اصداقاً هم من كبار الموظفين والشيخ والرؤسا، ويقدمون لهم اشهى الاطعمة واغلى المشروبات الاوربية، بعيدين عن ابنا، قبيلتهم، ولمشايع الفرات الاوسط والاسفل ابراج يشيدونها الى جنب قصورهم يحتمون بها في القتال، وهي مبنية عادة في سهل واسع اما على شكل مستدير وتسمى مفتولا او شكل المنشور المربع ويسمى برجاً او حصناً* (١١) تنتصب هذه القصور وسط الكواخ الفلاحين البائسة، او صرافهم المعتمدة الكثيرة مشيرة الى هذه القرون العظيمة التي اصبحت تميز الشيخ من افراد قبيلته. وقد اذ الشيخ حياة المدن فاعتادوا شرب الخمر، وكثر تردد معظمهم على صالات الرقص والمقامة وجلبات سبان الخيل، كما ابتنى كثير منهم القصور الفخمة في المدن الكبرى وخاصة في بغداد واكثرها من التخليص عن قبائلهم ومقاطعاتهم، واعتاد اكثرهم قضاء اشهر الصيف في مصائف لبنان حيث ينفقون فيها ~~مئات~~ الاف الدنانير على متاعهم ولهمهم* ان التطورات التي حدثت في الايام الاخيرة احدثت تغييراً بالغ القدر في مركز الشيخ اذ اصبحت من كبار ملاك الاراضي فلم يعد واحداً بين زملاء يساوونه في المكانة او زهيماً يرضى القوم، وانما صار سيداً لا تبعه الذين فقدوا بذلك استقلالهم ومالهم من حقوق في الارض داخل صفوف الجماعة* (١٢)

وقد عظم نفوذ الشيخ ورؤسا القبائل منذ الاحتلال البريطاني للعراق. فقد ثبت قانون حقوق واجبات الزراعة حقوقهم في ملكية الارض وزاد من استعبادهم للفلاحين، وقوى قانون دعاوى العشائر سيطرتهم واعلى كلمتهم. كما زاد اشتراك معظمهم في البرلمان واتصلهم برجال الحكومة من سيطرتهم حتى لقد اصبحت الحكاميين بامرهم في مزارعهم وقراهم، ينفذ امرهم رجال الحكومة، الذين يخضعون لهم خوفاً من نفوذهم او استجابة لما يقدمونه لهم من شيء. ولكل شيخ عدد من انزلم* المسلحين معظمهم من اشقياء القبيلة ومن العميد ويدعون في جنوب العراق باسم الحوشية* يتخذهم حراً وشرطة له، وينعم عليهم بفتات مائدتهم، ويسلطهم على الفلاحين زبانية لا يرحمون. بهذه القوة المسلحة، الى جانب شرطة الحكومة واجهزتها الادارية، يسيطر الشيخ على الفلاحين. ومن يجرؤ على الشكوى، او يحاول ان يصد الشيخ عن نهب ثمرات جهوده، او يمتنع عن العمل في ارضه، فجزاؤه الحبس والتعذيب والتجوع والتشريد. فعند بعث هؤلاء الشيخ سجون موحشة ملائ بالحشرات يلقون فيها ضحاياهم، ويشوون جلودهم بمياط ~~وحشية~~ ويسمونهم سوء العذاب، حتى يستغفروا ويفعلوا ما يريدهم الشيخ ان يفعلوه، والا كانوا من الهالكين.

(١١) الهاشمي ص ٤ - ١٠ راجع كذلك احمد فهمي ص ٢١ وهيد الجبار فارس، قحمان في

الفرات الاوسط* (النصف ١٣٥٢) ص ٩٢. وسائير اليه فيما بعد بفارس

(١٢) بونيه ص ٢٦٢ من الاصل ص ٢٢٥ من الترجمة العربية.

«اعتاد الشيوخ ان يفتشوا مزارعهم بين آنٍ وآخر فصادف ان حل احدهم في الكفل، دار احد فلاحيه ونزع فلاحه على امر زراعي فرفع الفلاح صوته على الشيخ فاذا هو هذا التجاسر وحاد قضبان فالتجأ الفلاح الى احد اصدقاء الشيخ ووسطه . وبعد اللقيا والتي اقنع الشيخ على ان يرضى عن فلاحه لقاءً قُبل " قدره سبعة دنانير ونصف دفعها الفلاح، وهي ضعف عائد السنوي » (١٣) لا عجب ان يترك الاف من الفلاحين مزارع الشيوخ ويسربوا الى بغداد وغيرها من المدن الكبرى، ليستغلوا بمختلف الاعمال منها كانت مجيدة، قليلة الاجور .

السركال

اقتضت مشاغل الشيوخ وملكي الاراضي، واتساع اراضيهم، ان يستخدموا وكلاء لهم، يكونون وسطاء بينهم وبين الفلاحين، فيؤجرون الاراضي للفلاحين، ويوجدون الفلاحين للعمل في اراضي الشيوخ ويراقبون اعمالهم، ويوجهون جهودهم . ويدعي هؤلاء الوكلاء بالسراكيل (١٤) وقد قوى نفوذ السراكيل وازدادت اهميتهم، واتمعت سيطرتهم في السنوات الاخيرة، عندما اخذ الشيوخ يتغيبون عن اراضيهم وعندما شاع استملاك الاغنياء المتنفذين من سكان المدن اراضي في الريف وكل من الشيوخ المتغيب والحضري الملاك بحاجة الى من يرعى اراضيهم ويدير له مزارعهم، ويراقب فلاحيه . والسركال مثل الشيخ لا يمارس الزراعة بنفسه وانما يتقاضى جزاً من الغلة ياخذ من الفلاح والمالك لقاء خدماته التي يؤديها للشيخ، الا ان ما ياخذ من الفلاح اكثر مما ياخذ من الشيخ «وتتراوح حصة بين سدين الغلة وشرها ومنح في بعض المناطق بدل حصته من الغلة قطعة ارض تسمى "الطليعة" يعطيه اياها صاحب الارض ويجهزه بالبذور فيصبح من واجب الفلاح زرعها وتصفيتها حاصله من دون اي مقابل » (١٥) وللسركلة حقوق وخدمات حددها " قانون حقوق وواجبات الزراع " . ان السركال وان كان في الاصل من الفلاحين الا ان حالته احسن من حالة الفلاح كثير بل ان مراحيا حياة هي اقرب الى حياة الشيوخ والملاكين المترفة منها الى حياة الفلاحين المتعبة الشقية . فهو اوسع من الفلاحين داراً، واهناهم طعاماً وواكرهم لائحة . والحق ان السركال يقوم بوظيفة الشيخ ويتمتع بمثل نفوذه في القرى التي لا يعيش فيها شيخ لو ملاك .

الفلاح

الى جانب هاتين الطبقتين القليلتي العدد المتشبهتين في الريف تقيم طبقة ثالثة ضخمة هي طبقة الفلاحين ويكون افرادها معظم سكان الريف ان اكثرة الشعب العراقي، وتختلف حالة الفلاح في شمال العراق عن حالة الفلاح في وسط العراق وجنوبه .

(١٣) فارس ص ١٢٢

(١٤) سركال بجمعها سراكيل تحريف كلمة سركار الفارسية ومعناها الوكيل او رئيس العمال

(١٥) خياط ص ٣٣

نقي شمال العراق تشيع الملكية الفردية الصغيرة ، حيث يملك قسم من الفلاحين قطعاً صغيرة من الأرض يزرعونها بأنفسهم ، أما في الأقسام الأخرى فالفلاحون محرمون من الأرض وعليهم أن يؤجروها من الملاكين والشيوخ والسراكيل ، فيؤدون لهم نصف محصولهم أو أكثر إيجاراً لها ، أو يشتغلون عندهم عمالاً ماجورين . يتقاضون على أتعابهم جزءاً من النلة أو مبلغاً من المال . أو يشاركونهم في الزراعة ويقضون نتيجة لهذه المشاركة ، التي يقدمون فيها قوة ^{علمهم وبقيتهم} الشيوخ والملاكون الأرض والهدار والحيوانات حصّة المخبون .

والفلاح العراقي مخلوق شقي بائس يعيش هيئة بدائية محروماً من وسائل الرفاهية بعيداً عن الحضارة . يسكن معظم فلاحي اوساط العراق وجنوبه اكواخاً معتمة تصنع من القصب البردي أو سعف النخل تدعى بالصرائف . وتتكون الصريفة من اعمدة من القصب تسمى "حنايا" وترتبط بأربع جدران من نوبها بشكل اسطواني ، وتغطي بالحصر والبوارب . ويتراوح مساحة الصريفة الواحدة بين ٦ و ٧ مترات طولاً و ٢ أو ٣ مترات عرضاً . وللصريفة باب من الامام صغير ضيق لا يستطيع الشخص اجتيازه الا بعد ان ينحني . وهي خالية من النوافذ والشبابيك ولذا لا يفارق الطلسم الدامس داخلها . ويعني الفلاحون بتفسيدهم اكواخهم هذه على ارض مرتفعة خوفاً من الغرق ولذا يعتمدون الى حفر الأرض المباشرة ليرفعوا بالتراب ارض اكواخهم . فتتألف من هذه الحفر بعد الفيضان مستنقعات يستوطنها البعوض الذي ينقل الملامح للفلاحين اما في شمال العراق وفي بعض المناطق الوسطى حيث يقل وجود القصب والبردي او ينعدم فان الفلاح يسكن اكواخاً مبنية باللبن اي الطين المعجوف بالنمس . وهي مبنية عن غرف خالية من النوافذ ، او ذات نوافذ ضيقة صغيرة ولذا فانها معتمة ولا يتنفذ فيها الهواء الا قليلاً . وكثيراً ما يشارك الفلاح حيواناته سكنى الصرائف والاكواخ . وطعام الفلاحين بسيط مفتقر الى العناصر الغذائية والمقومة لبنيان الجسم . وهو يتكون في الغالب من خبز الشعير او خبز الذرة ، او الرز الذي يطبخونه دون سمن ، وقليل من التمر والحليب . ويتكون غذاء معظم الريفيين في اوساط العراق وجنوبه من خبز يجعل كالعجين اللين ويوضع على آجرة كبيرة على شكل الطبق تسمى "طابق" وتحرق بالنار حتى ينضج العجين . واما الذين يتمكنون من ان يضعوا الى هذا الغذاء صحناً من لبن الرز لا سمن فيه ، وتارة مقداراً من اللبن ، او قليلاً من البصل فانهم يعدون غذاءهم ذلك اليوم من انفسهم الاغذية ، لان نصيبهم مما تجود به مزارع الرز الواسعة لا يضمن لهم غذاءاً احسن في الحال الحاضر . ولا يتذوق الافراد اللين او حلاوة اللبن الا عند ما يأتي مضيف الشيخ والرواساء ضيف من الشيوخ المامورين او حينما يموت احد هم . ويمثل لمن يرى تباخت اولئك الفقراء على المضايقات في مثل تلك الايام مثال اليم من امثلة الجهوس والشقاء» (١٦)

والارقام التالية (١٧) ترمزنا بوضوح ان الفلاحين لا يتناولون في العام الواحد الا ما يقرب من نصف الاطعمة الضرورية فقط . وقد بنى الامتداد بونييه والذي استخرج هذه الارقام واحصاه هذا على عدد سكان الريف للمعراشي وفي عام ١٩٢٩ ، البالغ ٢٠٠٠ و ٢٠٠٠ شخص .

نوع الغذاء	ما يحجب ان يتناوله الفلاحون في العام الواحد (بالآلاف الاطنان)	ما يتناولونه منها في العام الواحد فعلا (بالآلاف الاطنان)
اللحوم والاسماك	٤٦	٢٤
الخضروات	٢٦٨	١٦٩
الفواكه	١٥٣	١١٠
الخبز	٣٢٣	٢٦٠
الحليب ومنتجاته	٤٦٠	١٩٢
البيسر (بالعدد)	٣٨٨ ، ٥٠٠ ، ٠٠٠	١٢٦ ، ٠٠٠ ، ٠٠٠
السمن والزيت	٣١	٦١
السكر	٦١	٣٨
الخبث	٣١	١٥

اما لباي الفلاحين فغاية في البساطة . وكل ما يرتد منه في الشتاء والصيف من الخام وعباءة صوف وكوفية ومقال . وهذه الملابس لا تتغير ^{تتغير} جسم لا يسهل الا بعد ان تخلق وتبلى . ويصبح ارتداؤها غير ممكن . ويبدو ان نجد بين افراد العشائر ^{تتغير} يرتدي هذا في الصيف وفي الشتاء ويرجع ذلك الى ضعف حالتهم الاقتصادية (١٨) . واثاث المنزل بسيط كذلك فهو يتألف في الغالب من منجبة لمليخ الرز ومرجل لغلي الشاي ومعدن الحون (النحاسية) واقداح الشاي وساطة غليظ من النسيج المحلي ، وصندوق خشبي للثياب .

لاكثر الين والافاوا والاكيل ^{البريد او} ^{بالتصريف} من بيوت النسر ، ويختلف امتاعها بحسب ثرائها . اما عبرها ، وامتاع اراضيها وكثرة فلاحيه . وهي تشاهد على ارض مرتفعة . واما المضيف فهو واسع يسمى "الدكة" وهو يجمع كل الفلاحين والضيوف ^{ضيوف} . المضيف هو نادى الفلاحين يجتمعون فيه في العشية وفي اوقات فراغهم حيث يسمرون ويروون القصص ويخوضون في احاديث متعممة هذا المضيف الافاق . (وللاجتماعات في الدفاتر انظمة وقواعد خاصة . فانقلاح يجلس الى اسفل محل يلى كانون القدوة الواقع في وسط الحبل مما بعد المضيف واما الجانب الاقل فهو للمركالين من الدرجة الثانية ورواظ الدين (مؤمن) وفي القدر المجلس اماكن مفروشة لما موري الحكومة واعيان الشيوخ والسادة (١٩) .

(١٧) Alfred Bonne, "The Economic Development of the Middle East" (Jerusalem, 1943), p. 46.

تشبه حالة الفلاحين الاكراد في جوهرها حالة الفلاحين العرب . فلكل قبيلة ما لكل عدة قبائل رئيس مطيعه الافراد ، ويدعون له بالولا ، والاحترام ، ويتنعم بما يقدمونه له من ثمرات اتعابهم . ولكل قرية رئيس يقال له " كئخدا " او " شمال " ^{مكوهة} ، ينسب المواليين ومصلحاتها . وشو^{ولا} يشبهون السراكيل ان يقومون بالنسالة بين الملاكين والفلاحين وبين شو^{ولا} والحكومة . وهم منتارو القرية وهم ياخذون حصتهم من الملاكين راسا . ان يستاجرون الارض من الملاكين وينزهونها لحسابهم الخاص فينالون بذلك حقوق السراكيل والملاك . ولهم كل السلطة على القرية ، وحتى اذ ارتها فلا يخرج الا فرا من طاعتهم ولا يتجاوزون رغباتهم ولا يخالفون من امرهم . (٢٠) .

ان الفلاح العراقي بصورة عامة مجاهد ، مريض منهوك ، القوي مهزول . وهو قد اعتاد حالته هذه ، والف ما يحدث به من شقاء فلم يعد يجد في حياته هذه الشقية شرا ، ولا ينكر سببا هذا الظلم الذي يستفز ، يحير الانسان . لقد اعتاد الذي وع لشيوعته رؤسائه والناطقة اوامرهم ، وتنفيذ مشيئاتهم ، وبذل جوارده في سبيلهم . حتى لقد انبغى من اللبيني في نذرته ان يسود اولئك ويتحكموا ، ويحبسوا على ثمرات جيودهم ، منعمين رافعين ، وان يسيروا خوفا لا وامرهم ، شقيا بكبحه ماكها على الامة . هذه النفسية القانعة بغيرها ، الراضية بشقائقها ، المستسلمة لظلم اسيادها ، هي احدى العلل المهمة التي تؤخر الريف العراقي ، وتضع لهذا الفقر القليل من الشيوخ المتفهمين الكسالى ان يستعبدوا ملايين الفلاحين العراقيين . ولو كان الفلاح العراقي حظ من الوعي السياسي والاجتماعي ، ما رنا بقدر نفسه ، مقدرا لجهودهم ، لما صبر على الظلم ، ولكانت الحال في الريف غير الحال الشقية الحاضرة . " ولولا ان الفلاح العراقي من طبعه الصبر وتلقي الضيق باعتباره الاصل ، وان الرضاء عار ، وليس بدائم — لولا هذه النفسية المتأصلة فيه ، لكان تدمره شديدا ، وشكرا عالية . ولكنه وقد تعود الظلم والحرمان ، لا يرى في ذلك الا الاصل الذي يقاس عليه فينطوى على ^{نفخ} كتيبا ، مكبوت العاطفة ، بكل امره على الله ، وبه يستعين في احتمال البلوى . " (٢١)

حلت جماعة من اصحابي فيوفا على احد شيوخ الناصرية المشرقة ، وعند ما اردنا العود الى المدينة امر لنا الشيخ بخيول ركبناها ، ثم اشار الى جماعة من الفلاحين الملتقين حوله ان يسيروا معنا ، ويوصلونا الى المدينة ، كي يعودوا بالخيول الى القرية . كانت الخيول تخب بنا في اراضي الشيخ الخصبة الواسعة ، والفلاحون المساكين يركضون وراءها ركضا . لقد اذكري منظرهم المؤلم انذاك بعيد الزمان الاذلا البائسين .

- | | | | |
|--------|----------------------|--------|--|
| (٢٠) | انظر هزاوي ص ١٥ و ١٦ | (١٨) | فا ص ١٠٠ |
| (٢١) | الظاهر ، اقطاع ص ١٠٩ | (١٩) | المهم ضمني ص ٤١٠ و انظر كذلك ص ٤١١ و ٤١٢ |

والقيت اليه م بعلبة دخان فتلقفوها شاكرين ، حامدين ، كاني اقطعتم ارضا .
استغرقت رحلتنا ثلاث ساعات قطعها الفلاحون ركضا ، وما رأيتمهم يتقدمون او يتأفون
وان كانت جباههم تنضج مرقا ، وصدرهم ترتفع وتنخف بلهاث موحج ، والتعب الانساني
يطل من عيونهم الوديعة الحزينة ، ويجعلني استخزي من نفسي ، واتور على هذا
الظلم البغيظ المخجل الذي يجعل من الفلاحين الكادحين الاحرار عبيدا اذلا .
بائسين .

وقد يهدد الفلاح آلامه ، ويسكب اوجاع قلبه ، في قصائد شعبية حزينة ،
واغان نائحة كئيبة ، وقد يعبر الفلاح الجنوبي عن ثورة نفسه بهذه الدموع التي يسكبها
على شهداء كربلاء في عشرة ايام عاشورا ، وهذا الحب العميق للحسين بن علي سيد
الثائرين على الظلم . وقد ينفس عن ثورته الكامنة في اعماق روحه باشتراكه في
المعارك والخصومات التي تشجر بين الفلاحين لانتفه الاسباب موالتي تبعد ثورتهم
وتضيع جهودهم ، وتمزق وحدتهم . وقد تاخذ ثورة الفلاح ، احيانا ، طابعا
ايجائيا صريحا ، كهذه الصدامات المسلحة التي تحدث بين الفلاحين والشيوخ
المتنفذين واتباعهم ، او بين الفلاحين والحكومة ، وتكون مستورة في اكثر الاحيان
بشعارات فامضة ، وامان بعيدة ، كهذه الانتفاضات التي تنفجر بين حين واخر في
المناطق الكردية (٢٢)

(٢٢) راجع ايرلاند ص ٩٢ - ٩٣ عن الصدامات بين الفلاحين وبين شيوخهم
السعد وهيين في لواء الكوب

قانون دعاوى العشائر لن تكمل الصورة التي اريد ان ارسها للريف العراقي الا اذا تحدثت من "قانون دعاوى العشائر".

وقبل ان اتحدث عن هذا القانون ، وايين ما يلحقه من ضرر في تقدم البلاد ووحدة الشعب وتمدنه ، اريد ان اذكر بعض العادات القبلية ، والاحكام العرفية التي يدعمها هذا القانون ويسمح عليها صفة اشرعية ، حتى يكون فهمنا له اتم واوفي .

تفصل الخصومات والمنازعات طبق القواعد والتقاليد التي تستمسك بها القبيلة ، وتعتمد بالمحافظة عليها ، والتي تحدثت اليها من اباؤها الغابرين على مر الزمن . ولهذه القواعد التي تبنى عليها الاحكام ، والتي تسمى في عرف العشائر "سواني" اساس واحد عند جميع العشائر وان اختلفت في الفروع والتفاصيل بين عشيرة واخرى . (٢٣) تعرض الخصومات على احد المتخصصين بعادات القبيلة ، العارفين بتقاليدها واحكامها ، ويسمى بـ (العارفة) او تنضم الي مجلس تحكيم مكون من بعض الرؤساء واشيوخ والسادة يعينه رئيس الوحدة الادارية ويرضى باعدائه الطرفان المتنازعان .

فقبائل الفرات الاوسط ، مثلاً ، لا تتبع احكام الشريعة الاسلامية ، ولا قواعد القوانين المدنية العراقية ، في قضية الارث . فالعادة المتبعة في الغالب ، ان تحرم المرأة من الميراث . كما ان اكبر الاخوة ، اذا كان قويا حازماً ، يختار بما تركه ابيه ، ويقوم بالانفاق على حاجات اخوته ونساء ابيه . وقد يقسم الاخوة الميراث ولكن على شرط ان يتنازلوا لأكبرهم من ثلثه ، وتسمى هذه الحصة بحق (الكبرة) ، ثم تجرى القسمة بينهم بالتساوي . فان مات الاكبر ورث هذا الثلث اكبر الباقيين . وقد يقسم بعض الاخوة المتكاثرين او الذين هم من ام واحدة التركة بكاملها ولا يتركون للصغار شيئاً . (٢٤)

أذكر انني التقيت صدفة بنفر من كبار الشيوخ ، والمتنفذين منهم ، وسمعتهم يتقدمون من سدور حكيم في حق امرأة بالنسبة لتركة زوجها المتوفي ، وفرض حسبها القانونية في الظاهر الحائد لزوجها ، وانفقوا على ان ذلك باطل ، لانه يخالف العرف العشائري . (٢٥)

ولننظر الان في احكام قبائل الفرات الاوسط في القتل . ان قتل احد افراد قبيلته شخصاً لا ينتسب الي قبيلته فلل القاتل ، ولكل فرد من عشيرته الحق في ان يقتل القاتل او اي شخص يصادفه من عشيرته . وقد تسوى القضية بالحسنى ، وذلك بان تقدم اسرة القاتل لاسرة المقتول مبلغاً من المال ، وهذا ما يسمى بـ "الفصل" وجميع الفصل من افراد العشيرة بكاملها .

٢٣ احمد فهدى ص ٣٤ وانظر كذلك مزاوي ج ١ ص ٤٠١ وفارس ص ١٠٩

٢٤ فارس ص ١٠٨

٢٥ الطاهر ، اقطاع ص ١٣٩ .

فيدفع القاتل منه مثل ما يدفعه غيره وهذا هو السبب الذي يشجع على كثرة حدوث جرائم القتل . وقد يكون الفصل بالنساء وذلك ان تقدم عشيرة المقتول بعض بناتها لذوى القاتل . وقد يكون الفصل بالمال والبنات معا . وان ولدت المرأة المقدمة كفصل للجرمة ولدا ذكرا ، او بنتين ، تعد فاصلة ، ويحق لها ان ترجع الى اهلها التي شاءت . وان كانت عاقرا ، او ماتت قبل الولادة فلاسرة المقتول المفصول حق المطالبة بغيرها . وان قتل احد افراد عشيرة المقتول المفصول شخصا من عشيرة القاتل فيجب ان يدفع اربعة امثال الفصل المتعارف ، اى يجب ان يدفع مقدارا معيننا من المال مع اربعة نساء ، وذلك لعدم احترامه عهد الامان الذي اعطته عشيرته يوم قبلت بالفصل وارفضت بحل الخصومة صلحا . (٢٦) وهذه الاحكام لا تنطبق على جميع افراد العشيرة بالتساوى . فللشيخ والروساء امتيازات خاصة ، ويتكلف من يعتمد على حياة احدهم ما لا يتكلفه المعتدى على حياة احد من عامة افراد القبيلة .

حدث عام ١٩٢٢ في الفصيلة ، ان قتل جماعة من روساء الغزالات رئيسا آخر فاحيلة القضية على مجلس المحكمين فحكم بما ياتي : بسجن القتلة لمدة سبع سنوات وبخادراتهم اراضهم الزراعية ، ولا يدخلون الفصيلة لمدة ثلاث سنوات ، على ان يتصرف ذروا المقتول بممتلكاتهم طيلة سني التباعد وبعد هذا يدفع لال المقتول اربعة امثال الفصل على ان يكون من خالص حلال القتلة (٢٧) اما دية الفصل في الاحاديث التي تقع بين افراد العشيرة نفسها فهي اربعة اضعاف الدية المقررة للفصل في حوادث القتل التي تقع بين افراد عشيرتين . واذا كان القاتل ممن يملكون ارضا يشتغلون بالزراعة - نكح عليهم بالجلاء من ارض عشيرته سبع سنوات يزرع ارضه خلالها اقرباء المقتول ويتصرفون برؤسها وتوزع دية الفصل على عشيرة المقتول بعد ان ياخذ شيخ العشيرة ثلث المبلغ وتكون حصة اهل المقتول اكثر من غيرهم (٢٨)

(٢٦) فارص ص ١٠٩ - ١١١ ولحمد فهمي ص ٣٦٣٤

(٢٧) فارس ص ١١١ - ١١٢

(٢٨) المصدر السابق ص ١١٥

إذا ثبت أن أحد الأشخاص حاول الاعتداء على شرف امرأة يحكم عليه بالعطاء مبلغ من المال ، وتقديم امرأة من قريباته يتزوجها أحد اقرباء المرأة المتجاوز عليها . وإن لم يكن لها قريب من أرحامها فيتزوجها أحد أفراد عشيرتها . وإذا ثبت أن الزنا قد تم بالفعل ، فإن الفصل ، في كثير من الأحيان لا يقبل . وتحل المشكلة بقتل المعتدي والمعتدى عليها وقد تقتل المزني بها وحدها . ويلزم المتجاوز عليها بالفصل . والفصل في هذه الحالة يكون في كثير من الأحيان ، بأن يقدم المعتدي أخيه ، فإن لم تكن له اخت فيقدم ثلاثة نساء أو أربعة من قريباته إلى اقرباء المرأة المتجاوز عليها (٢٩)

أن الافتراء على أحد أبناء العشائر بالعبودية ، كان يتهم بأنه متحدر من عبيد ، أو أن أحد أعمامه ، أو أخواله عبيد ، جريمة تستحق الفصل . وإن لم يستطع المفتري عليه بالعبودية رد التهمة وأثبت أصالة محتده أصبح عبدا لا تساهره العشيرة ، ولا تعترف له بحقوق الأحرار وحرمتهم . أما إذا تمكن من نفي تهمة العبودية فيحق له الفصل . فإذا امتنع المفتري عن تادية الفصل يحن للمفتري عليه قتله ، على أن يدفع فصلة لاله ويدفع ذوا القتل فصل التهمة والافتراء بالعبودية له . وقد حدث أن اتهم أحد رؤساء جليحة ، في قضا الهندية أحد الرؤساء بالعبودية . وقد حكم له المحكمون ، بعد أن أثبت بطلان التهمة ، بأن يأخذ من المفتري بنتين و ١٦٠ ليرة . وقد قبض المبلغ واستمتع بالبنتين بدلا عما أصابه من كوار نتيجة لاسناد هذه التهمة إليه (٣٠)

إذا اعتدى شخص على شخص آخر من أبناء العشائر بالكلام ، أو أهانه ، أو تفرقه ، أو حفر دخيله أو نزله ، أو رماه بسرقة ، أو سرقه ، أو تزوج من قريبة له نهاء عن التزوج بها ولم يلتفت إلى نهيه ، أو فعل به كل ما من شأنه أن يجعله ذليلا فيد قومه ، محترقا في مجتمعه ، فله أن يرفع على الشخص المعتدي دعوى شرف ، مطالبها بتعويضه عما ناله من أهانة وهذا الحق يدعى به (الحشم) وإذا حكم على المعتدي بتادية (الفصل) ولم يؤد عرض نفسه لخطر (العتر) . والعقري حدث غالبا إذا كان النخص مستاجا ، نائرا لأصحاب لما لحقه من أهانة ، أي يكون في اصطلاح القوم في حالة (فورة الدم) . فإذا أهين شخص بما يستدعي الحشم ، أو انتهك شرف إحدى قريباته ، أو قتل أحد اقربائه وكان في حالة (فورة الدم) فمن حقه أن يعقر حيوان خصمه ، وذلك بأن يقتل الحيوانات قتلا أو يقطع قوائمها .

(٢٩) المصدر السابق ص ١١٥

(٣٠) فارس ص ١١٤ : ١١٥

او ان يقطع قوائم البيت ويخرجه • ويسوغ له في حالة خسارة الدم القتل ايضا • والحشم لا ينتمي الا بثلاث هويات ، اي ثلاث هجمات ، على اموال عدوه وحيواناته وبيته ، على حين غوة ، وله في شعر الحقة سبعة هويات ، ثم يحصل بامرأة • • • • • (٣١)

تشمل جرائم السرقة في باعادة المال المسروق فقط • وقد يضاف الى ذلك شيء •

اخر اذا كان المارق والمسروق من عشيرة واحدة • ولا فصل في السرقات التي تقع بين عشيرتين • واذا لم يستطع المسروق ماله ان يسترد امواله من السارق نفسه فله الحق في ان ياخذ مقدار هذا المال من اي من اقارب السارق ، او من يدعي بلزمته ، الى خمسة اظهر ، وهذا ما يسمى بالوسقة ^{الوسقة} (٣٢)

هذا نموذج لبعض العادات والاحكام العرفية التي تمارسها العشائر • وهي تبدو ، لاول وهلة ، مخالفة لاحكام الشريعة الاسلامية والقوانين العراقية والجزائية والمدنية ، مخالفة لاسر المدنية الحديثة التي تقر احترام الشخصية الانسانية وتسعى لمساواة افراد جميعا • هذه التقاليد والعادات البالية هي احد الامل التي تعوق تقدم الشعب العراقي وتحول دون تحضره • وان المصلحين ليسعون للقضاء عليها وتخليص الناس من شرورها ولكن قانون دعاوى العشائر يدفعها ويسبغ عليها صبغة شرعية • فلتناق على هذا القانون نظرة فاحصة ناقدة •

(٣١) فزاوى ج ١ ، ص ٤١٥ — ٤١٦

(٣٢) المصدر السابق ص ٤١٣ •

(٣٣) (ولو قد ~~استبان~~ استبان بسرعة ان القانون العراقي لا يمكن تطبيقه تماما في المناطق العشائرية التي تولف جميع المناطق المحتلة في خارج المدن كما اتضح ان الاحكام السياسية كانت بهم حاجة الى اصلاحات خاصة يبنون بواسطتها في القضايا الحقوقية والجزائية في ضمن مناطقهم • ولتألي هذا الوضع قام المستر هـ • ر • ك • دويسر بوضع نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية على نمط نظام جرائم الحدود الهندى فصدر (هذا النظام — في شباط ١٩١٦ • • • • • وقد اثبت النظام في تطبيقه بانه مشق مع رفقات القبائل لانه يسر لهم حسم المنازعات بالطرق المألوفة عندهم منذ مدة طويلة • وكذلك ساعد في توطين القبائل وتمهيدتها لاعطائها الاهمية للاراء العشائرية التي تحصل بالتحكيم ، كما رفع من اهمية الشيوخ بمنحهم المكان المحترف بها في النظام السياسي والقضائي •

نوجد الاحكام السياسيون من جهتهم بان حملا ثقيلًا قد رفع عن كاهلهم بذلك •)

ايرلند ص ٨٥ — ٨٦ • وقد نقلت هذه الفقرة من ترجمة الكتاب في العربية "العراق" •

دراسة في تطوره السياسي "ترجمة جعفر خياط (بيروت ١٩٤٦) ص ٥٣ — ٥٤

حلت الشريعة الإسلامية محل العرف القبلي والتقاليد الجاهلية، ولكن الشريعة الإسلامية لم تتغلغل عميقا في روح العرب الذين ظلوا محافظين على بدائنتهم، متمسكين بتقاليدهم القبلية. فلما انهارت الدولة العباسية، وتوالت على العراق حكومات لم تعن بإقرار السلام واستتباب الأمن والنظام في البلاد بقدر عنايتها بجمع الضرائب وابتزاز أموال الناس قوى التنظيم القبلي وابتعد الناس عن المدنية الإسلامية، واستعادت التقاليد القبلية نفوذها وقوتها. وكانت للسلطة الدولة العثمانية على الريف العراقي وقبائله ضعيفة. فظلت القبائل تحل مشاكلها ونصوماتها حسب تقاليدها وعرفها ولم يتدخل الحكومة الا في القضايا الكبرى بين القبائل. فكانت تتوصل بثوتها وتستعين بالحكمين على حل الخلافات وإقرار السلام. فلما احتل الانكليز البصرة واخذوا يتقدمون شمالا اصدروا عام ١٩١٦ "بيان العشائر" والزموا حكامهم بالسير بموجبه. (٣٣)

وبعد استيلائهم على بغداد وسعوا نظام العشائر هذا وحسوا مفعوله على المناطق المحتلة من العراق جميعا. فقد صدر نظام دعاوى العشائر بتاريخ ٢٢ - ٢ - ١٩١٨. ثم عدل هذا النظام بقانون صدر في ٢٨ - ٨ - ١٩٢٤. ثم عدل تعدىلا طفيفا في ١ - ٦ - ١٩٣٣. واستمر العمل بموجبه الى اليوم (٣٤)

وضع هذا القانون الذي يسمى "بقانون دعاوى العشائر المدنية والجزائية السنة ١٩٢٢". لحسم المنازعات من مدنية او جزائية التي تقع بين افراد العشائر حسا سريعا وفقا للعادات الراجحة بينهم. (٣٥) ويقصد بالفرد من العشائر من كان منتسبا الى عشيرة معلومة او فخر من عشيرة معلومة. ~~من العشائر التي جرت على حسم منازعاتها بواسطة حكمين~~ من اختيارها او شيوخها بدلا من المحاكم النظامية. (٣٦) ولا يشترط ان يكون الطرفان المتنازعان من ابناء العشائر لتحل قضيتهم بحسب احكام هذا القانون ان يجوز للمتصرف ان اذا ظهر له ان احد الخصمين في احدى الدعاوى فرد من العشائر وترأى له ان حسم الدعوى وفق العادات البدوية الرب الى رضى الطرفين ورفع النزاع رفعا تاما ما لو حسمتها المحاكم النظامية المدنية او الجزائية، ان يقوم بفصل النزاع بحسب احكام هذا القانون مراعاة اقيمت الدعوى في المحاكم المدنية او الجزائية اولم تم (٣٧). وتقوم السلطة الادارية بتطبيق هذا القانون. فيعين وزير الداخلية المتصرف ليرى امور اية عشيرة من العشائر التي هي داخل لوائه كلها او بعضها ويكون للمتصرف الحق في ان ينظر في جميع المنازعات التي تخضع العشيرة المذكورة. وقد تفوض سلطة المتصرف هذه للقائقام او المدير الناحية. (٣٨)

للمتصرف الحق في ان ينظر في اية دعوة عشائرية . فاذا كانت الدعوة قد عرضت على المحاكم المدنية او الجزائية ولم تصدر المحكمة فيها حكماً للمتصرف اذا شاء ان يتصرف الدعوة من المحكمة وينظر فيها بنفسه حسب احكام هذا القانون . (٣٩) وليس للمحاكم المدنية او الجزائية ان تسمع الدعوى التي كان المتصرف قد اعطى بها قراراً (٤٠) . واذا رأى المتصرف ان ينظر في اية دعوى عشائرية فانه يعين مجلساً التحكيم مؤلفاً من رؤساء العشائر وذوي الخبرة فيها . ويقوم هذا المجلس بدراسة القضية وسماع افادات الطرفين المتنازعين ثم يصدر قراره . ويراهي المتصرف التتار ويصدر حكماً على المدعى عليه باداء التعويضات التي قدرت في القرار فيها اذا كانت الدعوى مدنية او يحكم بثبوت الجرم المسند الى المتهم او العتمين كلهم او بعضهم في قرار المجلس اذا كانت الدعوى جزائية (٤١) وللمتصرف عند ورود قرار المجلس، اما ان يعيد الدعوى الى المجلس ليصدر فيها قراراً اخر، او يحيل الدعوى الى مجلس اخر او يرد الدعوى ان كانت مدنية او يبرئ المتهم او العتمين كلهم او بعضهم ان كانت الدعوى جزائية ، او يقرر عدم لزوم السير على مقتضى هذا القانون . (٤٢) وقد جيز هذا القانون معاقبة افراد العشيرة جميعاً لجرائم ومخالفات يرتكبها فرد منهم او جملة افراد . فيجوز للمتصرف متى حكم على احد افراد العشائر بمقتضى هذا القانون بدفع غرامة او تعويض بناءً على توصية المجلس الذي نظر في الدعوى ان يامر بان تحمل الغرامة او التعويضان لاقرباء المحكوم او لاقارب عشيرته الذين يعيشون في ذلك الامر من المال المنقول او غير المنقول (٤٣) وللمتصرف ان يخبر اهالي احدى القرى او نازلي احد المخيمات اذا حصل له ما يدعو الى الاعتقاد بان اهالي تلك القرية او نازلي ذلك المخيم قد تواطأوا كلهم او بعضهم على ارتكاب جريمة ما او حرضوا عليها بموجه من الوجوه ، او تنافدوا عن تقديم ما يستطيعون من المساعدة لاستقصاء خبر المجرمين او القبيح عليهم . (٤٤) ان القرارات والاحكام والاوامر الصادرة بموجب هذا القانون لا تقبل الاستئناف . ولا يجوز الاعتراض عليها في المحاكم المدنية او الجزائية (٤٥)

-
- (٣٤) غزوى ج ١ ص ٤٢٦ (٣٥) قانون تعديل نظام دعاوى العشائر (بغداد ١٩٢٤) ، المادة الاولى ، الفقرة الاولى . (٣٦) المصدر السابق - المدة الثانية الفقرة (٢) (٣٧) المصدر السابق المادة السابعة . (٣٨) المصدر السابق المادة الثالثة الفقرة الثالثة . (٣٩) المصدر السابق المادة الثامنة الفقرة الثانية . (٤٠) المصدر السابق المادة الحادية عشرة .

على ان هذا القانون قد خول وزير الداخلية سلطة استثنائية . فللوزير الحق في ان يجلب اية معاملة جرت بمقتضى هذا القانون وله ان ينقض القرار او الحكم او الاوامر الصادرة فيها ويجوز ذلك ايضا لمن عينه وزير الداخلية لهذا الشأن خاصة (٤٦) .

ان هذا القانون يؤلف خطرا اساسيا على وحدة الامة العراقية ، ويحول دون تحقيق العدالة الشاملة بين افراد الشعب جميعا . ويؤيد من خطره ان القسم الغالب من السكان من ابنا العشائر وحتى في المدن العريقة في التحضر نجد القسم الاكبر يرجع بنسبه — ويعتز به — الى القبائل العربية المعروفة * (٤٧) . وان المجتمع العشائري في طور انتقال ولهذا تكثر فيه الخلافات والمنازعات المدنية والجزائية وخاصة الخلافات التي تدور حول ملكية الاراضي وحقوق التصرف في المراعي والمياه . هذا القانون خطر على وحدة الامة لانه يقسم الشعب الى قسمين يخضع كل منهما لاحكام قانون خاص ، يختلف عن الاخر في اسمه واحكامه اختلافا كبيرا . وهو يعيق تحضر الشعب لانه يمنح ابنا العشائر امتيازات خاصة لا يتمتع بها ابنا المدن ، ولانه يحافظ على العادات والعرف القبلي التي لا تلائم المجتمعات المتحضرة ، والتي يسعى المصلحون لازالتها وغرس روح المواطنة الصحيحة والعادات الاجتماعية المهذبة مكانها . ولعل الى هذا قصد الحكام الانكليز حين سنوا هذا النظام . فقد كان من همهم ان تبقى كلمة الامة متفرقة وان يبتعد سكان المدن عن ابنا العشائر ، وان يسود التقاحن بين الرؤسا والسيخ ، وان يبقى الشعب متاخرا جاهلا عاكفا على تقاليد الهدية وعرفه الهجي ، ليسهل عليهم السيطرة على البلاد واستغلالها كما يشاؤون . (٤٨) وهو يحول دون استتباب الامن في البلاد وتطبيق العدالة على المواطنين جميعا لانه يقوى نفوذ رؤسا القبائل ومشايخها ، الذين تتكون منهم مجالس التحكيم في الغالب . وهو لا يرافون دائما مصالحهم الشخصية ومصالح اصداقائهم من السيخ والمتنفذين . ويكون المستضعفون والفقراء ومن لا تمسدهم الحكومة هم الاخسرين دائما .

(٤١) المصدر السابق المادة الثامنة الفقرة التاسعة .

(٤٢) المصدر السابق المادة الثامنة الفقرات (١٠) ١ — ب — ج — د

(٤٣) المصدر السابق المادة الخامسة عشرة .

(٤٤) المصدر السابق المادة الثامنة والعشرون

(٤٥) المصدر المطبق المادتان الخمسون والتاسعة والخمسون

(٤٦) المصدر السابق المادة الواحدة والخمسون .

(٤٨) راجع تزاوي المصنفات ص ٤٣٢ وانظر (١) اقطاع ص ١٣٩

(٤٩) الظاهر ص ١٣٢

(مطابق)

ولما كان المتصرف هو الذي يصدر الاحكام النهائية، سهل على المتنفذين من الشيوخ والرؤساء توجيه هذه الاحكام لمصلحتهم الخاصة بحكم اتصالهم برجال الادارة وبحكم الرشوة التي يتفنون في اصطفاها، وبحكم نفوذهم القوي في اوساط الحاكمين في بغداد . التقيت قبل ثلاثة اعوام في ناحية المنصورة في لوا "ديالي" بمدير الناحية . وهو شاب مثقف يحمل شهادة المعلمين العليل وشهادة الصحابة ويحمل روحا وطنية اصلاحية عالية . اخذ هذا المدير الشاب يبت لي همومه ويشكو من نفوذ الشيخ المتنفذ في الناحية، وهو شيخ مقامر متلاف قوى النفوذ وعضو في مجلس النواب وصديق للسلطات الانكليزية . قال: يريدني الشيخ على ان اخضع لمشيئته، واكفى نهبة للناس اى ان اعمل وكأني موظف عنده . وانا ان فعلت ما يشاء خنت واجبى، ودست على ضميرى، وسحقت حقوق المستضعفين . وان لم افعل اقام على قيامة رؤسائي . وقد انتقل المدير من ادارة هذه الناحية الى ناحية اخرى . ولا ارى حظه في مقره الجديد سيكون احسن من حظه في منضبه الذي هرب منه . ففي كل ناحية وفي كل لوا، وفي كل قضاء، شيخ رؤسا واقطاعيون متنفذون، يريدون ان تسيروا الحكومة حسب اهوائهم وتحمي امتيازاتهم ونهبهم لحقوق الناس الضعاف .

ان كثيرا من الاحكام التي يصدرها المتصرفون، والتي قد لا تستند الى ادلة، تخالف الشرع الاسلامي والقوانين العصرية المتبعة في العراق بروح العدالة . بلخني ان احد المتصرفين، وبجلا منه، حكم وفقا للعرف العشائري بتفريق وقعة تروة الشيخ المتوفى على اخوانه واعمامه، وجعل الحصة القليلة لاولاده، وحرم النساء بل زاد على ذلك، فحكم بقسمة اولاد المتوفى القاصرين من ذكور واناث واعطى لكل من اخوة المتوفى ولدا او بنتا وكانيم جزءا من التركة . حمله على هذا الجمل المركب وكون بعض الورثة الشرعيين هم في سن الطفولة، وهم قاصرون فجعلهم جزءا من الميراث فقسهم (٤٩) كانت عشيرة البومتيوت تسكن منذ ازمان بعيدة اراضي زراعية قرب تلعفر في الموصل . وافراد هذه العشيرة فلاحون نشيدلون مسالمون . وقد حصل شيخ شمر هجمل الياور على حق الطابور في هذه الارض وكان ياخذ حصة الطابور من فلاحيهما . ولما توفي الشيخ هجمل اراد ورثه اجلا البومتيوت عن اراضيهم . فلم يرضوا . واستمر الخصام بين الطرفين والحكومة عاجزة عن حله، اولم تشاء ان تحله، حتى تلور الى حرب طاحنة في صيف ١٩٤٦ . مشت جموع شمر تريد طرد المزارعين، وصعد الفلاحون يريدون البقاء حيث ولدوا ووجدوا قبل ان يخلق الطابور، وقبل ان تاتي قبائل شمر الى هذه الديار . وقد بلغ عدد القتلى من الطرفين حوالي ٦٠٠ بينهم بضعة عشر قتيلا من قوات الشرطة (٥٠) ثم عقد مجلس التحكيم فصدر قرارا من جملة احكامه اجلا عشيرة البومتيوت عن اراضيهم وتسليمها لعشيرة شمر، صديقة الحكومة والانكليز .

يقول الاستاذ عباس القزاي، وهو من نشاهير المحامين في العراق، «هذا النظام غريب في وضعه جديد في موضوعه وشكله، لا يتألف وحالة الأمة التي تتطلب النظام وحسن الإدارة والسيرة الفاضلة في الحياة احيا في اصل وضعه سنة جاهلية، وإدارة خاصة وتعاملا محليا . فهو عودة الى ما قبل حمورابي في العراق، وقبل ظهور الاسلام في جزيرة العرب» (٥١)

(٤٩) المصدر السابق ص ١٤٠

(٥٠) الظاهر، صور من العراق، ص ١٥٢ - ١٥٣

(٥١) عزاي ج ١ ص ٤٤٨

(٢) سكان المدن

اول ما يستوقف النظر في المدن العراقية سوء تنسيقها ، وانعدام التنسيق فيها اذا اردنا التدقيق . فشوارعها ضيقة ، معوجة ، قدرة ، غير مبلطة في الغالب ، تمتلي في الشتاء اوحالا تغوص فيها الاقدام ، وتمتلي في الصيف غبارا يقذى العيون . وبيوتها ، ذات الطابق الواحد في الغالب ، عتيقة ، قبيحة المظهر ، غير صحية . وقد تلقى في المدن الكبرى ، في بغداد والموصل والبصرة بخاصة ، بيوتا عصرية الهندسة ، جميلة التنسيق ، تحيط بها الاشجار وحدائق الازهار والرياحين وقد تلقى فيها عمارات شاهقة ضخمة ، وشوارع متسعة ، مستقيمة ، جيدة التبليط ، تنتشر على حفافها اشجار اليوكالبتوس والنخيل . ولكن هذه المباني الجميلة الضخمة ، وهذه الشوارع المشجرة الوسيعة لا تحتل الاجزاء صغيرا من مساحات المدن ، ويظهر وجودها قبيح سائر اقسام المدن العراقية وهتقها بجلاء مؤلم . وما يكاد المرء يبتعد عن ضواحي بغداد الجميلة حتى تتغير امام ناظره المشاهد ويجتاز مدنا هي اشبه ما تكون بالقرى الكبيرة ، وحتى يحس بانه قد انتقل الى قطر آخر غريب ، بدائي ، موحش .

يسكن هذه المدن خمس سكان البلاد ، او يزيدون قليلا . والمجتمع العراقي في المدينة يجتاز طورا انتقال . فلم يتخذ الوضع الطبقي بعد شكلا مستقرا ، واضح المعالم . وارتفاع المرء من طبقة اجتماعية الى اخرى سهل اذا ما اتيج له ان يثرى ، او يصاهر المثرين ، او يرفعه "مبوه" و "اخلاصه" الى مصاف كبار الموظفين . دخلت الصناعة الالية الى البلاد منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، ونشأت في المدن الكبرى طبقة من الصناعيين والرؤساء مالين . جاءت هذه الطبقة من الحرفيين الاغنياء ، والتجار الكبار ، وبعض الملاكين العقاريين والاقطاعيين الذين انتبهوا الى ما قدره الصناعة الالية الحديثة من ربح وفير . والى جانب هذه الفئة من الصناعيين يعيش في المدن جماعات من الاقطاعيين والملاكين العقاريين ، يقيمون فيها اقامة دائمة ، او يقضون فيها بعض اشهر السنة . كما يسكن فيها جماعات من التجار الكبار ، وهؤلاء ليسوا في الحقيقة الا وكلاء وعملاء للشركات الاجنبية ، والشركات الانكليزية بخاصة . هذه الطبقة من الصناعيين الكبار ، والتجار المثرين ، والاقطاعيين والملاكين العقاريين تكون الارستقراطية العراقية ، وتعيش في المدن عيشة منعمة راضية ، وتسكن هذه البيوت الحديثة ، والقصور الفخمة ، التي تزين المدن ، وتنعم بكل ما توفره الحضارة المادية الحديثة للمثرين من متع وملذات . ولم تكف هذه الطبقة بما احرزت من مال ونالت من جاه ونفوذ ، بل ان ابناؤها يحتلون المناصب الرفيعة في الدولة .

تاتي بعد هذه الطبقة في السلم الاجتماعي طبقة الحرفيين والصناعيين والتجار الصغار . ويكون افراد هذه الطبقة جزءا مهما من سكان المدن .

وقد كانوا يحيون حياة رخية بالنسبة لباقي السكان ، قبل الحرب العالمية الاولى ، ولكن تدفق المنتوجات الاجنبية وتأسيس العمال الالية الحديثة ، وازدياد سيطرة الرأسماليين والتجار الكبار على الحياة الاقتصادية ، اخذت يتقدم مكانتهم الاقتصادية . فقد تحول قسم من الحرفيين الى عمال مأجورين وبقي الآخرون يكافحون للحفاظ على حرفهم وتجارهم وصنائعهم ، ولكن تمسكهم بأعمالهم يتحقق على حساب انخفاض مستوى معيشتهم ، وتدني أحوالهم المالية . على أن قسما قليلا من أبناء هذه الطبقة قد أثروا في الحرب العالمية الثانية ، ولكن حال الأكثرية منهم ساءت الى حد كبير .

أما أكثرية سكان المدن فتتكون من العمال وصغار الباعة والبقالين ، ومن مختلف اصناف المتكسبين بأعمالهم والذين تعبر عنهم كلمة الكادحين اصدق تعبير . والعمال الفنيون اقلية ضئيلة وهم يشتغلون في السكك الحديدية ، والميناء ، والمعامل الكبيرة ، كما يشتغل كثير منهم في المؤسسات الحرفية الصغيرة . وقد أسست مختلف اصناف العمال نقابات عمالية . وقامت هذه النقابات بجهودات محسوسة للدفاع عن حقوق العمال ، ورفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، إلا أنها لم تستطع الاستمرار في نشاطها . فقد قاومتها الحكومة وأغلقت كثيرا منها ، وسجنت قادتها كما قاومتها اصحاب المعامل والمشاريع الصناعية ولم يتعاونوا معها .

ومعيشة هؤلاء العمال الكادحين مضطربة غير مضمونة ، وأحوالهم شاقة مضنية ، ومكاسهم ضئيلة لا تكاد تكفي لسد نفقاتهم الضرورية . وأكثريتهم يعيشون في حالة اجتماعية متاخرة ، وجهل وكرمان من نعم الحياة العصرية . وهم معرضون للبطالة الكلية او البطالة الفصلية في أكثر الأحيان ، وعلى الأخص منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وما تجلب عليهم البطالة من جوع ، وبؤس ، وقلق . وفي السنوات الأخيرة نشطت الهجرة من الريف الى المدن ، وخاصة من المناطق الجنوبية الى بغداد والبصرة والمدن الجنوبية الأخرى . هجر هؤلاء الفلاحون الريف لسوء أحوالهم الاقتصادية ، وتحسف الاقطاعيين ، وظلمهم ، ولما في المدن من مجالات للعمل . وأكثرية هؤلاء المهاجرين الريفيين يسكنون في ضواحي المدن ، في صرائف . ويشتغل بعضهم عمالا مأجورين ، أو يربون البقر والجاموس ويبيعون منتوجاتها . وقد دخل قسم منهم في الجيش والشرطة مطوبحين . وهم في أحوالهم الاجتماعية ، وسكنائهم ، وتغذيتهم ، لا يختلفون عن سكان الصرائف الريفيين . وقد أدى وجودهم في المدن الى مزاحمتهم للعمال والكادحين ، وادت هذه المزاحمة الى انخفاض أجور العمال ، وبطالة الكثيرين منهم .

ويؤلف الموظفون فئة كبيرة من سكان المدن . أما الموظفون الصغار فأحوالهم الاقتصادية سيئة ، وهم يعانون كثيرا من ارتفاع الاسعار ، وخاصة منذ نشوب الحرب العالمية الثانية .

وأما الموظفون الكبار فينعمون بمستوى عيش مرتفع . وقد اشترى بعضهم ، فامتلكوا الاراضي الزراعية الواسعة ، وساهموا في المناعم القائمة ، وابتنوا القصور الفخمة . واصبح هم الموظف الجديد ان يملك سبيل من تقدمه في تجميع الثروة ، والحياسة على بيت مريح ، وهذا هو احد العوامل المشجعة على الرشوة ، المنتشرة بين الموظفين انتشارا واسعا .
وكاد ينحصر وجود المثقفين في المدن . وهؤلاء ينتمون ، في الغالب الى طبقة الارستقراطية والطبقات الوسطى ، اذ ليس بإمكان الفلاحين والعمال او الكادحين ان ينفقوا على تعليم ابنائهم .

الفصل الخامس المرأة العراقية

المرأة الريفية

ان حياة المرأة الريفية اتسمت من حياة المرأة الحضرية ، وان كانت تتمتع بحظ من حرية لا تعرفه اختها التي تعيش في المدينة . وهي تتحمل من المشقات ما قد يفوق ما يتحملة الرجل . فهي تعاون رجال الاسرة في بذر الحبوب ، وحصد السنابل ، ودياستها ، ونقلها الى البيت . وتظهر الارض من الاشواك والنباتات الطفيلية . وهي تنهش مبكرة لتحلب البقرة والافنام ، ان كان ثمة بقرة واغنام ، وتعلمها ، وتنظف الزريبة . ثم تغادر كوخها لتجلب ما تحتاجه الاسرة من حطب وشوك ، وكثيرا ما تصحب طفلها معها ، ان كانت مرضعا ، فليس في البيت من يعنى بالطفل لان نساء الاسرة جميعا ينطلقن الى اعمالهن مبكرات . فاذا عادت الى كوخها ، تحمل طفلها على كتفها ، وعلى راسها حزمة من الحطب ثقيلة ، شرقت في اعداد الخبز والطعام للاسرة . ولا تاوي الى فراشها الرث الا بعد ان تقوم بجرح الحبوب ونهيشها لطعام الغد . وقد يشتغل بعض النسوة في المجازن العمومية ليلا ، لقاء اجرة زهيدة بقدمنها لرب الاسرة . واذا اصغيت الى اولئك الشقيات يغنين ، وقد انطوينا على المجازيش تدور بها ايديهن المتعبة ، ورووسهن تهم من النعاس ، سمعت اغاني كئيبة تذيب القلب حزنا ، تصور حياة العبودية التي يحيينها . وقد تسمع احيانا اغاني نائرة ، تريد تحطيم القيد ، ولا تعرف طريق الخلاص . وقد تذهب الفلاحة الى سوق المدينة او القرية المجاورة لتبيع ما جمعتها من حطب او حشيش او ييش او ما اعدته من لبن ، فتشتري بثمن ما باعته بعرض حاجاتها ، وتصرف الباقي على حاجات زوجها . وعلى المرأة الريفية ، الى كل هذه الاعمال المرهقة ، ان تقوم بجلب القصب والبردي لاصلاح المنزل قبل حلول فصل الشتاء ، وفي الاقسام الوسطى والجنوبية من البلاد تعاون زوجها في انشاء الصرائف ، هذه الاكواخ السريعة العطب ، المتنقلة على الدوام (١) . وبالرغم من كل ما تقوم به الريفية من الاعمال وما تتحملة من اعباء ومشقات فانها لا تحظى بتقدير زوجها واحترامه . فهي ليست بنظر زوجها انسانا تشاركه حياته ، وتقاسمه اتعابه ولكنها مخلوقة منخطة ، وظيفتها انجاب الاولاد ، واعداد الطعام ، والعمل في الحقل ، والافتناء بالمواشي ، والخضوع لسلطته المطلقة .

(١) تجد وصفا مفصلا لحياة المرأة الريفية اليومية في كتاب احمد فهمي ، ص ٢٢ ، وفي القرية العراقية لجعفر خياط ص ٤٣ وفي عامان في الفرات الاوسط لعبد الجبار فهمي ص ١١٨

وكثيرا ما يغضب الزوج على زوجته لانه الامور ، فيسبها ويهينها ، ويضربها ضربا قاسيا موجعا قد يترك جسما جراحا ، او يطردها من كوخه ، او يطلقها ويبحث بها الى دار ايها لتعاني فيها حياة متعبة ، منخفضة . وهل اذل للمرأة الرفيعة ، وادل على حياة اليهودية التي تحياها ، من تسليم اهلها او اقاربها اياها لتكون جزءا من الفصل (٢) او (٢) "لأدبة" فقد ذهب الى اناس اغراب معادين لاهلها ، وتتزوج بمن لا تعرفه ، ومن لا تحبه ، وقد يكون شيخا عجوزا ، او قبيحا ، او مريضا ، او شرسا مشاكسا ، وهي تحتل كل هذا الظلم صابرة مستسلمة لا ترفع صوتها بشكوى ، ولا تحتج على ما ينزل بها من ظلم ، لانها الفت هذه الحياة ، واعتادت ان ترى اختها وامها وجاراتها مستسلمات الى هذا الشقاء القيم ، فانهات بنصيبهن من الحياة .

المرأة عند الرجل الرفي آلة لانتاج الاولاد ، والقيام بادارة البيت ، وسيلة للمتعة الجنسية . ولهذا يستكثر من النساء ما اتاحت له حالته المادية الاستكثار منهن . فقد اباح الشرع للمسلم الزواج بأربعة نساء . ولكن الشيعة حللوا الزواج بأكثر من اربعة . فان زاد عدد نساء النسيحي على الاربعة يكون ما زاد على هذا العدد من نساء خاضعا لقواعد العقد القصير ، ولو لمدة خمسين سنة ، ويسمى هذا العقد القصير "المتعة" (٢) يقول السيد احمد فهمي : "يسكن هذه المنطقة -- يعني الشامية -- اقوام فيهم من له من الازواج عشرون او خمس وعشرون ، مع ٢٠ و ٥٠ ولدا ، وشيوخ يتزوجون اباكارا وقد ناهزوا الستين والسبعين ، واناس جاوزوا الثمانين والتسعين" (٣) على ان الاستكثار من النساء الى هذا الحد المفرط لا يمارسه الا الرؤساء والسيوخ والسادة ، حبا بالمتعة والاستزادة من الاولاد ، والاستفادة من خدمات المرأة في المنزل ، لما يتطلبه ذلك من نفقات باهظة ينوء بها دخل الفلاح الفقير .

المرأة الرفيعة سافرة لا تعرف الحجاب ، وتكتفي بان ترتدي عباءة من الصوف ، وتستتر شعرها ورقبتها بقناع اسود ضاف يسمى "القوطه" . وهي تسيّر حانية القدمين في اغلب الاحيان . وهي تختلط بالرجل بحكم عملها في الحقل ، وذهابها الى السوق لبيع منتوجات الحقل وشرا لوازم البيت ، ولكن سفورها هذا ، وتمتعها بهذه الحرية التي تبيح لها مواجهة الرجال ومكالمتهم ، لا تنفعها الا قليلا . فهي معزولة عن مجالس الرجال ، بعيدة من مجتمعاتهم ، محدودة الحرية في الحقيقة . وهي خاضعة لارادة اهلها خضوعا تاما ، فليس بإمكانها ان تتزوج بمن تحبه وتختاره ، وانما عليها ان تتزوج بمن يريد لها ابوها او اخوها على ان تتزوج منه .

(٢) فارس ص ١٢١

(٣) ص ١٧

البتت هي خطيبة ابن عمها شامت ذلك ام لم تشأ . وليس لاحد ان يخطبها الا اذا سمح بذلك ابن عمها . وليس للفتاة ان تتزوج من غير عشيرتها الا اذا تنازل ابناء العشيرة عن حقهم في التزوج بها . ولنا اقدم شخص فرب على تزوج فتاة ، فلا بن عمها ان يمنعه من التزوج بها ، وينذره بالمقوّة التي سينزلها به ان اصر على طلبه . وقد اصطلحت العشائر على تسمية هذا المنع بـ "النهوة" .
 ٣ ان خطبت البتت لاي شخص كان فلا بن عمها الحق في النهوة حتى وان اريد زواجها من ابناء عشيرتها . وان اريد زواجها من غير عشيرتها فلكل من افراد العشيرة الحق في النهوة . واذا كان لاحد بنات اعمام عدة فله الحق عليهن جميعا ، وله ان يتزوج بهن كافة على ان لا يجمع بين الاخوين الا ما قد سبق . وله حق النهوة على بنات العم ولو كان متزوجا . كما للعم حق النهوة على ابنة اخيه ليحفظها لولده حتى ولو لم يكن له اولاد ، فانه يدهي انه سيحتفظ بابنة اخيه فلربما رزق ولدا . (٤) وقد تحل مشكلة النهوة بمقدار من المال يقدمه الخاطب لاقارب الفتاة . اما اذا لم يرض اقارب الفتاة بهذا الحل ، واصر الخاطب على الزواج بها ، فقتله امر مؤكد . وعند ذلك يدفع القاتل فصل القتل ومطالب بفصل النهوة . وهي اما ان تقدم له امرأة واما ان يخصم مبلغ محدود من فصل القتل . (٥)

اما زواج "الصادق" فهو شرما تتعرض له الفتاة الريفية . لا بد للخاطب ان يقدم مبرا لخطيبته حتى وان كانت ابنة عمه . وكثيرا ما يشق تقديم المهر على اكثر الفلاحين لفقرهم العظيم . ولهذا يعتمد الفلاح الى زواج "الصادق" ، وهو انبى ما يكون بالبيع بطريقة المقايضة . فمن لم يستطع اعداد المهر لزواجه ، وكانت عنده بنت او اخت ، فانه يتفق مع شخص آخر عنده بنت من ارحامه ، وينزع كل منهما قريبته من الاخر . ويدفع كل منهما مبلغا ضئيلا من المال للفتاة بصفة مهر ، محافظة على شكلية العقد الشرعي . ان شر هذا النوع من الزواج لا يقتصر على كون الفتاة كثيرا ما ترغم على الزواج بمن لا تحبه ولا تطيق العيش معه ، بل ان حياتها الزوجية غالبا ما تكون منغصة ، خاضعة لموثرات لا تستطيع التغلب عليها . فان لم يتفق احد الطرفين مع زوجته فله ان يطلقها وياخذ قريبته التي "صادق" بها ويرغم زوجها على ان يطلقها ايضا حتى وان كانت ملتزمة معه ، ولها نرية منه ، وراضية ببقائها عند زوجها . وقد يضطر من طلقت قريبته ان يزوج المطلق بزوجة اخرى ان كان راضيا هو بزوجته . وان لم يقتنع المطلق بذلك فله الحق في ان يصر على طلاق قريبته واخذها وان صادف ان غضبت احدى المرأتين المصادق بهما مع زوجها ورجعت الى اهلها فللاخرى ان ترجع الى اهلها ايضا ولا تعود الا بعد عودة الاولى . (٦)

(٤) فارس ص ١٢٥ - ١٢٦

(٥) المصدر السابق ص ١٢٦ راجع بحث "النهوة" كذلك في كتاب احمد فهمي ص ٣٣ وحاشا العراق لعباس النراوى ج ١ ص ٤١٤

(٦) فارس ص ١٢٢

وقد تتعد بعض الفتيات ، فيرفضن الزواج ، بمن ترفضهن اسرهن على الزواج بهن ، وقد تهرب فتاة مع من تحب . وتسمى جريمة الشخص الذي يهرب مع بنت رغم ارادة اسرتها "مهبه" . على ان اقرباء الفتاة ، وابناء عشيرتها عامة ، لا يسكتون من هذا العمل الذي يلحق العار بالعشيرة كلها ويظلمون يبحثون عن محل الفتاة ، فان وجدوها ، قتلوها ، وفي غالب الاحيان يقتلون الشخص الذي هربت معه كذلك . (٧) "وقد صادفت عدة حوادث مؤثرة من هذا القبيل وآخرها عام ١٩٣٤ ، يوم كنت في الدفارة وملخصها : حاول احد الفتيان الزواج من فتاة . فحير ان اهل البنت لم يوافقوا على ذلك . وبعد ايام فقدوا البنت . وبعد التحقق ظهر ان الفتى هو الذي فر بها والتجأ "داخلا" على احد الزعماء تاجاره هذا دون ان يعلم جرمه . فتجمع اهلها وسار ما يقرب من الاربعين رجلا منهم مدججين بالسلاح ليلا الى مكان البنت وعينوا المنزل الذي تسكنه الفتاة . فدخل اثنان منهم وظل الباقون خارج البيت ليقابلوها من يحاول ممانعتهم . وصادف ان الفتى كان قائما ، فقتلوا البنت وهادوا الى قريتهم ومعهم كلها التي اقتطعوها ، فعلقوها على المضيف برهاننا لغسلهم العار الذي لحقهم من جرائ فعلتها ، وراحوا بعد ذلك يطالبون المغري بالفصل والحشم . (٨)

وتتحمل المرأة الريفية ، الى جانب ما تعانيه من وضعها الاجتماعي هذا الممين ، من اعباء الحياة الريفية وشروطها مثل يتحملها الرجل . فهي مثله تعاني الفقر والحرمان ، وهي مثله عرضة لمذمة الامراض الوييلة التي تفتك بالفلاحين البائسين فتكا والتي لا يجدون للتغلب عليها سبيلا . وهي مثله جاهلة خاملة العقل والروح ، لا تمتد افاقها العقلية الى ابعد من بيتها وقريتها ، ولا تعرف من شؤون الحياة الا ما تعلمته من امها وجاراتها الجاهلات ، من عقائد باطلة ، وخرافات عبثية وايمان بالاولياء والسحرة والمنجمين .

الام ، كما يقول علماء التربية والاجتماع ، هي اول مدرسة يتلقى فيها الطفل معارفه عن الحياة ويتشكل فيها ذوقه وعاداته واخلاقه . فاذا كانت المرأة الريفية على ما وصفت من جهل ، وتأخر ، وخضوع لهذه العبودية التي تفرضها عليها الاسرة والعشيرة فرضا ، لا جرم ان ينشأ الشبان والشابات في الريف العراقي على غرارها ، جهلا ، حاكمين على الخرافات والاباطيل ، عبيدا للتقاليد القبلية البالية ، خاضعين لظلم الاباء واستبداد الرؤساء والشيخ . وان شعبا يريد الحياة الحرة السعيدة ويسعى للمشاركة في الحضارة البشرية لا يمكن ان ينهض ويتقدم وهذه حال الاكثية الساحقة من ابناؤه وبناته .

المرأة الحضرية اما حياة المرأة الحضرية فلا تختلف عن حياة اختها الريفية الا قليلا . فمسا الكادحين والطبقات الوسطي يعيشن حياة بائسة مظية . يكدحن طول النهار وشظرا من الليل في اعمال البيت .

(٧) يقول السيد عبد الجبار فارسي ص ١٢٤ ان كان للمرأة المنهوية زوج من غير عشيرتها فللزوج (يبتع على الصفحة التالية)

ولا يغادرن الدار الا لزيارة الجارات حيث ينفقن الوقت في ثروة عقيمة ، او للعمل خارج الدار ، حيث يشتغل قسم من نساء الطبقات الفقيرة في المعامل ، والخدمة في البيوت ، وبيع ما ينتجته في الدار من الحليب والجبن وبعض المنسوجات اليدوية البسيطة . والمرأة في المدينة ، كالريفية ايضا ، خاضعة لزوجها ، لا تخالف عن امره ، ولا تتدخل في اعماله . وهي جاهلة لا تمتد آفاقها العقلية الى ابعد من دارها وحيها ، قد امتلأ فكرها بالخرافات والاساطير ، وحملت نفسها بكرامات الشيخ والالياء ، وخوارق السحرة والمعجزين والمنجمين . عندما انشأت الحكومة مدارس للبنات لم يقبل عليها غير فتيات الطبقات العليا والموظفين اما الطبقات الوسطى والكادحون فقد ابتعدوا عنها ، ولم يرضوا بتعليم بناتهم ، اذ كان تعليم البنات ، في رأيهم ، مخالفا لطبيعة المرأة ، مفسدا لاخلاقها ، منافيا لوظيفتها التي تقع على انجاب الاولاد ، والعمل في المطبخ . على ان هذا الرأي الخاطي لم يستطع ان يقاوم تيار التطور الذي طرأ على حياة المجتمع عامة . فقد اقبل الموظفون والمثقفون من سكان المدن على ارسال بناتهم الى المدارس ، وعندما رأى كثير من ابنا الطبقات الوسطى ان بإمكان الفتاة المتعلمة ان تتوظف عند الحكومة ، وتربح راتبا جيدا ، ادركوا قيمة تعليم الفتاة الاقتصادية ، فتنازلوا عن ارائهم القديمة الباطلة ، واقبلوا على ارسال بناتهم للمدارس . وعندما ازداد عدد المثقفين في المدن ارتفع "سعر" الفتاة المتعلمة في سوق الزواج" ، وهذا ما شجع اقبال الفتيات على المدارس تشجيعا عظيما .

دخل قسم من الفتيات في الكليات العراقية المختلفة كالمعلمين العالية ، ومعهد الملكة عالية ، والطب ، والصيدلية ، والحقوق ، ومدرسة الممرضات ، واختلطن بالشبان ، وهذه الحركة مستمرة ، تبشر بمستقبل مشجع . اظهرت الفتاة المتعلمة انها جديرة بكل احترام وتقدير . فقد اثبتت ، عمليا وبوضوح تام ، انها لا تقل عن الشبان ذكرا ، ومهارة ،

حق المطالبة بالصداق الذي دفعه لاهلها ، ولاهلها وذويها حق المطالبة بالفصل والحشم من الناهب . واكثر العشائر لا يرضون ان يقبلوا الفصل فيقتلون الناهب ويدفعون فسخه لاهله يأخذون من اهله فصل النوبة .

(٨) المصدر نفسه ص ١٢٢ - ١٢٤

واستقامة في العمل ، سواء كان ذلك في المدرسة ، ام في حقل الخدمات الاجتماعية والانسانية . تشترك الفتاة المتعلمة في كثير من الجمعيات الخيرية والنسائية كالهلال الاحمر ، وحماية الاطفال ، ونادى الاتحاد النسائي . وقد اصدرن مجلات عديدة كمجلة "محرير المرأة" ومجلة "الاتحاد النسائي" ، تعبر عن رأى المثقات في مشاكل المرأة العراقية الخاصة ومشاكل البلاد عموما . وكانت مجلة تحرير المرأة التي صدرت عام ١٩٤٦ نموذجا جيدا لادب الفتاة العراقية المثقفة ، واطلاعها الواسع وروحها الوطني العميق . الا انها لم تعمر طويلا ، فقد لفلقتها الحكومة .

اما مجلة الاتحاد النسائي فلا تزال تصدر ، ويكتب فيها نخبة من الكاتبات والشاعرات العراقيات . واشترك جماعة من المثقات في السياسة وقمن باعمال مجيدة اثناء الانتفاضة الوطنية التي قام بها الشعب احتجاجا على معاهدة بورتسموث . وتضم السجون الان نخبة من الفتيات المناضلات في سبيل تحرير الوطن واصلاح المجتمع . الا ان الفتيات المثقات ، والمثقات ثقافة عميقة جيدة منهن خاصة ، اقلية ضئيلة بالنسبة لمجموع النساء في المدن .

واحدى المشاكل العديدة التي تعانيها المرأة الحضرية هي مشكلة الحجاب . ذكرت في بداية هذا الفصل ان المرأة الريفية سافرة . وهناك جماعات من النساء في المدن سافرات كجميع المسيحيات واليهوديات ، ومعظم نساء الطبقة العاملة والكدحين وخاصة نساء المهاجرين حديثا من الريف والذين يسكنون مادة ضواحي المدن وفي الاحياء الفقيرة منها . وفي السنوات الاخيرة اسفر قسم من الفتيات المتعلقات ونساء الطبقات العليا في المجتمع ، وحركة السفر هذه مستمرة في بغداد ، وان كانت ضعيفة الاثرا ومعدومة في المدن الاخرى . ويبقى ، بعد كل من ذكرنا من النساء السافرات في المدن ، قسم كبير من النساء المسلمات في المدن محجبات . واضح ان للحجاب نتائج سيئة ، انه هو قد ادى بالرجل والمرأة ان يعيشا في عالمين منفصلين ، وجعل لكل منهما عاداته وعقليته الخاصة . لقد ادى انفصال المرأة عن الرجل الى تاخر عقليتها ، وانخفاض مستواها الاجتماعي ، كما جعل الرجل يعيش حياته الخاصة ، وينفق اوقات فراغه خارج البيت ، بعيدا عن أسرته ، في القاهي ، والملاهي ، والحانات التي يضيع فيها وقته ، وماله ، واحيانا صحته .

وقد زاد انفصال المرأة عن الرجل وعدم اختلاطهما مشكلة الزواج في المدن وخاصة بين المثقفين والمثقفات ، حدة وتعقيدا . فالفتاة في المدينة مثل اختها في الريف ، لا تملك زمام مصيرها ، ولا تستطيع ان تبدي رأيها في اخطار امر في حياتها الا وهو الزواج . ويتم الزواج عادة عن طريق الخاطبات من اقارب الفتى اللاتي يدرن القيوت بحثا عن العروس المطلوبة . فاذا وجدنها ، وتراضين مع اهلهما على المهر ، وسائر الشروط الاخرى تم العقد ، وزفت المحروسة الى المحروس دون ان يرى احدهما الاخر . وهذا برأيي احد اسباب تفلقل العائلة المسلمة في المدن ، واضطراب حياتها ، وكثرة ما يشجر فيها من مشاكل وخصومات . فالاسرة عادة ، ترفع فتاتها على الزواج برفع الخاطبين منصبا ، واكثرهم مالا ، واعلام جاها ، ومن باستطاعته ان يدفع اعظم مهر ممكن ، وان كان طاعن السن ، قبيح المنظر ، سي ، الاخلاق ، غير محمود السيرة . اما الفتاة المتعلمة التي تحرم بشخصيتها احساسا قويا ، وتدرك قيمة استقلالها ، وتنهم من الزواج معنى اعمق واوسع مما يفهمه المجتمع ، وخاصة اذا كانت مستقلة اقتصاديا عن اسرتها ، فتأبى ان تتزوج الا بمن تعرفه ، وتختبره ، وتشعر نحوه ببيل واطمئنان . واما الشاب المثقف فيفضل ان يظل اعزب على ان يتزوج بفتاة لم يرها . وهذا من اهم اسباب ضعف اقبال المتعلمين والمتعلقات على الزواج ، الى جانب ارتفاع المهر ، وغلاء المعيشة .

ان هذا الجو العائلي المضطرب في المدينة والريف ، والفقر الذي ينوء تحت وطأته الثقيلة معظم السكان ، وارتفاع مهر الزواج ، وارغام معظم الاسر فتياتها على الزواج بمن لا يرغبن فيهم ، وجهل كثير من الرجال وسوء معاملتهم لازواجهن ، من الاسباب المهمة لانتشار البغاء العلفي والسري انتشارا عظيما . والبغاء الذي يذل الساقطة التعيسة ، ويحطم كرامتها كائنسان ، ويجعلها تحيا حياة منغصة ، شقية ، محفوفة بالقلق والخاوف ، ويحملها الى قبرها شابة ، في اغلب الاحيان محطة الجسم والروح ، يهدد صحة الالاف من الشبان بما ينشره من امراض البيلة القتالة ، مهما اتخذت الحكومة من احتياطات صحية ، ويقوس اخلاقهم ، ويكون احد الاسباب التي تزيد ازمة الزواج تعقيدا . اليس من العرف حقا ان يعد المصابون بالسفلس والتعقبة وغيرها من الامراض الزهرية ، الحادة والعزمنة والوراثية ، بعشرات الالاف في المدن والقرى رجالا ونساء ؟ ان صيحات المصلحين لترتفع بين حين وآخر منادية بالقضاء على البغاء ، وتنشط الحكومة بين الفينة والفينة لمكافحة البغاء ، اطلاقا ، سرها وعلمها ، تحريما تاما .

(سري) وهي تنذر الآن باستصدار قانون يحرم البغاء

ولكن البغاة سيزداد شره تفاقماً مهنى نادى المصلحون ، ومهنى استصدرت الحكومة من قوانين ، ما دام الفقر مخيماً على المجتمع يحول بين الشبان وبين الزواج ، وما دام المرأة مستعبدة لاسرتها ، جاهلة ، لا تستطيع ان تعول نفسها ، ولا تجد المجال الى ذلك ان استطاعت ، وما دام في المجتمع اناس قد اقاموا حياتهم المترفة الرخية على الاتجار باجسام الساقطات الضائعات .

ان المجتمع العراقي ، هذا المجتمع الاقطاعي الذي تسيطر عليه الروح القبلية والعرف العشائري ، يحتقر المرأة ولا يقيم لها وزناً . والقوانين العراقية تؤكد هذا الاحتقار ، وتؤكد هذه القيود الظالمة التي تنوء تحت وطأتها . « تقول المادة ٢٤١ من قانون العقوبات البغدادي (كل زوج زنى غير مرة في منزل الزوجية ، وثبت عليه هذا الامر بدعوى زوجته ، يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين ، او بغرامة لا تتجاوز مائة ليرة) . اية كرامة ابقت هذه المادة للمرأة ؟ انها اباحت للرجل ان يزني في دار الزوجة مرة واحدة دون عقاب ولا جزاء . فاذا اراد ان يزني مرة اخرى فلا بأس ، ولكن في غير دار الزوجية ! وهناك امر آخر لا يقل فظاعة فهو ان المادة ٢١٦ من القانون المذكور قد نصت على ان دكل من فاجأ زوجته او احدى محارمه في فراش واحد مع عشيقها وقتلها في الحال يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنين . ان المشرع يحابي الرجل في هذه المادة فيخفف عنه العقاب من الاعدام الى الحبس ولكنه لا يعامل المرأة نفس المعاملة ، اذا كانت في نفس الموقف . وقد قيل في تحليل تخفيف العقاب عن الرجل القاتل في هذا الظرف ان القانون يفترض ان له كرامة ونخوة تستلزم التخفيف عنه ، كان ليس للمرأة كرامة ولا نخوة . » (٩)

والمرأة العراقية محرومة حرماناً تاماً من حقوقها السياسية . (١٠) فليس بإمكانها ان تنتخب ، اى ليس بإمكانها ان تبدى رأيا في مشاكل البلاد التي تتحمل من اعبائها مثلاً يتحمله الرجل . ومن الطبيعي ان تحرم المرأة من حقوقها السياسية في هذا المجتمع الذي لا يسمح لها بان تكون سيدة نفسها ، القابضة على زمام مصيرها ، هذا المجتمع الذي يعتبرها نصف انسان ، ديتها اذا قتلت ، نصف يدية الرجل ، اذا استطاعت ان تحصل على شيء ، وشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد .

تليق
بذلك
الذين
من
الذين
من
الذين
من
الذين
من

(٩) الحقوق السياسية للمرأة العراقية ، جريدة صدى الاهالي . عدد ٢٨٥ ١ ايلول ١٩٥٠

(١٠) اذاعت لجنة حقوق المرأة ، التابعة لمنظمة الامم المتحدة ، في احصاء لها ان النساء يتمتعن بحقوقهن السياسية كاملة في خمسين دولة ، وفي ثمانى دول فقط يتمتعن بحقوق سياسية غير كاملة ، وفي ثلاث عشرة دولة متأخرة لم يحظ المرأة بحقوقها ومن هذه الدول العراق . المصدر السابق

على ان حرمان المرأة من حقوقها السياسية ، ومن حق الانتخاب بصورة خاصة ، ظلم صارخ ، ومخالفة صريحة لروح نظام الحكم في البلاد ، ولا يسط القوافد في الشريعة الانسانية . فالحقوق مرتبطة بالواجبات ، كما يقول المشرعون محقين . ولكن المرأة العراقية تؤدي الواجبات الضخمة الملقاة على عاتقها ولا تتمتع مقابل ذلك بما يناسبها من حقوق . فهي تدفع الضريبة ولا تشرف على الميزانية ، وهي تتحمل من جراء هذه الفتن والثورات التي تحدث في البلاد بين حين وآخر ، اعباءاً ثقالاً ، فهي ملتاعة مضطربة ، موقرة ما كان ابناؤها او اقرباؤها في الحرب ، فاذا ما نجحت باحدهم عاشت معها اليقة اللوعة والاحزان ، او القربى المترب في اكثر الاحيان ، ومع كل ذلك لا يحق لها ان تقول حكمتها في هذه الفتن والثورات ، وهي تخضع للقوانين ، وكثير منها جائر بالنسبة لها ، ولكنها لا تشترك في تشريعها . ونظام الحكم في العراق نظام ديمقراطي ، والنظام الديمقراطي يقوم على حكم الاغلبية ، والمساواة في منح الحقوق السياسية بين المواطنين جميعاً . وماذا يبقى من هذا النظام اذا ما حرمت المرأة وهي تؤلف نصف المجتمع ، من حقها في الانتخابات ؟ او قد انضم العراق الى منظمة الامم المتحدة ، ورضي بتحمل مسؤولية كل ما تصدره هذه المنظمة العالمية من أنظمة وقوانين . وقد نصت المادة الاولى من ميثاق هيئة الامم المتحدة على ضرورة اعلان المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق والواجبات ، وقد ايدت وثيقة حقوق الانسان هذه المساواة وأكدت عليها . وقد اصبح ميثاق منظمة الامم المتحدة بعد ان وافقت عليه الحكومة العراقية ، قانوناً داخلياً ، لا يقل شرعية ونفوذاً عن القوانين العراقية المرعية التنفيذ . وعلى هذا فحرمان المرأة من حق الانتخاب مخالفة صريحة لقوانين اعترفت الحكومة العراقية بشرعيتها . يقول المتعصبون : ولكن المرأة العراقية جاهلة لا تدرك من امر السياسة شيئاً ، فنقول : ان اغلبية الرجال في العراق جهلاء ، فهل حال جهلهم هذا دون تمتعهم بحقوقهم في الانتخاب ؟ وقد يقولون : ان اشتراك المرأة في السياسة يفسد عليها حياتها ، وينسبها واجباتها المنزلية ، فنقول : وهل افسدت السياسة الرجل ؟ وهل ضيعت عليه وقته ، وانسته حرفته ، واحلت الاضطراب في عمله ؟ ان هي الا حجج باطلة يفرضها المتسلطون المتعصبون الجهلاء فرضا وسبغون عليها صفة الشعور بالمسؤولية الوطنية ، والمحافظة على تقاليد البلاد وشعائر الدين .

ان مركز المرأة في المجتمع من ادنى المقاييس التي يحكم بها على طبيعة حضارة ذلك المجتمع ، وان درجة تحررها لهي المقياس الطبيعي الذي يقاس به مدى تحررها .
لا عجب ان نجد المجتمع العراقي متأخرا ، متبدا بتقاليد البالية ، يعرج في مركب الانسانية . والحق ان المرأة العراقية على العموم ، تتحمل هذه القيود الثقيلة الويلة التي تفرضها عليها الاسرة ، وتتحمل الى ذلك هذا الجهل والعرض والفقير الشديد ، والتأخر المزرى ، التي يفرضها المجتمع على عامة العراقيين رجالا ونساء . فاذا اردنا للمرأة حرية تامة من هذه القيود التي تخنق حيوتها ونشاطها المبدع ، واذا اردنا لها ان تكون عضوا حرا ، نشيطا ، مثقفا ، في المجتمع ، فعليها ان تحرر الرجال ، عامة ، مما يثرون به من قيود الجهل ، والمرض ، والتعصب الاعمى ، وهذه الاوضاع الاقتصادية الطافية التي تشل الارادة ، وتفسد طعم الحياة ، وتخد جذوة الروح . فاذا ما تشقت الرجل ، وصقلت الحضارة روحه ، وادرك عن هي حقيقة ذاته ، قرب يوم تحرر المرأة .
على ان هذا لا يعني ان نصرف الجهد ، لان ، من قضية المرأة ، ونلغي الكفاح في سبيل حقوقها ، منتظرين تحرر الرجل ، واستقامة الحال في المجتمع ، بل الواجب يحتم على كل رجل واع ، وكل امرأة مثقفة ، ان يبذل كل ما في وسعه في سبيل هذه القضية العادلة . ان تحرر المرأة ، وانطلاق قواها المبدعة من اسارها ، سيعينان تطور المجتمع ، ورفيه ، وتقدم الحضارة امانة عظيمة . وكلما نالت المرأة جزءا من حريتها وحقوقها مكنت لنفسها في المجتمع ، واصبح بإمكانها ان تخطو خطوة اخرى ، ارحب واثبت . ان المرأة الاوربية لم تنل ما تنعم به الان من حريتها وحقوقها الا بعد ان تقدمت الحياة الاقتصادية ، وارتقت المجتمع عامة ، وتحرر الرجل من قبضة الجهل والتعصب الاعمى ، والا بعد ان جاهدت في سبيل حريتها جهادا مثابرا ، عنييدا ، منظما .

الفصل السادس

التعليم

لاجل ان نعطي صورة كاملة للحالة الثقافية في البلاد ، ونعين المسؤولين عن هذا الجهل الذي يعيش الشعب في ظلامه ، يتحتم علينا ان نتتبع مراحل التعليم منذ العهد العثماني حتى وقتنا هذا الحاضر .

التعليم في العهد العثماني

كانت التربية الدينية هي التربية الشائعة في البلاد .

فكان الطفل ، عند بلوغه الرابعة او الخامسة من عمره ، يدخل الى الكتاب او ما يعرف في العراق باسم ^١ "الملا" . وكانت الكتاتيب تقوم عادة في الجوامع والمساجد والمدارس الملحقة بها ، او في دار الملا نفسه ، او في دار او دار كان يستأجرها لهذه الغاية . وكان الطفل يدرس القرآن ، فاذا ما انتهى من اتمام قراءته انصرف الى مساعدة والده في مهنته ، او استمر في دراسته ، فيتعلم تجويد القرآن والخط وشيئا من الحساب ويقرأ طرفا من اصول الدين وقواعد اللغة . وقد يبقى نفر قليل من الطلاب مستمرين على دراستهم ، فينتقلون في حلقات العلماء يدرسون علوم الفقه واللغة والتوحيد والحديث والتفسير وما اليها من العلوم الاسلامية ، وينالون بعد دراسة طويلة قد تستمر عدة سنوات اجازة باكمال التحصيل تخولهم حق التدريس . كانت المراحل الاولى من هذا التعليم عقيمة ، قليلة الجدوى . فكان كثير من الطلاب ينسون قراءة القرآن بعد مغادرتهم الكتاب بزمان . وكان كثير ممن يحتفظون بقابليتهم على قراءة القرآن لا يستطيعون ان يقرأوا في الكتب الاخرى ، لانهم لم يعودوا الا مطالعة القرآن وحده . اما التعليم الديني العالي فكان ضيق الافاق ، قديم الاسلوب ، متحجر المعلومات . كان على الطالب ان يستظهر الشروح والفتاوى ، ويترك افكاره بحفظ الراء المتفارية والفتاوى المتناقضة ، وما كان له ان يبدي رأيا مبتكرا ، او يدحض قولا قديما لاحد الائمة الاعلام ، فان الاعتراض على اقوال السلف الصالح وقاحة لا يطبق عليها الاستاذ صبرا ، وخطيئة لا يغفرها لتلميذه .

١ . قد تكون هذه الكلمة مأخوذة من كلمة الملا اي الذي يحلي الدرس على الطلاب وقد تكون محرفة عن كلمة مولى العربية بمعنى السيد ، وتستعمل هذه الكلمة في العراق اسما للحل الذي يتعلم فيه الطلاب وللشخص الذي يعلمهم .

على ان هذا التعليم ، على ما فيه من نواقص ، كان محدود النطاق ، اذ كان الذين يتعلمون في الكتاتيب من الاحداث اقلية ضئيلة بالنسبة لساكن السكان^{٢٠} . ولكن هذا التعليم الديني القديم لم يعد هو المهيمن المطلق على الحياة العقلية في البلاد . فقد رأت الحكومة التركية نفسها ، منذ اوائل القرن التاسع عشر مضطرة الى ادخال الاصلاحات الشاملة في انحاء الامبراطورية . فانشأت المدارس الاعدادية العسكرية في استنبول ، كما انشأت المدارس الابتدائية والثانوية الملكية في مراكز الولايات والمصرفيات لاعداد الموظفين المدنيين . واسفرت تشكلات المدارس الملكية (الى المدنية غير العسكرية) ، منذ العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، عن الشكل الاتي :

(١) مدارس ابتدائية : مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .

(٢) مدارس رشدية : مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .

(٣) مدارس اعدادية : وكانت على نوعين : النوع الاول اعداديات الالهية

ومدة الدراسة فيها خمس سنوات ، والثلاث الاولى منها رشدية ، والنوع

الثاني اعداديات الولايات ، مدة الدراسة فيها سبع سنوات ، والثلاث

الاولى منها رشدية^{٢٠} .

كانت هذه المدارس ، بمختلف درجاتها ، ضئيلة العدد في العراق ، لا يؤمها

الاعداد ضئيل من الطلاب ، ولا تسد حاجة البلاد الى المعرفة . يؤخذ من الاحصاءات

التي نشرتها وزارة المعارف العثمانية ، في اوائل الحرب العالمية الاولى ، ان معاهد

التعليم الرسمية الموجودة في جميع الولايات العراقية كانت تتكون من ١٦٠ مدرسة

ابتدائية ، و ٤ مدارس ثانوية ، و ٣ دور معلمين ، ومدرسة صناعية ، وكلية حقوق . وكان

عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية ٧١٢٨ ، وعدد طلاب المدارس الثانوية ٣٢٩ ،

وعدد طلاب كلية الحقوق ٢٤٤ . وعدد افراد الهيئة التعليمية ٣٢١ معلما في المدارس

الابتدائية ، و ٤٩ في المدارس الثانوية ، و ٢٢ في دور المعلمين ، و ١٠ في كلية الحقوق

٢٠ . للاطلاع على التربية الدينية في العراق في العهد العثماني راجع مقالة الاستاذ

احمد حسن السلطان ، التعليم في العهد العثماني ، مجلة المعلم الجديد (بغداد

شباط ، ١٩٤٧) ، السنة الحادية عشرة ، ج ١ ، ص ١١٠ . وكذلك "حولية" ص ٣ - ٤

٢٠٢ "حولية" ص ٦ - ٧ .

وكان ١٢ مدرسة من المدارس الابتدائية خاصة بالبناات - وكان فيها ٢٥٦ تلميذة و ٣٢ معلمة .^٤

وما كانت هذه المدارس ، الى جانب ضآلة عددها ، مستوفية شروط التعليم الصحيحة ، مستكملة الاتاث ، مجهزة بوسائل الايضاح الضرورية ، لضآلة ما كانت تنفقه الحكومة العثمانية عليها . فقد كانت ميزانية ولاية بغداد ، وكانت تشمل آنذاك بغداد والحلة وكربلاء والرمادي والكوت وديالي ، تبلغ نحواً من ٣٤٦٠٠٠ ليرة عثمانية ، منها ١٦٠٠٠ ليرة عثمانية مخصصة من الميزانية العامة وتصرف على مدرسة الحقوق والمدرسة الثانوية ، والمبلغ الباقي وقدره ٢٥٠٠٠ ليرة عثمانية يجبي من الضرائب المحلية ويصرف على المدارس الابتدائية والمهنية والكتاتيب وغيرها .^٥

وكانت المناهج الدراسية مشوشة ، مرتبكة ، قليلة الصلة بحياة الناس ، قليلة العناية بحاجة البلاد . وكان المعلمون قليلي الثقافة ، ضعيفي الكفاية ، وكانت اللغة التركية هي لغة التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية . وحلى قواعد اللغة العربية كانت تدرس وتشرح باللغة التركية . وقد كان هذا احد العوامل الكثيرة التي نفرت الناس من التعليم وحالت بينهم وبين ارسال ابنائهم الى المدارس . ان هذه الحالة كانت تحول دون استفادة الشعب من هذه المؤسسات التعليمية استفادة كبيرة ، لان الانتساب اليه كان ينحصر تقريباً - لهذا السبب - باولاد الموظفين من جهة وباولاد الوجوه الذين يتصلون بدوائر الحكومة اتصالاً وثيقاً من جهة اخرى .^٦

وهناك عامل ديني ، مذهبي ، نفّر سماً كبيراً من العراقيين الشيعة من المدارس الرسمية ، الى جانب عامل اللغة هذا . حيث ان التعاليم الدينية التي يلقي بها الاطفال كانت منحصرة في المذهب الشيعي ، فادى هذا بطبيعة الحال الى ابعاد سكان الفرات عن هذه المدارس . ووجد من هذه الناحية ظهور الدعاية عند البعض بتحريم التعليم والدراسة في المدارس ، والذي لم يزل اثره باقياً عند البعض حتى في الايام الاخيرة .^٧

٥٤ . المصدر السابق ص ١٩٢ وراجع كذلك مين ص ٢٣٤

٥٥ . احمد حسن السلطان ، التعليم في العهد العثماني ص ١٣ .

٥٦ . "حولية" ص ٩ - ١٠ .

٥٧ . فارس ص ٦٢ وكان خوف اليزيدية من ان يتعلم اولادهم مبادئ الاسلام ويصبحوا مسلمين هو الذي حدا بهم الى تحريم القراءة والكتابة ، وتحريم انشاء المدارس ، (تتبع على الصفحة التالية)

والى جانب هذه الكتائب والمدارس الرسمية كانت تقوم مدارس اخرى للاقليات الدينية وللارسلالات التبشيرية . فقد اهتمت الاقليات الدينية بتعليم ابنائها ، فاسست المدارس ، ولم تبخل عليها بالمال والمعلمين . اسست الطائفة الاسرائيلية ، في بغداد والبصرة ، مدرستين كبيرتين ، يتعلم فيها الطلبة مبادئ الثقافة العامة بالإضافة الى اللغة العبرية والعلم التجارية . وكانت الاديرة والكنايس المسيحية في الموصل وبغداد والبصرة مدارس تعلم مبادئ اللغة العربية والعلوم الحديثة بالإضافة الى مبادئ الدين المسيحي . كما شعرت الارسلالات التبشيرية بان خير وسيلة لنشر مبادئها الدينية هي انشاء المدارس . فاسس الكرمليون مدارس في بغداد والبصرة ، وانشأ الدومينيكان مدارس في الموصل ، واقام البروتستانت مدرسة كبيرة في البصرة . (٨) وقد ساهمت هذه المدارس بتعليم نفر من ابناء الشعب ، وفتحت افكارهم للعلوم العصرية ، وان كان اثرها محدود النطاق ، ومعارفها مشوبة بالروح الدينية المذهبية .

هكذا كانت حالة الثقافة والتعليم في العهد العثماني : شعب غارق في الجهل ومدارس رسمية قليلة العدد تحاول "تثريك" الشعب فينفر الشعب منها ، وكتائب تعلم قراءة القرآن ولا تفيد الطلاب الا قليلا ، ومدارس دينية وطنية واجنبية منوطية على ذاتها معنية بنشر مذاهبها ودياناتها . وهم الدولة العثمانية العلية ، بعد كل ذلك ، ابناء الشعب على جهلهم ، حتى يتسنى لها استعبادهم ، وسلسلها قيادهم . ونزل الانكليز في الاراضي العراقية فاتحين ، نورثوا هذا التراث الوبيل ، وحملوا على عواتقهم ، طوال سبع سنوات ، هذا العبء الثقيل .

التعليم في عهد الاحتلال البريطاني :

يمكننا تقسيم هذه الفترة ، من حيث شؤون المعارف ، الى مرحلتين :

(١) بين احتلال البصرة وبين احتلال بغداد (١٩١٤ - ١٩١٧) ،

(٢) بين احتلال بغداد وبين تأسيس الحكومة الوطنية (١٩١٧ - ١٩٢١) .

المرحلة الاولى احتل الانكليز في المرحلة الاولى البصرة والقسم الجنوبي من العراق .

يقول اسماعيل بك جول في "البيزندية قديما وحديثا" ص ٢٢ "في بلادنا ، في تركيا ، ممنوع عندنا افتتاح المدارس خوفا من الاسلام لئلا يجلبوا اولادنا الى ديانتهم" (٨) احمد حسن السلطان ، التعليم في العهد العثماني ، ص ١٤ .

وجدوا انفسهم بحاجة الى موظفين من العراقيين يتقنون الساليب الادارية يستطيعون التكلم بلغة المحتلين . ولم تجد الحكومة المحتلة خالتها بين الفئة المتعلمة من ابنا البلاد ، فعزمت على انشاء المدارس التي تعد لها ما تحتاج من الموظفين . وقد جابهت السلطة البريطانية صعوبات جمة في التعليم . فالمدارس القليلة التي كانت قائمة في العهد العثماني اغلقت معظمها ابوابها ، وهدم ونهب كثير منها ، اثناء زحف الجيوش البريطانية ، كما انهزم معظم المعلمين ، وكثيرون منهم عرب ، مع الجيوش العثمانية المنسحب الى الشمال . وعهدت السلطات البريطانية بتنظيم المعارف الى البشر الاميركي ، مستر فان ايس ، مدير المدرسة الاميركية في البصرة . اسس فان ايس مدرسة ابتدائية في البصرة ، واخرى في ابي الخصيب ، وثالثة في الزبير ، ورابعة في الناصرية ، وخامسة في القورينة . ولم تعن السلطة المحتلة بالتعليم الثانوي بل تركته الى المدرسة الاميركية ، مدرسة الرجاء العالي . ولحل فقدان المعلمين المقتردين هو الذي حال دون فتح مدرسة ثانوية رسمية . وعهد امر اعداد المعلمين الى المدرسة الاميركية ايضا مقابل مساعدات مالية تقدمها لها السلطة المحتلة . كما قدمت حكومة الاحتلال مساعدات مالية الى مدرسة الكرمليين ، ومدرسة الكلدان ، ومدرستي الاميركان للبنات والبنين . (١)

المرحلة الثانية

بعد ان تم للانكليز احتلال العراق باجمعه ، في عام ١٩١٨ ، اخذوا في تنظيم الادارة المدنية في البلاد ، فانشأوا مديرية المعارف العامة . قسمت البلاد الى ثلاث مناطق ، الشمالية ومركزها الموصل ، والوسطى ومركزها بغداد ، والجنوبية ومركزها البصرة . وكان مدير كلا من هذه المناطق مدير معارف بريطاني . كما انشأ المشرفون على التعليم مجلسا استشاريا للمعارف يضم عددا من وجهاء العراقيين ورجال الثقافة ، على ان اتر هذا المجلس في توجيه سياسة التعليم كان ضعيفا . وضعت ادارة المعارف منهجا للتعليم مستمدا من المنهج المصري ، كما استعملت الكتب المصرية في كافة مراحل الدراسة ، نظرا لقلة الكتب وصعوبة الطبع ، وعدم وجود مؤلفين عراقيين جيدين وضع الكتب المدرسية .

(١) احمد حسن السلطان ، التعليم في دور الاحتلال والحكومة الوقتية ، المعلم الجديد (بغداد ، تشرين الثاني ١٩٤٨) ، السبعة الثانية عشرة ، ج ٢ ، ص ١٦ - ١١ .

واستعانت مديرية المعارف بالمعلمين القدامى ، واستخدمت كثيرا من علماء الدين لتعليم اللغة العربية والدين . ولأجل ان تتخلص من الكفايات فينت بعض شيوخها مدرسين في المدارس الابتدائية ، فأغلقت كتابتهم ، وتحول تلاميذهم الى مدارس الحكومة . ولكن التعليم الابتدائي لم يف بغرض الحكومة المحتلة ، فاهتمت بالتعليم الثانوي . وقد استعانت بالمدرسين السوريين والمصريين والبريطانيين ، لعدم وجود مدرسين مراقبين قادرين على التعليم الثانوي . وتم تنظيم المدارس في هذا الدور على الاسس التالية :

- (١) مدارس اولية ، مدة الدراسة فيها ٤ سنوات ، لا تدرس خلالها اللغة الانكليزية .
 - (٢) مدارس ابتدائية ، مدة الدراسة فيها ٤ سنوات ، يتقدمها سنتان اوليتان ، ويبدأ تعليم اللغة فيها اعتبارا من الصف الاول الابتدائي .
 - (٣) مدارس ثانوية مدة الدراسة فيها ٤ سنوات . (١٠)
- كان عدد المدارس الابتدائية والاولية ، في نهاية عام ١٩١٨ ، عشرين مدرسة يعلم فيها ١٢٥ معلما . وفتحت ، في عام ١٩١٩ ، ٢١ مدرسة جديدة وبلغ عدد المعلمين جميعا في المدارس الابتدائية ٣٠٠ معلم . وفي نهاية ١٩٢٠ بلغ عدد المدارس الابتدائية والاولية ٨٥ مدرسة للبنين و ٥ مدارس للبنات . وبلغ عدد المعلمين والمعلمات ٦٠٠ . اما عدد الطلاب في هذه المدارس فبلغ ٦٢٤٣ طالبا ، بنسبة طالب واحد لكل ٤٦٢ فردا من الشعب . (١١)

اما التعليم الثانوي فكان توسعه محدودا . وقد انشئت مدرسة ثانوية واحدة في بغداد ، واخرى في الموصل ، وانشئت صفوف ثانوية في احدى مدارس البصرة الابتدائية . كما ان الحكومة لم تعن بالتعليم العالي ، لاعتقادها بان البلاد احيى الى التعليم الابتدائي منها الى التعليم العالي . وقد اعادت فتح كلية الحقوق ، وانشأت دلموا للمعلمين كانت مهنة الدراسة فيها ٦ اشهر ثم زيدت الى سنة ، وانشأت كذلك دار معلمات في سنة ١٩٢٠ كانت مديرتها انكليزية ، وفتحت مدرسة للصناعة . كما هيئت دورات باعداد المساحين ومعاوني المهندسين الذين يمكن استخدامهم في الاسغال العامة . (١٢)

(١٠) (حولية) ص ١٩٣ - ٢٠٠

(١١) التقرير الاداري للمعارف ، لعام ١٩١٨ ، ص ١٠ نقله عن احمد حسن السلطان التعليم في دور الاحتلال ، ص ٢٤

(١٢) المصدر السابق ص ٢٥

ان التعليم ، من حيث الكمية ، لم يصل حتى المستوى الذى كان عليه في العهد العثماني . وكان اهتمام السلطات البريطانية منصرفا الى تهيئة موظفين يتولون الادارة المدنية ، ولم يكن من ههما تثقيف الشعب ونشر المعرفة بين ابناءه . وعلى هذا فقد بقيت الاقلية العظمى من الشعب ، كما كانت في العهد العثماني ، امية جاهلة . وكانت حصة المعارف من الميزانية العامة ضئيلة اقل كثيرا من حصة الشرطة والسجون . فقد بلغت ميزانية المعارف في سنة ١٩١٥ المجلد ١٦ (٦٥٠٠) روبية اى نحو ٠٠٤ بالمائة من الميزانية العامة وكانت في السنة التالية ١٩١٦ - ١٧ (٢٣٥٢٠) روبية ، وفي سنة ١٩١٧ - ١٨ (٣٥٥٠٠) روبية ، وفي سنة ١٩١٨ - ١٩ (١٨٠١٠٠) روبية اى نحو ١٠١٧ بالمائة من الميزانية العامة ، وبلغت في نهاية هذه الفترة ١٩١٩ - ٢٠ (٨٨٤٨٠٨) روبية اى نحو ١٠٨٩ بالمائة من الميزانية العامة . (١٣) اما مستوى الثقافة في المدارس فكان ضعيفا منحطا . وذلك يرجع الى عدة اسباب جوهرية اهمها : قلة المعلمين ، وضآلة ثقافتهم ، وانحطاط كفايتهم التعليمية . لقد كان قسم منهم من بقايا المعلمين في العصر العثماني ، ومن فقهاء الكتائب وعلماء الدين ، والذين قد يتقنون المادة التي يدرسونها ، ولكنهم لا يحسنون تدريسها ، اذ لم يكونوا مطلعين على الطرق التدريسية الحديثة ، ووسائل التربية العلمية . يضاف الى هذا ندرة الكتب المدرسية الصالحة . ثم ان منهاج المعارف ذاته كان مقتبسا من المنهاج المصري فكان بذلك بعيدا عن ذهنية الشعب فيرواف بحاجات البلاد . ومن اهم عثرات التعليم في هذه المرحلة او قل اهم سيئاته ، ان ادارة المعارف كانت تشجع المدارس الطائفية ، وتفسح المجال امام الروح الطائفية على حساب وحدة البلاد والقومية . (١٤)

والحق ان عمل ادارة المعارف خلال هذه الفترة القصيرة التي كانت القوات البريطانية تخوض خلالها حربها طاحنة ، والتي جابهت في نهايتها ثورات دموية في معظم انحاء البلاد كان ممتازا في بعض نواحيه . فقد كان التعليم مجانيا في جميع مراحلها وحتى في المدارس العالية . كما كانت الحكومة تساعد احيانا بعض الطلاب في المدارس الثانوية والدارس العالية تشجيعها لهم على اكمال دراستهم . كما ان اللغة العربية اصبحت لغة التعليم ، وان كان الاهتمام باللغة الانكليزية عظيما ، وهذا ما حبيب المدارس للطلاب ، وشجع الشعب على الالتحاق عليها في ما بعد .

(١٣) المصدر السابق ص ٢٤

(١٤) انظر امين الريحاني ، "قلب العراق" (بيروت ، ١٩٣٥) ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ .

اهتمت الحكومة الوطنية بالتعليم نتيجة لحاجتها الى عدد كبير من الموظفين يشغلون وظائفها الكثيرة ، وللوهي الاجتماعي الذي انبعث في المدن ودفع الناس الى الاهتمام بتعليم ابنائهم وبناتهم . وكان طريق وزارة المعارف شائكا محفونا بالصعاب . فقد كان المعلمون الذين يجيدون التدريس قلة في البلاد والابنية التي لم تصلح لان تكون مدارس معددها قليلة . والكتب الدراسية غير متميزة ، والمناهج الدراسية فوضى واغلبية الشعب الساحقة امية جاهلة لا تقدر العلم ولا تتعاون مع الحكومة وينزعها فقرها المدفع من يد المساعدة للمدارس وامانة التعليم ، واغنيا الامة اميون او اسباء اميين لا يهتمون بالعلم ، ولا يرون ضرورة لتثقيف الشعب . ولكن وزارة المعارف مضت قدما فحققت في التعليم تقدما ملحوظا . واقلعت الثقافة في البلاد على اساس قوية ، وان كان التهيان الذي اشادته ناقصا من نواح مختلفة مهمل البناء من نواح اخرى . كان عدد المدارس الابتدائية الرسمية للبنين والبنات في عام ١٩٢٠ - ١٩٢١ (٨٨) وعدد المعلمين ٤٨٦ ، وعدد الطلاب ٧٤٥٢ . فاصبح عدد المدارس الابتدائية الرسمية في عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، ٨٠١٨ وعدد المعلمين ٥٤١٥ وعدد الطلاب ١٣١٢١٣ وكان عدد المدارس الثانوية في سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ وعدد المدرسين ٣٤ وعدد الطلاب ١١٠ فاصبح عدد المدرسين ٧٠٥ وعدد الطلاب ١٤٣٨٨ (١٦) . ولم يكن اثر الحكومة الحسن في التعليم منحصر في تكثير عدد المدارس واتساع المجال لعدد كبير من ابنا الشعب لتلقي العلوم بل ان الحكومة يسرت مجال التعليم فجعلت الدراسة في المدارس الابتدائية وفي كثير من الكليات مجانية واجور الدراسة في المدارس الثانوية وبعض الكليات زهيدة لا يعجز اكثر الناس عن دفعها . وتقوم وزارة المعارف بتوزيع الكتب والقرطاسية على الطلاب الفقراء مجانا ، كما انها انشأت في بعض المدارس الثانوية ودور المعلمين وبعض الكليات الاخرى اقسام داخلية يعيش فيها الطلاب مجانا او يدفعون اجورا قليلة . ثم قامت بخطوة جيدة اخرى وهي توحيد التعليم في كافة انحاء البلاد . فجعلت اللغة العربية

(١٥) (حولية) ص ١٦٦

(١٦) المصدر السابق ص ١٦٨

لغة التدريس في جميع المدارس الرسمية ، ما عدا الأماكن التي لانتها المحلية غير عربية ،
فتقرر لغة التدريس في مدارسها الابتدائية بقرار من مجلس الوزراء . وقيدت المدارس الاهلية والاجنبية
بقيود عديدة ، واخضعتها لمراقبة وزارة المعارف بحيث تضمن ان تكون هذه المدارس مشابهة للمدارس
الرسمية في مناهجها . وطرق تعليمها ، وانظمتها ، والمواد العلمية التي تلقنها لطلابها . فلا
يجوز ان تؤسس مدرسة اهلية او اجنبية مهما كان نوعها او درجتها العلمية الا باجازة خطية من وزارة
المعارف (١٧) وعلى هذه المدارس ان تستخدم المعلمين الذين تعيينهم او تعيبرهم وزارة
المعارف لتدريس الجغرافية والتاريخ والدروس الوطنية واللغة العربية (١٨) كما تشرف وزارة
المعارف على ملاك مدرسيها وميزانياتها السنوية (١٩) ويعين مديرو هذه المدارس ومعلموها بموافقة
وزارة المعارف (٢٠) وتكون لغة التدريس اللغة العربية والتاريخ والجغرافية والدروس
الوطنية حسب منهج وزارة المعارف وفي الكتب المقررة له باللغة العربية الزاميا (٢١) كما
يجب ان تقرر مناهج التدريس والكتب في هذه المدارس بمصادقة وزارة المعارف ولا يجوز
تغييرها الا بموافقة وزارة المعارف . وهكذا اضمنت الحكومة للشعب ثقافة موحدة وخلصت البلاد
من هذه الفوضى الفكرية التي تخلفها المدارس الخاصة والمدارس الاجنبية الشائعة في بعض
الاقطار العربية والتي تخضع لنظام تربوي موحد ، ولا تتقيد بخطة عامة موحدة للتعليم .
واهتمت وزارة المعارف باعداد المعلمين ، نتيجة للتوسع في فتح المدارس في مختلف انحاء
البلاد فانشأت دار المعلمين العالية في بغداد سنة ١٩٢٣ وكلفت مكونة في بادى الامر
من صفوف مسائية يشترك فيها معلموا المدارس الابتدائية الذين يترددون اعداد انفسهم للتدريس
في المدارس الثانوية . وفي سنة ١٩٢٧ تحولت الصفوف المسائية الى صفوف نهائية يقبل فيها
خريجون الدراسة الثانوية او ما يعادلها ، وكانت مدة الدراسة فيها سنتين . وفي سنة
١٩٣١ اغلقت هذه المدرسة ثم اعيد فتحها في سنة ١٩٣٥ وفي سنة ١٩٣٧ اصبحت مدة
الدراسة في هذا المعهد ثلاث سنوات . وفي سنة ١٩٣٩ اصبحت مدة الدراسة اربع سنوات
وبدأت تقبل الطالبات . ويوجد الان في هذا المعهد خمسة اقسام دراسية . قسم الاداب
وقسم الاجتماع ، وقسم الطبيعيات ، وقسم الرياضيات ، وقسم اللغة الانكليزية ، وقد استطاع
هذا المعهد ان يخرج منذ تاسيسه حتي نهاية السنة الدراسية ١٩٤٦ - ٤٧ (٦٢٣) طالب

(١٧) قانون المعارف سنة ١٩٤٠ الفصل الثامن ، مادة ٢٦ نقلا

(١٨) (حكاية) ٢١١ المصدر السابق مادة ٢٧

(١٩) المصدر السابق مادة ٢٨

(٢٠) المصدر السابق مادة ٢٩

(٢١) المصدر السابق مادة ٣٣

وطالبة (٢٢) . وبلغ عدد الطلاب فيه منذ ١٩٤٧ - ٤٨ (٥٣٢) ، منهم ١٧٨ من البنات (٢٣) وانشأت معهد الملكة عالية سنة ١٩٤٥ ليكون بمثابة دار المعلمين العالية . والغرض من انشاء هذا المعهد هو انصاح المجال للدراسة لبنات العائلات المحافظة التي لا تحبذ اختلاط الجنسين في المدرسة . وكان عدد الطالبات هذا المعهد في سنة ١٩٤٦ - ٤٧ ، ١٦٣ واصبح عددهن في سنة ١٩٤٧ - ٤٨ ، ٢٣٢ (٢٤) - ويوجد عدد من المعاهد لاعداد المعلمين والمعلمات للمدارس الابتدائية والاولية .

(١) دار المعلمين الابتدائية ببغداد مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات بعد الدراسة المتوسطة .

(٢) دار المعلمات الابتدائية ببغداد ، مدة الدراسة فيها سنتان بعد الدراسة الاعدادية الكاملة .

(٣) دار المعلمات الاولى ببغداد مدة الدراسة فيها اربعة سنوات بعد الدراسة الابتدائية (٤) دور المعلمين الرفيعة في الرستمية وفي المحاول وفي دهوك وفي بعقوبة (٢٥) مدة الدراسة فيها خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية . وكان عدد الطلاب في دور المعلمين سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ (١٤٥٤) وعدد الطالبات في دور المعلمات ٢٤٤ (٢٦) وقد تخرج في دور المعلمين الابتدائية والرفيعة منذ سنة ١٩١٩ - ٢٠ الى نهاية سنة ١٩٤٦ - ٤٧ (٢٠٣٢) طالبا وتخرج في دار المعلمات الابتدائية والاولية منذ سنة ١٩٢٣ - ٢٤ الى نهاية سنة ١٩٤٦ - ٤٧ (١٢١٨) طالبة . (٢٧) .

وارسلت الحكومة عددا من الطلاب والطالبات الى مختلف الجامعات الاجنبية لتستعين بهم في التدريس وفي الاعمال الحكومية الاخرى . وكان عدد الذين ارسلتهم الحكومة منذ سنة ١٩٢٢ - ٢٣ الى سنة ١٩٤٦ - ٤٧ ، ٨٣٦ عاد منهم ٤٧٦ يحملون شهادات دراسية (٢٨) . وانشأت في عام ١٩٢٧ كلية للطب وكلية للصيدلة ، واسمت في سنة ١٩٤٢ كلية للبندسة وكلية التجارة والاقتصاد في سنة ١٩٤٧ . وكلية الاداب والعلوم في سنة ١٩٤٩ لتكون نواة للجامعة العراقية التي تفكر الحكومة بتأسيسها .

(٢٢) حولية ص ٢٦٠ (٢٣) حولية ص ٢٧٧

(٢٤) حولية ص ٢٨١

(٢٥) الغيت دار المعلمين الرفيعة في المحاول سنة ١٩٤٨ ونقلت رفيعة المسية ^{الرسمية} الى الكرادة واندجت فيها دار المعلمين الرفيعة في بعقوبة ثم نقلت الى بناية دار المعلمين الرفيعة في بغداد هذا العام لتهدم بنايتها بفعل الفيضان في الربيع المنصرم .

(٢٦) حولية ص ٢٥٥ (٢٧) حولية ص ٢٦٠

(٢٨) حولية ص ٣٠٢

بعد هذه الالامة السريعة بالنتائج الى حققتها وزارة المعارف في حقل التعليم ، لا بد لنا من ان نلقي نظرة فاحصة على بعض النقاط المهمة ، التي لم تعالجها المعارف ، لو التي ليس لها في مستطاعها ان تعالجها وحدها .

التعليم الابتدائي

تقوم وزارة المعارف بالقسط الاوفر من التعليم الابتدائي ان لا تزيد نسبة المدارس الاجنبية والاهلية عن ٨٦ / ٠ من مجموع المدارس الابتدائية . لقد بلغ مجموع المدارس الابتدائية في المدن والقرى خلال عام ١٩٤٥ - ٤٦ (١٠٢٧) ٨٢ مدرسة بنين و ١٦٣ مدرسة بنات ، و ٥٢ مدرسة احداث . ومن هذه المدارس ٤٣ مدرسة ذات صف واحد و ٦٤ مدرسة ذات صفين و ٩٧ مدرسة ذات ثلاثة صفوف و ١٦٤ مدرسة ذات صفوف ستة . اما المدارس الاهلية والاجنبية فتتألف من ٤١ مدرسة بنين و ٢٥ مدرسة بنات و ١٧ مدرسة احداث (٢٩) . ينص نظام المدارس الابتدائية على ان المدارس الابتدائية الاميرية معدة لقبول جميع الطلاب الحائزين على الاوصاف المصريح بها في هذا النظام بدون تفرق بين العناصر والاديان (٣٠) كما ان من واجبات المديرية العامة للتعليم الابتدائي حسب ما جاء في قانون المعارف هو وضع الخطط واعداد ما يلزم للتوسع في التعليم الابتدائي بحيث يصبح الزاميا يشمل جميع ابناء القطر (٣١) . ولكن الواقع يرينا ان ثلاثة ارباع الاحداث الذين هم في سن الدراسة الابتدائية محرومون من التعليم (٣٢) . وسعاني سكان المدن المشقات في ادخال اولادهم الى المدارس الابتدائية في بداية كل عام دراسي ، وقد يفشل قسم كبير منهم لضيق المدارس وعدم وجود محلات كافية وعدم مقدرة وزارة المعارف على فتح مدارس جديدة ، واذا بحثنا عن اسباب قلة المدارس الابتدائية لوجدناها مختلفة متشعبة يعود بعضها الى قلة ميزانية المعارف وبعضها الاخر الى افعال المسؤولين العشرين على شؤون المعارف . فالمدارس الجديدة تحتاج الى مبان واتات ومعلمين . واذا ما طلب الى وزارة المعارف انشاء المباني واعداد المعلمين احتجبت الميزانية وكثرة النفقات ، والحق ان ميزانية المعارف قليلة ضئيلة بالنسبة للمهام المطلوبة على عاتقها ، وبالنسبة لما لما يرجوه الشعب منها . فقد كانت حصة المعارف من الميزانية الطرفة منذ سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٥ - ٣٦ اقل من ٠ / ٠ ، وارتفعت في السنوات الثمانية التالية حتى بلغت غاية

(٢٩) احمد حسن السلطان «التعليم الابتدائي في المدن والارياف» المعلم الجديد (بغداد ١٩٤٩)

ج ٥ ص ٤٥ - ٤٦

(٣٠) نظام المدارس الابتدائية الاميرية رقم ١٩٣٠ المادة ٣ نقلا عن حولية ص ٢١١

(٣١) حولية ص ٢٠٥

(٣٢) احمد حسن السلطان «التعليم الابتدائي» ص ٥٩

في مدارس الاهلية والاجنبية . واما في مدارس الحكومة

ارتفاعها في سنة ١٩٣٨ - ٣٩ حيث وصلت الى ١٦١ ٠/٠ من الميزانية تم اخذت في الانخفاض في السنوات التي اعقبت انتها الحرب (٣٣) وبينما كانت المعارف وحصلتها من الميزانية الاعتيادية لسنة ١٩٤٦ - ٤٧ (١٧٣٧٦٠٤) دينار اي (١٧٣٧٦٠٤) دينار (٣٤) على ان حولة للمعارف وحصلتها من الميزانية الاعتيادية (١٧٣٧٦٠٤) دينار والشروط (١٧٣٧٦٠٤) دينار. على ان وزلة المعارف لو اهتمت بالامر وبالجهد القضي بحكمة وتبصر وحزم لاتاحت فرصة التعلم بمواردها القليلة الحاضرة لاكثر من نصف الاطفال الذين هم في سن الدراسة الابتدائية او ان ٧٠ ٠/٠ من بنائات المدارس الابتدائية لا تصلح لان يتخذ مدارس فمن مجموع بنائات المدارس يوجد ٣٧٩ مدرسة بنائاتها مستاجرة و ٧٧ مدرسة بنائاتها اكواخ وحرائف. وهذه الابنية التي لم تنشأ في الاصل لتكون مدارس لا شك ان تكون ضيقة ممتدة الى المرافق الصحية والمساحات الضرورية عاجزة عن استيعاب العدد اللازم من الطلاب. ولو كانت جميع بنائات المدارس الابتدائية منشأة لان تكون مدارس لا يمكن ان يتعلم فيها ما يقرب من ٢٤٦٠٠٠ طالب وطالبة بالكلفة نفسها. ودون الاضرار الى زيادة عدد المعلمين. فمجموع الصفوف في المدارس البنين والبنات الابتدائية ٤١٦٣ صفاء وان العدد المقرر للطلاب في الصفوف الواسعة ^{التي} اربعون طالبا. فلا بد ان تسع تلك الصفوف ٢٤٦٥٢٠ طالبا وطالبة (٣٥).

والى جانب هذا النقص الكلي الخطير في التعليم الابتدائي توجد نقائص اخرى لا تقل عنه خطرا وشرا فالمدارس الابتدائية بالاضافة الى كونها غير كافية لحاجة البلاد غير موزعة في انحاء القطر توزيعا عادلا منتظما. ولا تتبع وزارة المعارف سياسة معينة في فتح المدارس بل تعتمد على مدى الحاج سكان اللواء ومدى نفوذ رجاله عند الحكومة. فاذا ما كان العدد الفعلي لطلبة الدراسة الابتدائية في لواء الدليم مثلا ٣٦٥ ٠/٠ مما يجب ان يكون فانه في مدارس اربيل ما يكاد يبلغ ١١ ٠/٠ مما يجب ان يكون (٣٧) والمدارس البنات غير موزعة توزيعا منتظما في انحاء البلاد. ان تعليم البنات يسير سيرا مرضيا في الوية بغداد والموصل فقط. اما في الالوية الاخرى فلا يزال متدنيا وعلى الاخص في الوية الديوانية والمنتفك وديالي واربيلا. وهنالك الوية لا توجد مدارس للبنات في قراها كالوية كركوك والدليم والكوت والحلة وكربلاء والديوانية والمنتفك (٣٨). وقد انخفضت سوية التعليم في السنوات الاخيرة انخفاضاً واضحاً. فقد زاد الانقبال على المدارس الابتدائية في المدن. واضطرت وزارة المعارف الى فتح مدارس جديدة وهذا اضطررها الى

(٣٣) حولة ص ١٩٣٤

(٣٤) (المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧) ص ١٢٤

(٣٥) احمد حسن السلمان التعليم الابتدائي ص ٥٠

(٣٦) المدرس السابق ص ٦٥

(٣٧) المصدر السابق ص ٤٧

(٣٨) «القرية العراقية» ص ٣٩

في ١٩٤٦ م نرى هذه الميزانية تخصص للغايات
١٧٣٧٦٠٤ دينار

استخدام عدد كبير من متخرجي دور المعلمين الريفية ودور المعلمات الأولية ذات السنتين والثلاث سنوات والاربع سنوات بعد الدراسة الابتدائية كما استخدمت عددا من متخرجي الدراسة الثانوية الذين لم يعدوا اعدادا فنيا لمهنة التعليم . يضاف الى هذا خالة ميزانية وزارة المعارف التي نرى انارها في سوء البناءات وقلة وسائل الايضاح ، وندرة الكتب .

وجيب ان نذكر ان كثيرا من الطلاب الذين يدخلون المدارس الابتدائية يشق النفس لا يتمون دراستهم فيها بل يتركونها قبل ان يحصلوا على قليل من الثقافة الابتدائية . وفي هذا تضيق لجهود المعلمين ، وادارة المعارف والبلد عامة بصورة غير مباشرة . لا يزيد عدد المتخرجين في المدارس الابتدائية عن ربع الطلاب . فقد كان مجموع المقبولين في الصف الاول الابتدائي عام ١٩٤١ - ٤٢ ٢١٦٠٠ طالبا ، وكان مجموع المتخرجين في المدارس الابتدائية عام ١٩٤٥ - ٤٦ نحو خمسة الاف طالب . (احمد السلطان التعليم الابتدائي ص ٦٠ - ٦١) . اين ذهب الباقون وعدد هم حوالي سبعة عشر الف طالب ؟ لا شك ان قصما منهم راسب ويقي مداوما في المدرسة على ان اقلهم تركوا المدارس ، ويقوا عاطلين مجعلا في بيوتهم او قتلوا الى محترك احياء لمساعدة الأسرة ماليا ولا شك ان المسئول عن حرمان هذا العدد من الاحداث من التعليم هو الحالة الاقتصادية السيئة التي يعانيها معظم الحرفيين والعمال والكادحين في المدن الذين لا يستطيعون الانتفاع عن ابناءهم طوال سنوات الدراسة كما ان جزءا من المسئولية لا بد ان يقع على عاتق المدرسة التي لا تستطيع ان تحتفظ بهذا العدد من الاحداث اما لسوء ادارتها او صعوبة مناهجها ، وعدم وجود المنوفات فيها . يضاف الى هذا جهل كثير من الاباء الذين يجعلهم لا يهتمون للعلم والثقافة نائدة ، او منفعة للانسان .

التعليم الابتدائي الريفي

لا تقل نسبة سكان الريف العراقي من ٧٨ ٪ من مجموع السكان بهم والنهوض بالريف الى راقى ، ثقافيا وسحيا واقتصاديا ، من الدائم الاولى للنهوض بالشعب العراقي عامة . ونشر التعليم في الريف ضرورة قومية ماسة لا يرحي للعراق تقدم بدونها . ومع كل هذا فان الامة تخيم على الريف ويبر التعليم فيه بليثا وامكانية نجاحه اذا استعرت اوعاع الريف القائمة على حالها ، ضئيلة . بلغت نسبة المدارس الريفية ، في سنة ١٩٤٥ - ٤٦ ٤٤ ٪ ، ٤٤ ٪ ، ٤٤ ٪ من مجموع المدارس الابتدائية . ولكن عدد طلبة مدارس الارياف اقل بكثير من عدد طلبة مدارس المدن فان نسبتهم لا تتعدى ٢٤ ٪ . من مجموع الطلبة في المدارس الابتدائية الحكومية (٢٩)

(٢٩) احمد حسن السلطان التعليم الابتدائي ص ٥٥

(٤٠) « القرية العراقية » ص ٣٩

وبلغ عدد المدارس في القري ١٠٧٠ (٤٧٣) مدرسة تضم ٣٣٥٣٠ طالبا وطالبة
ويقوم بتعليمهم ١٥٦٨ معلما ومعلمة (٤٠) واغلب المدارس الريفية ليس فيها صف الأول الا نصف
العدد المطلوب او المتوقع اودون ذلك . وتقدر هذه النسبة كثيرا في الصفوف العليا فقد
لا نجد في الصف السادس الا احادا (٤١).

وقد شأت الحكومة ان تفرض التعليم في الريف فرضا على الناس فادخلت مادة في قانون المعارف
العامة نستعمل على جعل التعليم الابتدائي الزاميا في الاماكن التي تظن ان دواعي هذا النوع
من التعليم او وسائل انجازه تتوفر فيها . واعلنت الحكومة التعليم الالزامي في اربع عشرة مدرسة
قرية من مدارس لواء الكلوت عام ١٩٤١ . فكان مجموع طلبتها في ذلك العام يقرب من الف طالب
وبعد خمس سنوات اي في سنة ١٩٤٥ لم يزد عدد طلبتها اكثر من ٢١٩ طالبا فقط . وهذه
الزيادة البسيطة كانت نتيجة من تلقاء نفسها دون حاجة الى فرض التعليم الالزامي . اما في لواء
ديالي وهو اللواء الثاني الذي اعلن فيه التعليم الالزامي فقد زاد عدد الطلاب بنسبة ٣٠ / ٠ .
ولا شك في ان جزءا كبيرا من هذه الزيادة كان ناشئا عن تشجيع الحكومة الطلاب على الاقبال الى
المدارس وذلك بتوزيع الكتب والقرطاسية واللوازم الاخرى على عليهم مجانا (٤٢)
وكلنت طريقة فرض التعليم الالزامي في المناطق التي اعلن فيها طريقة تعليمية جديدة كثيرة الصعوبات تحتاج
الى تعاون عدد كبير من الموظفين «يقوم معلم المدرسة في اوائل كل عام دراسي بجمع المعلومات عن
الفلاحين الجدد في القرية وعن اولادهم من الطلبة المسجلين في المدرسة سابقا او من غاروا
المدرسة وينظم باسماء الاولاد وابائهم قائمة ثم ينفذ "مضيف" الشيوخ او السركال ليلا حيث
يجتمع الفلاحون فيطلب الى كل منهم ولد في السن المدرسي ان يرسل ولده الى المدرسة فان
امتنع احداهم او تخلف عن ارسال ابنه اسبوعا عن المدرسة كتب المعلم كتابا الى اقرب مركز اداري
والى مديرية معارف اللواء طالبا تقديم والد التلميذ المتخلف الى المحكمة . واعلنت الاداري
يحيل المخاينة على الشرطة لتقديمه الى المحكمة والشرطة بدورها تحقق القضية وتقدم والد التلميذ
الى المحكمة ان عثر عليه . والا اتمت القضية . وسكنت عنه . وفي حالة العثور عليه فانه يقدم
الى المحكمة فيحكم عليه بغرامة الغيبة او ان يطلق سراحه . ومن الغريب ان يطلب الى معلم المدرسة
الحضور الى المحكمة بصفته شاهدا او مدعيا فيظهر الى ترك مدرسته وايضا التدرسات فيها بضعة
ايام .

(٤١) ناجي يوسف «الريف والتعليم الريفي» مجلة المعلم الجديد (بغداد ١٩٤٦) ج ٦٥ ص ٦٦

(٤٢) احمد حسن السلman كالتعليم الابتدائي ص ٨٥

يتوقف عدد هاهنا على بعد المدارس من مقر المحكمة او قربها اليها . وفي احيان كثيرة يضطر المعلم الى التردد على المحكمة اياما متعددة لان القضية التي يحضر فيها اجليا تؤجل من اسبوع الى اخر . ولما كان في هذا الحال ضياع لاوقات المعلم وحاله فان في احيان كثيرة يدخل تقديم اسما ابا المتخلفين من الاولاد والطلبة الى المراكز الادارية (٤٣) .

ان الاسباب التي تعرقل انتشار التعليم الابتدائي في الريف موالي تجعل التعليم الالزامي فاشلا . مما اتخذت الحكومة من صرامة ومما اتخذت من حيلة عديدة متشعبة متنبع من مشاكل البارد الاقتصادية والاجتماعية . فالفلاح العراقي ، نتيجة لنظام ملكية الارض الناضر ولتاخر وسائل الزراعة ، فقير معدم يضطر الى تشغيل ولده في الارض معه في الزراعة بدلا من ارساله الى المدرسة . وهذا الفلاح اجير يعتمد بقاؤه في الارض على رغبة المالك ، وعلى ارتياحه هو من معاملة المالك له ، ولذا نراه غير مستقر ، ينتقل من قرية الى اخرى . وانتقال الفلاحين مما يحول دون تعليم اولادهم . والاقطاعيون يملكون الاراضي كثيرا ما يحولون دون انشاء المدارس في نراهم لعلهم بان الفلاح المتعلم لا يمكن استغلاله بالمسولة التي يستغلون بها الفلاح الجاهل . ولان المدارس تحرمهم من ايد حاملة يريدونها ان تعمل في مزارعهم وحقولهم .

يقول الاستاذ جعفر خياط : " واتذكر ان احد كبار الملاكين في لواء من اطراف من تلك مناصب خطيرة في الدولة كجاءني يوما ، في وزارة المعارف ، وهو يشكو من ان تاسيس مدرسة في وسط القرى الكائنة في اراضيهم الزراعية قد سبب عدم تيسير الرعاة لاغنامهم ، وناشدني الكف عن توسيع المدرسة وتتميتها " (٤٤) . ومهمة نشر العلم في الريف ببله التعليم الالزامي تتطلب تعاون مختلف دوائر الحكومة مع ادارة المعارف . ولكن هذا التعاون شكلي او مفقود في كثير من الاحيان .

ردوهنا اذكر ذلك المتصرف الذي زاره في احدى اللوية الجنوبية وقد موافق من كبار موالي وزارة المعارف كان يتجهول في اللوية بغية الوقوف على احوال المعارف ونسور التعليم فيها . فقد خالبا ذلك المتصرف الوفد بقوله : " لماذا تتجهجون انفسكم وتحملون مشق السفر ؟ ان دواء هؤلاء الناس الحاصل لا المدرسة . " وقد صادفت المتصرف نفسه في لواء اخر يامر قائمقام احد ا. قضية التابعة له بردم الاسر التي شقت قبل مجيئه الى اللواء لينا مدرسة في احدى القرى .

تبرع ببنائها احد الشيوخ بعد ان ائتمعه القائمقام وادارة المعارف بذلك (٤٥)

(٤٣) احمد حسن السلطان التعليم الابتدائي ص ٥٧ - ٥٨

(٤٤) القرية العراقية ص .

(٤٥) المصدر السابق ص ١١١ الصفحة نفسها

وماذا تجدي الفلاح ثقافته ؟ اين النوادي الثقافية في القرى ؟ اين المكتبات في القرى ؟ بل اين المكتبات المتنقلة توزع الكتب والمجلات والجرائد على الفلاحين ؟ الحق ان العلم والثقافة لم يصبحا حاجة ضرورية عند الفلاح . وما لم يصبح العلم ضرورة ، ما لم يجد الفلاح نفسه بحاجة الى التعليم ، لا يقبل على العلم ولا هذه العوامل خارجة عن قدرة وزارة المعارف . ولكن يجب ان نضيف لها اهمال الوزارة وتقصيرها في حق التعليم الريفي ، ان معظم ابنية المدارس الريفية اما صرائف بالية او بيوت من الطين واللبن وجذوع النخل المتداعية وقليل من ~~ال~~ مبني بالاجود . وهي خالية من الاثاث الجيد ومن وسائل الايضاح المشوقة ، ومن المساحات ووسائل الراحة ، اي انها لا تفرق عن بيوت الفلاحين الكئيبة الا قليلا ، وليس فيها ما يشوق الطفل ويجذبه الى التعليم والبقاء في المدرسة . واحداد المعلم الريفي ناقص وثقافته سطحية ، ومعرفته بشؤون الفلاحين وعقليتهم ضئيلة . يضاف الى هذا ان حالة المعلم الريفي مزمنة بائسة ، فراتبه ضئيل ، ومعيشته غير موفية ، وبيته كوخ ، ويقاوم في الوسط الريفي الموحش يملا روحه مللا ، ويجعله لا ينشط في تعليمه . ومناهج التعليم في الريف لا تختلف عن مناهج التعليم في المدن مع ~~ما~~ ما في المحيطين من فارق عظيم . فامدارس الريفية لا تعلم ابنا الفلاحين الطرق الحديثة في الزراعة وكيفية استعمال الآلات الزراعية والاستفادة من الاسمدة والمباني ، وطرق مكافحة الآفات الزراعية ، والاستفادة من الاسمدة الحديثة والطرق الفنية في تربية الدواجن ، لعدم خبرة المعلمين الريفيين بهذه المواضيع . ولعدم وجود مزارع حكومية نموذجية ملحقه بالمدارس ، ولعدم وجود الآلات زراعية يستطيع الطلاب ان يتعرفوا عليها . والنتيجة الحتمية للدراسة الحاضرة في الريف ان يسعى المتخرجون في هذه المدارس الى الالتحاق بدور المعلمين او في المدارس الاخرى ~~او~~ ان استطاعوا الى ذلك سبيلا ، او ينضم ~~لهم~~ في سلك الشرطة او يصبحون فراشين وموظفين صغارا في دوائر الحكومة فيخسرهم الريف . (لما ان يبقى منهم في القرى فسوفان ما ينسون ما تعلموه ويعودون الى حياة ابائهم واجدادهم ويبقون كاكفين على جهلهم وخرافاتهم وعاداتهم العشائرية البدائية . وهكذا نرى ان المسؤولين عن تاخر التعليم في الريف لا يمكن ان يكون وزارة المعارف وحدها ، ولا الحكومة وحدها ، ولا نظام ملكية الاراضي وحدها ولا حالة الفلاحين الاجتماعية وحدها ~~وال~~ كل هؤلاء مجتمعين . (والعامل الاقتصادي هو اهم هذه العوامل واشدها تأثيرا في عرقلة التعليم في المناطق الريفية . ومشكلة نشر التعليم وتوسيع دائرته متوقفة الى حد بعيد على حل مشكلة الاراضي . فاذا ما حلت هذه المشكلة حلا يرفع من سوية حياة الفلاحين ~~بدون اللجوء الى~~ وباخذ بيدهم لتحسين احوالهم الاقتصادية والاجتماعية نستحل مشكلة نشر التعليم بدون اللجوء الى القانون والى المحكمة .)

(احمد حسن السلطان التعليم الابتدائي ص ٥٩)

مكافحة الامية

لا تقتصر مشكلة التعليم في العراق على الاحداث الذين في سن المدرسة ، بل ان الاغلبية العظمى من السكان جهلاء اميون . ومشكلة تعليم هذا العدد الضخم من الاميين ، وكثير منهم قد تجاوز السن المدرسية ، مشكلة معقدة صعبة الحل ، وان كان على حلها حلا سريعا موقفا يتوقف تقدم البلاد وخيرها .

قامت الحكومة بمكافحة الامية منذ قيام الحكم الوطني في البلاد وان كانت جهود الحكومة في هذه السبيل ضعيفة ، محدودة النطاق . تقوم وزارة المعارف بالعناية الاكبر من مكافحة الامية في المباني المدرسية ، وتساعد في هذا وزارة الشؤون الاجتماعية في السجون ، ووزارة الدفاع في المكنات العسكرية ، وبعيد المدارس الصائغية ، وبعض الجمعيات الموسسة لهذا الغرض كما قامت نقابات العمال بفتح دورات تعليمية لافضاءها ايام ان كانت هذه النقابات حرة النشاط . كان عدد مراكز مكافحة الامية التابعة لوزارة المعارف للجنة الدراسية ١٩٤٦ الى ٤٧ ، ١٥٨ ، وعدد الصفوف في هذه المراكز ٣٣٤ ، وعدد المعلمين ٢٥١ ، وعدد الطلاب ٥٢٠٠ . وكان اربعة من هذه الصفوف خاصة بالبنات وعدد البنات اللاتي يتعلمن فيها ٧٥ (٤٦)

يقضي الطالب في صفوف مكافحة دورتين دراسيتين مدة كل منهما اربعة اشهر يدرس فيها القراءة والكتابة والحساب . وهذه المدة ^{قصيرة} لا تمكن الطالب من اتقان القراءة والكتابة ، وكثيرا ما ينسى ما تعلمه بعد مغادرة الدورة الدراسية بعدة قصيرة . والجهود التي تبذلها الحكومة لمكافحة الامية مثيلة محدودة لا تجدي الا قليلا ، فان معدل المخصصات التي تصرف لهذا الغرض هو ٢٢٨١ دينار في العام الواحد (٤٧) . بل ان حركة مكافحة الامية اخذت في التناقص ، كما يتضح من الجدول الاتي (٤٨) وقلت اعانات الحكومة لهذا المشروع .

(٤٦) حولية ص ٧٠٣ - ٨

(٤٧) احمد حسن السلمان "مكافحة الامية" مجلة المعلم الجديد (بغداد ١٩٧٤ ، ١) ، ص ٣٤ ، ص ٣

(٤٨) حولية ص ٣٠٨

السنة الدراسية	عدد الطلاب	السنة الدراسية	عدد الطلاب
١٩٢٧ - ١٩٢٨	٢٠٧٤	١٩٢٧ - ١٩٢٨	١٢٢٩٥
١٩٢٨ - ١٩٢٩	٢٦٤٥	١٩٢٨ - ١٩٢٩	١٦١٢٢
١٩٢٩ - ١٩٣٠	١٤٨٤	١٩٢٩ - ١٩٣٠	٩٧١٤
١٩٣٠ - ١٩٣١	٢٣٩٨	١٩٣٠ - ١٩٣١	٦٠٠٦
١٩٣١ - ١٩٣٢	٧٧٤٩	١٩٣١ - ١٩٣٢	٧٥٩٥
١٩٣٢ - ١٩٣٣	٤٩٨٢	١٩٣٢ - ١٩٣٣	٤٢٢٩
١٩٣٣ - ١٩٣٤	٢٥٠٠	١٩٣٣ - ١٩٣٤	٤١٧٦
١٩٣٤ - ١٩٣٥	٩٧٠٥	١٩٣٤ - ١٩٣٥	٣٢٨٨
١٩٣٥ - ١٩٣٦	٧١١٥	١٩٣٥ - ١٩٣٦	٥٥٦٥
١٩٣٦ - ١٩٣٧	١١٠٤٨	١٩٣٦ - ١٩٣٧	٥٧٠٠

والحق ان الامية مشكلة معقدة ترتبط بالوضع الاقتصادي والاجتماعي ارتباطا وثيقا ، ولا يمكن القضاء عليها نهائيا الا اذا بدلت اوضاع الناس الاقتصادية ، وتحسنت ظروفهم الاجتماعية .

فان الثقافة والعلم لا يتأتيان للانسان الا مع الفراغ والزمان المادي . وما دام الفلاح والعامل وكثير من الكسبة في المدن فقرا معدمين ، يكدر حزن طول يومهم بوسائلهم البدائية للحصول على اللقمة فخلن يدركوا فائدة العلم ولن يهتموا به . ولن يجدوا متسعا من الوقت للتعلم ان ارادوا . وكيف يتعلم البدوي وهو ينتقل وراء ماشيته من ارض الى ارض سعييا وراء العشب والماء ؟

واي رغبة يحس للتعلم ؟ لقد الفت جماهير الشعب حالتها الاقتصادية والاجتماعية حتى اصبحت تراها طبيعية . ووجد الناس اباهم اميين جهلا فالفوا الجيل ولم يجدوا فيه فضاة ، بل وجدوه شيئا طبيعيا كهذه العبودية التي يقدمونها لاسيادهم الاقطاعيين ، وهذه الحياة البائسة التي يحيونها وهل يشعر الفلاح الامي المتعب الفقير بحاجة للتعليم في محيط لا يرى فيه مكاملا ؟ ان تغيير هذا الوضع الاقتصادي الذي للسواد الاعظم من السكان الى جانب كونه سيرخج مستوي معيشتهم ويزيد استقرارهم الاجتماعي واطمئنانهم النفسي وطيل اوقات راحتهم وفراغهم سيحدث تغييرا عاما في عقليتهم وهزقة نفوسهم ، ويعيد اليهم شعورهم بذواتهم كائنا من احرار ، ويجعلهم اكثر استعدادا لتلقي العلم والاستفادة منه في حياتهم .

ولكن هذا لا يعني ان نقف مكتوفي الايدي مستسلمين للياس منتظرين انتظام الحالة الاقتصادية وتحسن حالة الناس المادية ، بل نشرع في محو الامية ونشر التعليم بين الناس . فان الحياة الاجتماعية وحدها مترابطة الاجزاء يؤثر بعضها في بعض . فكما ان اعادة تنظيم الحياة الاقتصادية يسهل حل مشكلة الامية فان تعليم العامة من الشعب وثقيفهم هو احد العوامل الاساسية في انتظام الحالة الاجتماعية وتقدم الحياة الاقتصادية . فالى جانب العمل على رفع مستوى معيشة السكان بصورة عامة يجب ان نبذل الجهود المنظمة الثمرة لمحو الامية . وذلك يتطلب خطة مدروسة مبنية على الاحصاءات الدقيقة تقوم بها الدولة على نطاق واسع بحيث تشترك في تنفيذها كافة الوزارات ، وبخاصة الهيئات الشعبية التي تعمل لنفس الغاية . ويحتاج تطبيق هذه الخطة الواسعة الى نفقات باهظة لا تكفي لسدائها هذه الاعتمادات الضئيلة التي تخصصها الحكومة الان ، ولا بد من اعادة النظر في توزيع ميزانية الدولة ، واعطاء هذا المشروع ما يستحقه . ويجب ان يعد معلوم مكافحة الامية اعدادا خاصا . فان تعليم الاميين الراشدين يختلف اختلافا كبيرا عن تعليم الاميين من الاطفال فلكل عقليته وتصوراتها وعاداته ، وتكوينه النفسي الخاص . ويجب الى كل ما تقدم ، ان تعد لهو لا

الامين كتب خاصة تناسب عقليتهم ، كما يجب ان توفر وسائل الراحة في مراكز المكافحة . بحيث يجد العامل المتعب ، والفلاح المكود ، مشوقا للذهاب اليها .
على ان هذا يحتاج الى مبالغ جسيمة من المال ، والى للحكومة تشمر شعورا عميقا صادقا
بضرورة تعليم العامة من الشعب . وهنا تطالعنا مرة اخرى المشكلة المالية ، ومشكلة جهاز
الدولة القائم .

التعليم الزراعي والصناعي

الاقتصاد العراقي قائم على الزراعة . ولكن الزراعة العراقية متأخرة لا تباعها الطرق البدائية واستخدمتها الآلات البسيطة ، ولجمل الفلاح وسوء توزيع الاراضي . ولجل النهوض بالزراعة واقامتها على اسرع صرية ، لا بد من اعداد عدد كاف من الفنيين والخبراء الزراعيين ، يملكون الفلاحين الطرق الحديثة في الزراعة ، ويشرفون على الحقول النمو . جبة التي ترشد الفلاحين وتبين لهم اهمية الاساليب العلمية في الزراعة ، وكيفية مكافحة الآفات النباتية ، والطرق العصرية في تربية الدواجن على ان الحكومة لم تتم بهذا الامر الحيوي الا مؤخرا . ومع ذلك جاءت جهودها ناقصة شواها .

اسست مديرية الزراعة العامة مدرسة للزراعة في عام ١٩٣١ . يقبل في هذه المدرسة

خريجون المدارس المتوسطة كمدة الدراسة فيها ثلاث سنوات . ان مستوى

هذه المدرسة الثقافي يعادل الدارسة الثانوية . اما مستواها الزراعي فواطي .

تخرج في هذه المدرسة ٢٣ طالبا في عام ١٩٤١ - ١٩٤٢ و ٢٨ طالبا في ١٩٤٢ - ١٩٤٣ ، و ٢٧ و ٢٨

٢٧ و ٢٨ في عام ١٩٤٣ - ١٩٤٤ ، في عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ ، و ٥٨ في عام

١٩٤٥ - ١٩٤٦ ، و ٣ في عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ (حولية ١٩٥١) . كان المتخرجون

يعينون في الحقول الزراعية التابعة لمديرية الزراعة العامة . ولان عددهم اصبح كمنذ

سنة ١٩٤٨ ، يفرض من حاجة هذه الحقول القليلة . ولم يجد هو لا مجالا للاشتغال في

المزارع الاهلية لان الملاكين لا يشقون بخبرتهم الزراعية ومعارفهم الفنية ، ويفضلون عليهم الفلاحين

المجربين ، والعمال الزراعيين والمراكين . وفكرت الحكومة كمنذ سنة ١٩٤١ ، في

اعطاء خريجي هذه المدرسة مساحات صغيرة من الاراضي الزراعية يتولون زراعتها بانفسهم

واعد تشريع لتنفيذ هذه الفكرة السائبة غير ان هذا التشريع لم ينفذ ، وبقيت الفكرة

حلما جميلا . ولعل تخوف الحكومة او الاقطاعيين من امتزاج المثقفين بالفلاحين وما

يجره هذه الامتزاج من انتقال الانكار العصرية الى الفلاحين هو الذي حال دون تحقيق

هذه الخاية (٤٨) . واخذت وزارة المعارف تستخدم هؤلاء الطلاب في ملاك
التعليم الابتدائي . وفي هذا خسارة من جبهتين . اولاً ان الثقافة الزراعية ، مما
كانت نافعة^{شحلة} التي يحمل عليها هؤلاء الشبان تبقى منقورة لا تنفذ . ومن جهة
اخرى فان هؤلاء الشبان لم يعدوا اعداداً فنياً لمصلحة التعليم ، ومنتجبة استخدام
في التعليم انخفض مستوى الدراسة الابتدائية ، وانحطاط ثقافة النشء الجديد .
وفي العراق صناعات قائمة^{شحنة} ومعامل حديثة^{شحنة} عددها في ازدياد . وامكانية
قيام الصناعات الكبيرة في البلاد متوفرة ولا سيما الصناعة التي تعتمد على المنتجات
الزراعية والحيوانية . ولا بد ان من تهيئة عدد كبير من الفنيين يدبرون هذه
الصناعة يشرفون عليها . وحاولت الحكومة تحفيز هذه الفكرة ولكن جهودها جاءت
ناقصة شوهاً كجودها في اعداد فنيين وخبراء زراعيين .

اسست اول مدرسة صناعية في بغداد في عام ١٩٢٠ وبعد سنوات انشئت مدرست
اخرى في الموصل . وقد انطلقت هذه المدرسة قبل ثلاث سنوات وفتحت مدرستها للصناعة
احدهما في كركوك والاخرى في البصرة ، لتكونا على مقربة من شركة نفط العراق
ومن الميناء . ومدة الدراسة في المدارس الصناعية خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية
وتخرج في هذه المدرسة جميعاً منذ عام ١٩٢٠ - ٢١ الى نهاية ١٩٤٦ - ٤٧ ،
٤٥٢ طالباً (حولية ٢٥) ولا يقتصر فشل المدارس الصناعية على تخرج عدد
ضئيل من الطلاب خلال هذه المدة الطويلة حسب بل^{شحنة} ثقافة هؤلاء الطلاب النادرة
الفنية نافعة^{شحلة} . ومرجع ذلك الى ضعف الدراسة النظرية في هذه المدارس المسببة
من عدم وجود اساتذة عاملين فيها ، والى عدم وجود معامل كاملة المعدات ملحقة
بهذه المدارس يتدرب فيها الطلاب ويطلقون ما تعلموه نظرياً . ان خريجي هذه المدارس
لا تمكن مساواتهم حتى بالعمال الاميين الذين تلقوا هارفهم بالتجربة المشوقة^{شحنة} هو ان
مهمر هؤلاء الشبان ظل قلقاً ، وهم ليسوا بالمهندسين الفنيين الذين تحلبهم المعامل
وسكك الحديد وشركات النفط والميناء ، ولا هم بالعمال الفنيين الماهرين الذين يستلعمون
ان يجدوا عملاً في المنشآت الصناعية في البلاد . ولم يبق امامهم من سبيل الا الالتجاء
الى الحكومة ولدى باب الوظائف الكتابية .

هذه الناية (٤٨) . واخذت وزارة المعارف تستخدم هؤلاء الطلاب في ملاك التعليم الابتدائي . وفي هذا خسارة من جهتين . اولاً ان الثقافة الزراعية ، مما كانت نافعة / التي يحصل عليها هؤلاء الشبان تبقى منمورة لا تنفذ . ومن جهة اخرى فان هؤلاء الشبان لم يعدوا اعداداً فنياً لمهنة التعليم ، نتيجة استخدامهم في التعليم انخفاً مستوى الدراسة الابتدائية وانحطاط ثقافة النشء الجديد . وفي العراق صناعات قائمة ومعامل حديثة ^{فنية} عددها في ازدياد . وامكانية قيام الصناعات الكبيرة في البلاد متوفرة ولا سيما الصناعة التي تعتمد على المتطلبات الزراعية والحيوانية . ولا بد ان من تهيئة عدد كبير من الفنيين يديرون هذه الصناعة وينصرفون عليها . وحاولت الحكومة تحقيق هذه الفكرة ولكن جهودها جاءت ناقصة شوهاً كجودها في اعداد فنيين وخبراء زراعيين .

استت اول مدرسة صناعية في بغداد في عام ١٩٢٠ وبعد سنوات انشئت مدرست اخرى في الموصل . وقد انطلقت هذه المدرسة قبل ثلاث سنوات وفتحت مدرست للصناعة احدهما في كركوك والاخرى في البصرة ، لتكونا على مقربة من شركة نفط العراق ومن الميناء . ومدة الدراسة في المدارس الصناعية خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية وتخرج في هذه المدرسة جميعاً منذ عام ١٩٢٠ - ٢١ الى نهاية ١٩٤٦ - ٤٧ ، ٤٥٢ طالباً (حولية ١٥١) ولا يقتصر فئمة المدارس الصناعية على تخرج عدد ضئيل من الطلاب خلال هذه المدة الطويلة حسب ^{الطريقة} بل ثقافة هؤلاء الطلاب الدائرة الفنية ناقصة ضحلة . ومرجع ذلك الى ضعف الدراسة النظرية في هذه المدارس المسببة عن عدم وجود اساتذة ماهرين فيها ، وإلى عدم وجود هامل كاملة المعدات ملحقه بهذه المدارس يتدرب فيها الطلاب ويطلقون ما تعلموه نظرياً . ان خريج هذه المدارس لا تمكن مساواتهم حتى بالعمال الاميين الذين تلقوا مهارتهم بالتجربة العملية ^{العملية} هو ان مسير هؤلاء الشبان ظل قلقاً ، فهم ليسوا بالمهندسين الفنيين الذين تحصلهم المعامل وسكك الحديد وشركات النفط والميناء ، ولا هم بالعمال الفنيين الماهرين الذين يستطيعون ان يجدوا عملاً في المنشآت الصناعية في البلاد . ولم يبق امامهم من سبيل الا الالتجاء الى الحكومة ولحق باب الوظائف الكتابية .

(٤٨) صدق الاهالي العدد ٢١٦ "خرجوا مدرسة الزراعة وبصرف مشاكل الزراعة القائمة"

وما هذا بالحل المجدي، وما لهذا انفقت الحكومة على تعليمهم الاموال اللائلة من
ضرائب الشعب . ان انخفاض الثقافة الفنية ، النظرية والعملية ، في هذه المدارس ،
وعدم تيسر العمل لخرجيها هو الذي ينفر الشباب من الاقبال عليها بالرغم من ان
الحكومة تتدخل بدراسة الطالب ومعيشته طوال سنوات الدراسة الخمس .

إذا اردنا ان نهي* للزرافة الصناعة مؤند سمين وخبرا فنيين ، وعمالا ماهرين،

وإذا أردنا انتقاد المثل - والالاف من التفسير - وإذا أردنا أن نحول أثار الشيا

المتعلمين عن الوظائف الحكومية الى العمل الحر المشر، فعلى ان نقيم التعليم الصناعي الزراعي على اسس وطيدة، فنوسع هذه المدارس ونجهزها بالمعدات الفنية وما تستلزمه من معامل وحقول للتجربة، وان نرسل البعث الى المدرسة الزراعية والصناعية والمعامل في الخارج، وان نمدها بما تحتاجه من اساتذة وفنيين وعلماء

على ان هذا وحده لا يكفي . بل يجب ان يتم بتيسير سبيل العمل والعيش
لهؤلاء الفنيين الزراعيين والفنيين الذين تعددهم هذه المدارس، وذلك عن طريق

التشغيل الحكومة لهم في الشغل والميند والمؤسسات الحكومية واجبار الشركات الاحنية

وشركات النفط بخاصة على تفضيلهم على العمال والفنيين الاجانب اهن طرق قيام

الحكومة بالمشاريع الزراعية والصناعية الكبيرة التي تفيده البلاد اقتصاديا، وتوفر العمل

لكثير من ابنا' البلاد، وعن طريق تنظيم الحياة الاقتصادية بصورة عامة لا نذا لم يكن

هناك في البلد توجيه اقتصادي يسير على حسب خطة مرسومة ومنهاج ثابت لتعيين الصناعة

ومدى التصنيع وتوسيع الانتاج الزراعي وتنظيم التجارة وتنسيق هذه المرافق كلها بالنسبة

لبعضها البعض فائنا في توجيها المعالي الجديد لنكون الا قد ابدلنا جيش المتعلمين

المقعدین بهجیش من العمال المدرین العاطلین) • (٤٩)

(٤٩) دكتور علي الصافي، "التعليم الصناعي" مجلة المعلم الجديد، ٤ (بغداد ١٩٤٩)

الفصل السابع

الصحة العامة - ا م م م م

ان سلامة الانسان من الامراض ، وصحة تكوينه الجسدي والعقلي ، من مقومات حياته ، ومن الاسس التي يقوم عليها المجتمع السليم . والمرضى انبان بانفسهم ، لا ينعم بحياته ولا يجد لذة لوجوده ، ولا يستطيع ان يقدم الا اقل الخور للمجتمع ، ان لم يكن عبئا ثقيلا عليه . ان المجتمع لا يقيم بعدد ما فيه من الافراد بل بعدد ما فيه من الافراد الاصحاء ، الناشطين ، العاملين . والمجتمع المريض اغلبية افراد ، مجتمع اخر حضاريا واقتصاديا لا يستطيع ان يجاري ركبا الانسانية السائرة ايدا الى الامام . وهل تاريخ الانسان باسره الاكفاح ضد المرض ، وضد كل ما يقف عائقا امام الحياة الحرة الرخية ؟ ليس الجسم الصحيح السليم هو الجسم الخالي من الامراض والعاهات فحسب ، بل هو الذي يتمتع بحيوية تامة للقيام باعماله ، والتمتع بحياته ، ومقاومة ما عسى ان يصيبه من مرض . ان صحة الفرد هي وجوده ، في حالة تمكنه من القيام بوظائفه الجسدية والعقلية خير قيام وتجعله يعيش اطول عمر ، ويخدم احسن خدمة في حياة الشخصية والاجتماعية (١) . تتوقف صحة الفرد وسلامته من الامراض على عوامل عديدة منها ما هو شخصي كقدرة الجسم ، في وقت ما ، على مقاومة المؤثرات التي تؤدي الى المرض او الموت ، ومنها ما هو ارجح من كيانه كالمنزل الذي يعيش فيه والغذاء الذي يتناوله ، والماء الذي يشربه ، والعمل الذي يمارسه ، والبيئة الذي يعيش فيه . وسوف ندرس في هذا الفصل الامراض المنتشرة في العراق ، والخدمات الصحية التي تقدمها الدولة للشعب ، وتأثير العوامل المحيطية ، والحياة الاجتماعية والاقتصادية على الصحة العامة .

انتشار الامراض

تقدر عدد الاصابات بمختلف الامراض ^{درجته} نحو ملايين اصابة في العام الواحد . والجدول الاتي (٢) يوضح لنا النسب المئوية لاهم الامراض السارية واكثرها انتشارا في البلاد ،

(١) الدكتور شريف عسيران «علم الصحة» (بغداد ١٩٤٩) ج ١ ص ٣٠٢

(٢) جواد ص ٩١

المعالجة في المؤسسات الصحية لسنة ١٩٤٣

المalaria	٥٦٤	بالمئة من مجموع الامراض السارية
التراخوما	٤٠,٥	" " " " " "
الزهري	٢,٢	" " " " " "
الدزنتي	١,٦	" " " " " "
البلهارزيا	١,٢	" " " " " "
النزلة الصدرية	١,٦	" " " " " "
الانكلستوما	٠,٥	" " " " " "

المalaria مرض سار سبه ميكروب طفيلي يسمى المalaria ، ينتقل بواسطة نوز من اناث البعوض يسمى الانوفيليس ، تعيش على دم الانسان . والمalaria مرض خبيث يؤدي الى انحطاط قوى العصايين انحطاطا شديدا ، والى فقر الدم بسبب اتلاف كريات الدم الحمر والى تضخم الطحال ، كما انها تؤدي الى العقم او الاجهاض عند المرأة . وتنتشر المalaria في المحلات المنخفضة كالوديان ، وفي المزارع ، وقرب الاهوار والمستنقعات ، اي في كل ^{البراقية} مناطق التي توجد فيها الرطوبة والمياه الراكدة والحرارة التي تساعد على نمو البعوض الذي ينقله . وقد ازداد هذا المرض انتشارا في العراق في السنوات الاخيرة بسبب ازدياد قنوات الري ، والى المسيحي ، دون وجود نظام تصريف للمياه مما ادنى الى حدوث المستنقعات والى كثرة العدائق والبساتين في المدن الكبرى ، وعدم وجود نظام لتصريف المياه فيها ، يضاف الى هذا فقر السكان ، وانحطاط مستواهم الاقتصادي ، وسوء تغذيتهم ، مما يضعف اجسامهم على مقاومة المرض . (وشراح عدد الذين يراجعون المستوصفات الحكومية من المصابين بالمalaria بين ٠٠٠ و ٢٠٠٠ في سني اقباض التي تنتشر فيها المalaria بشكل وباء . ومن المستعمل جدا ان يكون مجموع الاصابات من المراجعين وغير المراجعين حوالي الثلاثة ملايين اصابة . ويعزز هذا التقدير نسبة تضخم الطحال في القرى وغيرها حيث لا تقل نسبتها من ٦٠ ٪ و ٠٠ ٪ وتقدر وفيات المalaria في العراق ب ٢٠٠٠٠ سنويا . (٣) وفيما يلي جدول باصابات المalaria لسنة ١٩٤٣ موزعة حسب الاولوية مع البيان عن نسبتها المئوية الى مجموع الاصابات بمختلف الامراض في كل لواء . (٤)

(٣) عسيران ص ١٢٤ - ٧٥ وقد ذكر الاستاذ هاشم جواد ص ٩١ نقلا عن المalaria والمalaria في العراق (للدكتور علي غالب) ويعتقد العارفون بهذا المرض ان المalaria تسبب ما لا يقل عن ٠٠٠ و ٥٠٠ وفاة في السنة الواحدة . (٤) جواد ص ٩٢ - ٩٣

النسبة المئوية	عدد الاصابات	اللسوا*
٣,٧	٣٤٦,٨٤٦	بنداد
٢٠,٧	٥٩٦,٦٦٢	البصرة
١٤,١	٥٦٨,٨٢٦	الموصل
٦,٥	١٤٦,٦٦٤	العمارة
١٧,١	٢٣٩,٩١٦	اربيل
١٤,٩	٥٣٩,٥٨٤	الديوانية
١٣,٥	٣٩٦,٤٥٤	ديالى
٨,٣	١٣٩,٩٤٣	الديلم
٢٢,١	٥٩٦,٥٠٦	الحلة
٢٦,٦	٨٣٦,٤٠٨	كربلاء
١٣,٩	١٢٦,٣٩٤	كركوك
٩,٢	١٧٦,٤٠٥	الكوت
١١,١	٢٤٦,٤٢٦	المتفك
١٢,٣	١٥٦,٥٠٦	السليمانية

ينبين لنا من هذا الجدول ان انتشار الملاريا على اشد في الوجة كربلاء والحلة والبصرة والموصل والديوانية ، وهي من الالوية الزراعية المصبغة ، والمزدهية بالزراعة .
والتراخوما مرض سار مزمن ومصيب لمنظمة العين ويولد فيها حبيبات صغيرة او كبيرة ويحدث تخريبات في العين نفسها ، وقد تكون سببا في تلف العين كلها . والخبث عامل مهم في نقل العدوى ان يخرش اغشية العين المخاطية ، وحمل اليها الجراثيم كما ينقل الذباب المرض من المريض الى السليم . وهذا المرض ينتشر عادة في الحالات القذرة ، وحيث يكون المستوى الصحي واطنا ، والتغذية ناقصة ، والجهل مخيما على العقول وقد بلغ مجموع الاصابات في العراق سنة ١٩٤٦ مقدار ٣٢٣,٥٥٨ اصابة (٥) .
والبليارزيا مرض سار تسببه نوع من الديدان المسطحة متعيش في المياه وتنتقل

منه الى الانسان اثنا الاستحمام ، او الشرب ، تتوطن هذه الديدان الكبد والوريد الباي وتنقل منه الى المثانة والمستقيم فتخرشهما وتسبب بولا او ابرازا دمويين ، ويضعف العصاب جراً فزى الدم ، ومن السهم المتولدة من الديدان ، كما ان هذا المرض يحدث اضراراً عامة في الجسم ، وهو موجود في العراق ، وخاصة في الوجة الفرات ، حيث يقدر ان ثلث الجنوبيين مصابون به (٦) وقد بلغ مجموع الاصابات المسجلة في دوائر الصحة سنة ١٩٤٦ (٢٦٠٠٠) (٢٦) (٧) اصابة ، ولا يمثل هذا الاحصاء المرضى الذين يراجعون طبيباً خاصاً ، واكثر المرضى الريفيين الذين لا يراجعون طبيباً على الاطلاق .

والانكلوستوما مرض يسببه نوع من الديدان ، تخرج بيوضها مع الغائط وتبقى حية في الطين او الارض الرطبة او المياه العذبة ، وتدخل اجنتها الجسم عن طريق الجلد والتم . وهو يسبب فقر دم شديد واضطرابات معوية وسدية ، ومنحولا ، وضعفاً في القلب . وهو منتشر بين الفلاحين كثيراً ، بسبب فقرهم وسوء النظافة ، وسيرهم على الارض رطبة ، ولا يقل عدد المصابين بهذا المرض عن ثلث السكان (٨) وتبلغ نسبة الاصابات في بعض نواحي العراق ٥٠ ٪ من مجموع السكان (٩) .

واذا اضفنا الى هذه الامراض المل ، والذي اخذ يزداد انتشاراً بين الطبقات الفقيرة وخاصة في اربيل وكركوك والمساب العديدة ، والديستنزاتري ، ووفيات الفال التي تكثر في الفصل الاول ، والزحري الذي يعد المصابون به بعشرة الالوف في المدن والقرى ، كلت صورة الامراض الاكثر انتشاراً في البلاد ، وهي صورة لحمي فاجعة . ((يخمن المعارفون بالاحوال الصحية ان كل فرد من سكان الريف والقرى والتجمعات وافراد الطبقة العاملة والفقيرة ، وهو لا يؤلفون نحو ٩٠ بالمائة من السكان مصاب بها لا يقل عن مريضين او ثلاثة في وقت واحد . هذا بالاضافة الى الامراض الطارئة التي تنتابه من حين لآخر ، وكل واحد من هذه الامراض اذا اهمل كان لان يؤثر في حيوية وقوة جسم الفرد وتأثيرها واصحها فيقلل من قابليته الفكرية والعقلية فيؤثر في انتاجه . يضاف الى هذا ان الامراض المذكورة تنخر كيان الاجيال الجديدة باستمرار وتؤخر زيادة السكان تأخيراً محسوساً . ولا شك ان مكافحة هذه الامراض صعب جداً ، ما دامت الاكثية الساحقة من

(٦) جواد ص ٩٤

(٧) (المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٢) ص ٢٤

(٨) جواد ص ٩٤ نقلاً عن " المؤسسات الصحية في العراق " الدكتور هاشم الشامي (الوتر)

(٩) صيران ص ٢٤١

السكان فقيرة وجاهلة» (١٠) .

المؤسسات والخدمات الصحية .

لم يتجاوز ما خصص للخدمات الصحية منذ سنة ١٩٢٨ - ٣٩ الى سنة ١٩٤٦ - ٦٠٧٤٤٧ بالتمة من مجموع الميزانية ، التي بلغت ٢٥ مليون دينار في سنة ١٩٤٦ - ٠٠١١٠٤٧ . وهذه نسبة ضئيلة جداً ، بالنظر لعظم انتشار المرض وتضاعف ضاقتها اذا ما قورنت بما خصص لشؤون الدولة الاخرى ، التي لا تهم البلاد مثل الصحة فقد خصص للجيش عام ١٩٤٦ - ٤٧ (٢٨٠٠٠ / ٠) وللشرطة (١٤) / ٠ ، وللمعارف ٥٠ / ٠ (١٢) وتظهر ضالة ما يقدم للشعب من خدمات صحية من مراجعة المؤسسات الصحية . وفيما يلي جدول (١٣) بالمؤسسات الصحية في الحكومة والاهلية ، للسنتين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ .

المؤسسات الصحية	العدد	مجموع السرر الحكومية
المستشفيات الحكومية	٦٩	٤٤٣٥
المستوصفات الحكومية	٤٠٣	مجموع السرر الاهلية ٣٤١
شعب جمعية حماية الطفل	١٤	مجموع الاسرة في ٤٠٠
مستوصفات جمعية الهلال الاحمر العراقي	١	شركات النفط ١٤
مستوصفات جمعية بيوت الامة	٢	
المستشفيات الاهلية	٨	
المستوصفات الاهلية	١٠	
مستشفيات شركة النفط	٤	
مستوصفات شركة النفط	٦	

الهيئة

- (١٠) جواد ص ٩٥ في سنة ١٩٤٦ كان عدد الطائين بالسفلى والدرسة والسيلان والسل الرئوي من راجعوا المؤسسات الصحية فقط كما يلي
السفلى ٣٣١٠٤ ، القرعة البينة ٣٠٢٥ ، السيلان ١١٤١٥ ،
السل الرئوي ٦٥٢١ ، انواع السل الاخرى ٢١٣٩ (راجع المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٢) ص ٣٤
(١١) القرعة العراقية ص ٣٥
(١٢) المصدر نفسه ص ٣٥
(١٣) الحكومة العراقية وزارة الشؤون الاجتماعية شعبة الاحصاء ، احصائية المؤسسات الصحية في العراق حسب الالوية ومواقعها بموجب التشكيلات الادارية وعدد الاسرة الموجودة فيها ودرجتها للسنتين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ،

وبلغ عدد الاطباء جميعاً في عام ١٩٤٦ (٦١٩) (١٤) طبيباً ، موظفاً وغير موظفاً . وهذا العدد من الاطباء ضئيل لا يفي بحاجة الشعب ، إذ لو وزعوا بانتظام في جميع أنحاء البلاد لاصاب كل طبيب (٨٢٤٠) شخصاً ، وهذا عدد كبير لا يستطيع طبيب واحد ان يقوم برعايتهم وعلاجهم مما قد يصابهم من مرض ، لما بالك اذا كان هو لا الاطباء غير موزعين توزيعاً عادلاً في البلاد ، ان معظم الاطباء يقيمون في بغداد والموصل والبصرة ، بينما الامرار تشتك باكثريه الشعب في الريف . بلغ مجموع الاطباء في لواء بغداد وحده عام ١٩٤٦ (٣٤٥) (١٤) طبيباً ومعنى هذا ان يكتفي اكثر من اربعة ملايين عراقي ب ٢٧٤ طبيباً . ويوجد في لواء البصرة عام ١٩٥٠ ١٠٢٦ طبيباً يقيم منهم ٩٨ في مركز اللواء و ١٤ طبيباً فقط في بقية انحاء ومعنى هذا ان حصة الطبيب الواحد في لواء البصرة عدداً مراكز اللواء ٦٧٠٨٣٦ نسمة (١٥) . هذا مع العلم بان بان لواء البصرة اهم لواء لزراعة النخيل ومن اهم مناطق الملايا في العراق .

وكان يوجد الى جانب هؤلاء الاطباء سنة ١٩٤٤ ٢٢٧٦ موظفاً صحياً ، ٢٠٤ ممرضاً و ٣١٣ ممرضة و ١٠١ قابلة ، موزعين على مختلف المؤسسات الصحية (١٦) . وقد بلغ عدد المراجعين من المرضى للمستشفيات في هذه السنة ٤٧٠١٣ مريضاً والمتوصفات ٤٣٢١٣١٤ مريضاً (١٦) . ورغم كثرة عدد المراجعين للمستوصفات فانها لا تحيى الا اقل من خمس مجموع الاطباء الموظفين عند الحكومة كما يعوزها الكثير من الادوية والادوات الطبية وليبرقيها اتمام داخلية . وهي تنقسم الى ثلاث درجات . يعتبر المستوصف من الدرجة الاولى اذا اشغله طبيباً ويوجد من هذا النوع (١٠٣) (١٧) وهي تقوم بخدمات لا بأس بها بالنظر الى وجه الطبيب فيها ومن الدرجة الثانية اذا اشغله موظف صحي ، ومن الثالثة اذا اشغله ممرض . وهذه المستوصفات من المنفذين الثاني والثالث لا تقوم الا ببعض المعالجات البسيطة ، لا سيما تلك التي من الدرجة الثالثة حيث يكون الممرض عادة دون اي تدريب فني وثقافة طبية إذ هو ينال تدريبه الضروري في المستوصف نفسه ، وما اكثر ضحايا هو لا الممرضين الجهلاء من الفلاحين

(١٤) (المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧) ص ٢٦ وقد كان عدد الاطباء في السنوات الاربع السابقة لهذه السنة حسب ما ورد في الاحصائية نفسها كما يلي .

٤٨٨ لسنة ١٩٤٢ ، ٤٩١ لسنة ١٩٤٣ ، ٥١١ لسنة ١٩٤٤ ، ٥٦٩ لسنة ١٩٤٥

(١٥) من تقرير لديرية الاحصاء التابعة لديرية الصحة العامة نقلاً عن جريدة صدى

الاهالي عدد ٢٨٤ بغداد ٣١ اب ١٩٥٠

(١٦) القرية المراتية ص ٣٦

الابرياء ١١ . ان الخدمات الصحية التي تقدمها الدولة للشعب على الرغم من ضالتها وتأخرها التي منحصرة في المدن الكبرى ولا يكاد يستفيد منها البدو والرحل وسكان الاهوار والجبال واطراف الصحراء لا بدع ان ان بطلمى الفلاحون كمدفوعين بجهد لهم وسداجتهم والحاج الممر عليهم ، الى الامتعاة بالشيوخ والصحرة والمعزبين لشفا^١ امراضهم ، وعلاج افاتهم .

الصحة العامة والحياة الاقتصادية والاجتماعية .

قلت ان الخدمات الصحية التي تقدمها الدولة للشعب غثيلة محدودة النطاق ، الى جانب كون معظم المؤسسات الصحية متأخرة ننيا واداريا منحصرة في المدن ولا تستطيع ان تنفذ جماهير الشعب من هذه الامراض التي تنحل اجسامها . وتمتد حيوتها / وتقتضي على الاف من ابنائنا كل عام . واذا ارادت الدولة ان ترفع لهذه العاسة الفاجدة حدا فعليها ان تعيد النظر في توزيع الميزانية لتمنع مديرية الصحة حصة كبيرة لتتمكن من انشاء المستشفيات والمستوصفات وتجهيزها بما تحتاج من الحباء وممرنين وادوات طبية . واقامة المستشفيات المتفلة وتوسيع الكليات والمدارس التي تعد الاطباء والمرفقين الصحيين والمرضين والمرضات .

ولكن الاكثار من انشاء المستشفيات والمستوصفات على اقتراض المستحيل ، لا يكفي وحده لحل مشكلة الصحة ، والقضاء على الامراض . فاعلية الشعبية جاهدة لا تعرف لمن الوقاية من المرض لانها لا تعرف طبيعة المرض واسبابه ، ولا تعرف الاسلوب الصحي في المعيشة والحياة . يموت كل سنة آلاف الاطفال الوضع في الصيف . بعد اسباب الوفاة مشخصة معروفة وبعضها لا يعود الى مرض معروف فاذا سالنا طبيبنا لماذا ياخوال الاطفال وعادات الامهات الجاهلات يترس ان الداء الرضيع لا يسقى ماء ما دام يرضع حليب امه ، ولكن ما ما في الحليب من الماء لا يبقى جسم الطفل في صيف العراق الحار الكاري الذي يستنزف ما في جسم الطفل من ماء عرقا^٢ ، وتلف انسجته الحرة الرخوة فيموت او ينشأ^٣ نحيلا واهي العظام ، معلولا يوسعي العوام الطفل من هذا الصف الاخير مصيف^٤ وهه^٥ المادة المجرمة شائعة على الاقل في الموصل والمنطقة الشمالية . وجعل الامهات بالامور الصحية هو المسؤول من هذه القذارة التي تغلف اجسام الاطفال اللدنة وتخشى وجوههم الجميلة . حلت عندنا احدى القرويات وطفلا ضيفة طينا ذا - يم . وكانت ملايح الطفل ما تكاد تبين من تحت طبقة سميكة من المخاط ، والقذى والتراب الممزق بالعرق .

والج الذباب على عينه الطفل حتى لم يعد ^{يسير} على الوجع فاخذ يصرخ . فقامت
ترضعه محاولة اسكاته ، كمادة الامهات في اسكات صراخ الاطفال ، ولكن الطفل كان شهيدا فلم
يقبل الرضاع وظل يصرخ . وعندما اخبرتها ان تغسل وجهه . وكان الماء قريبا منها
عجبت ان تكون اية علاقة بين الصراخ وقذارة وجهه . ولكنها فعلت مرغبة فيذا الطفل
المسكين . وقد اعتاد الناس في كربلاء والنجف وغيرها من المدن التي يسكن فيها الشيعة
ان يقيموا في مساجدهم وبيوتهم احواضا ، يسمونها احواض " الكر " يملأونها ماء ويطعمون
فيها ايديهم واجسامهم ، وانية طعامهم ، لاعتقادهم ان ماء هذه الاحواض مبارك
يطهر من القذائر والخطايا . وقد يبقى الماء في الحوض دون تبديل مدة طويلة فياسن .
هذه الاحواض ذات المياه الامنة الراكدة احسن مرتع للهمو الخبيث الذي ينقل الماريا
وقامت الحكومة بحملة لكافة الماريا واستلاعت ان تهدم احواض الكر العامة ، ولكن الناس
قاموا عملها ، ولم يتعاونوا معها ولم يرضوا بهدم احواضهم الخاصة ، وبقيت كربلاء ^{مثلا} ممتلئة
محتظة باكثر من ثلاثة الاف من هذه الاحواض القذرة الموبوءة ، وظلت كذلك من اكثر المدن
العراقية تحملا لوطاة الماريا ، وهذا المرض الخبيث . فالى جانب اقامة المستشفيات يجب
مكافحة الامة ، وتنظيف جماهير الشعب .

على ان المرض وان خف اذا اتبعت هذه الوسائل العلاجية والوقائية ، سيبقى طويلا
ما دامت حياة الناس الاقتصادية متأخرة منحلة . تستطيع المستشفى ان تنقذ
الانسان من الماريا والبلهارزيا ، ولكن اذا ما عاد الى وسطه الموبوء عاد اليه المرض ،
وهدم ما جددت المستشفى من مافيته . تتولد الماريا في المستنقعات والمياه الاسنة
الراكدة والتي تولد بها المياه الزائدة عن حاجة المزارع نتيجة لفقدان نظام محكم لتصريف
المياه . فاذا اردت التخلص من الماريا نهائيا وجب القيام بتجفيف المستنقعات ووردم الخمر
الملا بالمياه الراكدة ، وضع نظام محكم لتصريفها الى الزائدة عن الحاجة . ان
جميع القرى العراقية محرومة من مياه صحية للشرب . فاذا اردنا ان نقضي على مرض
البلهارزيا والانكستوما مثلا وجب علينا ان نجهز القرى بمياه معلقة نظيفة وان نقيم
فيها مراحيض عامة او خاصة . وكيف يتخلص جماهير القرويين من هذه الامراض ، وكيف
تتحسن صحة الكادحين في المدن اذا ظلت يعيش في هذه الاكواح والسرائف والمساكن
المعتمة الرطبة ، القذرة ، الضيقة المسالك ؟ بل كيف يتخلص الفلاح من البلهارزيا

والانكلستوما اذا كان الفقير والحرمان قد كتبوا عليه ان يسير عمره حاتي القدمين؟
على ان هذه جميعها عوامل خارجية ، اذا حصلت تحمست صحة الانسان ، وخفت وطأة المرض
عليه ولكنها ليست كافية لانقاذ الانسان نهائيا من المرض . فلا بد ان يكون جسم الانسان
نفسه مستعدا لمقاومة المرض . ان يكون باصلاح الاطباء ذاللمناعة ضد . . والمناعة
التي نريدها هنا هي التي يكتسبها الجسم نتيجة للتغذية الكافية السليمة . ان
تغذية جماهير الشعب تغذية ناقصة وغير صحيحة . فهم لا يتناولون الاقل من النصف
من الاطعمة الاساسية كاللحم والخضر والحليب ، والفاكهة ، والسكر ، والسمن ،
وما اليها (راجع صفحة ٨٥ من هذه الرسالة) .

اذا اريد لجماهير الشعب ان تكسب مناعة ضد المردك وان تكون قوة الاجسام
متدفقة الحيوية ، تحبل على عملها بنشاط ، وتحمل مشقاتها بجهد وصبر وجسأ يشمن
لها الغذاء الجيد الكافي ، والمنزل الصحي العريج واللبسة الواقية ، والفرية النظيفة ، وما
الشرب الصحي ، والثقافة الضرورية . ومن اين لهؤلاء المساكين ان يمتقوا هذه الامور
بموارد هم الضئيلة الحاضرة موفرهم هذا ؟ للذل . وهنا نجد انفسنا مرة اخرى
وجها لوجه امام المشكلة الاقتصادية ، ومشكلة جهاز الدولة القائم . ان هذه
الضرورات الصحية لا يمكن ان تتوفر للفلاح والعامل وجميع الكادحين الا اذا
ارتفع مستوى معيشتهم وذلك لا يتم الا باعادة النظر في توزيع الثروة القومية
وانايتها على اسر عادلة منظمة كما ان الدولة لا تستطيع ان تجد الاهوال اللازمة للقيام
بالاصلاحات الصحية المطلوبة . وما كنهة الامراض مكانة جديدة كما ان ارادت بالانقاذ
حاولت ان تنظم الحياة الاقتصادية ، وتقوم بمشاريع كبيرة ، تغني الاقتصاد الوطني ، وتصل
الخزينة ذهبها .

القسم الثاني : الكيان الاقتصادي

الفصل الاول : نظرة اجمالية في ارض العراق ومواردها الطبيعية .

١ سطح الارض

- يتكون سطح العراق من اراضٍ تختلف اوصافها الجغرافية اختلافاً واضحاً . وهي تقسم الى اربعة اقسام طبيعية : (أ) الاراضي الرسوبية الجنوبية والوسطى (ب) الاراضي المتموجة او الصحيدية ، (ج) المنطقة الجبلية الشمالية الشرقية ، (د) الاراضي الصحراوية الغربية .
- (هـ) الاراضي الرسوبية - تولد هذه الاراضي معظم مساحة العراق ، وتمتد من الخليج الفارسي الى شمالي بغداد . ويمكن تحديدها من الشمال بخط وهمي يمر بناحية هيت على الفرات ، وناحية بلد على دجلة ، وناحية السعدية على دياي . وقد تكونت هذه الارض من ترسبات دجلة والفرات وتوابعهما وروافدهما على مر الدهور . ويضاف الى هذه الارض مقدار ميل واحد من الارض في كل سنة تقريباً وهذه الارض خصبة التربة ، ووفرة المياه ، لاسيما القسم المحصور منها بين دجلة والفرات ، وقد اطلق عليها العرب اسم "السواد" لكثرة ما فيها من نباتات ونوع . وهذه الارض سهل مستو لا يزيد اقصى ارتفاعها عن ١٥٠ قدماً عن سطح البحر .
- وتكثر الاهوار والمستنقعات في الاراضي الرسوبية ولاسيما في قسمها الجنوبي . بعض هذه الاهوار هي بقايا المياه التي تركها البحر اثناء انسحابه وبعضها ناتج من انخفاض الارض وطميان مياه الفيضان عليها . ويمكننا تقسيم منطقة الاهوار الى منطقتين رئيسيتين (١) منطقة الاهوار والمستنقعات القائمة حوالي نهر الفرات ، وتبدأ من غربي الرمادي وتمتد حتى لواء البصرة ، وهي تستمد مياهها من الفرات وفروعه . واهم اهوار هذه المنطقة هي : بحيرة الحبانية ، وتقع غربي الفرات ، وتبلغ مساحتها ١٤٠ كيلومتراً مربعاً ، وهور ابي دبس ، ويقع شمال غربي كربلاء ، وتصل اتصالاً طبيعياً بمنخفض الحبانية ، وبحيرة النجف وتقع الى جنوبي غربي الديوانية ، وهور عفك وتقع شرقي الديوانية ، وهور الحمار وهو اكبر اهوار العراق اذ تبلغ مساحته ٥٢٠٠ كلم مربع وتمتد بين لوائي المنتفك والبصرة ، وهو صالح لملاحة السفن الشراعية ، وتصله بشط العرب كومة علي ، شمالي البصرة . منطقة الاهوار والمستنقعات الواقعة حوالي دجلة . وتمتد من لواء الكوت حتى قضاء القرنة واهمها : هور الحوزة ويقع في لواء العمارة ، وتمتد حتى يصل بمنطقة الاهوار الايرانية ، وتغذيه مياه دجلة وتوابعها ، وهور ابي كالم ، ويقع على الضفة اليمنى من دجلة جنوبي العمارة ، وفي مواسم الفيضان يمتد حتى يتصل بهور الحماق ويصب مياهه فيه ، ويستمد مياهه من نهر العجر الكبير ومن

اقيمت المتعددة بؤهر الشهباء ويقع في لواء الكوت ، وهو السنية ، وهوام البقر ، وهو عودة ، ويقع جميعها في لواء العمارة على الجانب الايمن من دجلة .
يكثر في هذه الاهوار القصب الذي يستخدمه السكان في بناء صرائفهم واكوخهم والاسماك والطيور التي يعتاشون عليها ، كما ان ضفافها تعتبر من احسن مناطق زراعة الرز . على ان اضرارها اكثر من نوائدها . فهي تسبب انتشار الملاريا والبلهارزيا التي تضعف صحة السكان ، وتفتك بارواح الالاف منهم ، وتعيق طرق المواصلات وتطغي ، وقت الفيضان ، على مساحات واسعة من الارض ، فتمنع الفلاحين من زراعتها .

(ب) المنطقة المتوجة او الصعيدية . وهي تؤلف منطقة الانتقال بين الاراضي الرسوبية والمنطقة الجبلية . وهي ترتفع ارتفاعا تدريجيا حتى تتصل باطراف الجبال . ويتراوح ارتفاعها من سطح البحرين ٢٠٠ و ١٢٥٠ قدما ، ومعظم اراضي هذه المنطقة خصبة ، صالحة للزراعة ، وتندر مساحتها بنحو عسر مساحة العراق .

(ج) المنطقة الجبلية . ويقع في القسم الشمالي الشرقي من البلاد ، وتؤلف نحو ١/١٠ من مساحة البلاد . ويزيد ارتفاعها كلما تقدمنا شرقا او شمالا . حيث يبلغ ارتفاعها هناك بين ١٠٠٠ م و ١٤٠٠ م قدم . وتتخللها السهول والوديان الخصبة ، كما ان بعض انسامها مكسوبة بالاحراج والغابات .

(د) الاراضي الصحراوية وهي تقع الى الغرب والجنوب الغربي من السهول الرسوبية وترتفع عنها قليلا . وهي اراض واسعة المساحة ، قليلة المياه ، جديبة التربة ، لا تختلف عن صحراء بادية الشام وصحراء نجد في طبيعتها . وتتقلب انسام منها الى مراعي وافرة العشب في اوائل الربيع ، كما توجد في انسام اخرى منها آبار . (١)

(١) للتوسع في هذا الموضوع يراجع حمادة ص ٦٣ و ٨٢ - ٨٤ ، وعبد الباقى ص ١٢ - ٢١ ، والهاشمي ص ٣٤ - ٣٨ ، والدليل العراقي ص ٤٣٥ - ٤٤٤ .

٢ الانهار

يجري في العراق نهرا دجلة والفرات ، وروافدهما وفروعهما العديدة ، وشط العرب .
 اما نهر دجلة فينتبع قرب بحيرة كولجك ، شمالي مدينة ديار بكر ، ويبلغ طوله من
 منبعه الى التقائه بنهر الفرات في القرنة ١٨٥٠ كيلومترا ، يقطع منها ٤٠٥ في
 الاراضي التركية ، ويقطع ما بقي منها في العراق . وتصب في دجلة روافد
 عديدة اهمها ، في العراق ، الخابور وطوله ٢٤٥ كيلومترا ، والزاب الاعلى ، الذي
 ينبع من جبال كردستان الى الشمال من الموصل ويصب في دجلة جنوبي الشرايط ،
 ويبلغ طوله ٤٥٠ كيلومترا ، ونهر العظيم وهو اقل اهمية من روافد دجلة الاخرى
 لانه يجف في الصيف والخريف ، ونهر ديبالي ، الذي ينبع من الجبال الشرقية التي
 تكون الحدود بين العراق وايران ويصب في دجلة جنوبي بغداد ، ويبلغ طوله
 ٤٥٠ كيلومترا .
 وتبلغ سرعة جري دجلة في اوقات الفيضان ثلاثة اميال ونصف الميل في الساعة
 ونحو ميلين في الساعة في اوقات انخفاضه ^[تكملة القيمة لا تخفى] ولهذا لا يستفاد منها في الزراعة
 الا قليلا . وتختلف درجة تصرف هذا النهر باختلاف فصول السنة . ففي فصل
 الفيضان يبلغ معدل تصرفه في بغداد ٤٥٠٠ مترا مكعبا في الثانية ، ويبلغ معدل
 تصرفه في فصل الشح ٣٠٥ امتار في الثانية . وكلما تقدم الى الجنوب قلت
 درجة تصرفه لتسرب كميات من مياهه بواسطة الجداول وتنوات التي القائمة على
 جانبيه واهمها نهر الخراف الذي يتفرع من دجلة قرب الكوت ، والبتيرة والمشر
 والكحلا وابوخير والمجر في منطقة العمارة . ويصلح نهر دجلة للملاحة . وبالامكان
 ان تسير فيه السفن الصغيرة من حدود ديار بكر شمالا الى الخليج الفارسي جنوبا .
 وينبع نهر الفرات كمثل دجلة ، من الاراضي التركية ، ويبلغ طوله ٢٣٥٠ كيلومترا
 يقطع منها ٥٥٠ كيلومترا في الاراضي التركية ، و ٢٠٠ كيلو مترا في الاراضي السورية
 و ١١٠٠ كيلومترا في الاراضي العراقية . وجميع روافد الفرات تصب فيه قبل ان
 يدخل الحدود العراقية . وهو يدخل الحدود العراقية عند ابو كمال . وبين
 هذه القرية ومنصف المسافة بين هيت والرمادي الى الجنوب معلوم مستوى النهر
 عن السهل المحيط به . وبداية الرلي الدائم من شمالي الفلوجة حيث تتفرع منه بين
 شمالي الفلوجة وسد الهندية فروع عديدة اهمها العقابية وابو غريب واليوسفية واللطيفية
 والاسكندرية .

وتسرع واديه كلما تقدم في جريه من الشمال الى الجنوب . ويبلغ متوسط عرضه بين ميلين واربعة اميال .
 وتخفق ضفافه ، في جهاته العليا ، حيث الارض الجاهلة ولهذا لا تجد الرلي في فصل الشح (اليميمود)
 دون الاستعانة بالآلات الزراعية . وما في اقله الخربة تتكون الارض المحيطة به منخفضة
 في سهل ريفي . ان هضبتها حجارة عديمة منقحها . تغرها المياه في اوقات (الفيضان) .

كان نهر الفرات ينشط عند الهنديّة الى فرعين هما نهر الحلة ونهر المندبة .
 ومنذ ان تم انشاء سد الهنديّة عام ١٩١٣ ، أصبح مجرى نهر الحلة جدولا منظما تجب
 فيه كميات واقية من المياه ، ومار نهر الهنديّة هو المجرى الرئيسي لنهر الفرات .
 وينشط الفرات جنوبي بلدة الكفل الى فرعين هما نهر الكوفة ونهر الشامية . ويصب
 هذان الفرعان مياههما في البطائح المجاورة لهما ، حيث تقع منطقة الرزازية التي
 تبلغ مساحتها زهاء ١٢٠٠٠٠ هكتار . تتسرب مياه هذه البطائح في مجاري عدة
 ثم تتصل هذه المجاري فيتكون منها مجرى جديد لنهر الفرات في شمالي بلدة السنافية .
 ولكن النهر ينشط للمرة الثالثة في جنوبها ثم يتحد بالقرب من السجوة فاذاما
 قارب النهر الناصرية تسربت معظم مياهه الى مجاري الحمار ثم تتحد مياهه لتصب في دجلة
 عند كومة علم شمال البصرة . لا يزيد عرض الفرات عن الكيلومتر الواحد في بعض
 الأماكن وقد يبلغ عرضه مسيرة كئوسيات في أماكن أخرى .
 يوجد اختلافان هامين اعلى واطول تصرف للمياه في كل من دجلة والفرات
 في مختلف المواسم . فقد ان تصرف الفرات في فيضان عام ١٩٢٩ ٤٢٠٠٠ متر
 مكعب في الثانية ، وقد انصرف في التصريف الى ٦٥٠ مترا مكعبا في الثانية عام
 ١٩٣٠ . وكان تصرف دجلة في فيضان ١٩٤١ اكثر من ١٠٠٠٠ متر مكعب في الثانية
 على حين كان تصرفه في فيضان ١٩٣٠ اقل من ١٥٠٠ متر مكعب في الثانية .
 ويختلف تصرف النهر في موسم الشح كذلك . فقد بلغ تصرف الفرات في صيف ١٩٤٠
 ٣٥٠ مترا مكعبا في الثانية ، ولكن تصرفه في شهر ايلول من سنة ١٩٣٠ ١٤٠٠ مترا
 مكعبا في الثانية مقابل ١٥٠ مترا مكعبا في الثانية في شهر ايلول ١٩٣٠ . ولا يصلح
 نهر الفرات للملاحة في كثير من اقسامه لانه بطيى الجري وقعره كثير الرواسد .
 اما شط العرب فيتكون من اتحاد نهر الفرات بدجلة في ~~المرحلة~~ عند القرنة . على ان
 تحول مجرى الفرات نحو الجنوب الغربي واتصاله بدجلة في شمالي البصرة جعل من
 الضروري اعتبار القسم الكائن بين القرنة وكومة علي جزءا من دجلة . ويبلغ طوله ١٨٥
 كيلومترا . ويصب في الخليج الفارس . ومعظم ممر هذا النهر ١٠٠٠ متر . ومعدل
 عمقه نحو ٢٤ قدما بين الفاو والبصرة . وفي وقت المد ترتفع مياهه فزيد العمق من ٦ الى
 ١٠ اقدام من صتواء . وتستفيد بساتين النخيل المنتشرة على شاطئيه من التي تعد اشجاره

بالملايين ، من هذا النهر فائدة كبيرة . إذ يتفرع من هذا النهر عشرات من اقنية
التي تغلي ما عند المد فتسقي الاشجار والعرش - المختلفة . ويبلغ هذا النهر
لملاحه السفن البحرية الكبيرة من مديته الى مسافة عشرين كيلو مترا . حالي مدينة البصرة .
وقد انني عليه ميناء كبير للسفن البحرية في البصرة ومرآب للسفن في قرية الغار . ويصب
في شط العرب نهر كارون الذي يجري في الاراضي الايرانية . (٢) .

٣ - المناخ

مناخ العراق بصورة عامة قاري . وامطاره قليلة والرياح التي تهب عليه جافة في الغالب
وهي اما ان تكون شديدة الحرارة او شديدة البرودة . ويقسم العراق بصورة عامة الى
منطقتين مناخيتين : المنطقة الجنوبية والمنطقة الشمالية ، ذلك لان المنطقة الشمالية اكثر
ارتفاعا عن سطح البحر ، وابعد مسافة عن المنطقة المدارية . وتعمل المنطقة المناخية
الجنوبية جميع الاراضي الممتدة من الخليج الفارسي الى شمالي بغداد على المنطقة
الرسوبية . حيث هذه المنطقة شديدة الحرارة فقد ترتفع الحرارة فيها احيانا الى اكثر
من ١١٥ درجة فهرنهايت . ومناساؤها قارس البرد فقد تنخفض درجة الحرارة في
ليالي كانون الثاني الى ٢٧ درجة فهرنهايت وتنخفض احيانا الى ما دون ذلك . وتكون
درجة الرطوبة في الوية البصرة والمنفك والحامرة مرتفعة لوجود المستنقعات والاموار فيها .
ولقرنها من الخليج الفارسي وهذه الرطوبة تزيد الجو راحة وحرارة . وامطار هذه
المنطقة قليلة حيث لا يتجاوز معدل ما يسقط منها سوية ما يقدر بمعدل ١٠٠ ملم خلال
موسمي الشتاء والربيع (بين تشرين الثاني وايار) .

اما المنطقة المناخية الشمالية فتعمل جميع الاراضي الواقعة الى الشمال من
بغداد . وحرارتها في الصيف اخفض من حرارة المنطقة الجنوبية وهي اشد برودة
من المنطقة الجنوبية في فصل الشتاء حيث تسقط فيها الثلوج ولا سيما في المرتفعات
الجبلية . وامطارها اقل من حوالى المنطقة الجنوبية إذ يبلغ معدل ما يسقط فيها من
الامطار اكثر من عشرين عمدا في السنة .

(٢) انظر عبد الباقي ص ٢١ - ٢٦ بحطادة ص ٢٤ - ٢ والدليل العراقي ص ٤٢ - ٤٣
والدكتور احمد نسيم سوسة «تطور الري في العراق» (بغداد ١٩٤٦) ص ١١ - ١٢
وسامير له فيما يلي بسوسة .

وتهب على العراق رياح جنوبية عربية تكون جافة شديدة الحرارة صيفا موطبة معتدلة الحرارة شتاء . وتكون هذه الرياح مثقلة بسحب من التراب الدقيق اذا كانت سريعة الحركة . ورياح شمالية عربية وهي تهب من شبه جزيرة اسيا الصغرى وتكون باردة جافة شتاء بمعتدلة جافة صيفا . وقد تهب رياح جافة من هضبة ايران ومن جنوبها الى الشرقي بخاصة . (٣) .

٤ - المراعي والعيابات

في العراق مساحات واسعة من المكرومي والعيابات الطبيعية . اما المكرومي الخصبة التي يمكن الاعتماد عليها فتكون على الغالب في المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية . كما تحتوي الجبال المتاخمة للحدود الايرانية التركية على مراعي ممتازة ترى فيها القبال الكردية الرخالة وشبه المستقرة مواشها مقرب الاعوار في جنوبي البلاد . وتوجد مراعي اخرى في القفار الشمالية الغربية وفي الصحراء الغربية وفي الاراضي البائرة في الجنوب التي لم تعد تصلح للزراعة لقلّة ما يصيبها من الامطار . وتعتمد النباتات في هذه المراعي على المطر . فان نزل المطر بكميات مناسبة نما العشب واينعت الارض وشبعت المواشي التي تعد بالملايين . وان كانت الامطار قليلة ساء موسم الرعي فونفق كثير من المواشي . وللمراعي اهمية عظيمة في اقتصاديات البلاد لان الحيوانات تكون جزءا مهما من هذا الاقتصاد فوملى هذا فيجب الانتباه هذه المراعي على حالتها الطبيعية الحاضرة تحت رحمة قوى الطبيعة العمياء بل يجب ان تنظم تنظيما علميا . فبالامكان مثلا توسيع نطاق المراعي الدائمة اذا اطلقت مياه الانهر على اراضي الجنوب المنخفضة فينبت فيها العشب بسرعة الشدة حرارة الجو .

واما العيابات فتتصرف في المناطق الجبلية وخاصة في الشمال الشرقي بحيث تنتشر على شكل هلال عريض يمتد من نواحي شمالا الى خليجة شرقا ومن الوبة الموصل وارميل والسليمانية . وتقدر مساحة المنطقة التي تشغلها العيابات البلوط بين ١٥٠٠٠ ٢٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع (٤) . ويقدر عدد ما تحويه منطقة الغابات من الاشجار ب ٢٠٥٠٠٠٠٠٠ شجرة (٥) اهمها السنديان والصفصاف والطرقاء والجوز واللوز .

(٣) انظر حمادة ص ٧٢ - ٧٤ وعبد الباقي ص ٢٢ - ٢٦ والذليل العراقي ص ٤٠

وسوسة ص ١١ - ١٦ .

(٤) القرية العراقية ص ٧٢

(٥) حمادة ص ١٠٧

والزعرور والبطم والصنوبر الخ ٠٠٠٠ وهذه الغابات هي احدى منابع الثروة في البلاد يستفاد من اخشابها ، واثارها ، وفحم الوقود ، كما يستفاد مما فيها من عفر وكثيرا تكفي حاجتنا للبلاد ، ويصدر قسم منها الى الخارج .

ولهذه الغابات اهمية اخرى فهي تلطف مناخ البلاد ، وتضيق نعرة التربة ، وتعوق تسرب المياه الى التهار في الشتاء ، والرياح فتخفف من حدة الفيضان وتجعل الضيقة الشطية وتجعل منها مصائف ممتازة في صيف العراق اللاهب . الا ان العناية بالغابات ضعيفة . وهي مهددة بالانقراض . فاشجارها تقطع بصورة فوضوية موفد . زاد قطع الاشجار منذ الحرب العالمية الثانية لانقطاع وارد فحم الوقود من الهند ، وارتفاع اسعار الخشب في البلاد . وقد اصدرت وزارة الاقتصاد في ٢٤ / ٢ / ١٩٤١ (١) التعليمات في صيانة الغابات (٦) ولكن هذه التعليمات لكل التعليمات والقوانين والانظمة المفيدة ، بقيت بعيدة عن التطبيق الصحيح عرصة لنفوذ المتنفذين من الاغوات والافد اعبيس . ويجرنا الحديث عن الغابات الى الكلام عن ضرورة اقامة الغابات الاصناعية في الاقسام الجنوبية والوسطى من البلاد . يقترح السيد وليم ويلوكور في تقريره عن بي العراق بتجفيف المستنقعات والبحيرات الواسعة وذلك بمرور المياه منها ، وزرع الاشجار فيها ، فتنب وتتم على رطوبة المياه الباقية تحسبا في وبمساعدة حرارة الجو المرتفعة . وهو يعتقد بان هذه الاشجار تنمو بعد مدة من الزمن نوا عظيما تغطي مساحات من الارض تحلها الا المستنقعات وتغير حالة الاقليم . (٧) ومن الممكن اقامة هذه الغابات على كفاف في انهر التي وجد اوله محول القرى . وتتوكل هذه الغابات الاصطناعية اذا تم انشاؤها الى فوائد لا نحصى للبلاد فتسد حاجتنا من الاخشاب وفحم الوقود ، وتقي المراعي في فصل الجفاف الذي يبلغ معدل حرارته ١١٠ درجة فهرنهايتية في الليل ، فتحمي بذلك للحيوانات مرضى وظلا وتمنع جرف السيول للتربة فتحفظ خصوبة الارض وتمنع تراكم التربة في انهار والفتحات . وستكون هذه الغابات مصدات رياح . تسد الطريق على عواصف النبار الشديدة التي تهب على الاقسام الوسطى والجنوبية من البلاد ، في فصل الجفاف فتقي بذلك

(٦) القرية العراقية ص ٢٤

(٧) الهاشمي ص ٣٠٥ - ٣٠٦

الغزوات الصيفية من لفحات هذه العواصف المحرقة، وتتخلص الناس من سحب الغبار التي تهب على الجو بين حين وآخر، وقد تستمر أياماً، وتكاد تخنق الأنفاس، بل لقد تخنق أنفاس بعض الأطفال والمرضى بأمراض الصدر فعلاً .

٥ المعادن

لا نستطيع أن نبحث في ثروة العراق المعدنية بدقة وتفصيل لأنه لم تجر فيه أبحاث فنية واسعة النطاق عن المعادن . وكل ما قام به العلماء ينحصر في دراسة الصخور السطحية أثناء البحث عن الحاديات، وفي التحريات الفنية التي قامت بها شركات النفط في بعض أقسام البلاد، مبحثاً عن هذا المعدن . وأهم المعادن التي ثبت وجودها في العراق، وإن لم يثبت مقدارها ومدى جودتها، هي النفط، وقد افرد له فصلاً خاصاً في غير هذا المكان، والقار، والكبريت، والفحم الحجري، والحديد، والرخام، والنحاس، والفضة، والرخام، والطح، كما عثر على الذهب في البادية بين الرطبة والحدود العراقية السورية . وجميع هذه المعادن، ما عدا النفط، لا تستغل، وإن استغلت، فبصورة بدائية غير فنية، وعلى نطاق ضيق .

٦ الحيوانات

أشد الحيوانات الداجنة في العراق هي الخنم، والماز، والبقر، والاعوس، والخيول، والبغال، والحمر، والجمال . وفي البلاد بالإضافة إلى ما تقدم، طيور داجنة عديدة الأنواع، وطيور برية ونهرية، وأصناف متنوعة من الأسماك تعيش في الأنهار والاهولر . وأهم هذه الحيوانات من الوجهة الاقتصادية هي الأغنام، موثراً حيث توجد المراعي في الأقسام الشمالية والجنوبية، ويقدر عددها بين ١٠ و ١٢ مليون رأس (٨) . وتقسّم اغنام العراق إلى ثلاثة أقسام (١) العرق العربي، ومعيض في السهل، ويمتاز بصوفه المتجمع ذي الشعر الدقيق اللامع . وهو ذو ألوان مختلفة، أبيض وأسود، وأحمر، أو خليط من هذه الألوان الثلاثة . ويصلح صوف الأغنام العربية

(٨) القرية العراقية ص ٦١ ويقدر عبد الحميد بلال " الجغرافية الاقتصادية " (بغداد ١٩٤٨) ص ١٥٠ بين ٧ و ١٠ ملايين رأس . وسأشير إلى هذا المصدر بهلال .

لنسج الخنافس والاحرمة والاقمشة هو مدر ما يغني عن حاجة البلاد منه الى بريطانيا
وفرنسا وهو يضارع اجود اصناف الصوف الهندي والصيني بمساحل افريقيا الشمالية بما في
ذلك مصر . (٩) . (ب) العرق الكردي ويعيش في المنطقة الجبلية وهو اقوى واسمن
جسما من الاغنام العربية موصوفه اخشن واطول قليلا يصنع من صوفه السجاد والاقمشة
الغالية ، ويصدر الى اوربا واميركا (ج) العرق المواسي وينسب الى قبيلة عربية
ويعيش بين الموصل وحلب ، والمذنون انه تولد من امتزاج العرقين العربي والكردي .
ويجمع صوفه بين ميزات صوف هذين العرقين ، ولوانه يكون غليظ الغالب ابيض . وقد كثر
الطلب عليه في اسواق اوربا واميركا لاستعماله في النسيج . ويكثر المعاز في شمالي
العراق . وهو يربى في الاغلب من اجل لبنه ، ودهنه ويستفاد من شعره في نسج بيوت
الشعر ^{الدورية} والاقمشة الخشنة . ان الامراض التي تصيب الاغنام والماعز كالباير
والظلمية منتشرة بكثرة ، خاصة في المناطق الشمالية . ولا يبعد ان يكون ناقل هذه
الامراض هو القراد الذي يلتصق بجلدها . كما تتعرض الاغنام والماعز للجرب الذي
يتلف جلدها ويخذل الصوف ، ويقل من قيمتها . اما القمل فهو اخطر ما تتعرض له الاغنام
وقد يستولي على القطيع بأسره في موسم الشتاء ويهزله وخاصة في السنين الماحلة ،
فيسبب تلفيات كبيرة تتراوح سنويا بين ١٥ / ٠ و ٢٠ / ٠ ان لم يكن اكثر . ان جميع
هذه الطفيليات التي تزيد في انتشارها وساخة الحظائر وتلحق العناية بنظافة الماشية
وسوء تغذيتها تتعلق بالحيوان وتمتص دمه وتهزله وتلغفه في اكثر الاحيان . وقد قامت
الحكومة اخواضا لتغذيات المواشي وعييتها في بعض المناطق واخذت تدعو الرعاة والفلاحين
الى الاستفادة منها .

ويوجد من البقر مليون رأس . (١٠) وهو يقتنى لابلانه ودهنه يستخدم في
الحراثة وتصدر جلوده المدبوغة نصف دباغة الى الخارج ، كما يندر عدد كبير من البقر
كل عام الى البلاد المجاورة .
ويوجد من الجاموس زهاء ١٥٠٠٠٠٠ رأس (١١) . وهو يكثر بقرب المستنقعات

(٩) حمادة ص ١٢٥

(١٠) بلال ص ١٥٢

(١١) المصدر السابق ص ١٥٤

والاهوار مستفاد من البانء ودهنه ولحمه وجلوده .

اما الخيل فيقدر عددها بمائة وثمانية وتسعين الف رأس (١٢) ويرى البدو والجمال يستفيدون من اوبارها والبانءا موكانوا يستخدمونها في النقل فتدر عليهم رزقا حسنا مولكن هذا المورد تضائل بعد شيوع السيارات والقطار . وقدر عدد جمال العراق ب (٢٧٥٠٠٠٠) وعدد البغال ب (٥٥٠٠٠٠) وعدد الحمير ب (٤٥٥٠٠٠٠) .

ويرى القرويون الطيور الداجنة كالديجاج والاوز والبط . كما توجد اصناف عديدة من الطيور المائية وخاصة في الاهوار بمصطادها القرويون ومعتاشون على لحومها ويبيعون منها في المدن القريبة . الا ان الطريقة البدائية التي يتبعها القرويون في تربية الدجاج كما اعدم اتباع اية طريقة في التربية اذا اردنا التدقيق فترك الدجاج عرضة للامراض المختلفة ولا تساعد على تكثيرها والاستفادة منها اقتصاديا .

ويوجد من الاسماك اصناف عديدة اهمها البني والضبوط والجرى والبر الذي يتراوح طول الواحدة منه بين ٦ و ٢ اقدام . الا ان تجارة السمك متاخرة محدودة النطاق . بالامكان ان نفرد هر تجارة السمك محليا فمصدريه كيا عنه الى الخارج اذا نالته مصادد السمك . وقد قام المصرف الصناعي الزراعي ببرنامج مشروع لصيد اسماك في العراق فتمكن من اختيار بقعة معينة على الخليج الفارس فجزيرة بانواع عديدة من السمك واوصى على باخرة للمشروع بلمستكلفتها ٣٠/٠٠٠ دينار . ولم يبدأ العمل بهذا المشروع بعد . (٤٤) .

ان تحسين الماشية وتكثيرها والعناية بالخيول والبغال والحمير موالاهتمام بتربية الدجاج وتنظيم مصادد الاسماك سيزيد من صادرات البلاد فويتيح للفلاحين ما يحتاجون في الزراعة من حيوانات باسعار رخيصة وهذا ما يمكنهم على الاستفادة من اي مشروع يهدف الى توزيع الاراضي على الفلاحين للمصغار . ويمكن الناس عامة من تناول ما ينتقرون اليه الان في غذائهم من لحوم وزبد وحليب ودهن كما ان تمكين الفلاح من تربية الماشية والدواجن موالعناية بها كسيرفع من المستوى الاقتصادي ويخفف من تأثير ما قد يصيبه من ضائقة اقتصادية بسبب فشل الزراعة في سنة من السنوات .

(١٢) الشرق الاوسط ٢٥٩

(١٣) المصدر السابق الصفحة نفسها

(١٤) التقرير السنوي لعمال المصرف الزراعي الصناعي لسنة ١٩٤٥ - ٤٦
(نقطة ٤ د ١٩٤٧) ص ٦٧

ان بإمكان العراق بمقابلياته الزراعية الواسعة ان يقيت اضعاف الحيوانات الموجودة فيه الان . ولكن العوامل التي ادت الى تاخر اقتصاديات البلاد عموماً في الزراعة بخاصة تقع بحرقلة نمو هذا المورد المهم من موارد الدخل القومي . فالعراقي كما قلت سابقاً ، في وضع بدائي ولا بد من تحسينها بانشاء مراعى ثابتة بتوفير مياه الشرب فيها ، اذا ارد انتاج الماشية باعداد كبيرة . وطرق تربية الماشية بدائية مبعيدة كل البعد عن الطرق العلمية . فالنظافة معدومة ، والعلف غير مخف في اكثر الاحيان كوالامراض منتشرة بينها ، وكذلك انتخاب النسل الجيد من الماشية يكون معدوماً . وللك اسبابهما ان اكثر القائمين على تربية الماشية هم فلاحين . والفلاح العراقي جاهل بالطرق الصحيحة في تربية الماشية ، مشغول طول الوقت بحقله ، لا يجد متسعاً منه ينفق على العناية بحيواناته . هو فقير لا يستطيع الاضمار^{ان يتخلى} الاصناف الجيدة من الحيوانات ، هذا اذا استطاع ان يشتري منها ما يستد حاجته اطلاقاً . وهو في كثير من الحالات مستاجر متنقل وتربية الاصناف الجيدة من الحيوانات تحتاج الى النبات في الارز . هو تعبير الحماض والمخازن والمخاض وما اليها . ففضية تحسين الحيوانات العراقية ، وتكثير اعدادها متوقفة على حل المشكلة الزراعية في البلاد بصورة عامة حلاً جذرياً صحيحاً .

الفصل الثاني

الزراعة

اهم المحاصيل الزراعية

اهم حاصلات البلاد الزراعية هي الحبوب والتبغ والقطن والفاكهة والاشجار وماهها النخيل .

الحنطة وهي تزرع في مناطق واسعة ، ولا سيما في الاقسام الشمالية حيث تكون الامطار غزيرة والمناخ ملائماً . ويوجد من الحنطة اصناف عديدة ، الا ان اهمها هو الصنف المسمى بالحنطة الحجيبة الذي ادخلته مديرية الزراعة الى العراق حديثاً . وتمتاز الحنطة الحجيبة بمناعتها ضد اكثر الامراض النباتية ، ونضجها الباكر ومغزارة انتاجها يتفوق اسعارها عن اسعار الاصناف الاخرى في الاسواق .

وقد زرع من الحنطة العجيبة في موسم ١٩٣٥ - ٣٦ ارضا مساحتها ٤٠٠٠٠٠ دونم •
وقدر معدل الناتج للدخم الواحد من الحنطة العجيبة ٢٠٠ و ٣٥٠ كيلوغراما (١) •

الشعير وهو يزرع في اكثر المناطق التي تزرع فيها الحنطة لا سيما في الجنوب • وشعير العراق يصلح لصنع البيرة • ويستهلك معظم محصول البلاد من الحنطة والشعير داخل البلاد • ويصدر ما يفرض منها عن الحاجة الى الخارج • وتتوقف جودة محصولها على فزارة سقوط الامطار ومحاالة الفيضان موخلو البلاد من الحراد وغيرها من الافات الزراعية •

الرز وتقع مزارعه في الغالب على ضفاف الانهار موالتق • والاهوار • ومحصول الرز ما يكاد يسد حاجة البلاد • وقد اثر في عدم تقدم زراعة الرز عوامل عديدة اهمها الاقتصاد في مياه الري (٢) • وتحول النزاع الى زراعة القطن • وتزرع حبوب اخرى اهمها المهرطيان والباقلاء والذرة والذخن والعدس وجميعها تستهلك محليا •

القطن تقدمت زراعة القطن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية • واهم اصنافه الاكالا وهو ممتاز بجودة الشعرة والنضج الباكر ومقاومة العوامل الجوية الحادة ومقزارة المحصول • وارتفاع نسبة المائي بعد الحلق • وينتج الدونم الواحد ٢١٢ كيلوغراما من القطن الزهر (٣) • ويصدر معظم القطن العراقي الى الخارج • وبالامكان تعميم زراعة القطن وزيادة المنتوج منه • لا ان هنالك عوامل عديدة تحول دون اتساع الاراضي المزروعة قطنًا اهمها : نظام المحاصة الذي يحول دون استعمال الآلات الميكانيكية والاسمدة الكيماوية • والذي يجعل الفلاح الذي تعود العمل تحت نظام المحاصة • لا يضع ثقته بالمحاصيل التي لا يستطيع ان ينتفع منها مباشرة • والتي يتحتم عليه ان ينتظر حتى يبيعها ويحولها الى نقود • وعدم وجود نظام لتصريف

(١) بلال ص ٤٦ - ٤٧

(٢) راجع في حمادة ص ١٧٦ - ٧ تفصيل القانون الصادر سنة ١٩٣٤ الذي يحدد

مناطق زراعة الرز بقصد الاقتصاد في مياه الري •

(٣) بلال ص ١١٣ • ويقول الدكتور سوسة ص ١٩ ان متوسط غلة المشارة الواحدة منه

يتراوح عادة بين ٣٠٠ و ٦٠٠ كيلوغراما من القطن الخام كل حسب نوعه •

الماء مفتولك من كثرة المياه الاملاح التي تؤذي القطن مولد سيما في بلاد حرها شديد ومناخها جاف كالعراق . على ان زراعة القطن آخذة في النمو لتأسيس معمل لخزل القطن ونسجه ، ولاقبال الاسواق الخارجية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، على شرائه . وتشير تقارير المختصين بشأن موسم القطن الذي سيباشر في زراعته في شهر اذار ١٩٥١ على ان العراق سينتج من القطن الزهر في هذا الموسم كميات تتراوح بين ٥٠ الف طن و ٦٠ الف طن (٤) .

التبغ

يزرع التبغ في المناطق الشمالية وعلى الاخص في السطانية ورائية وراوندوز وكوسنجق وبعراقضية الموصل الكردية . وقد اهتمت الحكومة بهذا المحصول فانذات حقولا تجريبية عديدة مجربت فيها اصنافا مختلفة استوردتها من البلاد الاجنبية بمقامت بتوزيع الشتائل على الفلاحين مجانا . وقد نمت زراعة التبغ بوتعددت الاصناف الجيدة منه مواحكرته الحكومة . وتعتمد مديرية انحصار التبغ تصدير كميات من الاصناف الجيدة من التبغ العراقي الى الخارج . وقد بلغت مساحة الارض المزروعة تبغا (١٠٠٠٠ / ١) ايكرا عام ١٩٣٦ متراوح غلتها بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ طن وقد بلغ المحصول في عام ١٩٤٦ اكثر من ١٠٠٠٠ طن .

وقد تقدمت في السنوات الاخيرة زراعة السهم والكتان الموجود بعض المعامل في البلاد التي تستخرج الزيوت النباتية وتصنع الصابون ، الا ان الكميات المنتجة منها لا تزال ضئيلة . ويوجد نبات ينمو نموا طبيعيا على صاف الانهار ، هو عرق السوس ويصدر كميات كبيرة منه الى الخارج موالى اميركا بخاصة .

التمر

ويتقدر ما يصدره العراق الى الاسواق العالمية بما يزيد عن ٨٠٪ من مجموع التجارة العالمية في التمر . وهو يكون ما لا يقل عن ٢٢ ٪ من مجموع صادرات البلاد (٥) . وتقدر عدد اشجار النخيل المثمرة بلحو ثلاثين مليون شجرة يوجد منها زهاء ١٣ مليون نخلة في منطقة شط العرب . وتمتد بساكن النخلة من ناحية الفاو جنوبا

(٤) جريدة صدى الاهالي ، بغداد ٨ شباط ١٩٥١ عدد ٤١٦

(٥) حمادة ص ١٨٤

الى قضاء منه من الجهة الشمالية الغربية والى طوز خرماتو من الجهة الشمالية الشرقية . ويوجد منه نحو ١٨٠ صنفا اهمها السابر والحلاوي والزهراني والخضراي . ويتراوح معدل انتاج كل نخلة بين ٣٥ و ٦٠ كيلوغراما . وذلك بحسب اختلاف نوع الشجرة وعمرها وطبيعة الارض (٦) .

وفي البلاد اصناف متعددة من الانهار الحضيية والجنب والتين والرمان والكوشرا والتفاح والتوت . والمنتوج منها يستهلك جميعه في داخل البلاد . وكانت زراعة الخضار مقتصرة على المدن لان الفلاحين وعلى الاخر في الجنوب كما كانوا يستعملون ممارسة هذه الحرفة . على ان هذه العقبة اخذت تتلاشى تدريجيا مواخذت زراعة الخضار تتقدم وتزدهر .

اسباب تماخر الزراعة

الزراعة هي محور اقتصاديات البلاد ، واساس الثروة فيها ، فان يؤلف الدخل الزراعي ما يزيد عن ٦٥ ٪ من مجموع الدخل القومي (٧) . ويستغل ثلثا السكان في الزراعة ويعتمدون عليها اعتمادا مباشرا في معيشتهم ، بينما يشتغل معظم الباقين في اعمال تعتمد على الزراعة او تتصل بها وثيقا (٨) . واول ما يلاحظه المرء في الدخل الزراعي انه واطي جدا بالنسبة لعدد السكان الذين يعتاشون على الزراعة ولمساحة الاراضي القابلة للزراعة . وبالنسبة لمعدل انتاج الهكتار الواحد من المروعات .

تقدر مساحة الاراضي القابلة للزراعة في العراق ب ١٢١ / ٠٠٠ كيلومتر مربع او ٤٨٦ / ٤٠٠ / ٠٠٠ مائة (٩) . ولكن لا يستغل من هذه الاراضي استغلالا فعلياً الا ثلثا نحو خمسها اي ٢٣ / ٠٠٠ كيلومتر مربع او ٩ / ٣٥٠ / ٠٠٠ مائة (١٠) .

توجد عوامل عديدة تحول دون استغلال هذه المساحات الواسعة من الارض اهمها عدم استخدام المياه المتوفرة في البلاد استخداما صحيحا وهذا ما جعل مساحات واسعة من الاراضي لا تصلح للزراعة في الوقت الحاضر . فالارض التي تروى سنويا تقدر مساحتها ب ٢٠٠ / ٢٠٠ / ٠٠٠ اكر . ولكن هذه المساحة يمكن زيادتها اذا ما تمت مضاربع الري واستخدمت المياه استخداما صحيحا . فالى ٤٠٠ / ٠٠٠ / ٠٠٠ اكر (١١) . ان استغلال هذه الاراضي يتوقف بالدرجة الاولى على توفير المياه اللازمة لاروائها . يضاف الى هذا اعتماد الزراعة على الوسائل البدائية موقلة الايدي العاملة في الريف التي اخذت تشتت نتيجة لهجرة الفلاحين الى المدن وعدم استخدام الآلات الحديثة مواعتماد الزراعة على قوة عمل الفلاحين فحسب . وعلى هذا يكون من المستحيل

(٧) المصرف الزراعي العراقي التقرير السنوي الثالث عشر لسنة ١٩٤٨ - ٤٩

(مطبوعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٥٤) ص ٢ .

(٨)

Final Report of the United Nations Economic Survey Mission for the Middle East Part III (New York, 1949), p. 2.

(٩) المئارة هي الدوم العراقي ومساحتها ٢٥٠٠ متر مربع

(١٠) المصرف الزراعي العراقي التقرير السنوي الثالث عشر وانظر القرية العراقية ص ٩

(١١) التقرير السنوي للامم المتحدة القسم الثاني ص ٣١ .

زيادة المساحات المزروعة اذا ظل السكان على حالتهم من القلة كما اذا استمر على اتباع الطرق الزراعية القائمة في الوقت الحاضر (١٢) . على ان الاراضي المزروعة لا تستغل استغلالا صحيحا فهي تزرع على العموم زراعة خفيفة بمعدل ما ينتجه الهكتار الواحد من الماصيل الرئيسية واطي* جدا حتى لا يمكن بالمقارنة مع الاقطار المجاورة . فقد كان معدل قلة الهكتار في السنة للمنتجين ١٩٣٤ و ١٩٣٥ من الحنطة والشعير والذوالتبع ٣٣٤ ٦٠٩٠ ١١١٢ ٧٦٠٠ على التوالي في العراق و ٢١٥ ١٠٩٦ ١٠٩٦ ٣٦١١ في سوريا ولبنان (١٣) .

ان العوامل التي تسبب ضعف انتاجية الارض وقلة فلتها عديدة اهمها الاساليب الزراعية القديمة مقتصرة السيطرة على المياه بقلة اهتمام الفلاح بالارض الناتجة عن نظام التصرف بالاراضي بوضع كفاءة الفلاح الزراعية .

الاساليب الزراعية

(١) الحراثة والحصاد والدارسة والتذرية
ان الطرق المتبعة في الزراعة عتيقة بمولات

المستعملة بسيطة . تحرث الارض بمحاريث خشبية ذات رؤوس حديدية موصلة بمادة خفيفة ليسهل على الحيوانات جرهما . وهذه المحاريث لا تشق اثلا عميقة في الارض . فيضطر الفلاح لاعادة حرث الارض مرة او مرتين ومع كل جهوده تبقى الحراثة سطحية والتربة غير مقلوبة قلبا حسنا ولا معرضة لنور الشمس التعمر الكافي . وعلى هذا لا يستطيع الفلاح ان يحرق اكثر من عشرة ونصف العشرة في اليوم الواحد . هذه الطريقة العتيقة في الحراثة تضع وقت الفلاح وقتها .

وتستعمل المناجل في الحصاد . وهي بطيئة متعبة . وتستعمل النورج الخشبي في الدارسة عادة . وفي بعض المناطق يكفي الفلاح بان يربط الحيوانات الى وتد فيهد

(١٤) جاء في المصدر السابق ص ١٢٠ يمكن ان يتحقق التوسع في المساحات المزروعة من الاراضي بتشجيع الهجرة من الخارج او استخدام الآلات في الزراعة هو جد وان العراق متجه الى اتباع الوسيلة الاخيرة . ان اقتراح الهجرة من الخارج اقتراح غريب لان الضرورة تقتضي ان يوضع حد لهجرة الفلاحين الى المدن وذلك بالعمل على ازالة اسباب تدميرهم وحل مشاكلهم خلافا لا والعمل على حل مشاكل الصحة والقضاء على الاسباب التي تؤدي الى كثرة الوفيات .

(١٣) حمادة ص ١٧١

وسط البيدر ويتركها تدوس الحصيد بحوافرها حتى يتفتت وتتم دراسته فاذا انتهى من الدراسة جمع الحصيد كومة مواخذ يذره بمذراته الخشبية معتمدا على الريح في فصل الحب عن التبن ويكرر هذا العمل مرارا حتى يتنقى الحب . وتتوقف هذه العملية على قوة هبوب الريح . وتتطلب وقتا طويلا وجهودا متعبة .

ان الاسلوب المتبع في الزراعة بالالات المستخدمة فيها يستغرق معظم وقت الفلاح ولا تترك له المجال للقيام بأي عمل اخر او حتى لاتقان عمله . ومن هنا كانت الارس التي يزرعها الفلاح الواحد صغيرة المساحة والبذور التي يزرعها قليلة الكمية لتلائم قواه الجسمية ، وقدرته على العمل (١٤) .

٢ - استعمال السماد

يستعمل الفلاح السماد الطبيعي اوزبل الحيوانات ، والقمامات والاشاخ والهشيم الذي يبقى في الارض بعد الحصاد ويمتزج بالترية عند الحراثة . وهذا السماد الذي يستخدمه الفلاحون بنطاق محدود لانهم يستعملون هذه المواد في الوقود لعدم وجود مواد اخرى للوقود تحت تصرفهم ، لا يمد حاجة الارض ، ولا يمد بها بالمواد التي تفقدها على الدوام . وهذه احد عوامل ضعف انتاجية الارض . واما الاسمدة الكيماوية فمحدودة الاستعمال مولا تعرفها اقلية الفلاحين . واهم الموائن التي تحول دون زيادة استعمال الاسمدة الكيماوية هي اولا شيع نظام المزارعة بالصفاة الذي يصد مستاجر الارض عن تحميل اية نفقة اضافية من اجل غلة يذهب القسم الاكبر منها الى صاحب الارض ومن اجل ارس لا تعود ملكيتها له موائنا فقر الفلاح الذي يحول دونه ودن ابتياع السماد موائنا جيء الفلاح لاهيقا السماد وطرق استعمال الكيماوي منه .

(١٤) بدأ بعض اصحاب الاراضي يستعملون المكائن في الزراعة وخاصة منذ الحرب العالمية الثانية . ويوجد في البلاد الان نحو ٥٠٠ فتراكتور . وقد انشأت الحكومة مديرية المكائن الزراعية ، وخولتها حق استيراد وتوزيع مختلف مكائن الزراعة . الا ان هذه المكائن محدودة ، ولم يؤثر ادخالها الا تأثيرا محدودا على الطرق الشائعة في الزراعة .

٢ انتخاب البذور :

درج الفلاح على زراعة البذور التي تنتجها مزرعته ، والتي يشتريها من السوق المحلية ، مادة تكون رديئة الصنف ، لان فقره يمنعه من شراء الاصناف الجيدة . وهذه احد العوامل التي ادت الى رداءة النتوج من الحبوب العراقية .

الدورة الزراعية :

الطريقة النائية في مناوبة المواسم الزراعية هي الطريقة الثنائية . وهي ان تلمس الارس الى قسمين يزرع احدهما ويترك القسم الاخر بورا ثم تعكس الحال في السنة الثانية . والطريقة التي يتبعها الفلاح في تبوير الارض غير صحيحة لانه يترك الارض على حالتها بعد الحصاد ، دون ان يقوم بحرثاتها ، مع ان الحرث عامل اساسي في حفظ كيان التربة من الوجهة البكتريولوجية والكيمائية . وقد نشأت طريقة ترك الارس بورا عن عوامل كثيرة منها سعة الاراضي الزراعية التي تحت تصرف الملاكين موقلة الايدي العاملة موقلة مياه الري وهبوطها في فصل الصيف وهدم مقدرة الفلاح على مستوى مختلف البذور الملائمة لمختلف المواسم . ويتبع الفلاح احيانا ، طريقة اخرى وذلك بان يزرع قطعة الارس موسما شتويا ثم يزرعها موسما صيفيا في السنة التالية . وهذه الطريقة تؤدى الى اجهاد الارس وهدر خصوبتها .

الري :

تنقسم اراضي العراق الى منطقتين واسعتين : المنطقة الشمالية وتعتمد على المطر ، والمنطقة الجنوبية وتعتمد على الري . تبلغ مساحة الاراضي القابلة للزراعة في المنطقة المطرية عشرة ملايين هكتار على ان ١٠٥ مليون هكتار تقريبا من هذه الاراضي يزرع فعليا الان . (١٥) . وما تبقى من هذه الاراضي يمكن زراعته اعتمادا على مياه الامطار والمضخات ، والتي سيحيا . اما في المنطقة الجنوبية فان الامطار غير كافية للزراعة ان يتراكم معدل

سقوط الامطار في بغداد بين ٤ و ٥ بوصات وهذه الكمية من المياه غير كافية لحاجة المزارعات . وعلى هذه فان هذه المنطقة تعتمد اعتمادا كلياً على مياه دجلة والفرات وما يتفرع منهما من اقنية وجدول . . . وهذان النهران لا يسقيان ما في وسط العراق وجنوبه من مزارع وحقول فحسب بل ان فيهما كمية كبيرة من المياه الكافية لارواء مساحات واسعة من الاراضي فيما اذا اقيمت مشاريع الري الضرورية . والجدول التالي (١٦) يوضح لنا امكانية توسيع الاراضي الزراعية في العراق بواسطة انشاء مشاريع جديدة للري .

مساحة الاراضي التي تروى حالياً	مساحة الاراضي التي يمكن ريوها اذا تمت مشاريع اخرى	المساحة النهائية
الفرات ١٦ ٢٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠	١٦ ٠٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠	٢ ٢٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠
دجلة ٢١ ٠٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠	٢١ ٠٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠	٤ ٢٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠

المجموع ٣٦ ٢٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠ اكر ٣٦ ٠٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠ اكر ٦٦ ٤٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠ اكر
على ان مشكلة الري في العراق لا تقتصر على وجود هذه المساحات الواسعة من الاراضي التي تعوزها المياه لتصبح صالحة للزراعة بل ان الاراضي المروية حالياً معرضة للبوار نتيجة لطغيان المياه عليها واستقرارها فيها . ولوجود الاهلاج فيها وهذه الاراضي هي التي تسمى بالسبخ . كما انحطت القابلية الانتاجية ل ٦٠ / ٠ من الاراضي التي تسقى سيحاً . ولما كانت مساحة الاراضي التي تسقى سيحاً تبلغ ١٦ ٢١٠ ٠ ٠ ٠ ٠ اكر تكون مساحة الاراضي التي انحطت قابليتها الانتاجية اكثر من مليون اكر (١٧) .

ان الطريقة الاساسية الناجحة لاستصلاح الاراضي واعادة قابليتها الانتاجية هي ايجاد نظام لتصريف المياه الزائدة لان الاهلاج الرئيسية الموجودة في الاراضي سهلة

(١٦) تقرير هيئة الامم بالقسم الثاني ص ٣١

(١٧) المصدر السابق ص ٣١

الاذابة في الماء، فإذا ما وجدت مشاريع التصريف سهل التخلد منها • ولكن مشروعا للتصريف لم يتم في البلاد حتى الان •

ان مشكلة الري من اهم المشاكل التي يتوقف على حلها خلا صحيحا موسريا تقدم الزراعة في البلاد • فمن الضروري لكل السروي فتح الجداول والقنوات ومنها السدود على الانهار للتحكم في توزيع المياه وانشاء نظام لتصريف المياه الزائدة • واقامة الخزانات على فروع دجلة والفرات لخزن المياه وقت الفيضان • وهذا تنقذ البلاد من خطر الفيضان الذي كثيرا ما يدمر المدن كـ ويهدم القرى هوئلف الزروع • ويسرد الآلاف من الناس هوملا قلوب الشعب كل عام وهذه المياه المختزنة تطلق في الصيف لتسقي المزروعات الصيفية التي تقل زراعتها الان لقلة المياه المتوفرة في الصيف •

«ان عدم الانتظام في التجهيز الطبيعي للمياه يعرض الاراضي الزراعية لخطر الفيضان في كثير من الاحيان على حين يحرمها من الكميات الوافية في اشهر الصيف وذلك ما يجعل انشاء القناطر الحاجزة على عرس مجاري الانهر لرفع مناسيب المياه امامها في موسم الصيف واقامة خزانات لدرء اخطار الفيضانات وخزن المياه الزائدة للاستفادة منها لاغراض الري في موسم شحة المياه من اهم الاعمال الرئيسية التي ينبغي انجازها لتنظيم شؤون الري في القطر العراقي • ان هنالك حالات غير اعتيادية تصبح فيها ماء الانهر الطبيعية غير كافية لسد احتياجات الزراعة من دون الاعتماد على مياه الخزن • فالحل الذي حصل في صيف عام ١٩٣٥ - ١٩٤٤ كان احسن مثال لذلك ان كانت اكثر اشجار الفاكهة في منطقة ديالى تتلف وذلك من جراء هبوط التصريف الطبيعي للنهر الى نصف الكمية الاعتيادية في موسم الصيف (١٨) •

منذ ان وضع ولكوكس تقريره المشهور عن الري في العراق عام ١٩٠٨ اصبحت الخطوات الضرورية لحل مشكلة الري واضحة • وقد اهتمت الحكومة العراقية بدراسة مشاريع الري فاستقدمت الخبراء واتت اللجان واخرها اللجنة التي اشرف عليها مستر هاغ والتي درست من سنة ١٩٤٦ الى ١٩٤٩ مشاكل الري ووضعت خطط المشاريع والاعمال الضرورية (١٩)

(١٨) موسسة ص ١٠ - ١١

(١٩) للاطلاع على اهم المشاريع الضرورية التي اقترحتها لجنة هاغ ^{مشاريع} انظر تكاليفها البالغة اكثر من ٩٠ مليون دينار راجع تقرير هيئة الامم القسم الاول ص ٢١ - ٢٤

وقد نفذت الحكومة بعض مشاريع الري المهمة مثل مشروع سدة الكوت والقزاق
والحموجة وبقي القسم الأكبر منها ينتظر التنفيذ . وأول العوائق التي تقف دون
تحقيق هذه المشاريع هي عدم وجود المال اللازم . وقلة المهندسين والفنيين
والاختصاصيين بالري . على أن هذه المشاريع لا يمكن أن تتحقق على الوجه
الصحيح مولا يمكن أن تعطي نتائج محدودة ما لم تسو مشكلة الأراضي تسوية عادلة
وما لم يتشكف الفلاح ثقافة زراعية صحيحة . بحيث يصبح قادرا على استخدام الماء استخداما
صحيحا .

كفاءة العملي الزراعية

إن كفاءة الفلاح العراقي الانتاجية محدودة ، لأنه لم يدرب تدريباً فنياً
على الزراعة بل هو ينشأ في الحقل ، ويتلقى معارفه الزراعية عن حوله من الفلاحين
ويتبع أعمالهم بكل ما فيها من خطأ . مكرر موهدر للجهود دون طائل . فهو ،
مثلاً ، يستعمل الآلا - الزراعية البدائية نفسها في مختلف مناطق البلاد دون مراعاة
نوع التربة ، وطبيعة الأرض . وأعمال البسيطة التي يستعملها ، والحيوانات الهزيلة
التي يعتمد عليها تضيع جهوده ، وتجعل زراعة الحبوب تستغرق وقته طول العام .
فعملية تصفية المحصول تستغرق المدة منذ بدأ الحصاد حتى رفعه من الميادر . وهي
المدة الواقعة بين نيسان وأيلول من كل سنة على حين تكون الميادر الأخرى
أي الصيفية أو الخريفية في حيا . قالى ما يلزمها من خدمة ووقاية . كما أن الاستعداد
لزراعة المرمس اختار تأتي مباشرة بعد الدراسة . وهكذا يضطر الفلاح للاستغال
بعمليات عديدة متفرقة في وقت واحد وهذا مما يقلل من كفاءته في العمل ومن ثم
يضعف الانتاج . وأن اضطرار الفلاح إلى الانصراف إلى زراعة الحنطة وللشعير
وانقائه جهوده كلها عليها طول السنة يحول دون زراعة المحاصيل الصيفية أو
يضعف عنايته بها أن استطاع أن يزرعها فهذا هو أحد عوامل فقر الفلاحين وتدني
مستواهم الاقتصادي . أن قيام الفلاح بكافة العمليات الزراعية من حراثة ومجمل د ،
ودراسة وتذرية ومحرسة للميادر ووقاية للسدود والجداول موسم تغذيتها ،

وابتلاءه بمختلف الامراض يتعرض له لشعر الصيف اللافحة بمبرد الشتاء الزمهرير دون ان يكون له من ملابسه الاخلاق وقاية منها تجعل جسمه متعبا مهدورا ذا مقدرة واطئة على العمل . فاذا اضفنا الى هذا حالته النفسية المريرة المتأينة عن شعوره بان ثمره اتعابه ستذهب للعلاك مهما بذل من جهد . ومن هذه الديون التي يرنج تحت ثيرها بالعيشة الخسنة التي يحباها في كوخه الخالي من كل ما يخفف عنه عناء العمل بمريح جسمه المكثود بمصابه المنهكة بمخلو اليأس من المباحج التي تحبب الحياة الى الانسان بتدفعه للطمح مادركنا سر خمول الفلاح وانحطاط قدرته الانتاجية .

علاقة الفلاح بالارض

(١) اصناف الاراضي

حدد قانون تسوية الاراضي لسنة ١٩٣٢ الاراضي في العراق بالاصناف التالية

(١) الاراضي المملوكة : وهي التي لصاحبها حق التصرف المطلق بها كما ان له حق رقبته .

(٢) الاراضي المشروكة : وهي الاراضي التي خصصت لغرض من اغراض المنفعة العامة ، او وهبت للجمهور ، ومم على استعمالها للغرض المذكور خمس عشرة سنة كالمقابر والحدائق والملاعب ، والبيادر ، والسواق ٠٠٠ الخ (٢١) .

(٣) الاراضي الموقوفة : وهي عبارة عن اراض مرصدة لحايات دينية او خيرية او عائلية . والوقف نوعان : (١) وقف صحيح ويشمل الاراضي المملوكة التي يحولها صاحبها الي وقف فتصبح الارض ورقبتها بمحقوق التصرف فيها ، وكل الفوائد الناتجة عنها موقوفة . (ب) وقف غير صحيح ويشمل الاراضي المفزعة من الاراضي الاميرية التي اوقفها السلاطين او غيرهم من اصحاب السلطة وخصصوا منها فعا العائدة الى الدولة من عنور ورسم اميرية لجهة ما . (٢٢)

(٢١) حمادة ص ١٣٥

(٢٢) المصدر السابق ١٣١ - ١٤٠

(٤) الاراضي الاميرية : وهي الاراضي التي تعود رقيبتها الى الحكومة ولكن حقوق التصرف بها واستغلالها يجوز ان تعود الى الافراد . وهذه الاراضي تشمل جميع الاراضي في البلاد التي يوجد نمر صريح بعائديها الى احد الافراد ، او احد المؤسسات الخيرية . وتنقسم الى ثلاث اصناف .

(١) الاراضي المفوضة بالطابو : وهي الارض التي يعود حق التصرف بها الى الافراد . وتكون الارض مفوضة بالطابو في احدى الحالات الاتية : (١) اذا كانت مسجلة في سجلات الطابو على هذا الوجه (٢) اذا لم تكن مسجلة في الطابو باسم احد ولكن وجدت لديه وثائق او دلائل تبرر تسجيلها باسمه مجددا . (٣) اذا كانت مفوضة بالاشجار بها فيها النخيل والكرم لمدة لا تقل عن عشر سنوات على ان لا يقبل عددها عن اربعين شجرة لكل دونم وعلى ان يؤخذ بنظر الاعتبار معدل عدد الاشجار وان يكون عمر اكثرها لا يقل عن عشر سنوات وان لا يقل عدد الاشجار في المثلثة فيها عن عشرين شجرة لكل دونم . (٤) اذا كانت تحت تصرف شخص او من حل محله وكانت مستقرة حسب التعامل الزراعي المحلي لمدة لا تقل عن عشر سنوات سبقت قرار التسوية بشأنها ولا زال مستمرا ولم تدفع عنها اجرة الارض في المدة المذكورة (٢٢) . ويتمتع صاحب الارض المفوضة بالطابو بنفس الحقوق التي يتمتع بها صاحب الارض المملوكة (ماعدا رقيبتها فهي للدولة) . فله الحق في ان يبيعها او يؤجرها ، او يرهنها ، او يورثها مولا . يدفع عنها اجارا للدولة لانه قد وضع عند حيازته لها لأول مرة رسما يسمى بدل المثل او المعجلة . ولا يحق له ان ينفقها وفقا صحيحا او ان يقفها عليها دون ان يفي من الحكومة (٢٤)

(ب) الاراضي الممنوحة باللزمة : ان حقوق اللزمة هي عبارة عن الحقوق التي نالها افراد القبائل التي احتلت قطعا من الاراضي الاميرية غير المفوضة بالطابو وتصرفوا بها مدة من الزمن والمعنى الصحيح لهذا التعبير ، كما يذهب الى ذلك دوسن ، (٢٥) هو حق السكنى والزراعة . وينفخ اللزمة رئيس التسوية الطائفة العراقية الذي يتصرف بها ، او من حل محله من العراقيين في خلال الخمسة عشرة سنة

(٢٣) قانون التسوية مادة ١٠ ب نقلا عن شاكر ناصر حيدر " احكام الاراضي والاموال غير المنقولة " (بغداد ١٩٤٧) ص ٢٤٥ وسأشير الى هذا المصدر الاخير بحيدر

(٢٤) حمادة ص ١٢٧

(٢٥) دوسن ص ٢٥

السابقة لإعلان التسوية • والمقصود بالتصرف هنا هو زراعتها حسب التعامل المحلي
أو غرسها بالأشجار حسب التعامل المحلي • ولا يشترط أن يكون التصرف طيلة هذه
المدة وإنما أن يكون خلالها حتى ولو كان واقعاً قبل إعلان تسوية الأرض بسنة والمادة (٢٦)
ويجوز لمجلس الوزراء منح اللزعة في الأراضي الأميرية الصرفية التي تمت تسويتها
بشرط أن يكون إلى العشائر لغرس أسكانهم بقصد استثمارها من قبلهم •
أن حقوق صاحب اللزعة مبهورة عامة كحقوق المتصرف بالأراضي الأميرية المفوضة
بالتأجير مع بعض القيود الواردة على تلك الحقوق •

ج) الأراضي الأميرية الصرفية :

وتشمل جميع الأراضي الأميرية غير المفوضة بالتأجير
أو المنوطة باللزعة • والدولة وحدها تعتبر صاحبها ولها حق التصرف بها وحق
رقبتها • ويعتبر الأفراد الذين يستغلونها مستأجرين أو ملتزمين لمدة محددة •
لا توجد لدينا أحصاءات مضبوطة بمساحة كل صنف من أصناف الأراضي
ولا نسبتها إلى بعضها • وفيما يلي جدول بمساحة الأراضي التي تمت تسويتها
منذ تأسيس دائرة التسوية حتى نهاية عام ١٩٤٧ محسوبة بالدوناب (٢٧)
المجموع الكلي للأراضي المنجزة تسويتها : ٠٧٠ / ٢٤٤ / ٤٣
الأراضي الأميرية الصرف : ٢٤١ / ٥٨٣ / ٢٧
الأراضي المنوطة باللزعة : ٢٤١ / ٨١٤ / ٦
الأراضي المفوضة بالتأجير : ٤٢٠ / ٣٢١ / ٧
الأراضي العائدة للوقف : ١٦٦ / ٩٢ / ٤
الأراضي المملوكة : ١٨٨ / ٣٥ / ١

(٢٦) حيدر ص ٢٨٥

٢٧١٦ القرية العراقية ص ٥٦ • وقد ^{أصبح} الأستاذ جعفر خياط في المصدر
نفسه ص ٥٧ هذه الملاحظة " وما يجب أن يلاحظ في الأراضي التي انجزت تسويتها
هذه أن قسماً كبيراً من الأراضي الأميرية الصرفية لم يرغروا بها بعد الموعود منها
بصفة مظاهرات في لواء العمارة الذي لا يزال وضعها وضعاً خاصاً من حيث
ملكية الأراضي الزراعية فيه • وأن الأراضي " اللزعة " كلها مزروعة تقريباً بينما يكون
معظم الأراضي الأميرية المفوضة مزروعة بالأسنان وتعد جميع الأراضي
الأوقاف تقريباً أراضي مزروعة وكذلك المملوكة (٢٠)

(ب) حيازة الاراضي والتصرف بها

حيازة الاراضي قبل مدحت باننا : كانت الدولة العثمانية تعتبر جميع الاراضي في العراق كما هذا الاراضي التي يملكها الافراد ملكا صرفا واضح البنية يملكها الصريح الذي نالته بحق الفتح والاستيلاء . وكان السلاطين والوزراء واللاق يقطعون بعض هذه الاراضي لمن يشاؤون من المحاربين والمقربين والمنفذين بمودي الخدمات النافعة للدولة . وكانت الدولة تمنحهم سندات وعقودا بحقوقهم في الارر وكان هو لا يسمون باصحاب الاراضي وكانوا يفوضون ما تحت سيطرتهم من الاراضي الاميرة الى المستاجرين كما كانوا يجبرون السرايب بمبادنون باجرا معاملات البيع والانراغ ويحطون سندات موقعة من قبلهم . وكانت الدولة توقف قطعا من الارر على المقاصد الخيرية والصناربع الدينية كما كانت تستبقي قسما منها تحت تصرف الخزينة فتتجرها للفلاحين وتمتوفي عنها ما تستحق من عرر او خراج (٢٨) .

على ان القسم الاعظم من الاراضي الزراعية في الشمال والجنوب كان يملكه العشائر . وكانت الوحدة الزراعية في الشمال هي القرية كما في الوسط والجنوب فكانت الوحدة الزراعية هي القبيلة او العشيرة . كان لكل عشيرة قطعة من الارر خاصة بها تدعوها " دبرتها " يزرعها افراد العشيرة بمويعون مواشيمهم في مراعيها وكانت العشيرة ترى ان دبرتها ملك صريح^{خاص} بها لانها قد استوطنت فيها وعدرتها منذ مئات السنين ففي التي نقت جد اولها وقامت بحوثها وزرعها ابا عن جد . وكان ثلث اراضي الديرة مواحيانا نصفها بمفرز للشيخ لمستعين بالغلة على القيام بواجباته تجاه القبيلة وكانت هذه الحصة تقدم للشيخ بصفته رئيسا للعشيرة الى الوظيفة التي يشغلها وليس بصفته الشخصية كما الاقسام الباقية من الارر فكانت توزع على اسر الفلاحين حسب عدد المحاربين في كل اسرة او حسب اتساع الارر وخصوبتها موقلة ا يدي العاملة او كثرتها فيها . (٢٩) .

والحق ان ملكية الارر كانت محتي بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقامضة

(٢٨) انظر حيدر ص ٢ - ٨

(٢٩) انظر جواد ص ٤٥

مائة مئوي في معظم أنحاء البلاد . وكانت الأراضي تتعاورها ادعاءات عديدة بالملكية . فالدولة تعتبرها ملكا صرفا لها . وكان أحفاد الاقطاعيين من اصحاب وحدات التيمار متمسكين بالوثائق والعقود التي منحتم اياها الدولة . وكان بيع الأراضي وشراؤها مستمرا على جاري العادة منذ اجيال من غير علم الحكومة او اعترافها . (٣٠) ولم تستطع الحكومة التركية ان تمارس سيطرة منظمة فعالة على الأراضي الاميرية الواسعة التي تشكل معظم البلاد لان نفوذها خارج المدن الكبيرة كان محدودا واحيانا معدوما بالملكية . وكان استقرار العشيرة في الارض متوقفا على قدرتها على مقاومة غارات العشائر الاخرى . يتحدى نفوذ الحكومة مصلح الارض لسكانها . (٣١) وعندما عزمت الدولة العثمانية على اصلاح الاوضاع في انحاء الامبراطورية في مطلع القرن التاسع عشر وجدت مشكلة العشائر في العراق من اعقد المشاكل واشدها استعصاء على الحل . كانت هذه القبائل التي استقر بعضها واخذ بعضها في سبيل الاستقرار وممارسة الزراعة ، لا تعترف للدولة العثمانية بسلطة هذه الدولة التي كان جميع الضرائب الباطنة وما يترازموان الفلاحين عندها الاول . وكانت هذه القبائل متمسكة بعرفها وعاداتها ، تخضع لروايتها وشيوخها ، وتحاول الابتعاد عن المدينة والخضوع لانظمة الحكومة وقوانينها ما وسعها الابتعاد . وكانت مسالحتها متعارضة في الاساس مع اية دولة منظمة وكانت جاثمة لا تفتتها فرصة تطلع للحصول على منمنم الا انتهمزته بغير هيابة من قصاص الحكومة وتنكيلها . (٣٢) . ومن الباشوات الاتراك على معددين " ابنا" العشائر وتفكيك كيانات القبلي بالعنف والقوقا كانوا يحركون قبيلة على قبيلة اخرى وانوا يجردون السلطات التأديبية عليهم . ولكن سياسة العنف هذه لم تجدد نفعا . فقد فشلت لان الدولة لم تستطع ان تتبع اسلوب الصحيح في اسكان العشائر ومساعدتهم على الاستقرار . ان سياسة تفكيك القبائل والقضاء عليها بصورة هادئة كانت يجب ان يصيبها الفشل على كل حال . وقد فشلت في هذه الحقة من الزمن لاسباب خاصة واخرى عامة . وكانت النتيجة ان زجت الاصقاع العشائرية من العراق في اتون منحل من القلاقل في وني احضان اسوأ ما يتذكره الناس

(٣٠) Stephen Hemsley Longrigg, "Four centuries of Turkish rule in Iraq" (London, 1925), p. 306. (٣١) انظر دوسن ص ٢٤

(٣٢) انظر لونكريك ص ٤٨٩

من القوضى موضح الفلاحون المستوطنون الى البادية من جديد . (٢٢) .
 على ان الحكومة العثمانية كانت ماضية في اسلاحتها وقد ارادت ان تضع
 نظاما جديدا للاراضي بمنح الاستقرار في البلاد ^{موضح} على الزراعة ^{موضح}
 الخزينة من الضرائب ^{موضح} وحدة القبائل ^{موضح} من نفوذ الشيخ والرواسا
 فاعلقت نظام الاقطاع القديم سنة ١٢٥٥ هـ ، واحالت جباية الضرائب ^(٨٢٨) والرسم الى
 الخزينة بواسطة الجباة والمحصيلين ^{او بواسطة الملتزمين} ، وشرفت منذ سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٣)
 باعطاء سندات التصرف بالاراضي من دوائر الدفترخانه ، واصدرت سنة ١٢٧٤ هـ
 (١٨٥٨) قانون الاراضي فاصبحت الاراضي الاميرية خاضعة لاحكامه بينما بقيت
 الاراضي المملوكة والموقوفة خاضعة للاحكام الفقهية . واصدرت الدولة في سنة
 ١٨٦٤ تعليمات حول نفوس الاراضي العراقية التي انقرض نسل مالكيها والتي
 مجزأ اصحابها عن زراعتها واعمارها . وفي سنة ١٨٦٨ صدر فرمان مدحت باشا
 حول الاراضي ^{الحضرية} العراقية في العراق (٢٤) . ومجيء مدحت باشا الى العراق
 (١٨٦٨ - ١٨٧٠) ، وسريعه بتطبيق قانون اراضي ، دخلت مشكلة ملكية الاراضي
 في دور تاريخي جديد .

حيازة الاراضي والتصرف بها في عهد مدحت باشا .

حدثت بعض التبدلات الاساسية في معاملات الاراضي بناء على التعليمات
 التي ارسلت من قبل الحكومة المركزية الى ولاية بغداد سنة ١٨٦٤ وبنا على فرمان
 تولية مدحت باشا المؤرخ في ١٨٦٨ واهم ما جاء فيها :
 ١ - الاراضي الموجودة داخل ولاية بغداد والبصرة والتي بادلت سلالة مالكيها
 وانقرضت انساب التصرفين بها ، فاكسبت حكم الاراضي الاميرية ^{بها} كان منها
 عامرة وبانهارها موجودة ، تتحال الى طالبها ^{موقوف} لهم بموجب سندات الطابو
 وطبقا لاحول المزايدة .
 ب - تشمل هذه المساعدة لمن يرغب فيها من العاشرين بغية حصول العمران في
 الاراضي الواسعة
 ج - وما كانت منها بعيدة عن العمران او خالية من الانهار فتقرب وتتحال الى
 طالبها بلا بدل " مجاناً " .

الترجمة من ٢٩
 (٢٢) نقلا عن الترجمة العربية ^{شيفه هيملي لوتكريل} ١٨٨٥ " اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث " (٢٢)
 نقله الى العربية جعفر خياطة (بغداد ، ١٩٤١) ص ١٣٣
 (٢٤) انظر حيدر ص ٨ - ٩

القدماء مجموعة من الموظفين الكبار .

لقد ادى منح حق ملكية الارل لبعض الشيوخ الى خلافات ومصادمات بينهم

وبين ابناء عشائهم الى فوضى عامة مما جعل الاستمرار بتسجيل الاراضي غير ممكن

ولما رأت الحكومة العثمانية ان تسجيل الاراضي سيقوي نفوذ الشيخ اوقفت عملية

التسجيل . ولم يكن قد تسجل عند ذاك الا خسرا راضي . واصدرت عامي

١٨٨٠ - ١٨٩٢ مرسومين مؤداهما ان الحكومة ستكون المالك الحقيقي للاراضي .

وهكذا كانت معظم اراضي العراق في سنة ١٩١٩ ملكا للدولة نظريا (٣٨) .

ان وضع الاراضي الذي تكلمت عنه فيما تقدم ينطبق بصورة عامة على الاقسام

الجنوبية والوسطى من البلاد . اما في المنطقة الشمالية فكان الفلاحون يحيمون

في قراهم تحت سيطرة الافاوات وغيرهم من الشيوخ والمتنفذين . وكان هو لا

الافاوات والمتنفذون يديرون شؤون القرية ويحلون مشاكل الفلاحين ويمتسكون بينهم

وبين الحكومة . وقد ازداد نفوذهم بعد ان تحسنت طرق المواصلات بكثر ترددهم

على المدن ومقويت علاقتهم برجال الحكومة . فلما سرع بتفويض الاراضي بالطابو اشتغل

هو لا الافاوات والمتنفذين بعلاقاتهم بالدولة وجهل الفلاحين وتزلزلت همسجلوا

الاراضي جميعها او جزءا منها باسمائهم خلافا لقانون الارضي . واصبحوا يتصرفون

بهذه الاراضي تصرف الدالكسين بنسب النظر عما فيها من حقوق قديمة للفلاحين ،

الذين واصلوا الإقامة فيها وقاموا بزراعتها ورعوا فيها مدة طويلة من الزمن .

التصرف بالاراضي منذ الحرب العالمية الاولى

كان الاقتصاد العراقي الى قبيل نهاية القرن التاسع

عشر هو الاقتصاد المعيشي . فكان الزراع بما فيهم من الشيوخ والسراكيل ينتجون

من المحاصيل المقدار الذي يسد حاجات معيشتهم . ولكن هذا النظام اخذ

في التغير منذ نهاية القرن التاسع عشر فقد فتح النقل البحري في الخليج الفارسي

السوق العالمية للحبوب العراقية ، فاخذ الزراع ينتجون الحبوب لبيعها في الاسواق

المحلية وتعتمد برها الى خارج البلاد . كانت صادرات العراق من الحبوب في

مطلع الحقد الاخير من القرن التاسع عشر ٦٥٠٠٠٠ طن فاصبحت ١٢٠٠٠٠٠

طن في اعوام ١٩٠٩ - ١٩١٣ م ٣٨٠٠٠٠ طن في ١٩٣٤ - ٣٩ (٤٠) .

(٣٨) انظر وارنر ص ١٠٩

(٤٩) انظر وارنر ص ١٠٦

وكانت نتيجة هذا التحول ان اقبل الشيخ والمتفدون موافقيا المدن ،
والموظفون الكبار على حيازة الاراضي الزراعية الخصبة وتسجيلها باسمائهم ، فوقيت
جماهير الفلاحين الصغيرة محرومة من الارض متوجرها من مولاها المالكين البعدين ،
والاقطاعيين المحدثين . وقد ادى الى قيام هذه الحالة عوامل عديدة منها
غزو ملكية الارض موسو تفويض الاراضي في عهد مدحت باشا ، والنوصى التي اعقبت
اصلاحاته وعلى الاخر عندما انسحبت الجيوش التركية فحملت معها سجلات الطابو
واتلفت قسما منها . قلت ان الاراضي العراقية كانت في سنة ١٩١٩ من الوجهة
النظرية على الاقل ملكا للدولة فاصبح بإمكان القابضين على زمام الحكومة ان يصنوا
من يشاؤون على حيازة ما يشاؤون من اراضي الخصبة . وفي سنوات الحرب العالمية
الاولى وجدت القوات البريطانية نفسها بحاجة الى مساعدة شيوخ القبائل ليعينوها
على الاتراك ومساعدوها في تجهز ودها الحربي ، او يتفخوا على الحياد ، فيستنعوا من
تقديم المساعدة للاتراك او تعكير الامن والنظام في البلاد على الاقل . وقد
اعتقدت عليهم في ادارة شؤون القبايل وجعلتهم المرجع المباشر وثبت نفوذ
الموالين منهم ، ووسعت عليهم في الاراضي واعترفت بعاداتهم وعرفهم القبلي فاصدرت
بذلك عدت مراسيم انتدبت فيها بعد قانون دعاوي المنازعات الذي جعل للشيخ
مركزا قانونا معترفا به من قبل الحكومة . وقد اتخذت السلطات البريطانية في
عندي الاحتلال والانتداب الاراضي الزراعية وسيلة لاثرام الويدين بموجب الانتصار
ولمحاكاة الخصوم والاعداء والمتأثيرين للنفوذ البريطاني . فكانت اراضي الموالين
للحكم البريطاني تتسع على حسب ^{الديرة والاراضي} المقاومين لهذا الحكم ، وخاصة الذين اشتركوا
في الثورة العراقية عام ١٩٢٠ ، تنقصر وتقل . (٤١)

(٤١) للاطلاع على الدور الذي لعبته السلطة البريطانية في عهد الاحتلال
والانتداب في تدعيم نفوذ الشيوخ المضمار وتوسيع اراضيهم مخلق طبقة اقطاعية
مستفزة منهم راجع ايرلاند ص ٢٢ - ٢٤ ومحمود الجندي
" المسئلة الزراعية في العراق " (بغداد ١٩٥٠) ص ١٢ - ١٣ والشايع اقطاع
ص ١٩ - ٢٠ وامل الجادرجي " الاقطاع واثره في افساد جهاز الدولة " جريدة صدى
الاهالي ببغداد ، الاعداد ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ الصادرة في ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ من
تشرين الاول ١٩٤٩ .

وقد شجعت الحكومة العراقية هؤلاء الشيوخ والمتنفذين والاقطاعيين
 المحدثين موخلفت منهم طبقة اجتماعية ذات نفوذ قوي في تسير امور الدولة ،
 ليكونوا لها حلفاء ومعاونين على تسير امور البلاد .

ووجد نفر من تجار المدن ما في الزراعة من ربح وفير فاقبلوا على نصب
 المضخات . وقد زاد عدد المضخات من ١٤٣ مضخة عام ١٩٢١ الى ٣٠٠٠
 مضخة عام ١٩٤٣ تسقي ارضا مساحتها ١٠٠٠٠٠ هـ . ٢ / ايكر اي نصف الاراضي
 المزروعة في الاراضي الاروائية . والمضخة التي كانت تكلف قبل الحرب الاخيرة
 ٢٠٠٠ دينار كان يشق على شيوخها على الفلاحين والمزارعين الفقراء فكان الشيوخ
 والسراكيل ينصبون مضخات في اراضيهم مواخذ تجار المدن ، في اغلب الاحيان ،
 ينصبون مضخات في اراضيهم وفي الاراضي الاميرية فتصبح ملكا لهم ، وينصبونها
 لحساب الفلاحين ويتقاضون عن ذلك فائدا مرتفع النسبة ، فتسحيل الاراضي ملكا
 لهؤلاء التجار بالتدريج نتيجة لعجز الفلاحين عن تسديد ديونهم . ولما
 حدثت الحرب العالمية الثانية ، وتضخم النقد ، وطلت الضائقة
 الاقتصادية بالبلاد ، وارتفعت اسعار الحبوب ، ازداد اقبال الاقطاعيين على توسيع
 اراضيهم وامتلاك المساحات الواسعة من الاراضي الاميرية ، واستخدموا نفوذهم
 عند الحكومة فاثروا على لجان التسوية ، واستغلوا نظام دعاوي العشائر فحولوا
 احكامهم لصالحهم فتحولت اليهم بذلك اراضي هي ملك فيهم من المزارعين الضعفاء
 او ملك اقاربهم من هم دونهم قوة ونفوذ ، او ملك الدولة الصرف .

ولقد شرعت في عهد الاحتلال والانتداب والاستقلال عدة قوانين لتعيين
 ملكية الارض وتنظيم الزراعة ، اهمها قانون تسوية الاراضي رقم ٥١ لسنة ١٩٢١ ،
 وقانون اللزعة رقم ٥٥ لسنة ١٩٢٢ ، وقانون تحديد حق العرف رقم ٥٥ لسنة ١٩٢٢ ،
 وقانون تحديد حقوق وواجبات الزراع رقم ٢٨ لسنة ١٩٢٣ .

على ان هذه القوانين جميعا كانت تخدم في الغالب مصالح الاقطاعيين ،
 وثبتت حقوقهم المدعاة التي اكتسبوها بمختلف الطرق غير القانونية وغير العادلة .
 فالاراضي تسجل باسماء اصحابها اذا كانوا يحملون سندات تثبت ملكيتهم لها ،
 واذا اثبتوا انهم كانوا متصرفين بها تصرفا فعليا مدة من الزمن قبل اعلان التسوية .
 وبما ان الارض كانت ملكا للعشيرة ولم يكن للانفراد حق صريح في بقعة منها ،
 ولم يكن بإمكانهم ان يثبتوا تصرفهم خلال هذه المدة في بقعة من الارض معينة
 تمكن الشيوخ والملاك ان يسجلوا هذه الاراضي ملكا شخصا لهم فخرم الفلاحون

حقوقهم المشروعة فيها ، واصبحوا محرومين من حقوق التصرف في الارض واضطروا على ان يكونوا عمالا زراعيين ماجورين ، او مستاجرين للارض يدفعون بدل اجارها قسما كبيرا مما تنتجه الارض يعمرق جباهمم ، موكد سواعدهم . يقول دوسن (٤٤) ((عزى من وجه عام ان الذين يشغلون ارضا اميرية وينزعوها يسمح لهم بان يفعلوا ذلك عند عدم وجود معارضة من جانب اصحاب النفوذ . ان التصرف بالارض اعم نقطة في تاييد الادعاءات . انما لا التصرف بالارض لمدة طويلة ولا الحصول عليها بشكل اخريو ، منان البقاء فيها . ان النفوذ الشخصي مع اكبر مرجع له علاقة بهذه الامور يكون عادة القول الفصل في اي وقت كان وفي اة منازعة كانت من منازعات الاراضي . ولذا نرى انه قد لا يلتفت الى الادعاءات التي تدعيها براهين ساطعة ، كما انه قد يعاد فتح اي كان منها في اي وقت كان اذا ساعد الظروف على النظر بعين العطف في قضية فريق لم ينل مبتغاه . (٢٠)

ج سعة الملكيات الزراعية

لا توجد لدينا احصاءات صبوطة تبين عدد المقاطعات الزراعية التي يملكها الافراد ، ومساحة كل قطعة منها ، ومقدار ما ينزرع منها فعليا كل عام . ولكننا نستطيع ان نقول بصورة عامة ان عدد الملكيات الصغيرة في شمال البلاد اكثر منها في جنوبها وان عددا ضئيلا من الملاكين يستحودون على معظم الاراضي الزراعية الخصبية في الجنوب . ففي الموصل وفي سهل دجلة الخصيب وجيشا قميت المضخات يوجد نظام قبلي شبيه بالنظام القبلي الموجود في جنوب البلاد ، يمتلك الارض على العموم الشيوخ والوجهاء والمتنفذون . ويطلقنا هذا النظام القبلي عينه في غربي الموصل ، في الاراضي المتوجة ذات الامطار القليلة . وفي السنوات الاخيرة ازداد اقامة المضخات في هذه المنطقة واشتد اقبال الشيوخ على توسيع رقعة اراضيهم . اما في المنطقة الشمالية الشرقية في كركوك واربيل والسليمانية ، فان حالة الفلاحين احسن . ففي هذه المنطقة نظام زراعي ثابت يمتلك الملاكون الصغار حوالي ٢٥ ٪ من

الاراضي الزراعية موقد تصل مساحة الارض التي يملكها كل واحد من هؤلاء الفلاحين والمزارعين الى ٢٠٠ دونم . (٤٤)

اما في الاقسام الوسطى والجنوبية من البلاد فقد اصبح قسم كبير من الاراضي الزراعية تحت تصرف نفر قليل من الشيوخ والمستفيدين بالتجارة . ففي الوجة الكوت والمنفق والحصارة يتصرف الملاكون الكبار بقطع من الاراضي قد تتجاوز مساحة الواحدة منها المائة الف دونم موقد تصل مساحة الاراضي التي تحت تصرف بعض الملاكين الى نصف مليون مشارة ، والى الثلاثة ارباع مليون مشارة . (٤٥) .

«ومن المعلوم ان هنالك شخصا واحدا يملك مليون مشارة مواخر اربعمائة الف مشارة وثالث مئتي الف مشارة ، وثمانين الفا . وتتراوح مساحة الملكيات الكبيرة الاخرى المنبشة في البلاد مابين ثلاثة الاف مشارة وشرة الاف » (٤٦) .

ومعطينا الجدول التالي صورة تقريبية لاتساع الملكيات الزراعية في العراق فهو مبني على مساحة الاراضي التي اجريت تسويتها في الوجة بغداد والكوت والحلة والديلم وكركوك واربيل وقسم من لواء الموصل .

المساحة بالدونم	عدد الملكيات
اقل من دونم واحد	١٦ / ٤١١
١ — ٥	٤٥١ / ٦١٨
٦ — ١٠	٢٧ / ٢٦٢
١١ — ٢٠	٢٢ / ١٢٢
٢١ — ٥٠	٢١ / ٣٤١
٥١ — ١٠٠	٨٩ / ٦١٥
١٠١ — ٢٠٠	٤ / ٢٨٣
٢٠١ — ٥٠٠	٢ / ٤٧٦
٥٠١ — ١٠٠٠	١ / ٠٣٤
١٠٠١ — ٢٠٠٠	٦٧٦

(٤٥) انظر الظاهر، اقطاع ص ٥٠ و ٨٧

(٤٦) جواد ص ٤٨

(٤٧) القرية العراقية ص ٦٠

عدد الملكيات	المساحة بالدونم
٧٦٢	٥٠٠٠ - ٢٠٠٠١
٣٢٦	١٠٠٠٠٠ - ٥٠٠٠٠١
٢٢٧	٥٠٠٠٠٠ - ١٠٠٠٠٠١
١٣	١٠٠٠٠٠٠ - ٥٠٠٠٠٠١
٢١	٢٠٠٠٠٠٠ - ١٠٠٠٠٠٠١

نستنتج من هذا الجدول ان عدد الاشخاص الذين يملكون الف دونم فما دون ذلك يبلغ ٦٧٢ / ١٤٥٠ شخصا اما عدد الذين يملكون ما فوق الالف دونم الى حد ٢٠٠٠٠٠٠ دونم فيبلغ ٢٠٢٥ شخصا فقط . وهذا يدل على مقدار التفاوت الكبير بين اصحاب الملكية الصغيرة وبين كبار الملاكين . ولا تختلف النسبة كثيرا في الالوية الاخرى . واذا ^{علمنا} ان ~~الاراضي المملوكة للموصل قد اجريت تصفية~~ ان مجموع نفوس هذه الالوية السبعة يبلغ ٢٢ / ٦١٣٦ نسمة ، واذا افترضنا ان لواء الموصل قد اجريت تسوية اراضية باجمعها لانجد ان حوالي ٦٩٧ / ١٥١٠ شخصا في هذه الالوية يملكون ما يزيد على ٦٤٦ / ٢٧٩١ دونما . هذا باستثناء اراضي الوقف والاراضي الاميرية المرفقة . واذا اعتبرنا عدد الملكيات يساوي عدد الاشخاص في هذا الاحصاء نجد ان حوالي ١٢ ٪ فقط من مجموع السكان في هذه الالوية يملكون هذا المقدار من الاراضي الزراعية . اما اذا اعتبرنا عدد الملكيات يزيد على عدد الاشخاص المالكين فعلا باعتبار ان كثيرا من المالكين يملكون اكثر من قطعة واحدة ، فان تلك النسبة قد تصل ١٤ ٪ او ١٢ ٪ . وقد تنخفض هذه النسبة في الالوية الاخرى الى اقل من ١٠ ٪ . بالنظر لمساحة هذه الالوية ووقلة كثافة السكان مع اتساع المقاطعات التي يملكها الملاكون الكبار فيها . واذا اردنا ان نعطي صورة تقريبية لملكية الارض في الوية العراقية كلها ، ^{بما} بالنسبة لهذه المعلومات الناقصة ، لا يمكننا ان نقول ان ١٠ - ١٢ ٪ من سكان العراق فقط يملكون اراضي زراعية منتجة وان القسم الاعظم من الملاكين الذين يولفون هذه النسبة يملك كل واحد منهم ٢٠٠ دونم فما دون ذلك (٤٨) .

وتتجلى الملكيات الكبيرة بكل سيئاتها في لواء العمارة . فالمحمور من الاراضي

في هذا اللواء ملك صرف للدولة . وتقوم الحكومة بتأجير الاراضي الى الاقطاعيين من الشيخ . وتصرف في الاراضي الزراعية الصالحة للزراعة في هذه اللواء مبالغ مساحتها ٥٠٠٠٠٠ ٣٢٠٠٠٠٠ مشارة ١٧١٠ ملاكا . وهناك سبعة من بين هؤلاء الاقطاعيين بتصرف كل واحد منهم باراض تتراوح ^{مساحة كل واحد منها} بين ١٠٠٠٠٠ و ٤٠٠٠٠٠٠ دونم (٤٩) .

ان ايجار هذه الاراضي يبلغ حوالي ٢٠٠٠٠٠٠ دينار سنويا عندما يدفعه الشيخ من اموال وهدايا لاتعام هذه العقود . ويقوم هؤلاء الملاكون بتأجير اراضيهم قطعاً صغير للفلاحين . واذا علمنا ان شيوخ العمارة من اضمخ الاقطاعيين في العراق ثروة مادركنا العجب الملقى على فائق الفلاح العمالي ممدى الاستغلال الفظيع الذي يتعرض له . لا عجب ان يهاجر فلاحو العمارة الى بغداد وغيرها من المدن ليستغلوا باحط الاعمال فغارا من سوء الحالة في العمارة وممن القوم المكتوب لهم فيها . لو كان المقصود من وجود هذه المقاطعات الواسعة ادخال الآلات الزراعية وتطبيق الفن الحديث على الزراعة ولو ان هؤلاء الاقطاعيين الذين يستأجرون اراضي العمارة لبوؤجروها بدورهم للفلاحين دور في تحسين الانتاج وتنظيم العمل لكان لهذه الحالة في العمارة ما يبررها . اما وان الاقطاعيين لا يعملون شيئا سوى ان يؤجروا الارض للفلاحين ليزرعوها بطريقتهم البدائية فبان يعيشوا مرفهين على حساب عشرات الالوف من الفلاحين الكادحين فيقيمون اهاب الزبانية عند قسمة الحاصل ففانهم لا يعني الا ان الحكومة تريد ان يعيش هؤلاء مرفهين على حساب الالوف من الكادحين . ان هذا الظلم الصارخ لم يعد يشعر به الفلاحون انفسهم بولا المصلحون السياسيون فعجب مبل حتى الحكومة نفسها اخذت تشعر ان هذا الظلم اصبح لا يطاق بحيث وعد السيد نوري السعيد في خطاب المهرج باصلاح الحال في العمارة (٥٠)

ان هذه الملكيات الزراعية الكبيرة تكون احدى العوائق امام تقدم الزراعة في العراق . والحجة القائمة بان الملكيات الكبيرة تساعد على استخدام المكائن في الزراعة وتطبيق

(٤٩) هذه المعلومات عن لواء العمارة ماخوذ من تقرير للمرحوم سعد صالح عندما

كان متصرفا للواء العمارة سنة ١٩٤٤ . نقلا عن الجندي ص ١٧ - ١٨ .

(٥٠) انظر الظاهر، اقطاع ص ٤٣ - ٤٤

الطرق العملية فيها ، لا معنى لها هنا . لان هذه الاراضي لا تستغل على اسلوب صحيح نغملكوها يقطعونها قطعا صغيرة يجرؤونها للفلاحين يوفهم الفلاحون بزراعتها على الطرق القديمة البالية . ثم ان هؤلاء الملاكين لا يستطيعون ان يزرعوا هذه المقاطعات الواسعة التي تحت تصرفهم مولا يتمكنون من ايجاد الايدي العاملة لزراعتها بكاملها وعلى هذا تبقى مساحات واسعة منها غامرة . وهذه الملكيات الكبيرة قد خلقت طبقة متنفذة في البلاد تعتبر نفسها فوق الحكومة والقانون ، ان لم تستخدم الحكومة والدانون في تنفيذ ما قارنها . اي نفوذ يبقى للحكومة في مقاضعة تبليح مساحتها مع مساحة لجمهورية اللبنانية بأسرها ، يمتلكها شخص واحد يسيطر على ما فيها من فلاحين سيطرة مطلقة ؟؟ يضاف الى هذا انه لا يمكن ايجاد سياسة قوية للري في ظل هذه الملكيات الكبيرة لان هؤلاء الملاكين يحكم نفوذهم في دوائر الدولة يستطيعون ان يتصرفوا بالمياه كما يشاؤون وفي احيان كثيرة ياخذون ما يزيد عن حاجاتهم من المياه فبسبب ذلك تراكم الاحتياج في اراضيهم يحرمان ملاكهم من المياه اراضي المزارعين الاخرين من الماء كما يسبب كثيرا من القلاقل والاضطرابات اما المسلحة . ان سياسة تسجيل الاراضي التي اتبعتها الحكومة السراقية في دورى الانتداب والاستقلال بها قد قوت نفوذ الملاكين البار ومخلقت طبقة من الاقطاعيين تتحكم في دوائر البلاد ، موافقت جماهير الفلاحين محرومين من الارض لا يحسون رابطة تربطهم بها ؟؟ وهذا الامر الازفة كثيرا . وقد اثارته هذه السياسة الخاطئة نقدا كثيرا حتى من قبل الرجاا المسؤولين في الحكومة ومن قبل دوائر الحكومة نفسها . فقد جاء في التقرير السنوي الثالث عشر عن اعمال المشرق الزراعي العراقي لسنة ١٩٤٨ - ٤٩ م (٢ مايلى) (انا لا نسير في سياسة توزيع الاراضي في كثير من الاحيان على خطة اعتبار الفلاح هو المحور الاقتصادي وعوا المستثمر الفعلي للارض والقائم على استغلالها . ولذلك فلا يملك الارض التي يستغلها بل تملك الى غيره من المتنفذين وتلك عادة الى شيخ العشيرة او من المتنفذين من الملاكين . وقد ادت هذه الحالة الى تثبيت اقطاع في بعض الجهات . ان السياسة المثلى التي يجب ان نسير عليها هي السياسة التي تستهدف تحقيق ما نسميه بالملكية الصغيرة او الملكية المتوسطة فضلا عن ضرورة تحديد حدين اعلى وادنى للملكية الزراعية ولا سيما عند

عند توزيع الأراضي الاميرية الصرفة . ان مشكلة الاراضي ان لم تحل وفق الاساليب الاقتصادية الصريحة فلا نظن ان في الامكان تحقيق شيء كثير مما نسجه الاصلاح الزراعي في البلاد (٥٠) توزيع الاراضي ، ~~مستلزمة من اعادة تنظيم هيكل الملاك~~ وتحت تاثير النقد لسياسة ~~المستثمرة~~ والمطالبة بمساعدة الفلاحين الصغار قامت الحكومة بعدة محاولات لتوزيع الاراضي الاميرية الصرفة بعد استصلاحها على الفلاحين ~~الذين هم على ملكهم~~ الصغار . فقد اعلنت الحكومة عن تقسيم اراضي " ابو غريب " و " الحويجيلة " على ان محاولة الحكومة لم تعد الاسم فقد اصبحت هذه الاراضي تحت تصرف مشايخ العشائر المتوطنة فيها (٥١) وبعض المتنفذين من تجار المدن ورجال الحكومة . ثم سرت قانون اعمار واستثمار اراضي الدجيلية رقم ٢٣ لسنة ١٩٤٥ . وتوزع اراضي الدجيلية بحسب هذا القانون ، مجاناً على كل مستثمر ليست له اية ارض اخرى لا تزيد عن عشرين مشارة وعليه ان يقوم بزراعتها واستثمارها والتصرف بمنتجاتها الزراعية وفق تعليمات يعينها خبراء الزراعة (٥٢) . ويجب ان لا تزيد مساحة كل قطعة على مائتي مشارة ولا تقل عن مائة مشارة . كما لا يحق للشخص ان يملك اكثر من قطعة واحدة (٥٣) . وقد تم تقسيم جزء من اراضي مشروع الدجيلية بعد مقاومة عنيفة ابداءها الاقباةيون كقندر مساحتها بحوالي ٢٠٠ ٨٦/ مشارة موزعة على ٨٦٢ وحدة زراعية بنسبة ١٠٠ مشارة للمستثمر الواحد . وعملت ٨٠٠ قطعة اخرى جاهزة فاذا تحقق استثمار جميع اراضي المشروع البالغة حوالي ٢/ ٠٠٠ ٠٠٠ مشارة فستتمكن ثلاثون الف عائلة من التمتع بالارض وتنتج لحسابها الخضر . وعلى الرغم من قصر عمر هذا المشروع فقد دلت تجرئة على سرعة تخلص الفلاح من رقة الملاك بارتفاع مستوى الانتاج من جهة وزيادة دخل الفلاح من جهة اخرى (٥٤) . تنص المادة الحادية عشرة من قانون اعمار واستثمار اراضي الدجيلية المتقدم ذكره . " يطبق هذا القانون على الاراضي الاميرية المسيحية الاخرى التي تمت نسبتها في

(٥١) انظر الجندي ص ١٧

(٥٢) انظر نمر هذه التعليمات في كتاب سوسة ص ١١٦ - ٧

(٥٣) «قانون اعمار واستثمار اراضي الدجيلية رقم ٢٣ لسنة ١٩٤٥» (المادتان الثالثة والرابعة).

والرابعة. تجد نمر القانون في كتاب الدكتور سوسة ص ١٩١ - ١٩٥

المناطق الأخرى وذلك بقرار من مجلس الوزراء وأرادة ملكية . وقد طبق هذا القانون فعلا على أراضي الفرع الشرقي من مشروع الحويجة البال قساحت ٢٩٢٢٩-١٤ دوناً وعلى أراضي الجازية وأم الطليان الواقعة في لواء كركلاء والحلة وعلى القطعة المرققة (١) من المقاطعة ٢٢ بزاز الخليفة الواقعة في لواء الكوت (٥٥) . وعلى غيرها من هذه الأراضي .

إن هذا التشريع كافياً لحل جزءاً مهماً من مشكلة الأراضي فيما إذا وجدت حكومة تهتم بشؤون الفلاحين وتستطيع أن تنفذ بوجه محاولات الاقناعيين الكبار للاستيلاء على الأراضي الأميرية موقوفة توزيعها على الفلاحين الصغار . فقد حدث أن كثيراً من هذه الأراضي التي يقرر مجلس الوزراء توزيعها على صغار الفلاحين بحسب قانون اعمار واستثمار أراضي الدجيل لا توزع عليهم فعلاً بل توزع على الاقناعيين وتجار المدن وأغنيائها وبعض موظفي الدولة المتنفذين .

على أن توزيع الأراضي على الفلاحين الصغار وحدهم لا يحقق فعلاً لا يكفي ما لم تدعمه الحكومة بوسيلة الصرف الزراعي بالقروض اللازمة لأعمار أراضيهم وزرعها حسب الخطة المرسومة بالصرف الزراعي كما سابين في الفصل القادم كخبرنا ذلك في حالته الحاضرة فإن يسد حاجات الفلاحين لقلّة راسماله . كما لا بد من العمل على تحديد الملكية الكبيرة وخاذ قسم من هذه الملكيات الكبيرة التي يقرر مجلس الوزراء توزيعها على صغار حرفة لا بد من هذه الملكيات الكبيرة التي يقرر مجلس الوزراء توزيعها على صغار حرفة في حرفة نمو الزراعة كيشل توزيع الأراضي الأميرية الموقوفة على الفلاحين الصغار . فالاقناعيون لا يريدون أن يتحرر الفلاحون من سلاطنتهم مولا يرضيهم أن يستقلوا بأراضيهم الخاصة لأن ذلك يشجع فلاحهم على المداينة بتوزيع الأراضي ويحفزهم على ترك خدمتهم والاشتغال في أراضيهم فيحرم أراضيهم من الأيدي العاملة الرخيصة فيحول دون استيلائهم على أراضي الأميرية المستصلحة .

(٥٤) انظر الجندي ص ١٧

(٥٥) انظر جريدة صدی الاهالی ٢٢٤ حزيران ١٩٥٠ العدد ٢٣٠ .

(د) حصة الفلاح من غلة الارض

تستغل معظم الاراضي الزراعية في العراق حسب نظام الايجار بالمحاصة . ويكون
الايجار سنويا بموعد للمالك الارض انهاء في نهاية اي موسم شاء . وينقسم غلة
الارض اربعة فرقاء . الحكومة بمالك الارض . السراةل بموالفلاح .

تتألف حصة الحكومة من خريبة اعتيادية برسوم ري بمواجرة ارض كانت الضريبة
تؤخذ من جميع الاراضي على اختلاف اصنافها وهي عبارة عن عشر المحصول بمقد
ابدلت بعد نيسان ١٩٣٢ برسوم الاستهلاك . وتأخذ رسوم الماء عن الاراضي التي
تسقى سيحا (او تأخذ الماء من جداول الحكومة وت من هذه الخريبة بحق الماء) .
ولا تتقاضى الحكومة رسوم الري عن الاراضي التي تسقى بالماء او الآلات المرافعة .
واما اجرة الارض او حصة الملاك فتتقاضاها الحكومة عن الاراضي الاميرية عبر المغوضة ،
وبنوع خاص عن الاراضي الممنوحة باللزمة . اما الاراضي الاميرية الصرف التي تؤجرها
الحكومة للمستأجرين او الملتزمين فتحدد حصة الملاك فيها بمقد ايجار . اما
الاراضي المتروكة والموقوفة والمغوضة بالضابو من تتقاضى منها الحكومة اجرة ارض
وتبلغ رسوم الماء عن الاراضي التي تسقى سيحا بصورة منتظمة عشرة بالمائة وبصورة غير
منتظمة خمسة بالمائة - واجرة الاراضي على الاراضي المبيحة او المدوية خمسة بالمائة
وعلى الاراضي التي تسقى بالآلات المرافعة ١٠ او ١ بالمائة وذلك وفقا لحلو الرفع وبعد
الموافقة من الموقوفين . وعلى هذا فان مجموع حصة الحكومة من غلة ارض تتراوح
بين ١٠ و ٢٥ بالمائة (٥٦) .

لا يوجد قانون ينظم قسمة الغلة بين الفلاح ومالك الارض بل تخضع قسمة الغلة
للعرف والعادة . ولكن منطقة مارقة خاصة في القسمة تتبعها لنصف الارض ولنصف ملكيتها
وخصوتها ، ولزريعة التي تجهر البزور والحيوانا - ولما يتقالي (٥٧) وتتراوح حصة
الملاك في المنطقة النظرية بمقد اخراج حصة الحكومة مابين ١٠ و ٢٠ بالمائة من الحاصل

(٥٦) انظر حمادة ص ١٤٦ - ٤٧ و ص ١٤٩

(٥٧) للاطلاع على طريقة قسمة الحاصل بين الملاك والفلاح والسراةل بالتفصيل راجع

حمادة ص ١٤٦ - ١٥١

واحمد فهد ص ٧٧ - ٨١ بموالهاسمي ٢٢٧ - ٢٣١ . وما ساذكره من مراجع
في هذا الفصل .

هذا اذا كان الفلاح نفسه يجهز البذور والحيوانات والالات ولوازم الزراعة الاخرى .
اما اذا كان الفلاح يقدم قوة عمله والمال ذلك يقدم البذور والحيوانات الخ . . فان
الفلاح يحصل على نصف الخلة بعد دفع حصة الحكومة .

اما في المنطقة الاروائية، اي في الوسط والجنوب، فان حصة الملاح تتراعى
بين ربع الخلة ونصفها . . في مناطق دجلة حيث يسود الري بالواسطة يعطى
الملاح نصف الحاصلات الشتوية بعد ان يؤخذ منه خريجة لصاحب الارر تقدر
باثني ونصف في المائة من ناتج الحنطة والشعير كانت الارر باميرية مؤجرة او
منوحة بالزعة، وخمسة بالمائة اذا ارر الارر مؤوضة بالخابو . . اما في مناطق الفرات،
حيث يسود الري السبحي، فتقسم الحاصلات الشتوية بين الفلاح وساحب الارر الى
خمس حصة يأخذ الفلاح حصتين، ويأخذ المالك ثلاثة . . اما الحاصلات الصيفية
واهمها الرر فيأخذ الملاح ثلث المحصول ويأخذ المالك ثلثيه وذلك بعد ان يترك
من مجموع الناتج ثروائب محلية تجعل حصة الفلاح زهاء الربع لا الثلث من الشتوي (٥٨)
واما السركال فالخبرو ينظرها انه يأخذ من صاحب الارر . . وتتراوح حصته
بين سدس الناتج وعشره . . وفي بعض المناطق يعطيه صاحب الارر بدل حصته
من الخلة مساحة ارر تسقى بالخدمة ويجهزه بالب وري ميسج من واجب الفلاح زرعها
وتسقية حاليها له دون معايل (٥٩) وامررت الدكتور وارينر (٦٠) رقم التالية
نموذجا لقسمة المحرر في الزراعي في جنوب العراق .

حصة الحكومة	١٠ / ١٠٠
حصة الشيخ	٥ / ١٠٠
حصة السركال	٥ / ١٠٠
حصة الملاك للشيخ او التاجر	٤٠ / ١٠٠
حصة الفلاح	٤٠ / ١٠٠

(٥٨) انظر سوسة ص ١٧٢

(٥٩) انظر جواد ص ٤٩

(٦٠) ص ١١٤ - ٥

ويجب على الفلاح ان يدفع من حصته اجرة العناية بالنهر او الجدول الذي يسقي المقاطعة وتتراوح هذه الاجرة بين ٢٠ و ٤٥ بالمائة من حصته . ولا يتمتع الفلاح بدخله هذا الضئيل خالصا ، ولا ينعم بشجرة كدحه طول العلم ، بل يجب عليه ان يدفع ضرائب يفرضها العرف عليه . فهو يدفع حسب تقاليد المنصقة التي يربح فيها . حصه الحارس موالديوان ، والوحاشي والملا ، والكاتب ، والمومن . ويجب عليه ان يساعد الملاك مجانياً مما يعادل ثلاثة اشهر في السنة في نقل محاصيله الخاصة ، وبناء مسكنة وجمع الحطب ، والقيام بمداواة زرع الخاص الذي يسمى " اشكارة " . ويسخر الفلاحون لتطهير الجداول ، وتعمير السدود . اثناء الفيضان وهذا ما يسمى بـ " الحشر " الى غير ذلك من الاعمال دون مقابل . وعلى كل فلاح ان يلبى دعوة الملاك اذا استغاثه في مصادمة مسلحة مع شيرة اخرى او ملاك اخر ، او اقام بعضيان مسلح ضد الحكومة . (٦١) .

وتقدر حصة الفلاح في السنة من محاصيله الشتوية والصيفية بمبلغ يتراوح بين ٦ دنانير و ١٥ ديناراً (٦٢) ولا يتجاوز عشرين ديناراً بحال من الاحوال (٦٣)

(٦١) انظر الجندي ص ١٠ - ١٢ وص ١٨ واحمد فهمي ص ٢٩

(٦٢) فخر حسين جميل " سياسة العراق الثبانية " (القاهرة ١٩٤٦) ص ٨٤

وساثير اليه بجميل .

(٦٣) الظاهر ، اقطاع ص ١٠٩ ويقول السيد محمود الجندي ص ٢٠ يبلغ

انتاج الفلاح العراقي حوالي ١٨٦٦ ديناراً في السنة (يخرج من الانتاج حصة

الملاك والضرائب) وقد قدرت اللجنة العالية في مجليس النواب سنة ١٩٤٥

في تقريرها عن لائحة قانون الميزانية ان معدل الدخل اليومي للفرد الواحد

من العراقيين يتراوح بين العشرين والواحد والثلاثين فلساً في السبعة

دنانير وسبعمائة فلس والواحد عشر ديناراً ، اربعاً مئة فلساً سنوياً على اقله والواحد مئة وستة .

(هـ) التسليف الزراعي

ان دخل الفلاح الضئيل من الزراعة لا يسد حاجته وحاجة أسرته - اول العام مولا يكفي لتجهيز حقله بما يحتاجه من بذور وحيوانات مولدا فهو يعتمد الى الاقتراض . وفائدة التروى مرتفعة جدا " فقد قبل في الاحوال الاعتيادية خمسين بالمائة وفي اوقات محل المواسم تتجاوز هذا المعدل كثيرا " (٦٤) ويتعذر على المحتاج في بعض المناطق ان يحصل على قرض بنادر اقل من خمسة بالمائة شهريا وهذا عند النصف من المراتب هو الا عند القساء فلا يقل من عشرة بالمائة شهريا اي ان المائة دينار تصبح مائتين وعشرين دينارا بسنة واحدة (٦٥) .

ويقوم بعملية التسليف المربوب والمداينون المعترفون بتجار الحبوب ، وفي احيان كثيرة الشيوخ والمراكيل انفسهم حيث يقرضون فلاحهم كميات من الحبوب بقاتون بها طوال العام ويبدرون قسط منها وقليل من القود . وسوقان ما تار السنة في يد الفلاح نفسه عاجزا عن سد اذ القاش عليه المال الاصلي المقر .

في ذمتهم مضافا اليه القاش . فاذ كان يملك قطعة أرض ذهبية مائة للهية ، فان متاعا مدرسا يلبقى الدين تحت رجمة الدين هو وفاة الهم التليل . بنجره . شعبة هدية .

انشأت الحكومة في سنة ١٩٣٦ " مصرف زراعي - شامي عراقي " ثابته مساعدة الزراعة والصناعة . وقد انفصل المصرفان سنة ١٩٤٦ واصبح لكل منهما بيان خاص . وبلغ رأسمال للمصرف الزراعي ٥٠٠٠٠٠٠ دينار (٦٦) وقد بلغت موجوداته في سنة ١٩٤٨ - ٤٩ (١٦٢٨٢ / ٣٢٠) دينار (٦٧) ويتم المصرف بوجه خاص بالاعمال الاتية : التسليف لتفقات الزراعة والحصاد والتسليف لشراء الآلات الزراعية والماشية والتسليف لاهلح الاراضي واحداثها بشوية من المراتر الحديثة والتسليف على المحصول وبيع الآلات الزراعية والماشية والاسمدة والبذور باقساط والتوسط في بيع المحصول

(٦٤) حمادة ص ٤٥٧

(٦٥) فارس ص ٥١

(٦٦) قانون تاسيس المصرف الزراعي رقم ١٨ لسنة ١٩٤٠ والارادة الملكية المرقمة

٢٤٩ والمورخة ٢٦ - ٥ - ١٩٤٥ ونظامه رقم ٤٠ لسنة ١٩٤٢ وقد تميمه

ونظامه الداخلي (مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٤٦) ص ٢٧ وسأشير اليه هذا

المصدر بقانون المصرف الزراعي ونظام المصرف الزراعي حسب مقتضى الحال .

(٦٧) التقرير السنوي الثالث عشر ١٩٤٨ - ٤٩ عن اعمال المصرف الزراعي العراقي ص ٥

الزراعية (٦٨) ولا يقل مقدار السلفة التي يمنحها المصرف لكل شخص من ١٥ ديناراً ولا يزيد لمن ٣٠٠٠ دينار (٦٩) ولا يجوز ان يزيد اجل القرض عن عشر سنوات ولا يتجاوز اجل كل قسط سنة واحدة . على انه يجوز لمجلس الادارة تاجيل القسط اكثر من مرة على ان لا تتجاوز مدة التاجيل سنتين من تاريخ استحقاق القسط (٧٠) ويتم التسليف لقاء ضمان مالي منقول او غير منقول على انه يجوز اقراض الزارع من اهالي الناحية الواحدة بكفالة متسلسلة مبلغاً لا يتجاوز مائة ديناراً عدا الجمعيات التعاونية ، للشخص الواحد منهم على ان لا يقل عدد المستقرضين المتضامنين بسند واحد عن ثلاثة اشخاص كما يجوز اقراض احد الزراعيين بكفالة زراعيين آخرين من ناحية واحدة مبلغاً لا يتجاوز مائة ديناراً على ان لا يقبل كفالة للتسلسلة ان يستعمل المبلغ لنفقات الزرع حصراً (٧١) . اسر المصرف فروماً في البصرة والكوت والموصل وكركوك والسليمانية لتسهيل تسليف المزارعين البعيدين عن مركز الادارة . وقد قام هذا المصرف باعمال تسليف للمزارعين لا بأسرها منذ تاسيسه . فقد سلف في سنة ١٩٤٨ - ٤٩ فقط مبلغ ٤٩٩٦٢١٠ دينار . وكان مجموع المبالغ المسلفة حتى نهاية تلك السنة ٤٠ / ٢٦٨ دينار . ان مدة العشر سنوات وهي الحد الاعلى لاجال الدين ، لا يفاء السلفات التأهيلية اي لاسكان افراد العائلات والممتلكات لاغراض التشجير واحياء الاراضي احياء هامة قصيرة ، ان انه في حالات كهذه يستوفي الدين من ارباح الاموال المستثمرة وارباح عشر سنوات لا تكفي عادة لا يفاء ديون كبيرة مع فوائد ها (٧٢) . ثم ان المبالغ المقرضة لقاء الكفالات المتسلسلة التي يعتمد منها ملعدة صغار المزارعين قليلة جداً لا تساعد هم مساعدة فعالة في اعمار مزارعهم . ولكن الذي يؤخذ على هذا المصرف هو انه يعنى بالمزارعين الكبار اكثر من عنايته بصغار المزارعين والفلاحين . فالمبالغ المقرضة الى المزارعين الصغار قليلة جداً اذا ما قيست بالمبالغ الكبيرة المعطاة الى المزارعين الكبار (٧٣) . رغم ان حاجتهم الى المال اشد من حاجة هؤلاء .

(٦٨) قانون المصرف الزراعي ص ١ - ٢ المادة الثانية

(٦٩) نظام المصرف الزراعي ص ١١ المادة الثالثة

(٧٠) المصدر السابق المادة الخامسة

(٧١) المصدر السابق المادة الخامسة فقرة ١ وب ص ١٧

(٧٢) هذا النظم لنظام المصرف الزراعي المنشور في الجريدة الرسمية ص ٤٥٤

(٧٣) للتايد من هذه الحقيقة راجع الجدول الذي يبين معاملات السلفات الزراعية

المنجزة سنة ١٩٤٧ المنشور في التقرير الثاني عشر عن اعمال المصرف الزراعي ص ١٦

والجدول المنشور في التقرير الثالث عشر عن اعمال المصرف الزراعي ص ١٣

في هذه الواحدة ورد ان يقرض أكثر من مرة واحدة يشترط في المقرضين التأهيلية

أما حجة المصرف بأنه "يقدم بعض المساعدات الى قسم من الزراع الكبار او متوسطيهم باعتبار ان هؤلاء انما يستلغون لتقديم المساعدات اللازمة الى الفلاحين الذين يشتغلون في اراضيهم فيكون المصرف والحالة هذه قد ساعد الزارع الصغير ايضا ولكن بطريقة غير مباشرة" (٧٤) • فحجة ضعيفة متهاففة لاننا نعرف باي فائض مرتفع يقص هؤلاء الزراع الكبار فلاحينهم •

ان هذا المصرف هو نواة حسنة للاعمار الزراعي في البلاد و ولكنه برأسماله هذا الضئيل لا يستطيع ان يقدم الا خدمات ضئيلة للزراعة ، ولا يستطيع ان يخفف الا ضائقة عدد قليل جدا من الزراع والفلاحين كما يتبين من معاملات التسليف التي قام بها • وقد اضطر الى ايقاف التسليف في سنة ١٩٤٨ لنفاذ ما عنده من المال • والى ان يجتمع رأسمال هذا المصرف تأفيا لاقلا من عدد كبير من الفلاحين والزراع ستبقى جماهير الفلاحين الكادحة عرضة لنسيب المرابين الجشعين واسراكيل والشيخ - (ان المصرف الزراعي يجب ان يكون الدعامة الاولى والرئيسية للائتمان الزراعي في البلاد • لا ان يترك الزارع سواء كان في المدن او في القرى والارياف فريسة للدائنين والمرابين الذين لا يقومون بالاقتراض الا بفوائد مرتفعة بحيث تنابل المزارع بقيود ثقيلة يندر ان يفلت منها فيما بعد ليستفيد من اتعابه وارباحه ويتمتع بحريته الاقتصادية) • (٧٥)

(٧٤) المصدر السابق ص ٢

(٧٥) المصدر السابق ص ١

(و) فئسافة الالسن

كانت حقوق وواجبات كل من صاحب الارض والسركال والفلاح فيما يتعلق باءارة شؤون المزرعة ماثعة ، ففر صريحة • وكانت سببا لمشاكل ومنازعات عديدة • فاصءرت الحكومة قانون^{مقرون} وواجبات الزراع رقم ٢٨ لسنة ١٩٢٢ •

صاحب المزرعة هو المءير للارض التي تحت تمقامه واءارته وهو المسؤول من تعيين مقدار البذور الواجب زرعها او المساحة التي تخصم لها ، وفلر الزا اراضي الصالحة لزراعة نوع من انواع البذور ، وتنسب القسم الذي يزرع منها في فصل معين وتخطيط امنية السقي واتجاهاتها وكيفية تغريها ، وتعيين اوقات الحرت واساليبه المعتاد ، واختيار اجناس البذور وانواعها على ان لا يفسح الفلاح من زرع ما يلكي لمعيشته من الحبوب • وتفنن اوقات السقي وكيفية توزيع المياه بين اقسام الارض بشرط مراعاة الحاجة والعدالة بين هءه الاقسام وتعيين مواعيد الحصاد والقس واللقط والتلف والءراسة والتذرية (٧٦) • وفقم السركال بتوجيه الفلاحين الى كل عمل يقتضيه نوع الزراعة واسلوبه ومنجاح نتاجه ومحافظة ذلك النتاج بمراقبة اعمال الفلاحين (٧٧) • وعلى الفلاح ان يزرع المزيروءات المقرر زرعها في الارض ويسعى في انماثها ، والمحافظة عليها مومعها مونقلها داخل المزرعة الى الاماكن المخصصة لها ، وان ينفذ الترتيبات والمقررات الصاءرة من صاحب المزرعة او السركال وان يقوم بالحمل اللانم وفق هءه الاوامر وفي الاوقات المقيمة لها ، وان يسعى فورا لءراء الافات الطبيعية او الارضية ، او التجاوزات الضارة بالزرع باي وجه كان ، ~~او السركال~~ واخبار السركال او صاحب الارض عن وقوع هءه الافات والتجاوزات من غير تاخير (٧٨) وعلى الفلاح ان يعمل في سبيل الحيلولة ءون حصول او توسع خطر آفة طبيعية او ارضية موني اصلاح الطرق والمحافظة على السءاء بالموجوءة في المنطقة التي تحت اءارة السركال الذي يعمل تحت اشرافه • (٧٩) • واذا ثبت على السركال او الفلاح انه اهمل ما وقصر ما وخالف عن قصد ، ونشا من ذلك ضرر في الزرع فيلزم السركال او الفلاح بتعويض الضرر الحادث ، واذا ثبت ان السركال او الفلاح

(٧٦) من لائحة قانون حقوق وواجبات الزراع () لسنة ١٩٢٢ مادة ٣

(٧٧) المصدر السابق مادة ٥ فقرة ب

(٧٨) المصدر نفسه مادة ٩ فقرة ا ، ب ، ج

(٧٩) المصدر نفسه مادة ٩ فقرة ء ، ومادة ٧ فقرة ا ، ب

كرر الاعمال المذكورة اعلاه عن قصد خلال سنة زراعية واحدة او انه تقصد اضرار المزرعة فلصاحب المزرعة ان يفصله عن الشركة او الفلاحة ويخرجه من المزرعة (٨٠) على ان اهم ما في هذا القانون هو احكام الدين الزراعي • والدين الزراعي هو الكفاي ما يدفعه صاحب المزرعة الى السركال او الفلاح من البذور وحيوانات الكراب والآلات الخاصة بالزراعة او اتمانها وكذلك ما يدفعه اليه بصورة القرض من الحاجيات والنقود للحاجيات المذكورة خلال مدة اشتغاله في المزرعة • والمبالغ التي يسدد لها صاحب المزرعة لقاء دين سابق للسركال والفلاح ، وجميع المبالغ التي صرفها صاحب العمل عند اثباته بانه صرفها لانجاز او اكمال عمل هو من واجب الفلاح او السركال ، وامتنع عن القيام به (٨١) • ويعتبر الدين الزراعي ممتازاً على غيره من الديون عند استيفائه من اموال السركال او الفلاح سواء ما للحكومة من حصة او ضريبة على المزرعة (٨٢) • وعندما يستوفي الدين الزراعي من اموال السركال او الفلاح يجب ان يحتفظ له بما يلزم من حيوانات ومن حاجيات المعيشة لموسم واحد كذلك ما يلزمه من حيوانات الكراب والآلات والادوات الزراعية فيما اذا تعهد بالبقاء في مزرعة الدائن والقيام بواجبات الشركة او الفلاحة فيها مواسم زراعية اخرى (٨٣) • ويجب على صاحب مزرعة ان يستدسم سركالا او فلاحا ان يتأكد بان السركال او الفلاح غير مدين بدين زراعي لصاحب مزرعة قد سبق مباشرة باستخدامه • وانما علم بوجود هذا الدين واصر على ابقائه فيكون كهيلا مطلقا عن السركال او الفلاح من اجل الدين الزراعي المار الذكر • ولا يسوغ لاية دائرة حكومية او بلدية او شركة مسجلة ان تستخدم اي شخص مع علمها بانه مدين بدين زراعي • وانما تتحقق لديها فيما بعد ان الشخص المذكور الذي استخدمه مدين بدين زراعي فعليها ان تحجز ثلث راتبه او اجوره او ثلث المنافع المخصصة له لقاء ذلك الدين مدة بقاءه في خدمتها وتدفعه لصاحب المزرعة تسديدا لدينه الزراعي • (٨٤)

(٨٠) المصدر نفسه مادة ١٨

(٨١) المصدر نفسه مادة ١٠ فقرة ١ ج ، ب

(٨٢) المصدر نفسه مادة ١٢

(٨٣) المصدر نفسه مادة ١٣ والخط من وضعي

(٨٤) المصدر نفسه مادة ١٥ فقرة ب ، والخلف من وضعي

لقد وضع هذا القانون الفلاح تحت رحمة الملاك ، وجعل منه آلة بشرية مسخرة له . كما ان دخله الضئيل لا يمكنه من تسديد ما عليه من دين للملاك . يضطر للاستدانة من جديد ، فتتراكم عليه الديون وفوائض الديون ، ويصبح قنا ملازما للأرض لا يستطيع براحها ، مهما تيسر عليه الملاك في المعاملة ومنها امعن في استغلاله لان القانون لا يجيز له ترك الأرض قبل تسديد ما عليه من دين لصاحبها ، لا يستطيع التحرر من عبوديته للملاك ابداً . ((وهذا نشأ نوع خاص من القنانة ، هو قنانة الدين ، حيث يستطيع الملاك الذي يحتاج للعمال ، ان يسلك فلاحى قوية بكاملها او عدة قرى فينال بذلك حق المطالبة بنقل هؤلاء العمال الزراعيين الذين " حرهم " من ديونهم الى ارضه)) (٨٥)

الفصل الثالث

الصناعة :

اهمية الصناعة تذهب كل سنة عشرات الملايين من الدنانير الى الخارج لقاء بضائع يمكن انتاجها في البلاد نفسها . ولكن صادرات العراق اقل من وارداته نجد ان الميزان التجاري مختلا ابدا لغير صالحه . ولو كانت الصناعة العراقية متقدمة لا يمكن تلاقي هذا الامر ، ولقيت البلاد محسنة بجزء كبير من ثروتها . ان معظم ما يصدره العراق من المواد الأولية كالصوف والفنلن ، والجلود هو وبيعه باسعار واطنة يعود اليه بشكل بضائع مصنوعة مرتفعة الاسعار . ان تقدم الصناعة الالية الكبيرة في البلاد هو احد العوامل الاساسية التي يتوقف عليها تطور البلاد وارتفاع مستوى معيشة الشعب وزيادة واردات الدولة . ان انشاء الصناعات الالية الحديثة يوفر العمل لآلاف الشبان المتعلمين الذين يتزاحمون على وظائف الدولة وما يكادون يجدون عملا فيها ، ولا لآلاف الحرفيين الذين ما تكاد حرفتهم وصنائعهم تدر عليهم ما يمد الرزق ، وتيسر العمل للكثيرين

من سكان المدن في الحديد من الخدمات الوسيطة كالتجارة ، والنقل ، والبيع
بالغرض موالعمال الحمايية والكثايية وغيرها • وسيؤدي ارتفاع دخل العمال الى
رفع مستوى حياة اكثريية السكان في المدن ومن ثم الى رفع دخل الفلاحيين عموما ،
وتشيط الزراعة • ^{في التي قد يستون الاجور العام في البلاد . ولا تخرج الصناعة}

ان الاجور التي تدفعها الصناعة الاساسية في العراق هي الزراعة ولما
كان دخل الفلاح او العامل الزراعي واطنا وكما هي الحال في معظم البلاد التي اساسها
الاقتصادى هو الزراعة ، كان دخل العمال واطنا بالتبعيية • فاذا ما تغيرت الحال
وتقدمت الصناعة الالية الحديثة في البلاد فستكون هي الصناعة الرئيسية او هي
الصناعة الرئيسية الثانية على اقل تقدير فتؤدي الى رفع دخل الفلاح بالضرورة
لان اصحاب الاراضي يواجهون عند ذاك امرين : زيادة حصة الفلاح من غلة الارض
ان كان شريكا في الانتاج ورفع اجوره ان كان عاملا زراعيا اجيرا ، او مجابة هجرة
الفلاحيين الى المدن حيث الاجور مرتفعة نسبيا ، ومن جهة ثانية فان ارتفاع مستوى
الحياة في المدن وزيادة قوة الناس الشرائية ستزيد الطلب على منتوجات الريفي فيؤدي
ذلك الى رفع اسعاره ومن ثم الى رفع دخل الفلاح •

الصناعة الالية الكبيرة تنشيط الزراعة لانها تستهلك القسم الاكبر من الانتاج
الزراعي القائم الان يوجهه الزراع الى زراعة الحاصلات المنقلقة التي لا تزرع الان لعدم
وجود اسواق محلية لها • وهذا كله يؤدي الى رفع مستوى الانتاج الزراعي الذي
يجنى منه الزراع دخلا واطنا في الاسواق العالمية اذا صدر نظرا لتاخر عدوه
الى هذه الاسواق وورادة نوبه لتاخر انتاجه الذي يحتد على الآلات البدائية ، ولصع
ولصعوبة المواصلات وارتفاع تكاليف الشحن • لقد نجحت زراعة الكتان من اجل
اليافه نجاحا باهرا ولكنها اهلكت لعدم وجود معامل خامة تستخرج الياف الكتان
بالرق الفنية وتقوم بنسجها • ونجحت تربية دود القز نجاحا جيدا في بحقوبة
والرستمية حتى فاض المنتج من الحرير الطبيعي عام ١٩٢٤ ، عن الحاجة المحلية
ولكن عدم وجود معمل لنسج الحرير ادى الى اهمال تربية دود القز اهمالا تاما •
وقد قامت مديرية الابحاث الصناعية بتجاربه عديدة اثبتت نجاح زراعة انواع من البنجر
تصلح لصنع السكر • ان تاسيس معمل لصناعة السكر بالاضافة الى كونه يوجد عملا

للعديد من الناس، وتوفر على البلاد ملايين الدنانير تنفق كل سنة على هذه المادة الحيوية، يضيف الى منتوجات البلاد الزراعية مادة جديدة بمرتفعة السعر تزيد من دخل المزارع وترفع من مستواه. هذا الى جانب ما يستفاد من بقايا البنجر في تغذية الماشية، وتسميد الارض. ان تقدم الزراعة التي تكون في الوقت الحاضر الصناعة الرئيسية في الشرق الاوسط والتي ستبقى كذلك في المستقبل في اغلب الظن، تقديما فعلا وتتطلب مساندة الصناعات الاخرى المساندة للزراعة والتي تعتمد منها موادها الخام. وبالإضافة الى هذا فان هذه الصناعات توجد اقتصادا متوازنا في البلاد وتوفر العمل للسكان المتزايدين ابدا وعلى الاخص في المناطق التي ترتفع فيها نسبة كثافة السكان بالنسبة للاراضي القابلة للزراعة (١).

امكانية قيام الصناعة في العراق

يختصر كل قطر من اقطار العالم بانواع معينة من الصناعات الكبيرة المهمة وذلك بحسب ما يتوفر في ذلك البلد من امكانيات تجعل من تلك الصناعات مشاريع مربحة. وفي العراق امكانيات لقيام عدد من الصناعات الاساسية التي تحتاجها البلاد حاجة ماسة. والصناعات التي يمكن ان تقوم في البلاد هي الصناعات التي تعتمد على المنتوجات الزراعية والحيوانية كصناعة الغزل والنسيج، والدباغة والاحذية والمكايير، والدبس والكحول والزيوت النباتية والصابون والكبريت والسكر، ومنتوجات الالبان والاسمدة الكيماوية والورق وغيرها. وذلك لتوفر عدد من العوامل المهمة المواد الخام كالقطن، والصوف، والجلود، والحليب والتعمر، والتبغ، والخشب، وامكانية زراعة البنجر السكري والكتان، والمشمس، وزراعة واسعة وتوفر الايدي العاملة الرخيصة التي تجعل تكاليف الانتاج واطنة. واخيرا ازدياد الطلب على المنتوجات الصناعية، وخاصة في المدن التي اخذ سكانها يزدادون ومستوى معيشتهم يرتفع.

العوامل التي تبطل تطور الصناعة

على انه توجد عوامل عديدة كانت تحول دون قيام الصناعات الالية الكبيرة في البلاد، ولا يزال بعضها فعلا في وقتنا هذا الحاضر يحيق انشاء الصناعات او يبطل تطورهما على اقل تقدير. ان قيام الصناعات الالية الكبيرة يتوقف على عوامل عديدة

اهمها توفر راس المال ، وتيسر الحصول على الآلات ووجود طبقة من العمال الفنيين الماهرين والمديرين المجربيين ، وخلق السوق المحلية من البضائع الأجنبية البعيدة الرخيصة التي تتراحم منتجات البلاد الصناعية الناشئة ، وأخيراً وجود الطلب على هذه المنتجات .

يحتاج قيام الصناعات الآلية الكبيرة الى رؤوس أموال ضخمة . وهذه الأموال الضخمة يحصل عليها بما يوفره الناس في المصارف أو ما يقدمه الافراد المثرى . ولما كان الدخل العام في البلاد واطناً ، ولما كان دخل معظم الافراد ما يكاد يسد حاجات معيشتهم فإن مستوى التوفير واطناً جداً لا يستطيع ان يمد الصناعات الكبيرة والمشاريع الاقتصادية الأخرى . وبالإضافة الى هذا فإن ثروة البلاد متجمعة بيد افراد قليلين وهو لا الافراد يتفقون معظم دخلهم على وسائل الترف وبضائع الاستهلاك ويفضلون ان يقرضوا الباقي قروضا خصوصية تدفع عليهم فائداً مرتفعاً بدلاً من ان يوظفوها في المصارف ويتقاضون عليها فائداً واطناً محدوداً ، ما وان يشروها في التجارة وبناء العمارات بدلاً من ان يشروها في الصناعات التي يجعلون مستقبلها . على ان موقف أغنياء العراق قد تغير بالتدريج . فعندما اخذت اسعار المحاصيل الزراعية في السقوط ، واخذ مركز المنتجات الزراعية يتقلقل ، وعندما تأكد هؤلاء الملاكون والتجار من انه لا ربح في الريج الوخير الذي تدره الصناعة ، واخذ قسم منهم يقبلون على انشاء الصانع بتقوية وحذر قبيل الحرب العالمية الثانية بمهمة ونشاط منذ ابتداء الحرب وانقطاع واردات العراق من كثير من اصناف البضائع وان كان هذا الاتقبال ضئيلاً محدوداً .

ومن العوامل التي تعوق نمو الصناعة الوطنية قلة عدد العمال الماهرين . يقدر عدد العمال الصناعيين بين اربعين وخمسين الفا . وتبلغ نسبة العمال الماهرين ١٥ ٪ . وانما الماهرين نحو ٢٥ ٪ . وما تبقى منهم من العمال الماهرين فير الماهرين^(١) . ان انخفاض مستوى المهارة للعمال العراقيين هو نتيجة لحالتهم الحرجية السيئة ولعمى تغذيتهم ، ونقصهم ووجهلهم . ان كان كفاءة العامل الصناعية تعتمد على عوامل عديدة اهمها قوة العامل الحسدية ومراظبته

على العمل ، ودرجة ما ناله من التعليم والتدريب الفني الميني ، والاحوال
المحية الجيدة ، ووجود وسائل الوقاية من الاخطار في المعامل ، واخيرا على
ادارة المعمل ادارة صحيحة . ان معظم العمال العراقيين اميون ولم ينالوا من
التدريب الفني الا اقله " ولهذا يلاحظ ان العمال في المعامل هم فييد المكنة
وليسوا اسبادا لها . فهم لا يفهمون المكنة ، ولهذا يساعدون على استهلاكها
بسرعة دون قصد منهم على خلاف ما هو موجود في البلاد الصناعية الراقية
حيث ينبغي تدريب العمال فنيا (٣) .

على ان قلة العمال الماهرين لا تشكل عائقا اساسيا يحول دون قيام الصناعة
وتقدمها ، فبالامكان تعليم العمال وتدريبهم تدريباً فنياً في المعامل وفي دورات
خاصة وفي المدارس الصناعية . وخلال الحرب احتاجت القوات البريطانية الى عمال
ماهرين لمعاملها فقامت بفتح عدة مراكز لتدريب العمال تدريباً فنياً ، فاستطاعت ان تسد
حاجتها من العمال خلال وقت قصير . ولقد استفاد العامل العراقي من هذه
التجربة ، وزادت نسبة الماهرين واشياء الماهرين بين العمال . وبالامكان اعادة
هذه التجربة على نطاق واسع مني يد الحكومة او اصحاب المعامل والمشاريع الصناعية . ولوا
شك من اقبال العمال والشبان على هذه المدارس الصناعية ومراكز التدريب الفني اذا
ما تمتعوا من الحصول على اعمال تدريبهم دخلاً جيداً . وما يقال عن قلة العمال
الماهرين يصح على المديرين ، والمنظمين ، والخبراء . فالثقوبون الوطنيون الذين
يستطيعون ادارة المعامل وتنظيم العمل على الاشراف على الآلات اقلية ضئيلة
ولكن هذا النقص يمكن سدّه بارسال المبعوثين من الشبان العراقيين الى اوروبا
واميركا ، واستقدام الاجانب واستخدامهم مؤقتاً حتى يتمكن العراقيون من الحلول محلهم .
وهذا ما ينبغي في الوقت الحاضر ، وان كانت البعثات الفنية الى اوروبا واميركا من
النالة بحيث لا تبشر بمستقبل زاهر للصناعة العراقية .

وما عاق تقدم الصناعة الوطنية في البلاد ، ولا يزال يسيقها مقاومة
السلطات البريطانية لحركة التصنيع . " اننا نجد في الحقيقة انه في البلاد المشمولة
بالانتداب وقف المراقبون الاجانب والدوائر الحكومية موقفاً سلبياً واضحاً ازاء
اية اتجاهات ترمي الى اقامة الصناعة

ان الدول الغربية لم تستطع ان تقبل فكرة قيام صناعات قومية ، اي مستقلة
تتصرف السوق على منتجاتها المعدة للاصدار» (٤) .

وكانت مقاومة الاستعمار للصناعة تتخذ اشكالا مختلفة ، فتارة باغراق السوق
المحلية بالمنتجات الاجنبية التي تزاخم المنتجات الوطنية الناشئة وتقضي عليها ،
وتارة بعرقلة استيراد معدات المعامل وتارة اخرى بعرقلة توسع هذه الصناعات
وانتظام سيرها على يد الخبراء والفنيين المشرفين على المعامل او المنبثقي في
دوائر الحكومة المختلفة التي لها مساس بالصناعة (٥) .

ان تقدم الصناعة العراقية يتوقف الى حد كبير على تحسين الحالة في الريف
العراقي . ولما كان الريف هو السكان القرويون يولفون اقلية سكان البلاد
فان ازدياد دخلهم وارتفاع مستوى معيشتهم سيزيد الطلب على منتجات الصناعة
القائمة الان ويهيئ الفرصة لقيام صناعات اخرى . ان مساكن الفلاحين خالية من
سرر للنوم ومن مناضد وكراسي ومن نوافذ الزجاج . فلما استطاع الفلاحون
ان يوفروا اثمان هذه البضائع يغيرونها من الادوات المنزلية العصرية لادى ذلك
الى قيام مصانع للأسرة مولاتسعت مصانع النجارة والزجاج اتساعا عظيما . مكمل
تشغيل عشرات الآلاف من العمال . « والعمل المنظم على نشر التعليم وانشاء
المؤسسات التعليمية يستدعي انتاج الورق وادوات الكتابة ، وطبع الكتب المدرسية
وانشاء المباني المدرسية بمعدات لها . ونرى حالة مشابهة اذا ما ادخلنا
الخدمات الصحية والادوية والمستشفيات . والخلاصة انه حتى لو حد شارفنا
مشروع في مستوى معيشة الفلاحين بحيث يقترب من الاحوال السائدة في اوربا
فان هذا يفتح المجال لتمام زيادة في الانتاج الصناعي بالبلاد الشرقية تصل الى
الملايين من الجنيهات (٦) .

(٤) بونية ، الدولة والتنظيم الاقتصادي في الشرق الاوسط ص ٣٠٦ من الترجمة
العربية و ص ٨٤ - ٥٠ من الاصل

(٥) يقول الدكتور مظفر حسين جميل ص ٥٧ «معارضة السلطات للاجراءات التي من
شأنها المساس بمصالح بريطانيا من قريب او بعيد واهم مظاهر ذلك عدم الاعتدال
بمدى ضرورة السلع للاستهلاك عند تقرير رسوم الاستيراد ومعارضة الجهود التي اذات الى
انشاء مجلس الاقطان العراقي باعتبارها قائما عند مجلس جمعية انباء القطن البريطانية»
(هذه الفقرة مأخوذة من «تقرير خامس ص ٢١٦» حاشية من المؤلف) وتعد حصول
مجلي قزل الصوف ونسجه على معدات من بريطانيا (٦٠) وراجع كذلك الجندي

الحكومة والصناعة الوطنية :

ولكن الحكومة العراقية ادركت منذ نهاية فترة الاحتلال ضرورة تشجيع الصناعة فاصدرت في ١٦ / ٣ / ١٩٢٩ «قانون تشجيع المشاريع الصناعية رقم ١٤ لسنة ١٩٢٩ (٢٠)» وكان المحفز المتوالي في الميزان التجاري، والحاجة الى المشاريع الصناعية الحديثة التي يعرض انتاجها من بعض مفردات تجارة الاستيراد هو الذي حدا بالحكومة الى اعتماد هذا القانون . وقد عدل هذا القانون عدة مرات ليمارس تطور الصناعة الوطنية (٧) . وينص هذا القانون على اعفاء الصناعات الالية والتي توفر فيها شروط معينة من الرسوم الكمركية على الاتي المستوردة واعفائها من ضرائب الدخل والاملاك مدة معينة من الزمن (٨) . ويتمتع نحو سبعين مشروعاً صناعياً بالاعفاءات المنصوص عليها في هذا القانون (٩) . وقامت الحكومة بحماية بعض الصناعات الوطنية المهمة كالأحذية والكحول والسيكاير وحماية مباشرة عن طريق زيادة رسوم الاستيراد على البضائع الاجنبية المماثلة لها ، وان كانت هذه الحماية ضيقة النطاق محدودة بحيث بقيت كثير من الصناعة الناشئة المهمة كالصابون والجلود والكبريت والمنسوجات الصوفية والحلويات معرضة لمزاومة البضائع الاجنبية . (١٠) .

ص ٣٠ و ٣١ عن مرقلة الشركات البريطانية والفنيين المصرفيين على الصناعات العراقية المرتبطين بهذه الشركات لكثير من المشاريع كصناعة فول وبنج الاقطان العراقية ، وتأخير تنفيذ مشروع السمك ، وتدمير عمل (الكوكوز) السكر العنبي في الكاظمة . واضطر اكثر معامل الصابون والكبريت والزجاج الى ترك العمل (٦) بونية الدولة والتنظيم في الشرق الاوسط ص ٢٢٩ من الترجمة العربية ص ٣٠٦ من الأصل . (٧) عدل هذا القانون بالقوانين رقم ٤٥ لسنة ١٩٣٠ ، ورقم ٦٣ لسنة ١٩٣٦ ورقم ٢١ لسنة ١٩٣٩ (٨) انظر جويل ص ٢٨٢ - ٨٨ (٩) انظر مكي يصرى «مجموعات في الاقتصاد العراقي» (بغداد ١٩٤٨) ص ١٥٥

واهتمت الحكومة بتنظيم التسليف الصناعي . فقد ندر " قانون الاعمال العمرانية الرئيسية رقم ٧٩ لسنة ١٩٣١ " على تخصيص مبالغ لمساعدة الصنائع الاهلية وذلك بعدها بالسلف او المنح ، وفق شروط يعينها وزير المالية بموافقة مجلس الوزراء . وقد تكرر مثل هذا النص في قانون رقم ٣٩ لسنة ١٩٣٤ ومرسوم رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٥ . وفي سنة ١٩٣٦ تم تأسيس المصرف الزراعي الصناعي . وقد استقل المصرفان من بعضهما في سنة ١٩٤٧ . وقد اصبح واجب المصرف الصناعي ، كما ينص على ذلك نظام المصرف رقم ٤١ لسنة ١٩٤٧ ، ان يمارس صناعة البلاد ومساعدتها ، وذلك عن طريق التسليف لا فراضا نشاء المصانع او توسيعها او تحسينها ، والتوسط في استيراد المواد الاولية وتصدير المنتجات المصنوعة ، والتسليف على تلك المواد والمنتجات . ومن واجبات المصرف الاخر القيام بالمشايع الصناعية بصورة مباشرة وتاليف شركات مساهمة ، والاشتراك في شركات صناعية قائمة (١١) وقام هذا المصرف بتاسيس عدد من المشايع الصناعية ، واشترك في المساهمة بتاسيسها ، واهمها محالج القطن في العزيزية وشركة السمك ، ويملك المصرف ١٢٠٠٠ سهم من اسهمها البالغة ٥٠٠ م ٤٠ سهم ، والتي يبلغ رأسمالها ٥٠٠ م ٤٠٠ دينار ، وشركة استخراج الزيوت النباتية المحدودة ، ويملك المصرف ٥٠٠ م ٣٠ سهم من اسهمها البالغة ٥٠٠ م ١٥٠ سهم ، والتي يبلغ رأسمالها ٥٠٠ م ١٥٠ دينار (١٢) وشركة تجارة القطن وطحن الحبوب العراقية المحدودة ، وقد اكتسب المصرف بالك سهم من اسهمها البالغة عشرة الاف ، والتي يبلغ رأسمالها ٥٠٠ م ١٠٠ دينار ، وقد حظي المصرف في ٢٩ - ١٢ - ١٩٤٥ ، بموافقة الحكومة على تاليف شركة مساهمة تقوم بانشاء معمل لغزل القطن ونسجه . وقد اصبح تنفيذ هذا المشروع من اختصاص المصرف الصناعي . كما ان هذا المصرف يهتم بانشاء معمل لصناعة

(١٠) انظر جميل ص ٢٢٤ - ٢٤٤ وقد جاء في جريدة صدى الاهالي عدد ٤١٧ ١ شباط ١٩٤٩ « طلبت مديرية الاموال المستوردة العامة من وزارة الاقتصاد دراسة موضوع انتاج الشخاط (الكبريت) في العراق والطرق التي تومن حماية هذا المنتج دراسة شاملة واعلامها من التدابير التي تراها الوزارة المذكورة ضرورية لزيادة الانتاج في المعامل الاربعة المنتجة له في العراق في الوقت الحاضر . ومنها معمل في الموصل وثلاثة معامل في بغداد وهي التي باشرت بانتاجها فعلا . وعلى ذكره مديرية الاموال المستوردة بهذا الصدد ان في وسع تلك المعامل تأمين حاجة العراق من الشخاط ولذلك فقد وجب حمايتها من الشخاط الاجنبي » .

الحليب ومستخرجاته كاللبن والزبدة والقشطة بالطرق العصرية الفنية، وإنشاء صناعة الكواني والجنفام والسوتلي . (١٢)

وعلى الرغم من الخدمات النافعة التي يقدمها هذا المصرف للصناعة الوطنية فإن أثره محدود النطاق . وذلك لقلة رأسماله الذي لا يتعدى نصف مليون دينار والواجب يستلزم زيادة رأسمال المصرف وذلك عن طريق إشراك رؤوس الأموال الأهلية فيه وبالإشراك الفعلي في المؤسسات الصناعية المهمة القائمة الآن على أسس رصينة، وفي خفض الفوائد التي يجنيها لقاء القروض التي يسلفها للمشاريع الصناعية تشجيعاً للناس على الإقبال على استثمار رؤوس أموالهم، وتوفيراتهم في الصناعة . وبهذا الصدد يكتب الدكتور مظفر جعيج جميل مقترحاً (١٣) أن يخرج واجباً للمصرف فيما يتعلق بالتسليف عما تقدم ذكره بشأن التسليف الزراعي من ضرورة نجد فكرة الاسترباح بل إن نبذ هذه الفكرة أشد ضرورة في مجال التسليف الصناعي باعتبار كون استثمار رؤوس الأموال في المشاريع الصناعية لا يزال محدوداً في العراق من قبيل المثلغرات وباعتبار أن تشجيع هذا النوع من الاستثمار يقتضي تعديلات استثنائية لتجهيز رؤوس الأموال الإضافية اللازمة لإقامة المصانع وإدارتها على أن المهمة الرئيسية في الظروف الحاضرة إنما هي مهمة حشد رؤوس الأموال المتراكمة وتنظيم استثمارها . وأسلم العمل المودية إلى هذا الغرض أن تنهج أصول شركات الاقتصاد المختلط*، وفيما يتعلق بكيان المصرف وفيما يتعلق بمؤسساته فيحول المصرف إلى شركة مساهمة تحتفظ الحكومة في رأسمالها بنسبة كافية لتحقيق^{إشرافها} على أعمال مجلس الإدارة ثم تولف المؤسسة الجديدة شركات فرعية لمباشرة الإنتاج الصناعي وتساهم في هذه الشركات بالقدر الذي يكفل لها الرقابة على أعماله رقابة مجدية . وبهذه الوسيلة يتيسر للدولة أن تشرف لقاء رأسمالها في المصرف التالي على نحو من ثلاثة أمثاله من رؤوس الأموال الأهلية وأن تحقق التعاون بين المصالح والأموال العامة وبين المصالح والأموال الخاصة في إدارة المؤسسات الصناعية وأن تحسن

(١١) انظر جميل ص ٢١٨ - ٢١٩ وص ٥٨٩

(١٢) انظر التقرير السنوي الحاشي من أعمال المصرف الزراعي الصناعي (مطبوعة

الحكومة بغداد ١٩٤٧) ٤-٧

(١٣) ص ٥٩١ - ٥٩٢

استغلال الثروة المتراكمة بإقامة صناعات رصينة، وإن تقرر ما يقتضي لهذه الصناعات من امانات ومن حماية فكرية وهي على بيئة من امر ملائمتها للصالح العام»،
في ٢٤-٦-١٩٣٥ أقر مجلس الوزراء تأسيس مديرية المباحث الصناعية وأقر ربطها بوزارة الاقتصاد والمواصلات . ويشتمل منهاجها على الاعمال التالية :
١ - دراسة تأسيس الصناعات الجديدة التي تفتقر اليها البلاد والتي يمكن قيامها في البلاد .

- ٢ - دراسة الخامات الصناعية وتعيين مدى صلاحها للاستخدام في الانتاج الصناعي العصري ووضع منهاج لاصلاح خواصها الفنية وتاجها بأشكال معسنة .
- ٣ - العمل على ادخال الاساليب الفنية العصرية الى الصناعات الحرفية القائمة بالانتاج حالياً وتصنيع اساليبها القديمة وتطويع أحدث الاساليب فيها .
- ٤ - تقديم الارشاد الصناعي الفني لمن يرغب فيه من ذوي العلاقة بالصناعة الوطنية .
- ٥ - مراقبة المؤسسات الصناعية من الناحية الفنية .
- ٦ - تدريب الموظفين الفنيين على الاعمال الفنية لمختلف الصناعات واعداد اخصائيين في فنون الصناعة من أبناء البلاد (١٤) .

وقد قامت هذه المديرية التي أصبح عنوانها "مديرية الصناعة العامة" والتي اضيف الي اعمالها تطبيق قانون تشجيع المشاريع الصناعية بخدمات مفيدة للصناعة الوطنية بما قدمت لها من نصائح وارشادات وما اجرت من تحاليل على المواد الأولية ومن تجارب للتأكد من نجاح بعض الصناعات . ولكن نطاق عملها محدود لضالة مواردها المالية والتي لا تتجاوز الاحد عشر الف دينار في السنة (١٥) نرى من هذا ان توسيع هذه المؤسسة وزيادة مواردها المالية ضرورة لرتي الصناعة في البلاد .

(١٤) مديرية المباحث الصناعية "المباحث الصناعية في عشر سنوات" (مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٤٦) ، ص ٢-٣

(١٥) جاء في معهد المباحث الصناعية والقرار السنوي للسنة المالية ١٩٤٩ - ١٩٥٠ ، (بغداد ١٩٥٠) ص ٢٠٢ "لم يتجاوز ما خصص للمعهد في ميزانية السنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠ مبلغ احد عشر الف وخمسمائة دينار . فكانت وسائل العمل على قياس متناسب وتلك الميزانية بطبيعة الحال . فلم يتعد ما صرف منها للاجهزة والالات والادوات والمواد الكيميائية لمختبرات المعهد ومعمله التجريبي ٢٢٠ / ٢٣٠٨ دينار وما صرف رواتب للموظفين الفنيين ٢٧٥٥ / ٢٧٨٨ دينار وما صرف اجورا للموظفين الموقتين والمستخدمين ٢٧٢٤ / ٢٧٢٤ دينار . وكان نصيب فصل الكتب والمراجع والمجلات الفنية الاختصاصية ٢٧٨ / ٢٧٢٤ دينار .

الصناعات اليدوية

ان معظم الصناعات القائمة في البلاد هي الصناعات اليدوية الصغيرة وتستخدم الواحدة منها آلات بدائية بسيطة ، وتشغل عددا قليلا من العمال . والذي يعين وجود هذه الصناعات بمساعدتها على البقاء ، هو مستوى معيشة الفلاحين الواسع . فدخل الفلاح الضئيل يضطره على القيام ببعض الاعمال الصناعية البسيطة كعمل المحراث او تسليحه ، وقيام المرأة الريقية بنزل الصوف او القطن وحيكة ملابس لافراد الاسرة ، وطحن الحبوب وخبزها ، وبناء البيت الخ . ولما كانت حاجات الفلاح قليلة وبسيطة كان بإمكان الحرفيين في القرية والمدينة ان يجهزوه بها . وقد خضعت الحرف اليدوية الى تأثيرات داخلية وخارجية عديدة اربكت احوالها وعطلت تقدم بعضها وقضت على كثير منها . فالهزاع الاجنبية التي فزت اسواق البلاد منذ نهاية الحرب العظمى الماضية ، وقيام المصانع الالية الحديثة في البلاد وارتفاع مستوى المعيشة في المدن قضى على بعض الحرف اليدوية المهمة كصناعة الحياكة والنسيج ، واستخراج الزيوت والكحول والاحذية ، والصابون ، والصفارة ، والدباغة ، وتقليل مراكز اكثرها على اقل تقدير . وقد اضطر قسم من الحرفيين الى ترك حرفهم نهائيا ، والاشتغال عمالا ، اجورين في المعامل الالية الحديثة ، او الاشتغال في اعمال اخرى وبقي الآخرون محتفظين بحرفهم وان اخذت مداخيلهم تنقضي وتقل . وقد استعادت بعض الحرف شيئا من مكانتها السابقة خلال الحرب العالمية الثانية لانقطاع البضائع الاجنبية عن الاسواق ولكنها عادت الى تضائلها وتأخرها منذ ان اخذت هذه البضائع تتدفق على الاسواق المحلية بعد استقرار السلام . وسيبقى قسم من هذه الحرف محتفظة بكيانها ما دامت الرأسمالية الحديثة لا تجد الربح الكافي في ~~الاشتغال~~ احتلال محلها ، وما دامت طبقة الفلاحين محتفظة بمستوى عيشها ، باقية على اسلوب حياتها البدائي البسيط . والحق ان بعض الحرف وخاصة تلك التي كانت تدير بحسب تنظيم شبيه بتنظيم المصنع كالحدادة والنجارة ، والدباغة ، ومصنع الاحذية ، ~~تطورت~~ تطورت خلال فترة ما بين الحربين وحسنت تنظيمها واستخدمت الآلات الحديثة بحكم تزايد الطلب على منتجاتها ، الا ان هذه الصناعات محدودة العدد لا تولد الا جزء صغيرا من مجموع الصناعات اليدوية .

يقدر عدد الحرفيين بنحو ٤ بالمئة من مجموع السكان (١٦) ويختلف وضع الحرفيين

المالي باختلاف الحرف التي يمارسونها ، وباختلاف الوسط الذي يمارسون حرفهم فيه .
 أي ان دخلهم يعتمد على القوة الشرائية للطبقة التي تستهلك منتجاتهم . (١٦)
 ويمكن القول بصورة عامة بان نحو سبعين بالمائة من الحرفيين في مستوى معيشة منخفض
 وهم في ذلك يخضعون لمقدار القوة الشرائية المرددة بيد السكان الزراعيين والطبقة
 الداملة . وما تبقى منهم احسن حالا . وتقل النسبة كلما ارتفع الدخل وصارت الحرفة
 فنية كصياغة الذهب والفضة وحمل السجاد وغيرها . (١٧)
 ان الحرف اليدوية لا تزال مقيّدة بشهرات العمل الحديثة بفصاعات العمل
 غير معينة ، والعمال يشتغل من الصباح الباكر حتى الخروب ، ولا يتمتع بعطلة اسبوعية
 او شهرية ، ولا ينال عن يوم انقطاعه عن العمل اجرة مهما كان سببا لنقطاعه عن العمل .
 وتنعدم الشروط السحوية في المعمل . والحقيقة ان اكثر المعامل اليدوية غير صالحة
 للعمل . اما اجور العمال فوطئة مما تكاد تمتد حاجاتهم الاساسية ، وهي تختلف بين
 حرفة واخرى ، وتعتمد على مقدار دخل صاحب العمل والذي يتوقف على مقدار الطلب
 على منتجاته وعلى المقدرة الشرائية للطبقة التي تتعامل معه كما تقدم معنا .

الصناعة الآلية الكبيرة :

الصناعة الآلية حديثة النشأة في العراق . فقد بدأت في
 العقد الثالث من هذا القرن وسارت بخطى بطيئة متعشرة . ولكن تاسيس الصناعات
 الآلية اخذ ينشط منذ الحرب العالمية الثانية نشاطا ظاهرا ، لانقطاع كثير من البضائع
 عن الورد الى الاسواق المحلية ، وتراكم الثروات الثلاثة بأيدي ملاكي الاراضي ،
 والتجار واسياد السوق المحلية السوداء . وقد تأسست منذ ذلك الحين صناعات
 عديدة ، منجح بعضها نجاحا ممتازا وتقدر بعضها الاخر ، او زال من الوجود نهائيا
 بفضل العوامل التي ذكرتها تحت عنوان العوامل التي تعوق نمو الصناعة ، وبفضل
 عوامل اخرى اهمها : قساسة اختيار فروع الاستثمار الصالحة للبقاء في الظروف الدولية
 الاعتيادية ، ومتعدد المشاريع الصغيرة ، والتهافت على تقليد فروع الانتاج الاكثري ربحا
 وعدم تحري الاسعار الرصينة في الادارة والتنظيم ، وقهايم بحرا صاحب هذه المشاريع
 بمهمة العمول والمنظم في ان واحد ، على قلة خبرتهم ، وضعف كفاءاتهم التنظيمية .

وقد أدرك الناس خطورة الصناعة في الحياة الاقتصادية ولمسوا ما تدره من أرباح وفيرة فأنبلوا على الاكتساب في المشاريع الصناعية، كما أخذ بعضهم رجالات الدولة والمتنفذين فيها يشتركون في تأسيس الشركات الصناعية (١٨)٠ وهذا تحول خطير في تاريخ الصناعة العراقية لأن اشتراك رجال الحكم في الصناعة سيؤدي إلى استغلال هؤلاء نفوذهم في الدولة لترقية شؤون مصانعهم وفرض التشريعات والأنظمة الملائمة للصناعة وإن كانت تضر الصالح العام، وسيؤدي إلى زيادة اضطهاد العمال والحد من حرياتهم وتسخير جهاز الدولة لحرمانهم من حقوقهم وإخصاء حقهم في تأسيس نقابات لهم، وحقهم في الإضراب مثلاً. وفيما يلي أهم المشاريع الصناعية القائمة في البلاد.

بلغ عدد المعامل التي تستفيد من قانون تشجيع الصناعات المحلية في عام ١٩٤٥

٨٥ مملاً موزعة على الشكل الآتي :

نوع الصناعة	عدد المعامل	نوع الصناعة	عدد المعامل
الطابوق (الاجر)	١٩	النزل والنسيج	٧
الطباعة	٨	تقطير الكحول	٥
المطاحن	٦	الكبريت	٥
الصابون	٦	الدباغة	٤
الأحذية	٣	حلج القطن وكبسه	٣
القميد	٣	صناعات أخرى مختلفة	١٥

(١٩)

(١٨) جاء في التقرير السنوي العاشر من أعمال المصرف الزراعي الصناعي ص ٥١١ أن
 رأسمال شركة تجارة وطحن الحبوب العراقية المحدودة ١٠٠٠ / ١٠٠ دينار موزع
 على ١٠٠٠ / ١٠٠ سهم لمكتب المصرف ب ١٠ / ٠ منها وقد وفيت من قيمة الأسهم
 كلها ٥٠ / ٠ حتى الآن ٠٠٠ ومن الجدير بالذكر أن أقبال الجمهور العراقي
 على اقتناء أسهم هذه الشركة كان أقبالا منقطع النظير. إذ غدت الأسهم في أقل من
 يوم منذ إعلانها. ولا شك أن هذا يدل على رغبة الشعب في استثمار موارده
 وموازنة الشركات الوطنية (المساهمة)

(١٩) «الشرق الأوسط» ٢٦

وفيما يلي جدول بانتاج بعض الصناعات التي تناولها الاحصاء للسنة المالية ١٩٤٨ - ٤٩ هـ (٢٠)

الصناعة :	النتاج
١ - الغزل والنسيج	
الصوفي معملان	٨٠٠ م ٤٤١ متر قماش ٨٠٠ م ٨٩ كيلو غزل
القطني: معمل واحد	٤٠٠ م ٢٠٤ باوند قماش ١٠٠ م ٣٦٠ باوند غزل
٢ - الدباغة	٦٠٠ م ١٢٦ كيلو نعل
ثلاثة معامل	٤٠٠ م ١١٤ قدم مربع وجه

٣ - الزيوت النباتية :
معمل واحد ١٠٠ طن زيت
١٠٠ طن كسبة

٤ - البيرة: معمل واحد ٤٠٠ م ٥٤٥ لتر

٥ - الكحول ثلاثة معامل ٢٠٠ م ٢٢١٦ لتر

وتنتج معامل الميكانيكي العراقي ٥٥٠٠ مليون سيكارة سنويا ، يصنع حوالي نصفها باليد والباقى تنتجه المعامل التي يوجد منها خمسة في بغداد تنتج جميعها ١٣٠٠ مليون سيكارة في السنة . وتنتج اكبر معمل للطباخين في بغداد مقدار ٤٠٠ م ٤٠ طابوقة في اليوم (٢١) . وان معظم ما ينتج من الاحذية تصنع باليد ولكن هناك سبعة مصانع تشغل مكائن لصنع الاحذية تدار بالقوة الكهربائية . وان اوسع واكبر هذه المصانع السبعة يشغل ستين عاملا ينتج ثلاثين الف زوج من الاحذية في السنة (٢٢) .

(٢٠) تفصل بتزويدي بهذه الاحصائية سعادة الاستاذ شيت نعمان المدير العام لمديرية

الصناعة العامة .

(٢١) الشرق الاوسط ص ٦٤

(٢٢) ف . هـ كاميل "الاحوال الاقتصادية والتجارية في العراق" تعريب جريدة "لواء"

الاستقلال بمخبر بغداد العدد ٩٢١ ، ٨ آذار ١٩٥٠

تشريع العمل :

أوجد تقدم الصناعة الآلية الحديثة في البلاد طبقة من العمال أخذت في الازدياد نظرا لتوسع المشاريع الصناعية القائمة وتأسيس مشاريع جديدة . وقد استلزم وجود هذه الطبقة المدة تشريع قانون يعين حقوقها بالنسبة لأصحاب المصانع ويحميها من استغلالهم ويعالج القضايا الناشئة عن العمل . وقد صدر عام ١٩٣٦ قانون العمال رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٦ ثم عدل سنة ١٩٤٢ ليكون أكثر تنميا مع حاجات العمال وتطور الصناعة . وقد ضمن هذا القانون على ما فيه من نقائص كثير من حقوق ال مال وعين طرق حصولهم على مطالبهم . فقد حدد ساعات العمل اليومي بشان ساعات وجعل الاستراحة الأسبوعية اجبارية ، ومنح العامل حق العطلات الاعتيادية على أساس يوم واحد في الشهر والعرضية أربعة أيام في كل ثلاثة اشهر ، ومنع تشغيل النساء والمراهقين ليلا ، وتشغيل الأحداث الذين هم دون الثانية عشرة في الصناعة . وقرر حق العامل في نيل تعويض عما يصيبه من عطل جسدي اثنا قيامه بالعمل ، وقد اعتبر هذا القانون تشكيل النقابات العمالية حقا من حقوق العمال ، وجعل الغاية منها العناية بشؤون العمال وبث روح التعاون بينهم ، والسعي في السبل التمهيدية والثقافية والصحية والاجتماعية والاخلاقية ، ولترقية الصانع في البلاد الى غير ذلك من المواد التي تتعلق بشؤون العمال . ولكن هذا القانون بقي بصورة عامة حبرا على ورق دون ان تحاول الحكومة تطبيقه روحا ونصا . بل انها كانت وما زالت ، تحمي المخالفين له من اصحاب المصانع بوتقاع العمال الذين يناضلون في سبيل تطبيق هذا القانون الذي شرعته الحكومة نفسها . فتفتيش المعامل الذي ينص عليه هذا القانون نفسه بقصد الاطلاع على احوال العمال لم يكن له وجود .

وعندما تأسست اربع عشرة نقابة عمالية في عام ١٩٤٥ ، وقايتها الس الر على مصالح العمال والنسأل في سبيل تطبيق قانون العمال لم تكلل من الحكومة اي تايب . بل لقد كانت الحكومة الحركة النقابية منذ قيامها ، واخذت تطارد زعماءها وقادتها فاغلقت سبعة منها ، وجمدت اعمال ثلاثة منها . وعملت وزارة الداخلية هذا العام منقابة عمال التجار بحجة ان هذه النقابة ايدت مؤتمر انصار السلام .

(٢٣) راجع عرضة الهيئة الادارية لنقابة عمال التجارة المنشورة في جريدة صدى

الاهالي ، ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٠ ، عدد ٤٠٢

الفصل الرابع

النفط

اتجهت انظار شركات النفط، والدول الغربية، الى نفط العراق منذ اواخر القرن التاسع عشر. ونشطت مختلف المصالح لنيل امتياز مناجم هذه المنطقة الغنية بالهترول. وكانت كل من الحكومتين الالمانية والانكليزية تسعى للاستحواذ على مناجم نفط العراق. وبعد مناقشات طويلة، مختلفة الاساليب، ما بين شركة سكة حديد الاناضول الالمانية، وشركة النفط الانكليزية الفارسية، وشركة رويال دتشنيل، تالفت شركة النفط التركية المحدودة. وقد نالت هذه الشركة من الحكومة العثمانية، بتدخل من الحكومتين الانكليزية والالمانية، امتيازاً باستثمار نفط ولايتي الموصل وبغداد وذلك في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٤. وكان توزيع حصص هذه الشركة على الدولة الاتية:

٥٠ ٪ لشركة النفط الانكليزية الفارسية.

٢٥ ٪ لدتشنيل الالمانى

٢٥ ٪ لرويال دتشنيل (١)

على ان هذه الشركة لم تستطع ان تستغل المناطق الداخلية في امتيازها بسبب قيام الحرب العالمية الاولى. وبعد ان انتهت الحرب، وتأسست الحكومة العراقية، ورثت هذه الحكومة التزامات الحكومة العثمانية تجاه شركة النفط التركية، وتحتم عليها تنفيذها. (٢)

ولكن انهزام المانية في الحرب، وظهور الولايات المتحدة كقوة عالمية، تريد مساعدة بريطانيا وفرنسا في اقتسام موارد العالم النفطية، غير وضعية النفط في العراق، ومن ثم غير تكوين شركة النفط التركية المحدودة.

(١) E.H. Davenport and Sidney Russell Cook, "The oil Trusts And Anglo-American Relations" (New York, 1924), P.P. 24 - 7

وساير اليه بـ "ديفيمبورت". وانظر كذلك حمادة ص ٨٦ - ٨٧. وراشد البراوى "حرب البترول في الشرق الاوسط" (القاهرة، الطبعة الثانية) ص ٣٨ - ٣٩. ساير اليه بـ "براوى".

(٢) انظر تقرير خاص ص ٢١٨ وكذلك المادة التاسعة من البروتوكول المتعلق ببعض الامتيازات الممنوحة في الامبراطورية العثمانية، والواقع في لوزان في ١٤ تموز ١٩٢٣ والمنشور في معاهدات الصلح ج ٢ ص ١٠٤٩.

في ٢٤ نيسان ١٩٢٠ عقدت اتفاقية نفط في سان ريمو بين فرنسا وانكلترا تنص هذه الاتفاقية على وجوب اشراك فرنسا في نفط العراق . وقيام فرنسا باجراء التسهيلات اللازمة في حالة نقل البترول الى البحر عبر سوريا . وعلى اشراك الحكومة الوطنية في راس مال الشركة في حالة قيام شركة اهلية باستغلال نفط العراق . وتنص هذه الاتفاقية كذلك على ان الشركة المشار اليها ستكون تحت السيطرة البريطانية . وبناء على هذه الاتفاقية اعطيت الاسهم الالمانية الدائمة لفرنسا (٣) .

ولكن الشركات النفط الامريكية لم تستطع من احتكار الانكليز والفرنسيين لنفط العراق ، واخذت تطالب بنصيبها من نفط العراق حسب مبدأ الباب المفتوح . وقد احتجت وزارة الخارجية الاميركية ، في عام ١٩٢٠ ، على فرنسا وانكلترا واتهمتهما بخرق مبدأ الباب المفتوح (٤) . وفي سنة ١٩٢٢ ، وتدخل من وزارة الخارجية الامريكية ، منعت مجموعة من الشركات الامريكية نصف اسهم شركة النفط الانكليزية الايرانية ، مقابل حصة معينة تستلمها هذه الشركة كعميس . وقد ابدت اربع عشرة شركة امريكية اهتماما بنفط العراق . على ان خمسة منها فقط وافقت على الاشتراك في تاليف مجموعة الشركات الامريكية التي تكون "شركة ترقية الشرق الادنى" "Near East Development Company"

على انه لم يبق في هذه المجموعة ، في الاخير ، غير شركتين فقط ، هما شركة "ستاندرد اويل اوف نيو جيرسي" و "شركة تشوكوني فاكنر" (٥) .

ومنذ سنة ١٩٢٣ اخذت شركة النفط التركية تفاوض الحكومة العراقية بشأن تجديد امتيازها . وكانت المفاوضة طويلة ، شاقة ، لان الجانب الحكومي العراقي كان يطالب بان يكون للعراقي حصة في راس مال الشركة ، كما تنص على ذلك اتفاقية سان ريمو . ولكن الحكومة العراقية ، وكانت تخضع في مقرراتها للمندوب السامي البريطاني ، حملت اخيرا على الاكتفاء بمقايضة رسم مقطوع بصفة ربع (او ثوبالتي " اى حصة ملاكية) .

(٣) انظر نص المواد ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ من اتفاقية سان ريمو المنشورة في ديفينبورت ص ٢٠٤ - ٢٠٥

(٤) انظر يونيه ، الدولة والتنظيم في الشرق الاوسط ، ص ٣١٠ - ٣١١ من الترجمة

وصح من الاصل . وانظر كذلك Raymond F. Mikesell and Hollis

"Arabian Cheney Oil" (1949) P. 12, and 44.
(Chapel Hill, 1949),

(5) Wallace E. Pratt and Dorothy Good, "World geography of Petroleum" (Princeton University Press, 1950) P. 180

شركة النفط العراقية

وفي ٤ آذار ١٩٢٥ تم عقد اتفاقية بين الشركة والحكومة العراقية . وحدت هذه الاتفاقية ، في ١٤ آذار ١٩٣١ ، ولا زالت نافذة المفعول حتى وقتنا هذا الحاضر . وقد تبدل اسم شركة النفط التركية المحدودة ، ابتداءً من اليوم الثامن من شهر حزيران سنة ١٩٢٦ ، فأصبح شركة النفط العراقية المحدودة . وكانت حصص راس المال قد توزعت بصورة نهائية في ٣١ تموز سنة ١٩٢٨ كما يلي : (٦)

٢٣،٧٥ ٪ / ٠ شركة النفط الانكليزية الايرانية .

٢٣،٧٥ ٪ / ٠ جماعة رويال دتش شل

٢٣،٧٥ ٪ / ٠ شركة نفقة الشرق الادنى

٢٣،٧٥ ٪ / ٠ شركة النفط الفرنسية . (٧)

٥ ٪ / ٠ يملكها كوليكمان

مدة هذه الاتفاقية ٢٥ سنة ابتداءً من تاريخ عقدها . (٨) وتشتمل المنطقة المتعلقة بهذه المقالة على جميع الاراضي الواقعة في ولايتي بغداد والموصل والتي تحدها ضفة دجلة الشرقية ، والحدود العراقية التركية ، والحدود العراقية السورية باستثناء المنطقة التي يشملها امتياز شركة نفط خانقين ، (٩) وتبلغ مساحتها نحو ٣٥٠٠٠ ميل مربع . واعطت هذه الاتفاقية للشركة صلاحيات واسعة منها انه يحق للشركة تاليف شركات فرعية اخرى وتكون الفروع متمتعة بجميع الحقوق والامتيازات الممنوحة للشركة . (١٠) وللشركة الحق بان تشغل من الاراضي في العراق ما يقتضي لاجل القيام باعمالها : (١١) الاراضي الاميرية غير الصالحة للزراعة تؤجر للشركة لمدة هذه المقالة بهدل اجارة قدره آتان من كل هكتار في السنة . (ب) الاراضي الاميرية الصالحة للزراعة تؤجر بشروط موافقة للحكومة . (ج) الاراضي غير الاميرية تستملك بالاتفاق بين الشركة والشخص صاحب الشأن ، واذا تعذر الاتفاق بينهما تعتبر الحكومة هذه الاراضي كأنها لازمة لاحد مشاريع المنافع العامة وتستملكها وفقاً للقانون العربي الاجراء آنفد على ان تتحمل الشركة جميع النفقات الناتجة من ذلك بشرط ان لا يلتفت عند تعيين قيمة هذه الاراضي الى الخرج الذي قد تستعملها الشركة لاجله .

(٦) انظر بركات ص ١٨٠ وكما مده ص ٨٩٠ .

(٧) تملك الحكومة الفرنسية ٣٥ ٪ / ٠ من اسهم هذه الشركة . راجع " النفط العربي ص ٤٥

(٨) شركة النفط العراقية المحدودة ، اتفاق معقود في ٢٤ آذار سنة ١٩٣١ لتعديل

المقالة المنعقدة في ١٤ آذار سنة ١٩٢٥ مع الحكومة العراقية (بغداد ، ١٩٣١) المادة ٢ .

ويشترط كذلك ان تسجل الاراضي المستملكة من قبل الحكومة على هذا الوجه باسم الحكومة ولكن توضع تحت تصرف الشركة في اثنا مدة هذه العقولة وذلك بلا مقابل (١١) ويحق للشركة انشاء وصيانة وتشغيل خطوط تلغراف وتلفون لقاء دفع ليرة انكليزية ذهبا في السنة . رسم اجارة شاملة (١٢) . كما يحق لها انشاء وتشغيل سكك حديد وطرق المواصلات الاخرى داخل حدود الشركة او على كل التخطيط الممتد من المنطقة المحدودة بطريق هيت الى خليج عكا او على اى قسم كان (١٣) وتتعهد الشركة بان تدفع للحكومة العراقية بصورة منتظمة قبل ٢٣ نيسان ١٩٢١ وفي اول كانون الثاني من كل سنة تالية حتى يبدأ تصدير النفط بانتظام مبلغ ٤٠٠.٠٠٠ ليرة انكليزية ذهبا كل سنة . ويعتبر نصف هذا المبلغ او ٢٠٠.٠٠٠ ليرة ذهبية سلفة تستردها الشركة بلا فائدة من حصة الحكومة بشرط ان تزيد هذه الحصة عن ٤٠٠.٠٠٠ ليرة انكليزية بعد ادنى (١٤) واما الـ ٢٠٠.٠٠٠ الثانية فهي عبارة عن اجار مقطوع لا تسترده الشركة . وتتعهد الشركة بعد ابتداء الشحن بصورة منتظمة بدفع اربع ثلثات ذهبا عن كل طن من النفط الخام ما عدا الغاز الطبيعي على انتاج لا يقل عن مليوني طن في السنة بشرط ان يكون في الامكان انتاج مثل هذا المقدار في موضع الامتياز . وهذا الشرط قابل للتعديل بعد انقضاء ٢٠ سنة من افتتاح خط الانابيب . وتدفع الشركة ١٥٠.٠٠٠ ليرة انكليزية ذهبية عن كل مليون طن من الملايين الاربعة الاولى من النفط المصدر . و ٢٠.٠٠٠ ليرة ذهبية عن كل مليون طن بعد ذلك . مقابل الاعفاء عن الضرائب والرسوم الحكومية والبلدية . (١٥) وتتعهد الشركة عند طلب الحكومة ذلك في خلال اثني عشر شهرا عقب الشروع في اصدار النقل او في خلال الشهر الذي يحقب ١٤ آذار ١٩٤٥ بان تنشيء بكل سرعة مناسبة مصفى في مكان تعينه الحكومة وتشغله الحكومة لسد حاجة العراق .

(٩) المصدر السابق المادة ٣

(١٠) المصدر السابق المادة ٣٣

(١١) المصدر السابق المادة ٢١

(١٢) المصدر السابق المادة ١٩

(١٣) المصدر السابق المادة ٢٠

(١٤) المصدر السابق المادة ١٠

(١٥) بعد مفاوضات دامت نحو سنتين بين الحكومات العراقية المتعاقبة في تلك الفترة

وبين شركات النفط صاحبة الامتياز في العراق توصل الطرفان الى اتفاق خلاصته

اولا: ان تلغى الحكومة العراقية للبت في قضية سعر الذهب

ويستوجب الكمية الكافية لسد هذه الحاجة ٠٠٠ وعند انقضاء ثلاثة اشهر على تسليم المصفي الكامل تنتهي على الفور عقود الشركة او شركة البيع وفق احكام المادتين ١٤ و ١٥ من هذه المفاولة . وينبغي ما امكن ان يكون مستخدمو الشركة في العراق من رعايا الحكومة اما المديرون والمفتوسون والكيميائيون والحفاريون وملاحظو العمال والميكانيكيون وغيرهم من العمال الفنيين والكتبة فيمكن استقدامهم من خارج العراق اذا لم يمكن ايجاد الاشخاص الاكفاء من هذه الانواع في العراق . ويشترط ان تقوم الشركة ، بقدر ما يمكن عمليا ضمن المعقول وباقرب ما يمكن من الوقت ، بتدريب العراقيين في هذه الاعمال . (١٧)

وقد اتمت الشركة انشاء خطين من الانابيب يصلان كركوك بحيفا وطرابلس . وقابلية هذين الخطين المشتركة تبلغ اربعة ملايين طن في السنة . وانشأت شركة النفط الانكليزية الايرانية وشركة شل مصفى في حيفا لتصفية حصتهما من النفط . وقد كمل هذا المصفى في الايام الاولى من الحرب العالمية الاخيرة . وقد وسع هذا المصفى حتى اصبح ذا قابلية على تصفية ٠٠٠ ٠٠ ٠ برميل في اليوم . اما نفط طرابلس فيشحن الى مختلف المصافي في اوربا . وقد مد خطان اضافيان الى حيفا وطرابلس قطر كل منهما ١٦ بوصة .

شركة نفط خانقين

هذه الشركة تقع من شركة النفط الانكليزية الايرانية وقد تأسست حسب الاتفاقية المعقودة بين شركة النفط الانكليزية الايرانية والحكومة العراقية في ٣٠ آب عام ١٩٢٥ . وتنص هذه الاتفاقية على ان مدة الامتياز سبعون سنة .

(تابع ١٥) الذي تدفع به خصة العراق من النفط، اي لتقرير ما اذا كان يجب ان يدفع بالسعر الرسمي المعين من قبل الحكومة البريطانية ام بالسعر السائد في الاسواق الحرة . وثانيا ان تزداد حصة العراق من النفط من مقدارها الحاضر وهو ٤ شلنات ذهب الى الحد الاعلى وقدره ٦ شلنات ذهب ابتداء من سنة ١٩٥٠ بدلا من ابتداء في سنة ١٩٥٤ كما تنص على ذلك الفقرة الثانية من المادة العاشرة من المفاولة المعقودة بين الحكومة العراقية وبين شركة نفط العراق . راجع تصريحات فخامة نوري السعيد عن المفاوضات الاخيرة بشأن النفط المنشور في جريدة صدى الاهالي ، العدد ٢٦٢ ، بتاريخ ١١ آب ١٩٥٠ . وانظر كذلك العدد ٢٦٨ من الجريدة نفسها

(١٦) المادة ١٤ الفقرة (٢) من مفاولة الحكومة وشركة نفط العراق

(١٧) المصدر السابق المادة ٢١

وهي انشاء مصفى للنفط في العراق لتصفية ما يحتاجه العراق من النفط ومشتقاته .
وفي ٢٤ ايار ١٩٢٦ عقدت بين الشركة والحكومة العراقية اتفاقية اخرى تنص على ان
تدفع الشركة للحكومة العراقية ربحا محدودا بدلا من اشتراكها في الارباح الذي نص عليه عقد
الامتياز الاصلي . وتدفع هذه الشركة للحكومة العراقية (روياتي) قدره اربعة شلنات
ذهبا عن كل طن من النفط الخام . (١٨) وتشغل الشركة بقعة من الارض في لواء
ديالى مساحتها ٦٨٤ ميلا مربعا ، كانت قد حولت من ملكية ايران الى ملكية الدولة
العثمانية سنة ١٩١٢ فاصبحت تعرف باسم الاراضي المحولة . وقد اقامت شركة نفط
خانقين مصفى على نهر الوند قرب مدينة خانقين . وتم انشاء هذا المصفى سنة ١٩٢٢
وببلغ المعدل السنوى للنفط الذى انتجته هذه الشركة في السنوات ١٩٢١ - ١٩٢٤
نحو ٧٦ الف طن . وقد حولت شركة نفط خانقين تعهداتها بشأن بيع النفط في العراق
الى شركة "نفط الرافدين" وهي فرع من شركة نفط العراق .

شركة ترقية النفط البريطانية (بي . او . دى .) تأسست هذه الشركة في اوائل سنة
١٩٢٨ ، ونالت ، بحسب الاتفاقية المعقودة بينها وبين الحكومة العراقية والمؤرخة
في ١١ نيسان ١٩٣٢ ، امتيازاً باستثمار النفط في جميع الاراضي الواقعة قرب نهر
دجلة وشطلي خط العرر الثالث والثلاثين ، والتي تبلغ مساحتها ٤٦٠٠٠ ميل
مربع . ومدة امتيازها ٧٥ سنة . (١٩) وتمتلكها الجماعة التي تكون شركة نفط العراق . (٢٠)
وتتعهد الشركة بان تعد الوسائل الكافية لنقل مليون طن نفط على الاقل في السنة
من المنطقة المحدودة الى شخر بحرى واقع على البحر المتوسط . كما تتعهد بالشروع
في اصدار النفط اصدارا منتظما خلال سبع سنوات ونصف من تاريخ هذا الاتفاق .
وباستثناء سنة الشروع في الاصدار يجب ان لا تقل الكمية الصادرة عن مليون طن في
كل سنة بشرط ان يتمسك للشركة ، بعد بذلها الجهود الواضحة للحصول على الكمية
في المنطقة المحدودة وتسليمها في شخر بحرى واقع على البحر المتوسط . (٢١)

(١٨) انظر مضمون خاص ص ٢٢٢ وحماة ص ٩٤
(١٩) وزارة الاقتصاد والموصلات ، المقالة المعقودة بين الحكومة العراقية وشركة
النفط (بي . او . دى) المحدودة في ٢٠ نيسان ١٩٣٠ . (نسخة مكتوبة بالالة الكاتبة
في مكتبة الجامعة الامريكية في بيروت) ، مادة ٢
(٢٠) برات ص ١٢٨
(٢١) مقالة الحكومة مع شركة (بي . او . دى) المادة ٦

وتتعهد الشركة بان تدفع للحكومة ١٠٠٠/١٠٠ ليرة انكليزية ذهباً في اول سنة ١٩٣٣
يزاد ٢٥٠/٠٠٠ ليرة في اول كل سنة تالية حتى يبلغ ٢٠٠/٠٠٠ ليرة ذهبية في
اول سنة ١٩٣٢ ، ويستمر على دفع المبلغ المذكور كل سنة بعد ذلك كايجار مقطوع
حتى يبدأ تصدير النفط بانتظام . كما تتعهد بان تدفع للحكومة ربعاً (روالتي) قدره
اربعة شلنات ذهباً عن كل طن من النفط الخام الذي تستخرجه الشركة على ان لا
يقل مجموع المبلغ المدفوع سنوياً عن ٢٠٠/٠٠٠ ليرة ذهبية ، على ان يتيسر استخراج
ما لا يقل عن مليون طن سنوياً . كما تتعهد بان تقدم للحكومة مجاناً في فم البئر
مشرمين في المئة من كل النفط الذي تستخرجه الشركة . (٢٢)

وتدفع الشركة ١٥٠/٠٠٠ باون استرليني ذهباً عن كل مليون طن من الملايين
الاربعة الاولى من النفط المصدر ، و ٢٠/٠٠٠ عن كل مليون طن بعد ذلك ، مقابل
الاعفاء من الضرائب والرسم الحكومية والبلدية . وقد انشأت هذه الشركة ، في شهر
كانون اول ١٩٣٤ ، شركة خصوصية تحت اسم " شركة نفط الموصل " .
وقد اثبتت الحفريات في القيارة على نهر دجلة ، وفي الشّاحة الواقعة بين الرمادي
وهيت على الفرات ، وجود كميات عظيمة من النفط . ولكن النفط الذي استخرج كان
ثقيل الوزن ، يحتوي على مفادير كبيرة من الكبريت بحيث وجد ان انتاجه غير مرجح
عملياً . ولكن وجد في عام ١٩٣٩ ، في مين زالة الواقعة في شمال الموصل ، حقلاً
للنفط من نوعية نفط كركوك ذاتها . (٢٣)

شركة نفط البصرة المحدودة : نالت هذه الشركة ، في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٨
امتيازاً باستثمار النفط في جميع الاراضي العراقية التي لا تشملها امتيازات شركة نفط
خانقين ، وشركة نفط العراق ، وشركة ترقية النفط البريطانية . وتبلغ مساحة الاراضي
الداخلية في امتياز هذه الشركة ٩٣/٠٠٠ ميل مربع . ومدة هذا الامتياز ٧٥
سنة . وتمتلك اسهمها الجماعة التي تكون شركة نفط العراق المحدودة (٢٤)
ولا تختلف شروط عقد هذه الشركة عن شروط عقد شركة انماء النفط البريطانية على
هذا لا ارى حاجة لتفصيلها . وتستمر الحفريات الاستكشافية في هذه المنطقة .

(٢٢) المصدر السابق المادة ٢٢

(٢٣) براءات ص ١٨٢

(٢٤) براءات ص ١٧٨

وقد اثبت البئران اللذان بدى بحفرهما في عام ١٩٤٧ في نهر عمروالزبير ، في عام ١٩٤٩ وجود كميات عظيمة من النفط في هذه المنطقة . وقد وجد ان نوعية النفط المستخرج من نهر عمرو هي احسن نوعيات النفط المكتشفة في الشرق الادنى قاطبة . (٢٥) بعد هذا العرض الموجز لتاريخ النفط في العراق اتقدم لتحليل الوضع الحاضر للنفط . ان اربعة شركات نفط تحتكر بينها موارد البلاد النفطية باجمعها . وتمتلك مجموعة نفطية واحدة ثلاثة من هذه الشركات . وقد تولد عن حصر ملكية النفط هذه بايدى جماعة من شركات النفط واحدة ان ثروة العراق من النفط لم تستغل الا استغلالا بسيطا ، وبقيت اجزاء كبيرة من البلاد دون استغلال . فان شركة نفط البصرة ، وشركة نفط الموصل لم تنتج النفط حتى الوقت الحاضر ، بالرغم من وجود كميات عظيمة من النفط في منطقتي امتيازهما ، وبالرغم من جودة نوعية هذا النفط ، كما ظهر لنا فيما تقدم . وهذا مخالفة ظاهرة للاتفاقية التي وقعتها الشركتان مع الحكومة العراقية (٢٦) .

(٢٥) المصدر السابق ص ١٨٢

(٢٦) استقرضت الحكومة العراقية ، عام ١٩٣٩ ، ثلاثة ملايين دينار من ثلاث شركات للنفط لقاء تعديل بعض مواد امتيازات هذه الشركات . فقد توصلت شركة النفط العراقية وشركة نفط البصرة ، وشركة استثمار النفط البريطانية الى الاتفاق مع الحكومة العراقية في ٢٥ / ٥ / ١٩٣٩ على تعديل التزام الشركة الاولى بشأن كمية النفط الواجب نقلها سنويا على فرع الانابيب المتصل بحيفا . وتعديل التزام الشركة الثالثة بشأن المقدار الواجب حفره سنويا بين بدء العمل وبدء تصدير النفط بانتظام . والتزامها ببدء هذا التصدير خلال سبع سنوات ونصف . راجع جيل ص ٢١٥ .

وتحتج هاتان الشركتان بأن الحرب قد منعهما من اعمال الاستكشاف والحفر . وهذه حجة واهية ، غير مقبولة ، ففي الوقت الذي ادعت فيه الشركات انها لا تستطيع الاستمرار في التنقيب بالعراق خلال الحرب الطاحنة كانت اعمال التنقيب على اعظم نشاطها في ايران والبحرين والمملكة العربية السعودية * (٢٧)

اما شركة نفط خانقين فقد اقتضت في استثمار النفط على مناطق صغيرة محدودة وتركزت المناطق الاخرى دون استغلال . ولم تنتج شركة نفط العراق والتي باشرت باستخراج النفط منذ عام ١٩٣٤ ، الا كميات قليلة من النفط بالنسبة لما في استطاعتها انتاجه . ولولا احتجاج الشركة الفرنسية التي ليس لها امتياز في قطر آخر ، واقامتها الدعوى على شريكاتها في امتياز العراق ، لما بدا من شركات الامتياز بعض الاهتمام بالاستعداد ولزيادة تمديد النفط من العراق بعد الحرب العالمية الثانية بعد خط جديد للانابيب من كركوك الى البحر المتوسط * (٢٨) والجدول التالي يرينا مقدار الاحتياطي من النفط ، ومعدل الانتاج السنوي ، ومجموع ما استخرج منذ الابتداء حتى عام ١٩٤٨ في اهم بلاد الشرق الادنى . (والارقام التالية محسوبة بملايين البراميل)

القطر	سنة الابتداء	مجموع ما استخرج من النفط الخام	معدل الانتاج السنوي ١٩٤٨
ايران	١٩١٣	١٩٣٨ ٤٢	١١٠٠ ٣٩٥
العراق	١٩٢٧	٤١١ ٥٦	٢٦٠ ٤٦٦
الكويت	١٩٤٦	٦٨ ٥٧	٤٦٠ ٥٤٧
القطر	١٩٤٠	٢٦ ٥٠	
المملكة السعودية	١٩٣٦	٣٤٥ ٥٠	١٤٢٠ ٨٥٣
البحرين	١٩٣٣	٩٨ ٥٩	١٠٠ ٩١٥

القطر	احتياطي النفط المقدور في ١ كانون الثاني ١٩٤٩
ايران	٧٠٠٠ ٤٠
العراق	٥٠٠٠ ٤٠
الكويت	١٠٩٥٠ ٤٠
	البحرين
	١٢٠ ٤٠
	المملكة السعودية
	٩٠٠٠ ٤٠
	القطر
	٥٠٠ ٤٠

(٢٧) محمد حديد " كيف يجب ان تعدل امتيازات النفط " (مخداد ١٩٤٩) ص ٦
(٢٨) المصدر السابق ص ٦ وانظر كذلك " النفط العربي " ص ٤٦ .

ما هو سبب تهاطي شركات النفط بانتاج النفط في العراق ؟ وما هي العوامل التي تدفع هذه الشركات الى عدم انتاجه ، او انتاج كميات قليلة منه ؟ يعود سبب ذلك الى ان امتيازات نفط العراق محصورة بايدي شركات تمتلكها مصالح واحدة . وما ان انتاج النفط في كركوك وخانقين يكلفها اقل من انتاجه في منطقة الموصل والبصرة لذلك فهي تفضل انتاجه من المنطقتين الاوليين . وما ان هذه الشركات تحتكر مصالح نفطية اخرى في البلاد الاجنبية لذلك نراها لا تريد ان تنتج من النفط الا المقادير التي تحتاجها اسواقها العالمية ، وتحول دون انتاج كميات ترخر اسعار النفط في العالم ، او تضارب منتجاتها من البلاد الاخرى . فهي اذن تريد ان تبقى نفط العراق ، بصورة عامة ، دون استغلال ، محتفظة به كاحتياطي للمستقبل . ولكن هذا اذا كان في صالح هذه الشركات فانه ليس في صالح العراق قطعاً . ان مقدار دخل العراق من النفط يتوقف على كمية المنتج منه ، فكلما زادت الكمية المنتجة زاد الدخل وبالعكس . ومع ان امتياز النفط في العراق قد منح لهذه الشركات قبل جميع اقطار الشرق الادنى ، باستثناء ايران ، فان مجموع منتوجه من النفط ، ومعدل انتاجه السنوي يكاد يكون اقلها جميعاً . ومعنى هذا كله ان دخل الحكومة من عوائد النفط ضئيل جداً . فلم يزد مجموع واردات الحكومة من النفط عن ١٢٥٠ ٠٠٠ ١٢٥٠ ٢٠٠ دينار في السنة . (٢٩)

وإذا دخل الحكومة من النفط لا تعود الى قلة المنتج من النفط فحسب بل الى ضالة ربح الحكومة المأخوذ عن كل طن من مستخرج النفط الخام ايضاً . فان اربعة ثلثات ، من الطن الواحد من النفط الخام ، ضئيلة جداً وهي الاخر اذا لاحظنا ارباح شركات النفط ، وازدياد اهمية النفط ، وارتفاع اسعاره في الاسواق العالمية . فقد كانت اسعار النفط الخام ، في عام ١٩٤٩ ، ٢٠ ٪ / ٠ اقل من اسعار ١٩٤٨ ، ٣٠ ٪ / ٠ ارفع من اسعار ١٩٤٧ ، ١٤٠ ٪ / ٠ ارفع من اسعار ١٩٣٥ ، ٣٩٠ ٪ / ٠ ان شركات النفط محفزة من الرسوم الكمركية ومن ضريبة الدخل ، وهذا امتياز عظيم للشركات لان الحكومة لو كانت تتقاضى عنها الرسوم الكمركية وضرائب الدخل والضرائب البلدية ، لكانت حصتها عظيمة جداً .

(٢٩) المصدر السابق ص ٥

(٣٠) من مقال لـ "ويلارد لـ . ثورب" في مجلة "بوليتيك" ، الصادرة عن وزارة خارجية الولايات المتحدة ، المجلد ٢٢٤ العدد ٥٦٤ ، ٢٤ نيسان ١٩٥٠

ان يقدر اعطاء شركة نفط العراق وحدها من الرسوم الكمركية ومن ضريبة الدخل بمبلغ يزيد مما تدفعه للحكومة العراقية . (٣١)

وما يزيد في ضالة دخل العراق من النفط ان شركات النفط لم تتقيد بنسب الاتفاقيات المعقودة بينها وبين الحكومة العراقية وذلك بان تدفع المبالغ بالليرة الاسترلينية ذهبا ، بل هي تدفع بالسعر الاسمي الذي حددته الحكومة البريطانية ، لليرة الاسترلينية الذهبية . فقد حدد بنك انكلترا سعر الباون الذهب الذي يزن ٢٨٢ ٣٢٢ ٧٠ فرام ب ٥٨ شلن . (٣٢) والفرق بين هذا السعر الرسمي لليرة الذهبية وسعرها في السوق الحر عظيم . وقد كانت الشركة تدفع فعلا على اساس سعر السوق الحر منذ ان دفعت القسط الثاني في كانون الثاني ١٩٣٢ الى سنة ١٩٤٠ حين بدأت تدفع على اساس السعر الرسمي . (٣٣) وان العراق ليذكر بمرارة انه حينما كانت شركات النفط تدفع بدل الامتيازات بسعر مساوي نحو دينارين لكل باون ذهب كانت الحكومة البريطانية نفسها تبيع الذهب في العراق بسعر يزيد على ٥ دنانير لكل باون ذهب في زمن الحرب . (٣٤)

وتنص الاتفاقية المعقودة مع شركة نفط العراق على ان تنشئ هذه الشركة عند طلب الحكومة العراقية ، مصفى للنفط لحساب الحكومة . وقد مر الوقت المحدد والمصفى لم ينشأ ، والحكومة العراقية لم تطلب انشاءه . وقد ضيع عدم انشاء هذا المصفى على الحكومة العراقية ارباحا عظيمة ، وترك المستهلكين العراقيين يدفعون اسعارا مرتفعة لما يستهلكونه من النفط ومشتقاته . فان النفط ومنتجاته يباع في العراق ، بلد النفط ، باسعار لا تقل عن الاسعار التي يباع بها في الاقطار النائية التي يصدر اليها النفط العراقي ، وترجع شركة نفط الرافدين ، وهي فرع من شركة نفط العراق نحو مليون دينار في السنة من بيع منتجات النفط في البلاد .

(٣١) حديد ص ١١

(٣٢) الدكتور عبد الرحمن الجليلي ، "حول سعر الذهب" ، جريدة صدى الاهالي بغداد ٢٠ كانون الثاني ١٩٥٠ عدد ٣٨٥

(٣٣) المصدر نفسه

(٣٤) حديد ص ٩

وهذا المبلغ يكاد يعادل نصف البديل الذي تدفعه شركة النفط العراقية عن استثمار امتيازها باجمعه . (٣٥) واقلب الظن ان شركة نفط العراق ومن ورائها شركة نفط خائقين ، هي التي تعرقل مساعي الحكومة في انشاء مصفى للنفط ، لان ذلك يحرمها من ارباحها الطائلة من بيع النفط في العراق . وقد شرعت الحكومة قانونا يخول وزارة الاقتصاد اقامة مصفى للنفط في بغداد . ووافق مجلس النواب على لائحة هذا القانون في جلسته المنعقدة في ٢٩ كانون الثاني ١٩٥١ . وقد صرح وزير الاقتصاد في مجلس النواب اثناء مناقشة هذه اللائحة : " ١٠٠٠٠ ان هذا المشروع سيدر على الخزينة مبلغا يتراوح بين مليون ونصف ومليون دينار سنويا ، وهو يقرب من ثلاثين بالمائة من راسمال المشروع ولا اعتقد ان هناك مشروعا اقتصاديا يضاهي هذا المشروع بالربح " . (٣٦) وقد اقترضت الحكومة العراقية من المصرف الوطني مبلغ مليوني دينار كدفعة اولى للقيام بانشاء هذا المشروع . (٣٧) وبمؤل كما صرح بذلك مدير الاقتصاد العام الدكتور نديم الباججي ، ان يكمل انشاء هذا المصفى في مدة ثلاث سنوات ، اذا سمحت بذلك الظروف العالمية !!!

(٣٥) انظر حديد مر ١١ . وقد صرح وزير الاقتصاد في البرلمان العراقي ، ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٠ ، قائلا : " واجب ان اذكر للمجلس العالي ان الشركة تستطيع فرض اسعار تتراوح بين ١٦٠ و ١٧٠ فلسا للغالون الواحد من البنزين . وهذه الارقام ستتضخم باستهلاك العراقيين للمنتجات النفطية . فاستهلاك العراق لمنتجات النفط يتجاوز ستائة الف طن في السنة ويمكن ان يزيد هذا الرقم خلال السنتين القادمتين الى مليون طن وبهذا ستدفع المملكة للشركة ما يتفاداه من رسوم على النفط " . راجع جريدة الاستقلال عدد ١١٨٢

(٣٦) المصدر السابق .

(٣٧) يقول وزير الاقتصاد في تصريحه في البرلمان العراقي المشار اليه سابقا : " وقد حاولت مرارا ان اخرج هذا المشروع الى حيز الوجود . وقد اتصلت في لندن ببعض الجهات واخذت معي جميع المواصفات فباءت جهودى بالفشل حتى ان اصحاب رؤوس الاموال الهندية والباكستانية لم يتمكن من الحصول على عود صريحة منهم على القيام بهذا المشروع كما ان البنك الدولي وعد ولم ينجز شيئا ولذلك لجأنا الى المصرف الوطني الذي امد الحكومة بمليون دينار في السنة الاولى " .

لماذا رضيت الحكومة العراقية منح امتياز النفط لهذه الشركات الأربع بهذه الشروط المجحفة بحق البلاد ؟ لماذا قبلت الحكومة العراقية ان تمنح العراق باجمعه لهذه الشركات التي تحتكر اراضيها احتكارا ، وتبقي ثروته مضمورة تحت التراب ولا تستخرج منها الا الثفر اليسير مع حاجة البلاد الى المال الذي تعتمد عليه نهضتها العلمية ، وتقدمها الاقتصادي والاجتماعي ؟ لاجل ان نجيب على هذه الاسئلة اجابة موضوعية قائمة على الدليل الرصين بحسن بنا ان نلقي نظرة على تكوين كل شركة من هذه الشركات الأربع التي تحتكر نفط العراق .

ان شركة نفط خانقين هي فرع من شركة النفط الانكليزية الايرانية ، واما الشركات الثلاث الاخرى فهي ملك لمصالح اربعة هي ، كما تقدم معنا ، شركة النفط الانكليزية الايرانية ، وشركة رومال دتش شل ، وشركة النفط الفرنسية ، وشركتان امريكيتان . فما هو تكوين شركة النفط الانكليزية الايرانية التي لها اكر نصيب في نفط العراق ؟

في عام ١٩٠١ نال وليام نوكس دارسي امتياز باستثمار النفط في جميع بلاد فارس ما عدا المقاطعات الشمالية الخمس المتاخمة لبحر قزوين وهي اذربيجان ، وجيلان ، ومازندران واستراباد وخراسان . ولكن موارد لم تمكنه من مواصلة العمل فاستعان بشركة بورما للزيت ، وجعل لها حصة في المشروع . وفي ١٤ نيسان ١٩٠٦ تالفت شركة الزيت الانكليزية الفارسية (٣٨) براسمال قدره مليونان من الجنيهات . وفي هذه الفترة من التاريخ كانت البحرية الانكليزية تفكر بتسيير بواخرها بالزيت عوضا عن الفحم الحجري . وفي سنة ١٩١٢ قررت الاميرالية البريطانية التحول الى البترول واتخاذ وقودا لاساطيلها . ولكن موارد بريطانيا من النفط يرد اليها من امريكا ، ولم ترض البحرية البريطانية ان تعتمد في وقودها على انتاج خارج نطاق سيطرتها . وهنا قدم اقتراح باشتراك الحكومة البريطانية في هذه الشركة اشتراكا يمكنها من السيطرة عليها . فتضمن بريطانيا بذلك موردا ثابتا من النفط لبحريتها . وقد اقر البرلمان الانكليزي هذا الاقتراح عام ١٩١٤ ، واصبح للحكومة البريطانية اكثر من نصف اسهم الشركة ، وتمت لها السيطرة الفعلية عليها . (٣٩) وتتوزع حصص راسمال هذه الشركة في الوقت الحاضر بالنسبة الاتية :

(٣٨) تغير اسهمها فاصبح شركة النفط الانكليزية الايرانية

(٣٩) انظر ديفينبورت ص ٢ - ٢٣ ، وبراوي ص ٢٣ - ٢٦ .

الحكومة البريطانية ٥٦ / ٠ / ٠

شركة بورما للنزيت (٤٠) ٢٢ / ٠ / ٠

اسهم شخصية ٢٢ / ٠ / ٠ (٤١)

وما هو تكوين شركة رويال دتش شل التي تملك ٢٣٠٢٥ / ٠ / ٠ من اسهم جميع
نفت العراق ، عدا منطقة نفط خانقين ؟ تأسست شركة الزيت الهولندية الملكية في
عام ١٨٩٠ لاستثمار البترول في جزر الهند الهولندية حيث منحتم حكومتها هولندا
الكثير من الامتيازات . وفي عام ١٩٠٢ اندمجت هذه الشركة بشركة شل للتجارة والنقل
التي تسيطر على نقل البترول في المحيط الهندي بمصار اسهما الجديد " رويال دتش
وشل " . وكان يرأس هذه الشركة مدير كفا هو هنري ديتريك ، الذي تولى ادارتها
عام ١٩٠٠ وكان ديتريك ميالا لانكلترا . وقد ثبت ميله هذا من المساعي التي بذلها
في سبيل تكوين شركة النفط التركية . وقد منحت الحكومة البريطانية الجنسية عام ١٩١٥
ولما رأى ان الشركة التي يرأسها لا تلقى الحماية الكافية من الحكومة الهولندية نقل
مركزه الرئيس الى لندن . ومنذ ذلك الحين اخذت هذه الشركة تقع تحت سيطرة
الحكومة البريطانية شيئا فشيئا . وقد تحققت هذه السيطرة بواسطة لجنة سياسة
البترول الامبراطورية* التي اسستها الحكومة البريطانية في نهاية عام ١٩١٨ ،
وبواسطة الجهود التي بذلها في هذا السبيل هنري ديتريك نفسه . وقد استولت
الحكومة البريطانية على عدد كبير من اسهمها فيما بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ . وهذه
الشركة تعد اليوم مؤسسة بريطانية نظرا لغلبة المصالح ورووس الاموال البريطانية فيها . (٤١)
نستخلص مما تقدم ان الحكومة البريطانية ، والمصالح البريطانية الخطصة ،
تملك حصة كبيرة في نفط العراق . وهذه الحقيقة تفسر لنا سبب هذا الظلم الذي
يعانيه العراق في اهم موارد ثروته . لقد منح امتياز شركة نفط العراق ، وهي اهم
شركات النفط في العراق ، في عهد الانتداب ، ايام ان كانت كلمة المندوب السامي البريطاني
هي العليا في البلاد . وقد استغلت الحكومة البريطانية قضية الموصل ، التي كانت
تركيا لم تتنازل عن حقها فيها بعد ، للضغط على العراقيين في قبول امتياز هذه
الشركة . ولم يسمح الانكليز باعلان الدستور العراقي رسميا الا بعد ان انهبوا عقد
الامتياز لثلاثي مضطروا الى عرضه على البرلمان العراقي ، كما تنص على ذلك المادة الرابعة
والتصعون من الدستور ، فيتعرضوا لخطر رفضه من قبل النواب . وقد عدل هذا
الامتياز المهم في عهد الانتداب كذلك . لا عجب ، بعد ان علمنا هذا ان تكون
شركات النفط حكومات تحكم بامرها داخل حدود المملكة العراقية ، تخدمها الادارة

المحلية ، وتخضع لمشيئتها الحكومة المركزية ، وتتحكم في مبالغها العراقيين كما تشاء ،
وتغير وتبدل في اسعار النفط الذي تبيعه داخل البلاد دون ان تلقى من الحكومة
اعتراضا . (٤٢) ان بقا امتيازات النفط هذه التي بينت اجحافها بحق البلاد
على حالها دون الغاء او تعديل ، وان مخالفة هذه الشركات لشروط تعهداتها فيما
يختص بكمية النفط المستخرج ، وفي دفع العوائد المستحقة عليها بسعر الذهب في
السوق الحرة ، وفي تدريب العراقيين على هذه الصناعة المهمة ، رغم الحاج العراقيين
ومطالبهم المستمرة ، وشكواهم المتعالية ، ليدل على امر واحد هو ان الانكليز ما
زالوا هم المسيطرين على مقدرات البلاد الحقيقية ، وان وضع الحكم العراقيين ،
بالنسبة للسلطات البريطانية ، لا يختلف عن وضعهم في فترة الانتداب لا في الظاهر .

(٤٠) تمتلك الحكومة البريطانية اسهما في رأسمال هذه الشركة .

(٤١) راجع " النفط العربي " ، الملحق الثاني ، الجدول الخامس ، ص ١٨١ .

(٤٢) انظر ديفينبورت ص ٤٠ - ٤٣ ، وبراوي ص ١٩ - ٢٠ ، ص ٥١ .

(٤٣) انتهت الحرب في سنة ١٩٤٥ وكان سعر البنزين في العراق ٧٠ فلسا للغالون
الواحد ، تذهب ٢٤ فلسا منها للحكومة كرسوم ، وتذهب ٢٦ فلسا الباقية الى
الشركة . وخلال الخمس السنوات الماضية رفعت الحكومة والشركة معا سعر البنزين
فزادت الحكومة ، بدفعات ، رسم المكر عليه حتى بلغت ٤٩ فلسا ، وزادت الشركة
قيمة البنزين ، بدفعات ايضا ، حتى بلغت ٤٩ فلسا واصبح مجموع سعر البنزين بسبب
ذلك ١٠٤ فلوس لكل غالون . ولم تمس غير ايام قليلة على اعلان الاتفاق بين الحكومة
العراقية وشركة نفط العراق بشأن زيادة حصة الحكومة من عوائد النفط من ٤ سلنات
الى ٦ سلنات ، حتى اضافت الشركة اربعة فلوس على سعر كل غالون بنزين ، وزادت
سعر النفط الابيض ثلاثة فلوس لكل غالون ، وسعر نفط الغاز ثلاثة فلوس لكل غالون ايضا .
وهذه الزيادة لا مبرر لها فليس هنالك ارتفاع في اجور العمال ، ولا في اجور النقل
ولا في النفقات الاخرى مما قد تحتم به الشركة . وكل ما في الامر ان الشركة تستغل
مركزها الاحتكاري الذي منحها اياه مقد امتيازها . ان هذه الزيادة ، التي سبق
مبورها على اصحاب اللوريات وسيارات النقل وسيارات الاجرة وجمهور المستهلكين ، ستجلب
للشركة ، علاوة على ارباحها الضخمة السابقة ، واردات اضافية تقدر بمائتي الف دينار
في السنة .

عندما قررت الحكومة الإيرانية تأميم النفط في بلادها ترك هذا القرار
دوا هائلا في اوساط العراقيين ، المهتمة بشؤون البلاد ، العارفة بأهمية النفط في
حل مشاكل البلاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وقد استبانت للعراقيين امكانية
استغلالهم باستغلال اهم ثروة في بلادهم . وخير ما يعبر عن هذا الاتجاه الجديد
في العراق الطلب الذي تقدم به مشرور نايبا ، بينهم نواب حزب الاستقلال وبعض
المستقلين ، الى رئيس المجلس بشأن تأميم صناعة الزيت . وسأجل فيما يلي نص هذا
الطلب لاهيته التاريخية ، ولانه يؤلف بحد ذاته خلاصة جيدة لهذا الفصل (٤٤)
"ما زالت الشكوى ترتفع في العراق من سوء الاوضاع الاقتصادية وما زالت الحكومات
المتعاقبة على اختلاف ألوانها مكتوفة الايدي لا تستطيع القيام بالاصلاحات التي
تتطلبها البلاد بسبب قلة المال اللازم للمشاريع العمرانية والانتاجية مما اضطر العراق
في كثير من الاوقات ، الى استجداء المصارف الاجنبية ، دولية وغير دولية ، للحصول
على القروض . ومبعت ذلك ان اهم ثروة وطنية في البلاد اصبحت محتكرة من قبل
الشركات المستغلة فالنفط الذي كان يعلق عليه العراق كبر اهمية للاصلاح لا يستفيد
العراق منه فائدة تذكر بالنظر للخبين الفاحش الذي لحق العراق من جراء هذه الامتيازات
التي انتزعتها الشركات ، مستتدة في ذلك الى النفوذ البريطاني ودعمه لها ، بل ان
اهم امتياز وهو امتياز شركة النفط العراقية ، انما انتزع من العراق في وقت كان فيه
تحت الانتداب البريطاني وجرى تعديله كذلك في هذا العهد نفسه .
هذا مع اننا نجد بعض البلاد المجاورة التي وجد النفط فيها منذ امد قصير
قد استطاعت ان تنفيد منه فائدة بالغة بالقياس الى العراق وقد تضمنت امتيازاتها
شروطا لا تتناسب باى وجه من الوجوه مع الشروط التي تضمنتها الامتيازات النفطية
في العراق . حتى ان بعض البلاد المجاورة لجأت الى التأميم بالرغم من ان شروطها
لا تتناسب مع شروط العراق وذلك لانها وجدت ان هذا الطريق هو خير الطريق

فكان الشركة زادت من حصة العراق في موائد النفط ولكنها تريد ان تدفع هذه
الزيادة ، او جزء منها على اقل تقدير من جيوب المستهلكين العراقيين . راجع محمد
حديد " شركة النفط تدفع بيده وتسترد بيد اخرى " جريدة صدى الاهالي ٤٤ ايلول

١٩٥٠ ، عدد ٢٨٢

(٤٤) نقلا عن جريدة الحياة ميروت ، ٢٥ آذار ١٩٥١ ، عدد ١٤٩٦ .

واسلمها لصيانة ثروتها القومية من تعسف الشركات المستغلة ولان التأميم حق طبيعي
للالام كفلته القوانين الدولية باعتباره مظهرا من مظاهر السيادة .
وبالرغم مما اصاب العراق من غبن فاحش في امتيازاته النفطية المجكفة فان شركات
النفط في العراق قد اظهرت تعنتا كبيرا واصراراً على هدر حقوق العراق مما ادى
الى امعانها في مخالفة نصوص الامتيازات مخالفة صريحة ومن ذلك :
اولا - انها امتنعت عن استخراج كميات من النفط تتناسب مع فزارة هذه الابار
والمؤسسات الموجودة والتي في مقدورها زيادة طاقة الانتاج اضعا فاضافة .
ثانيا - انها اوقفت استخراج النفط بصورة نهائية لشركة نفط البصرة لان امتيازها
اقل استغلالا من امتيازات شركة النفط العراقية .
ثالثا : - امتنعت عن تسليم الحصة المستحقة "لرهبالتي" على اساس الذهب
خلالها لنصوص الامتياز .
رابعا - احجبت عن تدريب العراقيين في الخارج على الاعمال الفنية مما التزمت
به في نصوص الامتياز . وقد مضى اكثر من ربع قرن دون ان تهيم "خيريرا عراقيا واحدا
حتى الان .
لذلك نرى من الواجب ان نتقدم بطلبنا هذا الى الحكومة العراقية ونقا للمادة
٤٥ من القانون الاساسي راجين (٤٥) سن لائحة قانونية لتأميم شركات النفط في
العراق جميعها دون استثناء .

(٤٥) تنص المادة ٤٥ المشار اليها في هذه الوثيقة على ان " لكل عضو من اعضاء
مجلس النواب ان يقترح وضع لائحة قانونية عدا ما يتعلق بالامور المالية التي سيأتي
بيانها على شرط ان يؤيده فيه عشرة من زملائه واذا قبل المجلس هذا الاقتراح
يودعه مجلس الوزراء" لمن اللائحة القانونية وكل اقتراح يرفضه المجلس لا يجوز تقديمه
ثانية في الاجتماع نفسه ."

الفصل الخامس

التجارة

(١) التجارة الداخلية

لا يريد ان احلل في هذا الفصل الاسرار التي تقوم عليها التجارة الداخلية ، والفوانين التي تنظمها . وانما يريد ان القي نظرة سريعة على التجارة الداخلية والخارجية بقدر ما لها من مساهمة بالحياة الاقتصادية بصورة عامة .

التجارة الداخلية محدودة ، وخمسة الدقائق . لان سائر الوقت يحكم بقوم ، بمدون محاسن حاجاتهم بما ينتجون به بانفسهم . والحقيقة ان التجارة الداخلية لا تتعدى نقل المحاصيل الزراعية من منطقة الى اخرى ، وتوزيع البضائع الأجنبية ، ولما في المدن العراقية ، من مراكزها في بغداد ، والبصرة ، الى المدن العراقية الاخرى .

وبالتكامل مع ما اشرنا اليه بالاشارة الى ما تقدم يبين نوع التجارة الداخلية وهو حياض الربح العراقي من وسائل المعاملات المتنامية الحديثة . يوجد في العراق ثلاث وسائل للنقل : النقل النهري ، والسيارات ، والسكك الحديدية . وقد تقدم معنا ان نهر دجلة يصلح لسير السفن الصغيرة ، التي لا يتجاوز مدى غوصها اربعة اقدام من منسوبه الى مدينة بغداد ، ذهابا وايابا ، وازاء هذا لا يصلح لسير السفن والكثير لا يستعمل الا نادرا ، وان نهر الفرات يصلح لسير السفن في بعض اقسامه . وتدير حركة النقل في دجلة بواسطة السفن البخارية ، شركتان انكليزيتان وبواحد افراد عراقيين يتراق عدد موسمياتهم الى اربعة في وقت واحد بين واحدة وثلاثة (١) كما تشير في هذا النور وفي اقسام من نهر الفرات السفن الشراعية الصغيرة ، والزوارق . اما السكة الحديد فقد كان مجموع طول خط اولها في كانون الاول من عام ١٩٤٨ ، ١٨٧ ميلا (٢) . والى جانب النقل النهري والسكة الحديد ، توجد طريق عامة للسيارات . وقد بلغ طول الطرق ، التي تشرف على صيانة مديرية الاشغال العامة في نهاية عام ١٩٤٨ ، كما يلي

(١) انار جليل ، ص ٥٦٦

(٢) ف . ه . . كاميل " الاحوال الاقتصادية والتجارية في العراق " تعريب لواء

الامتثال ، عدد ١٢٥

التجارة

(١) التجارة الداخلية

لا يريد ان احلل في هذا الفصل الاسرار التي تقوم عليها التجارة العراقية ، والقوانين التي تنظمها . وانما اريد ان القي نظرة سريعة على التجارة الداخلية والخارجية بقدر ما امكن من مسائل الحياة الاقتصادية بصورة عامة .

التجارة الداخلية محدودة ، حقيقة النطاق . لان سكان الريف يحكم قروم ، يمدون معظم حاجاتهم بما ينتجونهم بانفسهم . والحقيقة ان التجارة الداخلية لا تتعدى نقل المعاصيل الزراعية من منطقة الى اخرى ، وتوزيع البضائع الأجنبية ، وقليل من المصنوعات المحلية ، من مراكزها في بغداد والبصرة والى المدن العراقية الاخرى .

وهناك عامل مهم اخر ، يضاف الى ما تقدم ويحدد نمو التجارة الداخلية وهو حرمان الريف العراقي من وسائل المواصلات المنتظمة الحديثة . يوجد في العراق ثلاث وسائل للنقل : النقل النهري ، والسيارات ، والمسك الحديدية . وقد تقدم معنا ان نهر دجلة يصلح لسير السفن الصغيرة ، التي لا يتجاوز مدى غوصها اربعة اقدام ، ومن مصبه الى مدينة بغداد ذهابا وايابا ، وان اعلا هذا النهر يصلح لسير السفن ولكن لا يستعمل الا نادرا ، وان نهر الفرات يصلح لسير السفن في بعض اقسامه . وتدير حركة النقل في دجلة بواسطة السفن البخارية مشركان انكليزيان وبواحد افراد عراقيين يتراوح عدد موسماتهم العاملة في وقت واحد بين واحدة وثلاثة (١) كما تسير في هذا النهر وفي اسام من نهر الفرات السفن الشراعية الصغيرة ، والزوارق . اما المسكة الحديدية فقد كان مجموع طول خطوطها في كانون الاول من عام ١٩٤٨ ، ١٨٧ ميلا (٢) . والى جانب النقل النهري والمسكة الحديدية ، توجد طرق عامة للسيارات . وقد بلغ طول الطرق ، التي تشرف على صيانتها مديرية الاشغال العامة في نهاية عام ١٩٤٨ ، كما يلي

(١) انظر جليل ص ٥٦٦

(٢) ن . هـ . كاميل " الاحوال الاقتصادية والتجارية في العراق " تعريب لواء

الطول بالكيلومترات

نوع الطريق

٢٢٧٠

الطرق المبلطة بالقيصر الصلب

٤٥٠

الطرق المبلطة بالقيصر العادي

٤٦٤٥

الطرق الترابية

وتوجد بالإضافة الى هذه الطرق ٣٥٠٠ كيلومتر من الطرق العامة التي لم يجر

عليها اي تحسين وتديرها وتشرف عليها السلطات المحلية في الاقاليم (٣) .

والحق ان ~~تطرق~~ المواصلات هذه ، التي لا يمكن ان يكون موجود منها قبل العهد الوطني

الا القليل وقد افادت التجارة الداخلية ومهملت على تنشيطها الى حد ما . ولكن

بقية اجزاء كثيرة من البلاد ، وعلى الاخص بالمدن الكبرى وصعوبة تامة على اقل تقدير .

ان كثيرا من القرى العراقية بعيدة عن مجارى الانهار ، وعن خطوط السكة الحديد ،

وطرق السيارات العامة ، ولهذا بقيت في عزلة تامة عن المدن . وقد اثرت صعوبة

المواصلات بين الريف والمدينة في اقتصاديات الريف الى حد كبير . ففي المنطقة

الشمالية توجد انواع عديدة من الفواكه ، التي تنمو بكثرة ، ولكن صعوبة المواصلات

تحول دون استفادة الزراع الاكبر منها فائدة تستحق الذكر . وفي المناطق الجنوبية ،

وخاصة على ضفاف الانهار والاهوار تكثر الاسماك ، ولكن استفادة السكان منها محدودة

لعدم تيسر نقلها بالسرعة اللازمة الى الاقسام الوسطى والجنوبية حيث يقل السعر

وترتفع اسعاره ويستند الطلب عليه . ولو كانت وسائل النقل ميسرة ، رخيصة ، بين المدينة

والريف ، لتشجع الفلاحون على زراعة الخضر ، والفواكه ، وتربية الدواجن ، لما ينالون من

ربح من بيعها في اسواق المدن ، فيزيد بذلك دخلهم ، وتنوع مصادره ، ويرتفع مستوى

معيشتهم ، ويؤدي هذا الى اقبال الفلاحين على شراء المصنوعات الوطنية ، والسلع التجارية

الاخرى ، فيتنشط بذلك التجارة الداخلية ، ويرتفع دخل سكان المدن .

(٢) التجارة الخارجية

انشاء

لما كان العراق قاطرا زراعيا ، ولما كانت الصناعة الآلية حديثة فيه لا تسد منتجاتها الا

جزءا صغيرا من حاجات السكان ، كانت اكثر صادراته ، باستثناء النفط الذي تحتكره

شركات اجنبية ، من المنتجات الزراعية والحيوانية واهمها : التمور ، والحبوب ، والصوف ،

والحيوانات ، الحية ، والجلود . واهم البضائع المستوردة هي من البضائع المصنوعة كالحديد
والقولاذ ، والاقمشة ، والمكائن ، والسيارات ، وبعض المواد الغذائية ، وخاصة السكر والشاي
والقهوة ، والعقاقير الطبية على اختلاف انواعها . كما يتضح من الجدولين التاليين :
كمية المصادرات الحراتية الرئيسية خلال كل من سنوات ١٩٢٣ - ١٩٢٩ التقويمية
بالآلاف الوحدات (٤) .

الوحدة	١٩٢٢	١٩٢٤	١٩٢٥	١٩٢٦	١٩٢٧	١٩٢٨	١٩٢٩
حبوب	١٧٣،٢	٣٠٤،٠	١٥٠،٣	٣٣٨،٠	٤٣٩،٠	٢٥٨،٧	٢٨٦،٦
تدوير	١١٤،٣	١٧٣،٨	١٧٢،٤	١٥٩،٤	١٩١،٠	١٨٥،٥	١٤٨،٣
صوف	٣،٧	٤،٧	٥،٦	٧،٨	٤،٦	٩،٠	٥،٦
حيوانات حية = راس	١٣٨،١	٨٩٤،٢	٩٢٧،٩	٢٥٥،٨	٤٣٨،٧	٢١٦،١	٣٢٠،٣
جلود = دكر	٢،٣	١،٥	١،٨	٢،١	٢،٧	١،٧	٢،٢
قطن	٠،٢	٠،٥	٦	٠،٩	٢،٨	٣،٧	٢،٥
مصارين	٠،١	٠،١	٠،١	٠،١	٠،٢	٠،١	٠،١
بذور	١،٨	٢،٩	١،٨	٣،٢	٧،٣	١٢،٩	٧،٠
سمن	٠،٦	٠،٤	٠،٤	٠،٣	٠،٤	٠،١	٠،١
عرق سوس	٩،٢	٤،٧	٣،٧	٥،٢	٦،٦	٤،٧	٢،٦
اسماك	٠،٣	٠،٥	٠،٥	٠،٥	٠،٤	٠،٧	٠،٨
بيض = بيضه	٠٠	١٩،٢٣٣	١٩١٦٧	١١١٥٧	٤٨٤١	٢٤٤٣	١٦٢٢

قيم البضائع المستوردة التي يزيد معدل المستورد من كل منها خلال سنوات ١٩٢٢ - ١٩٢١ التقييمية على ٥٠,٠٠٠ دينار سنوياً ، بالآلاف الدنانير ، مرتبة حسب أهميتها (٥)

١٩٢٩	١٩٢٨	١٩٢٧	١٩٢٦	١٩٢٥	١٩٢٤	١٩٢٣	
١٠٥٠	٨٢٢	١٠٦٩	٨٠٥	٩٥٠	٩١٠	٩٠٢	الاقمشة القطنية
٧٥٥	١٠٥٨	١٢٤٠	٨٢٧	٥١٦	٤٦٦	٨٠٢	الحديد والفولاذ
٥٥٧	٩٩٦	٦١٢	٤٩٠	٤٠٨	٤٣٢	١٨١	المكائن والعدد واجزاؤها
٥٥٤	٥٠٥	٤٤٠	٣٧٤	٣٦٨	٣٨٦	٤٠٢	السكر
٣٧٨	٤٢٠	٥٢٩	٣٥٢	٣١٩	٢٧٥	٢٢٥	اقمشة الحرير الاصطناعي
٣٢٠	٣٩٨	٤٦٩	٢٧١	٢٩١	٢٣٨	٢٥٥	السيارات واقسامها
٣٣٢	٣٤٧	٣٥١	٢٩٥	٢٣٧	٢٦٣	١٥٣	النشأ
٢٩٠	٣٤٩	٣٧٤	٢٨٧	٣٠١	٢٦٠	٩٩	الملبوسات
١٦٣	٣٣٧	٣٢٨	٢١٧	١٧٣	١٢٣	٣٥١	الاخشاب
١٤٢	٢٤٠	٢٨٩	٢١٠	١٩٨	٢١١	١١٧	الاقمشة الصوفية
٢٣٢	٢٤٢	١٩٠	١٩٨	١٤٢	٩٤	٦٨	الالات والسلع الكهربائية
١٥٧	١٨٤	١٧٥	١٥٦	١٠١	٤٧	٧٣	السمن
١٢٤	١١٢	١٩٧	١٤١	١١٢	٧٣	٧٤	المنتجات الكيماوية والصلدية
١١٨	١٥١	١٤٥	١١٦	١١٠	١١١	٨٠	الورق ومصنوعاته
٧٩	٧٦	٧٦	١٠٦	١٩١	١٣١	١٢٦	نقط الديزل
١٠٥	٩١	٨٤	٨٩	١٦٤	١٢١	١٠٥	البنزين
١٢١	١٠٢	٩٠	٦٩	٨٥	٦٦	٦٨	الخضروات والفواكه
٦٧	١٠٢	٩٦	٦٨	٧٠	٧١	٩٢	الصابون
٩٢	١٠٢	٩٨	٨٦	٦٨	٥٥	٥٨	المطاط ومصنوعاته
٩٢	٩١	٨١	٦٨	٧٤	٥٥	٦٥	زيوت التزيت
٧٦	٦٦	٧٤	٨٥	٧٤	١٠	٥٠	صناديق تغليف التمور
٨٤	٧٣	٨٧	٦٧	٤٣	٣٥	٢٩	الجلود المدبوقة
٤٩	٥١	٥١	٤٠	٥٧	٦٠	٥٩	الخمر
٦٠	٥٢	٦٨	٤٦	٥١	٤٦	٤٣٠	الزجاج ومصنوعاته
٥٩٩٧	٦٩٢٨	٧٢١٤	٥٤٦٣	٥١٠٢	٤٦١٩	٤,٢٥٠	المجموع
٢١٦٨	٢٣٨٣	٢٣٥٢	١٧١٤	١٧٠١	١٥٩٨	١٤٩٠	سلع اخرى

واهم الاقطار التي يتاجر معها العراق هي بريطانيا ، والولايات المتحدة موالهند ، وسوريا ، فقد كانت النسبة المئوية لقيمة ما استورد العراق من البلاد المختلفة من سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٣٩ كما يلي (٦) .

	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩
بريطانيا	٣٣.٦	٢٥.١	٢٨.٥	٣١.٧	٢٩.٥	٣٠.١	٢٣.٥
اليابان	٦.٨	١١.٧	٢٠.٥	١٨.٨	١٨.٣	١٤.٨	١٨.٧
الولايات المتحدة	٧.٢	٦.٣	٦.٣	٦.٤	٧.٦	٩.١	٨.٤
الهند	٨.٩	٦.٦	٦.٦	٦.٨	٦.٩	٦.٥	٧.٢
ايران	٧.٣	٨.٥	٩.١	٥.٧	٤.٥	٤.٢	٥.٥
العانيا	٢.٦	٥.٢	٥.٢	٦.٥	٦.٦	٧.٤	٦.٣
بلجيكا	٥.٥	٥.٤	٤.١	٤.٥	٥.٣	٤.١	٥.٥
جاوا	١.٨	٢.٥	١.٨	٢.٦	٣.٧	٤.٣	٥.٥
ايطاليا	٣.٥	٢.١	١.٨	٦.٦	٢.٧	٤.١	٣.٨
هولندا	٢.٨	٢.٥	٢.٥	٢.١	١.٩	١.٩	٢.٥
فرنسا	٤.٣	١.٨	١.٧	١.٥	١.٢	١.٣	٢.٥
سوريا	٢.٤	٢.٣	١.٨	١.٦	١.٧	١.٨	١.٩
مصر	١.٦	٢.٦	٢.١	١.٦	١.٦	١.٥	٢.٢
شيكوسلوفاكيا	١.٧	٠.٩	١.٢	١.٩	١.٧	١.٥	١.٤
السويد	٠.٩	١.٣	١.٣	٠.٩	٠.٧	١.١	١.٣
البلاد الاخرى	١١.١	١٦.٢	٦.٥	٧.٣	٦.٦	٦.٣	٥.٨

(٦) المصدر السابق ص ٣٥٠

اما اهم الدول المستوردة من العراق فهي بريطانيا والولايات المتحدة والهند وسوريا وبلاد العرب
وايران وفرنسا كما يتضح من الجدول (٧) الذي يبين النسب المئوية لقيمة الصادرات الى البلاد المختلفة
خلال سنتي ١٩٣٣ - ١٩٣٩ .

	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩
بريطانيا	٣١.٣	٢٧.١	١٨.٥	٣٠.٥	٢٧.٨	٢٤.٢	٢٤.٦
الولايات المتحدة	١٢.٦	٧.٨	١٨.٦	٢٠.٠	٢٠.٦	١٥.١	١٩.٦
الهند	١٠.٢	٧.٣	١١.٥	٩.٠	٦.٤	٢.١	١١.٢
فلسطين	٥.٢	٥.٥	٦.٠	٦.٥	٦.٧	٥.١	٨.٢
سوريا	٩.١	٩.٨	٧.٨	٤.١	٣.٩	٦.٨	٣.٧
بلاد العرب	٦.٥	٤.٢	٦.٣	٤.٥	٢.٩	٦.٥	٥.٨
ايران	٧.٢	٦.١	٨.٣	٣.٧	١.٦	٣.٥	٥.٢
اليابان	٠.١	٠.١	٠.١	٣.٦	٨.٦	٩.٦	٤.٥
فرنسا	٢.٤	١٥.٠	٣.٠	٣.٠	٤.٠	٣.٥	٣.٦
المانيا	٣.٥	٣.٧	١.٩	٢.٧	٣.٤	٤.٥	٣.٣
بلجيكا	١.٨	٣.٣	٢.٠	٤.٣	٦.٠	٣.٣	١.١
مصر	١.٢	٢.٦	٣.٩	١.٤	١.٦	١.٦	١.٤
استراليا	١.٠	٠.٨	١.٤	١.٠	٠.٩	١.٢	١.٤
الدول الاخرى	٧.٩	٦.٧	٧.٧	٥.٨	٥.٦	٧.٠	٦.٤

(٧) المصدر السابق ص ٣٥٢

يتضح لنا من الأرقام المتقدمة ان بريطانيا كانت تتمتع بحصة كبيرة من تجارة العراق ولكن هذه الحصة انخفضت زمن الحرب عندما قيدت التجارة كن ناحية الكميات المستورة ومصادر الاستيراد بولكنها عادت فارتفعت بعد انتهاء الحرب وزوال كثير من قيود الاستيراد كما يتضح من الجدول التالي (٨) .

السنة	قيمة الاموال المستورة من بريطانيا (بالوف الدنانير)	النسبة المئوية من مجموع تجارة الاستيراد
١٩٣٩	١,٦١٧	٢٣,٥
١٩٤٠	١,٧٠٢	٢١,٤
١٩٤١	١,٢٣٨	٢٠,٠
١٩٤٢	١,٤٥٧	١٦,٠
١٩٤٣	١,٧٠٨	١٠,٦
١٩٤٤	١,٥٦٦	١١,٦
١٩٤٥	٣,٦٥٠	١٧,٥
١٩٤٦	١٢,٣٧٦	٤٤,١
١٩٤٧	١٧,٥٥٦	٤٣,٨
١٩٤٨	١٥,٧٦٠	٤٣,٥

كان العراق منذ الاحتلال البريطاني يواجه دائما رصيدا تجاريا سلبيا . وكان

الميزان التجاري يسوى جزئيا بمعايد النفط وارباح لجنة العملة في لندن والصادرات

غير المنظورة وارباح تجارة الترانزيت . ولكن الميزان التجاري اختل اختلا لا كبيرا

لغير صالح العراق منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فقد ارتفعت الأسعار اثناء الحرب ،

وتضخمت العملة وتجمع في البلاد رصيد كبير من العملة نتيجة لعشريات الجنود البريطانيين .

وكانت معظم واردات العراق خلال فترة الحرب خاضعة لنظام الكوتا الذي كانت

المستوردات محدودة بحكم الضرورة .

ولكن عندما خففت قيود السيطرة التجارية في بداية سنة ١٩٤٦، وقبل التجار والأغنياء على الاستيراد اقبالاً عظيماً، وكانت معظم المستوردات من البضائع الكمالية التي حرموا منها زمن الحرب يغادى ذلك إلى تكدس الثروة التي تجمعت خلال الحرب، وإلى تقلص العملة وما لم يتبع ذلك من اختلال في الحياة الاقتصادية. وفي عام ١٩٤٨ أعيد تطبيق نظام الإجازات على الاستيراد بالنسبة لكافة أنواع الحاجات محافظة على تجارة البلاد، ولكن جاء هذا التدبير متأخراً فقد تهددت معظم ثروة البلاد خلال السنوات التي أعقبت انتهاء الحرب. وهذا التفاوت أو عدم التوازن بين المصدر من البلاد والمورد منها مضر في اقتصادياتها. ففي السنوات العشر من ١٩٢٦ - ١٩٢٧ إلى ٢٥ - ٢٦ مثلاً كان يسدد نحو ١٠٪ من هذا العجز من زيادة الذهب المصدر على الذهب المستورد،^(٩) والجدول التالي يرينا مقدار صادرات العراق ووارداته ونسبة العجز في الميزان التجاري بين سنتي ١٩٣٩ و ١٩٤٨ والأرقام تمثل الوف الدنانير. وهذه الأرقام لا تشمل حركة السبائك الذهبية من ناحية الاستيراد والتصدير، ولا أقيم واردات النفط والمون المستورد لحساب الجيش (١٠).

السنة	المستوردات	الصادرات	الاموال المعاد تصديرها	العجز في الميزان التجاري
١٩٣٩	٨,١٥٦	٢,٥٢٥	٢٣٥	٥,٢١٦
١٩٤٠	٧,٩٥٤	٣,٩٠٣	١٩٦	٣,٨٥٥
١٩٤١	٦,٧٠٣	٤,٩٠٦	٢٧٦	٢,٥٢١
١٩٤٢	١٢,١٢٢	٤,٤٨٠	٢٢٤	٧,٤١٨
١٩٤٣	١٥,٦٣٢	٩,١٤٧	٣٣٣	٦,١٥٢
١٩٤٤	١٤,٢١٨	٩,١٧١	٣١٨	٤,٧٢٩
١٩٤٥	١٨,٨٣٤	٩,٨١٨	٢٣١	٨,٧٨٥
١٩٤٦	٢٨,٠٤٠	١٢,٧٢٢	٤٣٢	١٤,٨٨٥
١٩٤٧	٤٠,٠١٢	١٣,٨٠١	—	٢٦,٢١١
١٩٤٨	٤٥,٥٢٣	٧,٥٨٤	—	٣٧,٩٣٩

(٩) حمادة ص ٤٢٩

(١٠) كامبل، لواء الاستقلال، عدد ١٠٢

قلت ان اهم صادرات العراق هي الحبوب والتمور . فقد كانت قيمة ما صدر من هذين الحاصلين بين سنتي ١٩٢٢ و ١٩٢٩ نحو ٢٥ مليون دينار بمثل نحو ٥٦ ٪ من مجموع قيم الصادرات خلال تلك السنوات (١١) وكانت تجارة التمور حتى عام ١٩٢٩ غير منظمة ، لكثرة عدد المنتجين وانخفاض كفاءتهم التجارية والعالية موثرة عدد صغار الوسطاء ، وسيطرة شركات التصدير ، التي كانت ان تحتكر هذه التجارة المهمة بما تملك من مال مؤثرة في الاسواق العالمية ، وتأثير على حركة النقل . وكانت هذه الشركات ومعظمها بريطانية ، تتحكم بالاسعار والاسواق وتضع العراقيل امام تصدير التمور من قبل المنتجين العراقيين انفسهم ، لتخلو لها الاسواق الخارجية وهذا مما اضر مصالح منتجي التمور ، وعلى الاخص صغار المنتجين . وقد دفعت هذه العوامل الحكومة الى تنظيم هذه التجارة . فأسست سنة ١٩٣٥ " لجنة التمور " ثم الفت هذه اللجنة ايضا واسست بدلا منها سنة ١٩٣٩ " جمعية التمور " . وهذه الجمعية شخصية حكومية مستقلة وتتألف من مدير عام ومعاون مدير ، يعينها وزير الاقتصاد ومن تسعة اعضاء يختار الوزير المذكور ستة منهم بنا على ترشيح منتجي التمور البصرة موسعين العضو الباقى ممثلا عن الحكومة . وتقوم الجمعية بالاشراف على تجارة تصدير التمور . فهي التي تعين كمية وصنف التمور المصدرة ، والحد الادنى لاسعار مختلف اصناف التمور التي يبيعها المنتجون لتجار التصدير . وللجمعية ان تقوم بتصدير التمور بنفسها او بالتعاون مع تجار التصدير ، والجمعية كما ان لها ان تتعاقد مع تجار التصدير لتصدير ما تشاء من كميات التمور . وقد رأت الجمعية ان خير حل مؤقت لتجارة التمور هو حصر تصديرها بشركة معينة بموجب عقد تحدد فيه الاسعار والاصناف والكميات التي يراد تصديرها . وكانت شركة " اندرو واير " وهي كبرى الشركات البريطانية المصدرة للتمور والحبوب في البصرة موضع الشركة التزكية دون غيرها ، فتم التعاقد بينها وبين الجمعية على اساس ان تشتري الشركة من المنتجين خلال اشهر ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ و ١٩٤١ كمية من اصناف محددة من التمور باسعار معينة ، وعلى ان تتعهد جمعية التمور بان لا تمنح خلال هذه المدة من الاتفاق اية رخصة لتصدير الاصناف المذكورة . وبدد هذا العقد عدة مرات ولا زال مرفيا . لقد كان احتكار هذه الشركة لتجار التمور ضربة شديدة على المنتجين

والصغار منهم بخاصة . فالاسعار التي تدفعها الشركة واطئة والكميات التي (١٢) تصدرها ضئيلة ، والاصناف محدودة ، وفضلا عن ذلك فانها تحابي كبار المنتجين لقاء سكوتهم عن تصرفاتها وسند موقفها في دوائر الحكومة ، فتشتري تمورهم بالاسعار المحددة اما صغار المنتجين فيضطرون الى بيع تمورهم باقل من الاسعار المعينة . وللاوة على ذلك فقد اشتد تهريب التمور الى الخارج تخدشا من بيعها للشركة باسعار واطئة مما افقد خزينة الدولة مبالغ طائلة من رسوم التصدير . وقد تعالت اصوات منتجي التمور مطالبة بالغاء احتكار هذه الشركة ولكن هذه الاصوات كانت اضعف من ان تقضي على نفوذ هذه الشركة البريطانية العتيدة .

وليس تجارة الحبوب باحسن حالا من تجارة التمور . وقوام صادرات العراق من الحبوب نحو ٦٠ ٪ من الشعير ونحو ٢٠ ٪ من الحنطة ، ونحو ٢٠ ٪ من كمن الدخن والمهرطمان والرز (١٣) ولا يصدر العراق من هذه الحبوب الا ما يفيض عن حاجة السكان . والكمية المصدرة ضئيلة بالنسبة لما في استطاعة البلاد انتاجه . ويعود ^{الى} السبب في ~~التأخر الزراعي~~ ^{التأخر في} الذي شرحت اسبابه في فصل سابق . وهناك عوامل عديدة تعرقل نمو تجارة الصادرات من الحبوب اهمها رداءة نوع الحبوب العراقية وهذا ما جعل الطلب عليها ضعيفا حتى ليكاد استهلاكها في الاسواق العالمية ان لا يتجاوز اغراس تغذية الحيوانات . ولذلك عدة اسباب اهمها جهل الفلاح العراقي بالاصول الفنية الزراعية واستهلاكه معظم البذور المحسنة التي يحصل عليها لغاية الزراعة لويخلطه بين الاصناف الجيدة والردئية ، واتباعه الطرق العتيقة في تصفيته الحبوب مما يؤدي الى جنود كميات من التراب فيها . وقد قدر احد الخبراء ان نحو من ٢٥ الف طن من التراب تشحن سنويا مع الحبوب العراقية . (١٤) وهذا مما جعل الحبوب العراقية لا تستطيع مقاومة الحبوب الاجنبية ، كالروسية والاسترالية والاميركية بالجودة الاصناف ، النظيفة ، الحسنة التعبئة . وبلاضافة الى ما تقدم فان المنتجين العراقيين لا يحصلون على

(١٢) يقول الدكتور مظفر حنين جميل ص ٥٥٤ : " ان اسعار نوى التمر قد ارتفعت من ٢٢٠ فلس الى ٨٤٤ دينار للطن فخاصبت اعلى من الاسعار المقررة للحلاوي المختار . ومع ذلك فقد تمسكت الشركة بنصوص اتفاقها ، ثم تبرعت بزيادة اسعارها ٤٤ دينار عن كل طن في موسم ١٩٤٢ . ومن ثم لم تحصل الا على ثلث الكميات المتفق عليها بشأن الموسم المذكور . وكانت تتمور البصرة تنباع في الاولوية الاخرى او تهرب الى ايران والكويت . بل ان الحكومة بالذات كانت تببيع حاصلات املاكها والاملاك التي تحت اشرافها بالمزايدة العلنية وتمتنع عن تسليمها الى الشركة . "

على ارباح جيدة من حبوبهم للنواقص الموجودة في الخزن والتعبئة والنقل مما يجعل تكاليفها مرتفعة . يضاف الى ذلك فقد ان المخازن الحديثة يعرقل تسليم الزراع "لقا" رهن حاصلاتهم، ويعوق انتظار فرص البيع المناسبة فيؤدي ذلك الى التناقصات على البيع عند الموسم في الاسواق المحلية ووالى بيع هذه المحاصيل باسعار منخفضة الى المصدرين. وما يزيد في ضالة دخل الزراع وتجار الحبوب العراقيين، فمن الحبوب المصدرة فهو احتكار النقل النهري والبحري حيث يسيطر عدد من الشركات البريطانية والافراد على الملاحة النهرية في دجلة والخليج الفارس ومن اقله ذلك ما حدث عند نشاط الاسواق سنة ١٩٣٧ فقد زادت اجور النقل النهري من ١٠ شلنات الى ١٢ شلنات للطن كما زادت اجور النقل البحري من ٢٠ شلنات الى ٢٥ شلنات للطن . فاصبح مجموع هذه الاجور نحو ٧٠ ٢٠ شلنات فاسعار سوق بغداد للشعير ونحو ٤٥ ٠ / ٠ من تلك الاسعار للحنطة . (١٥)

واهتمت الحكومة بتجارة الحبوب فاسست في عام ١٩٣٩ " لجنة تنظيم تجارة الحبوب " وهي عبارة عن هيئة ذات شخصية حكومية وتتكون من رئيس ومعاون رئيس ومعينها وزير المالية ومن احد عشر عضوا يمثلون تجار الحبوب وزراعيها ووزارة المالية ووزارة الاقتصاد والمصرف الزراعي الصناعي . واعطيت هذه اللجنة صلاحيات لتنظيم امور التنظيم والخزن والشحن والتصدير والتسليم . وقد استطاعت هذه اللجنة ان تكلف عام ١٩٤٦ احدى الشركات ببناء " مخزن نموذجي في بغداد يتسع لخمس الاف طن من الحبوب . ونية الحكومة متجهة الى توسيع هذا المخزن ووالى تشييد مخازن غيره في مراكز اخرى . وقد عقدت هذه اللجنة عدة صفقات لتصدير كميات من الحبوب اهمها الصفقة التي عقدتها مع شركة " اندرو واير " والتي اشترت للشركة بموجبها بين تشرين الاول ١٩٤٦ وتيسلن ١٩٤٧ ٢٠٠ ٠ ٠ ٠ طن من الشعير بسعر ٢١ دينار للطن الواحد . والحقيقة ان شركة اندرو واير هي المحتكرة الحقيقية لالتجارة التمر وان التجار العراقيين ما هم في

لجنة الحبوب . كما في الحقيقة الحقيقية

(١٣) المصدر السابق ص ٥٦٤

(١٤) المصدر السابق ص ٥٦٥

(١٥) المصدر السابق ص ٥٦٦

الحقيقة الا وسطا لها • وان ما يناله التجار العراقيون وبالتالى النزاع العراقيون
من ربح ما هو الا جزئ ضئيل مما تصيبه هذه الشركة البريطانية •

و تكون تجارة الترانسيت (٣) جزءاً مهماً من تجارة العراق الخارجية ومصدر دخل
للحكومة والتجار ووكالات النقل . وتكاد تجارة الترانسيت الى ايران تقدر قبل الحرب
العالمية الاولى بنحو ٥٠ / ٠ من مجموع تجارة العراق الخارجية (١٦) ولكن هذه
التجارة ضحفت بعد الحرب العالمية الاولى لاهتمام ايران بموانئها على شط العرب
والخليج الفارسي ، كالحمرة وبند شاه بور وبند رعيا س بحيث تحولت اليها معظم تجارة
ايران الخارجية . وقد كانت قيمة البضائع التي تناولتها تجارة الترانسيت بين سنتي
١٩٣٥ - ١٩٢٦ و ١٩٣٥ - ١٩٣٦ تتراوح بين اقل حد بلغته وهو ٢٦٤ م / ٢٩٢ م .

دينارا عراقيا ماو ٣٠ بالمئة من مجموع التجارة الخارجية وذلك سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ وبين ادنى حد هبطت اليه هو ١٩٤١م / ١٩٣٣م ١ دينارا عراقيا ماو نحو ١١ بالمئة من مجموع التجارة الخارجية في سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ (١٧) على ان الذي ساعد دون هبوط مستوى تجارة الترانسيت هو نقل شركة الزيت الانكليزية الايرانية لمنتجاتها من النفط المعدة للتصدير الى الخارج عبر العراق . هذا ولم تتأثر تجارة الترانسيت كثيرا بظروف الحرب . ولكن قيمتها ازدادت بصورة طبيعية تبعا لارتفاع اسعار البضائع المارة عبر العراق . وقد بلغت قيمة البضائع التي تتأثر بالتجارة الترانسيت التي تناولتها تجارة الترانسيت في عام ١٩٤٨ ، ١٤٠م / ٨٦٤م ٣ دينارا عراقيا (١٨) ومن العوامل التي تؤثر في تقدم التجارة الخارجية العراقية ارتباط العملة

(١٦) حمادة ص ٤٠٣

(١٧) المصدر السابق ص ٤٠٤

البلاد بصورة عامة بقدر الكثرة الاسترلينية على تجميعها ما يلزم لهذا التطور من رؤوس
أموال ومعدات ومواد أولية يضاف إلى هذا أن تثبيت سعر الصرف مما يحول دون
تخفيض قيمة النقد وبهذا تحرم البلاد من طريقة ناجحة لمكافحة التضخم . (٢٠) وقد
تبين الأثر السيئ للانتماء إلى الكثرة الاسترلينية بصورة خاصة منذ نهاية الحرب
العالمية الثانية . فقد تجمعت خلال الحرب أرصدة استرلينية للعراق ضمن ما
يخص الحكومة العراقية ولجنة العملة والمصارف العامة في العراق في سنة ١٩٤٧
بنحو ٦٠ مليون جنيه استرليني . وقد عقدت في ١٣ / ٧ / ١٩٤٧ اتفاقية لتسوية جزء
من هذه الأرصدة . فقرر بموجب هذا الاتفاق الملاقى مبلغ ٣٤٧ / ١١ / ٢٦
باونا استرلينيا خلال مدة خمس سنوات . ودلت هذه الاتفاقية في ١٧ / ١١ / ١٩٤٧
بموجبها وضعت قيود جديدة من استعمال العراق لرصيد من الاسترليني (٢١).
وقد مدد العمل بهذا الاتفاق بمقتضى تعديلات طفيفة إلى الوقت الحاضر . وخلاصة
هذه الاتفاقيات التي تجدد كل عام، هو أن يشترك العراق في صندوق الدولار في
لندن، أي يجب أن يسلم ما يحصل عليه من الدولار والعملة النادرة الأخرى إلى
صندوق لندن وأن لا يسحب منه إلا ما يتم الاتفاق عليه بين العراق وبين بريطانيا
لتأمين استيراد العراق من مناطق العملات النادرة . وكانت الحكومة العراقية تخرج
من هذه الاتفاقيات بمفاتيح المفتاح دائما لأن ما يدخل للصندوق الدولار من معاملات
تخص العراق يزيد بكثير عما يسحبه منه ، وإذا حسبنا قيمة المصدر من النفط سنويا من
العراق والتي تتقاضى ائتمانه الشركات الانكليزية بالدولار، وحصل الشركات الاممية
من النفقات الكبيرة التي تنفق في العراق من قبل شركة النفط العراقية على مد أنابيب
جديدة والتي تدفع بالدولار أيضا . ولعل هذا هو السبب الرئيسي لعدم موافقة
بريطانيا على اتباع قاعدة (ايرنك بلانس) مع العراق بمقتضى هذه القاعدة أن يحتفظ
العراق بما يحصل عليه من الدولار من صادراته المنظورة وغير المنظورة في كل عام ويضاف
إليها مبلغ معين يحول من الأرصدة الاسترلينية . وما لا ريب فيه أنه لو اتبعت هذه
القاعدة وطبقت بدقة وضبط وتأمين فسيكون للعراق مبالغ طائلة من الدولارات تزيد

(١٨) كامبل ولوا الاستقلال عدد ٩٠٢

(١٩) جميل ص ٣٥٩

(٢٠) انظر المصدر السابق ص ٣٥٧ - ٣٦٣

(٢١) انظر المصدر السابق ص ٥٢٥ - ٥٢٩

كثيرا على ما يسحبه من صندوق الدولار في الوقت الحاضر ويستطيع بواسطتها بناء احتياطي متنوع لعملة التي هي بأشد الحاجة الى الاستقلال عن العملة الاسترلينية يمثل هذا الاحتياطي القوي (٢٢) والحق ان انتماء العراق الى الكتلة الاسترلينية وخاصة منذ ارتباطه باتفاقية الارصدة الاسترلينية قد جعل التجارة العراقية خاضعة للتوجيهات البريطانية كما جعل مصيره المالي ومقداره الاقتصادي معلنة بمصير بريطانيا ومقداراتها ومشيئتها " بحيث أصبحت بريطانيا ، كما جاء في الكتب المتبادلة (بين الحكومتين العراقية والبريطانية بشأن الارصدة الاسترلينية) بوضع نستطيع فيه ان لا توافق فيه حتى على تخصيص العملات النادرة (الدولار) للائتم لدفع الفوائد المترتبة على القروض التي يستقرضها العراق من أمريكا الا اذا عقدت تلك القروض بموافقة الحكومة البريطانية (٢٠) (٢٣)

(٢٢) محمد حديد ، "الاتفاقية الجديدة للعملات النادرة" جريدة صدى الاهالي ،

٨ اب ١٩٥٠ ، عدد ٢٦٤

(٢٣) محمد حديد "اتفاقية الارصدة الاسترلينية معهود على يد" جريدة صدى الاهالي ،

٢٦ آذار ١٩٥١ ، عدد ٤٥٥

القسم الثالث: الكيان السياسي

الفصل الاول :

نشوء وتطور المصالح البريطانية في العراق

ان مصالح بريطانيا العظمى في العراق متعددة قديمة النشأة . وسابين في هذا الفصل طبيعة هذه المصالح، واسباب نشوئها، والعوامل التي مكنت لها، وساعدتها على التطور . اول ما دعا بريطانيا للاهتمام بالعراق هو موقعه الجغرافي الذي يمر منه احد طرق الهند المهمة . فقد كانت الهند وما يجاورها من مستعمرات كورنيو، وبورما وشبه جزيرة الملايو، وافنى المستعمرات البريطانية واعظمها اهمية لها . فمن هذه المستعمرات كانت المصالح البريطانية تتزود بالمواد الخام، والى هذه المستعمرات كانت ترسل سلحتها الممنوعة، وفيها كان الراساليون الانكليزيون يوظفون ما يفيض من رؤوس اموالهم . وقد كانت السياسة البريطانية في الشرق، منذ القرن السابع عشر، تدور حول حماية هذه المستعمرات وتأمين الطرق الموصلة اليها . يقول المررد سكروزن في كتابه "مركز الهند في الامبراطورية"، "تأمل فيما لعبته الهند من دور في السياسة الانكليزية وتوسيع ممتلكات الامبراطورية البريطانية . فقد كانت العامل الاكبر لكل حركة خطيرة في سياسة بريطانيا العظمى في الشرق البحر المتوسط . فالمسألة الشرقية، التي كانت في العصور الوسطى عبارة عن استرداد الاراضي المقدسة من ايدي المسلمين، اصبحت بعد ان بسطنا يدها على الهند، تدور حول حماية املاكها الهندية . وان كانت في الظاهر تدور حول امتلاك القسطنطينية، فبالجمل الهند اجتاع اللورد بكنتر فيلد اسهم قتال السويس . ولاجل الهند يسطن نفوذنا على مصر . وما النزاع مع روسيا مدى ^{قرن خيول} ~~الافاق الهندية~~ لابعادها جهد المستطاع عن الحدود الهندية . ولاجل الهند تأسست مستعمرة الكاب . ولاجل الهند امتد نفوذنا في جنوب افريقيا، (١) والطرق المودية من اوربا الى الهند اربعة . اولها الطريق الشمالي الذي كان يصل الهند والصين باوربا بواسطة القوقاس والسهول الروسية . وقد ازادت اهمية هذا الطريق بعد سكة حديد سيبيريا ووصله بالصين من جهة وبالقوقاس وفارس من جهة اخرى . وثانيها الطريق الاوسط الذي كان يصل الهند باوربا بحرا بواسطة الخليج

(١) نقلا عن مجيد خدوري (١) اسباب الاحتلال البريطاني للعراق (الموصل ١٩٣٢) (١)

الفارسي هوبرا بواسطة العراق وحيث يستد من البصرة الى بغداد المشرق من هنالك الى
فرجين يحاذي احد هما دجلة صاعدا الى الموصل وتحتل بالبحر الابيض المتوسط ،
ويستد للثاني مسايير الفرات حتى ينتهي بالمواني السورية • وتتشعب من الموصل
طريق ثالث يستد الى الجزيرة ، فالاناضول فالاستانة ، ويمر بالعواصم الاوربية حتى
ينتهي بلندن • وثالثها الطريق الجنوبي ويبدأ من اسيا الجنوبية الشرقية مارا بالحيط
الهندي فالبحر الاحمر فالبحر الابيض المتوسط • وقد زادت اهمية هذا الطريق وبعد
فتح قناة السويس في عام ١٨٦٩ حتى كاد ان يصبح الطريق الرئيسي الى الشرق •
ورابعها طريق راس الرجا الصالح والذي اكتشف في اواخر القرن الخامس عشر ، وهو
يبدأ من غربي اوربا ويمتد محاذيا افريقيا الغربية مارا براس الرجا الصالح حيث يتشعب
عدة شعب ، يوصل بعضها الى جزائر الهند الشرقية واستراليا ، وبعضها الى الهند
وافريقيا الشرقية • وقد استعاد هذا الطريق الاخير اهميته التي فقدتها بعد فتح قناة
السويس ، وخلال الحرب العالمية الثانية •

حققت بريطانيا سيطرتها على الطريق الثالث بان استولت خلال اجيال عديدة ،
على اهم القواعد السوقية (الاستراتيجية) فيه • فقد سيطرت على جبل طارق منذ
سنة ١٧٠٤ ، واحتولت على مالطة سنة ١٨٠٤ ، ~~على هذه القواعد السوقية المهمة~~
وهي عدن ١٨٢٨ ، واهلي قبرص سنة ١٨٧٨ فوضعت مصر تحت حمايتها سنة ١٨٨٢ •
على ان هذه القواعد السوقية المهمة لم تكن كافية وحدها لحماية هذا الطريق
دون السيطرة على الخليج الفارسي والعراق الذي يسيطر على قسم الشمال ،
يكونان الطريق الاوسط للهند هذا الطريق الذي يكون في الوقت نفسه جناح الطريقين
الاخرين • وقد ازدادت اهمية هذا الطريق بعد ان اتضحت امكانية الملاحة النهرية
في العراق ، وبعد ان اكتشفت وسائل النقل ذات الاحتراق الداخلي كالقطارات والسيارات
والطائرات مما ملهته في موضعه من هذا الفصل • وهي هذا فقد تحتم على بريطانيا
ان تعد سلطانتها على الخليج الفارسي ، وهي المناطق التي تشرق عليه •
ارتبطت قضية السيطرة على الخليج الفارسي بتاريخ الهند منذ ان احتل
البرتغاليون مدينة هرمز ما هم مدن الخليج واعظم المواقع المسيطرة على التجارة فيه ،

عام ١٥٠٧ • وقد هنم الهولنديون البرتغاليون ليركوا السيادة على المحيط الهندي والخليج
والفارسي الانكليزية ففي سنة ١٦١٦ بعثت شركة الهند الشرقية السفينة جيمس بمقتضى فرمانات ثلاثة القرا
من الشاه عباس في ايلول ١٦١٥ الى جسر الواقعة قرب مضيق كلارنس هوطة ان توجد
اسواقا لاقتنى الصوفية • ومنع الشاه عباس هذه الشركة عام ١٦١٩، واحتكار تجارة
الحرير في الخليج الفارسي • وقد تمت سيطرة التجار الانكليز على التجارة في الخليج
الفارسي منذ عام ١٧٦٦ بعد ان زال ما كان للبرتغاليين والهولنديين من نفوذ فيه (٣)
ولكن القراصنة العرب واشدهم خطرا وضراوة قبيلة الفواسم التي كانت تسكن الساحل
الممتد من راس المسندم الى شبه جزيرة القطر والذي يعرف الان بالساحل المهادن (٤)
كانوا يهددون تجارة شركة الهند الشرقية فيها جموع سفنها التجارية ومنهونها
بل لقد كانوا يغيرون على طراداتها الحرية للتي كانت تحرسها وكان على الشركة
ان تحشد شوكه هو لا القراصنة وتستميلهم الى جانبها قسرا • فهددت عليهم حملات
من بومبي في عام ١٨٠٦ و ١٨٠٩ و ١٨١٩، فخضع روسا القبائل التي تسكن
هذا الساحل واضطروا على توقيع معاهدة صلح عامة في ٨ كانون الثاني سنة ١٨٢٠
الغاية منها الحد من القرصنة والقضاء على الاتجار بالعبيد • وقد ابدلت هذه
المعاهدة عام ١٨٥٣ بمعاهدة صلح دائمة تقضي بموجب اقامة المدينة البحرية
الكاملة • واحالة جميع القضايا المختلف عليها الى السلطات البريطانية في الخليج (٥)
وقد تمكنت حكومة الهند في النصف الاول من القرن التاسع عشر من بسط سيطرتها
المستورة على عمان ومسقط (٦) والقطر (٧) والبحرين (٨) •

(٣) انظر ايرلاند ص ٣١

- (٤) كان هذا الساحل يعرف في السابق عند الغربيين باسم ساحل القراصنة وقد
استمد اسمه الحالي نتيجة للاتفاقية الموقعة بين الانكليزيين و بين شيخ ابو ظبي
ودبي • والشارجة • والعجم • وام النروين عام ١٨٥٣ • انظر وليامس ص ١١٦ حاشية ٢
(٥) انظر المصدر السابق ص ٢١٢ - ١٢ • وايرلاند ص ٢٢ - ٢٣ •
(٦) في تشرين ا ول ١٧٩٨ عقدت شركة الهند الشرقية مع سيد سلطان
سلطان مسقط مالت بموجبها حق تأسيس مصنع في بندر عباس (كان السلطان قد
استاجر هذا الميناء من الحكومة الفارسية) وفي سنة ١٨٠٠ عين اول مقيم بريطاني
في مسقط وفي سنة ١٨٢٩ عقدت السلطات البريطانية معاهدة تجارية مع عمان وفي
سنة ١٨٢٢ و ١٨٤٥ عقدت معاهدات لمنع تجارة العبيد وفي سنة ١٨٩١ عقدت
معاهدة صداقة وتجارة وملاحة وانتهت بموجبها معاهدة ١٨٢٩ • وتنص على انه لا يحق
للسلطان ان يمنع استيراد وتصدير البضائع التجارية • كما تنص على ان فرض
يتبع

على ان توسع روسيا القيصرية في اسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وسعيها للسيطرة على ايران، وقد نفوذها على الخليج الفارسي ومحاولة المانيا، في اواخر هذا القرن بالتدخل في الامبراطورية العثمانية للسيطرة عليها، وقد نفوذها على الاناضول والعراق، اثار مخاوف اولي الامر من البريطانيين، وحملهم على تثبيت سيطرتهم على الخليج، ودعم مركزهم فيه، وبسط حمايتهم الساحرة على جميع النقاط السوقية فيه. • وقد اسرعت بريطانيا بتنظيم علاقاتها مع الشيخ مبارك في الكويت، بمعاهدة عقدتها معه في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٨٩٩، وتعهد فيها الشيخ التعهدات التي قلعها على انفسهم شيخ البحرين والقطر والساحل المهادن، وبهذا اصبحت الكويت محمية رسمية من محميات بريطانيا على الرغم من ان ابن المبارك هذا طاب من الحكومة البريطانية ان تضعه تحت حمايتها مرتين عام ١٨٩٧، و ١٨٩٨، وفردت طلبه لانها كانت تعتبره تابعا للدولة العثمانية. • وقد استمالت الحكومة البريطانية شيخ الحمرة خزعل، الذي كان تابعا للحكومة الايرانية، والذي كان يسيطر سيطرة فعلية على القسم الجنوبي من شط العرب بمناحيته التركية والايرانية (٨)

تابع (٦) الرسم على المادرات يجب ان يخضع لموافقة السلطات البريطانية، وفي اذار سنة ١٨٩١ عقدت اتفاقية سرية بين السلطان فيصل وحكومة الهند تنص على ان يتعهد السلطان بان لا يتنازل هو او خلفاؤه من بعده، ماويو جبر ماويبيح او يرهن مسقط وعمان ماواية من المقاطعات التابعة لهما، ولاية دولة ما عدا الحكومة البريطانية. • انظر وليامس ص ٢١٦ حاشية رقم ١٢

(٧) كان لحكومة الهند وحتى عام ١٨٨٢، اتفاقية مع كبير شيخ القطر تنسبه الاتفاقية المعقودة مع شيخ الساحل المهادن. • وفي تشرين الثاني ١٩١٦ عقدت الحكومة البريطانية معاهدة رسمية مع الشيخ عبد الله بن جاسم بن ثاني تعهد فيها الشيخ بان لا يتدخل بعلاقات مع اية دولة ماو مع وكلاء اية دولة بدون موافقة الحكومة البريطانية كما تعهد فيها ايضا بان لا يو جبر ماويبيح، اراضي لاية دولة اخرى ماو لمواطني اية دولة اخرى. • انظر المصدر السابق ص ٢١١ — ١٢ (٨) تأسست هلالك مباشرة بين المملكة المتحدة والبحرين سنة ١٨٠٥. • ونظمت هذه العلاقات بمعاهدة سنة ١٨٢٠. • وعقدت بين سنتي ١٨٤٢ و ١٨٩٢

يتبع

يتضح لنا من هذا العرض الموجز مدى اهتمام الحكومة البريطانية بالخليج الفارسي .
 وينفذ هذا الامر وضوحا هذه الفقرة التي انقلها عن لورد كرزن والذي كرس جهوده
 بصفته الرسمية والشخصية خلال اواخر القرن التاسع عشر واول القرن العشرين
 لتوضيح اهمية الخليج الفارسي ، والدعوة المقرونة بالعمل الى مد السيطرة البريطانية
 عليه . قام اللورد كرزن بصفته نائب الملك في الهند بزيارة للخليج الفارسي .
 والتقى في ٢١ تشرين الثاني ١٩٠٢ ، وخطابا على شيخ القبائل المعتمدين في
 الشارقة جاء فيه : " ان امبراطورية الهند العظيمة والتي اصبح من واجبنا الدفاع
 عنها ، تقع على ابوابكم تقريبا ٠٠٠٠ وعلى هذا فاننا لن نتخلى عن هذه الجهود المجيدة
 المنتصرة التي بذلناها باغلى الاثمان خلال قرن كامل مولن نحو اكثر صفحات التاريخ
 خلوا من الانانية . وعلينا ان نحافظ على السلم في هذه البحار ، وسنبقى محافظين
 على استقلالكم على ان يبقى نفوذ الحكومة البريطانية هو السائد فيها " (٨) .
 يرجع عهد نشوء المصالح البريطانية في العراق الى عام ١٦٤٣ عندما
 اسست شركة الهند الشرقية معملا لها في البصرة . واقامت شركة الهند الشرقية
 هذه وكالة لها في البصرة لتصرف على مصالحها في وادي الرافدين ، وكان رئيسها
 يشغل منصب القنصل البريطاني . وكان لهذه القنصلية وكيل عراقي في بغداد
 حتي السنة التي قضا فيها نابليون مصر ، حيث وضعت الشركة ممثلا لها في بغداد ايضا
 اعترف به الباب العالي رسميا (١٠) وقد راجت التجارة الانكليزية في العراق منذ
 ذلك الحين واحتلت انكثرا مقام الصدارة بين الدول المصدرة اليه . يقول الرحالة
 نيبوهر الذي زار العراق عام ١٧٦٦ : " لانكيز القسط الاوفر من التجارة بين
 الشعوب الاوربية . فانهم يجلبون جوخا من اوربا وشاسا رقيقا من البنغال ، وكل
 انواع الاقمشة من سورات ٠٠٠٠ ويسكن في بغداد احد مستشاري انكيز مع بعض

تابع (٨) عدة اتفاقيات نالت انكثرا وفوجيها بعض السيطرة على علاقات شيخ البحرين
 الخارجية . وفي سنة ١٨٨٠ عقدت اتفاقية نهائية تعهد الشيخ عيسى بن علي الخليفة
 ان يمتنع عن مفاوضة او عقد معاهدات مع اية دولة غير الدولة البريطانية . وقد اعتبرت هذه
 الاتفاقية اتفاقية اخرى في ١٢ اذار ١٨٩٢ تعهد فيها الشيخ بمان لا يسمح باقامة ممثل
 اى دولة اجنبية في بلاده ، كما تعهد بان لا يتنازل او يرهن ما يملك اى جزء من بلاده
 لاي احد كان هذا الحكومة البريطانية " انظر المصدر السابق ص ٢١٤ .

(٨) انظر ايرلاند ص ٢٩ — ٤٠ ووليامس ص ٢٠٩

كتبة وتاجر من الشركة الشرقية التي تعود الى هذا الشعب . اما القنصل الفرنسي فانه يقضي حياة رخيصة بقدر ما يتمكن ولكنه بدون تجارة . (١١) . وقد ازدادت التجارة الانكليزية في العراق نشاطا بعد الثورة الصناعية ، وخاصة بعد فتح قناة السويس . وكان العراق الى جانب كونه سوقا للبضائع الانكليزية ، واسطة لنقلها الى ايران . وقد بلغت قيمة البضائع التي استوردت عن طريق البصرة وبغداد ، في كل من سنتي ١٩١١ و ١٩١٢ (١٠٠٠ م ١٠٠ م ٣) ليرة استرلينية . وكانت نسبة كبيرة من هذه البضائع انكليزية وهندية استوردت لتصدر من جديد الى ايران عن طريق كرمشاه . وبلغت قيمة الاحوال المصدرة عن طريق البحر في كل من السنتين المذكورتين ، ٥٠٠ م ٢٤٧ م ٣ ليرة استرلينية (١٢) .

وكانت انكلترا تستورد من العراق الحموب ، والتمور ، والخط ، والجلود ، والصوف . فقد كان العراق يصدر سنويا الى لندن في اواخر كل القرن التاسع عشر ، زنا تبلغ زنته ١١ م ٠٠٠ طن ، وتبلغ قيمته ٢٠ م ٠٠٠ ليرة عثمانية ذهبا . وقد بلغت قيمة المصدر من السمسم الى انكلترا سنة ١٩٠٨ ١٩ م ٣٩٠ جنيتها . وكانت قيمة ما يصدر من التمور سنويا في اواخر القرن التاسع عشر الى انكلترا والهند ٢٧٢ م ٠٠٠ ليرة استرلينية . وكانت بريطانيا تستورد من الفرس سنويا من ولاية بغداد فقط نحو ٢٨٠ طنا من الصمغ ١١ م ٠٠ طن ، وكانت قيمتها تبلغ ١٠٠ م ١٠٤ ليرة عثمانية ذهبا . وكانت ولاية الموصل لوحدها تصدر من العفص ومن المواد الاخرى الى بريطانيا ، حوالي السنة ١٩٠٧ ، ما قيمته ٥٠٠ م ١٠٦ ليرة عثمانية (١٣) . وكانت بغداد مركزا هاما لتجارة الترانسيت مع ايران ، حيث كانت تنقل صادرات واردات ايران عن طريق خانقين ، وكرمشاه ، فهمدان ، قزوين ، محلة علي ظهور البغال . كان يدخل بغداد ويخرج منها ، كل سنة بين ١٠ م ٠٠٠ و ٢٥ م ٠٠٠ بغل محملة ببضائع . وكانت واردات ايران ، والتي تنقل اليها عن طريق البصرة وبغداد تشمل منتجات مانشستر ، اقمشة اوروبية وقطنية وصوفية ، وبضائع هندية ، وقفاير ومصنوعات معدنية ، موافاويه ، وقهوة ، وشاي ، وسكر ، ومزيلة .

-
- (٩) نقلها ايرلاند ص ٤٣ . وقد نقلت هذه الفقرة عن ترجمة الاستاذ جعفر خياط لكتا بايرلاند مع تحرير التعديل . انظر فيليب بويلارد ايرلاند ، " العراق : دراسة في تطوره السياسي " نقله الى العربية جعفر خياط (بيروت ١٩٤٩) ص ١٩ .
- (١٠) خدوري ، اسباب الاحتلال البريطاني للعراق ص ٥٤ .
- (١١) نقلها يوسف فتيمة في كتاب " تجارة العراق قديما وحديثا " ص ٧٥ نقله عن المصدر السابق ص ٥٥ .

وكانت اقيامها تتراوح سنويا ، في الربع الاخير من القرن التاسع عشر بين ٢٠٠ ، ٠٠٠ و ٢٧٠ ، ٠٠٠ ليرة عثمانية . واما صادرات ايران ، المعدة للتصدير الى الخارج برا وبحرا ، كالصوف ، والسجاد ، والافيون ، والصمغ ، والفواكه المجففة ، وللاستعمال المحلي في العراق كالتبغ ، والسمن ، والفواكه الطرية والمجففة ، فكانت قيمتها تقدر كذلك بين ٢٧٠ ، ٠٠٠ و ٣٠٠ ، ٠٠٠ ليرة عثمانية . وعلى هذا فتكون قيمة تجارة الترانسيت الايرانية ، التي تمر عبر بغداد ، ٥٤٠ ، ٠٠٠ ليرة عثمانية اي ما يقارب ربع مجموع تجارة بغداد التي تقدر ب ٢ ، ٤٧٥ ، ٠٠٠ ليرة عثمانية ، والتي كانت تدر عليها رسوما كمركية تبلغ ١١٥ ، ٠٠٠ ليرة عثمانية (١٤)

واست في العراق فروع لعدة بنوك انكليزية ، ولتأسيس هذه الفروع قصد مزدوج وهو تسهيل المتاجرة مع بلدانها وراء البحار ، والوصول الى استثمار اموالها بمعدل اوفى مما تستطيع الوصول اليه في بلدانها . وبما ان معدل الفائدة في العراق اعلى منه في اوربا فان هذه الوكالات تمكن اصحابها في اوربا من توظيف الجاهز من اموالهم توظيفا اغزر رسحا . (١٥) والبنوك الانكليزية في العراق ثلاثة . البنك العثماني ، وبنوك امواله الكليزية وفرنسية ، وقد بدأ اعماله في العراق بتأسيس فرع له في بغداد سنة ١٨٩٠ ثم اسس ، بعد هذا التاريخ ، فرعين احدهما في البصرة والثاني في الموصل . والبنك الشرقي وقد افتتح فرعه الاول في بغداد عام ١٩١٢ وبعد ذلك التاريخ افتتح له فروع اخرى في البصرة والموصل والحماة وكركوك . والبنك الشاهي الايراني وقد ابتداء اعماله في العراق سنة ١٩١٨ بتأسيس فرع له في بغداد ثم اسس ^{له} ذلك التاريخ فروع اخرى في البصرة . (١٦)

(١٢) ايرلاند ص ٤٨

(١٣) هذه الارقام مأخوذة عن vol ٨ , P. 77 Guinet , La Turquie d'Asie وقد نقلها خدوى ص ٥٨ — ٦٠

(١٤) George A. Curzon " Persia and the Persian Question " Vol. II (London, 1902), P. 575- 8 . وسامير اليه ب " كززن " .

(١٥) حمادة ص ٤٤٤

(١٦) المصدر السابق ٤٤٥ وفي هذه الصفحة يقول الاستاذ حمادة " انه لمن الصعب معرفة مدى الاعمال المختلفة التي تقوم بها هذه المؤسسات الصرافية وذلك لانها لا تذيع بيانات عن اعمالها في العراق على حدة . ولكن يقدرون ان المبالغ التي تستخدمها البنوك الاجنبية في العراق للتسليف التجاري البحت كانت في سنة ١٩٢٦ تفوق مليون دينار عراقي "

ان تقدم الملاحة النهرية في النصف الاول من القرن التاسع عشر اضافة اهمية جديدة الى العراق في نظر الحكومة البريطانية ، والمسؤولين عن ادارة التجارة والسياسة في الهند ، الذين كانوا يسعون لتيسير المواصلات بين انكلترا والهند . وهى هذا وجهت السلطات الانكليزية اهتمامها لاكتشاف امكانية النقل النهري في العراق ، في اوائل القرن التاسع عشر ، مؤملة تحقيق عدة امور من وراء ذلك منها : تيسير النقل بين الهند وانكلترا ، وتوسيع التجارة البريطانية في العراق ، وتقدم روسيا القيصرية الى الشرق الادنى . وبرز الشخصيات التي اشتغلت بمشروع تاسيس المواصلات مابح الهند بواسطة خط للسفن ، يسير منتظما في الفرات ، ويقوم بنقل البريد والمسافرين والسلع التجارية ، وهو الكابتن فولنيس رودن جزني . ففي سنة ١٨٢٠ ارسلت الحكومة البريطانية جزني ليقوم بمسح الفرات . وفي سنة ١٨٢٥ سمح لبعثة جزني بالعمل . وفي نيسان ١٨٢٦ انزل جزني الى الفرات ، قرب مسكة ، دجلة . و الفرات . وهما باخرتان صنعتا خصيصا لهذا المشروع . وبعد سهر قضى اعصار شديد على دجلة اما الفرات فوصلت الى البصرة سالمة . على ان استقرار الحالة في الشرق الاوسط والادنى نسيا ، بتاثير شروط " بروتوكول لندن " ١٨٤١ ، والذي اوقفت بموجبه المطامع الروسية والفرنسية والمصرية مؤقتا ، هادت بالحكومة البريطانية الى اهمال طريق ما بين النهرين ، والاتفات الى الطريق الذي يمر من مصر . (١٧) ولم تتوقف اعمال المسح النهري باهمال مشروع جزني . ففي سنة ١٨٢٩ انزلت في البصرة اربع بواخر مسلحة اخذت تدور في المياه العراقية مدة سنة دون ان تلقى عاقبا ، بالرغم من ان القرطبان بالترخيص لها لا بالتنقل في المياه العراقية لم يصل الا في عام ١٨٤١ . وقد عادت ثلاث من هذه البواخر الى الهند ، وبقيت الرابعة راسية بالقرب من المقيمة البريطانية في بغداد . وقد تقدمت لعمال المسح ، خلال هذه الفترة من الزمن ، حتى حضرت ادق الخرائط التي ظلت تستعمل حتى سنة ١٩١٤ (١٨) . على ان اهتمام بريطانيا العظمى في المواصلات مع الهند لم يكن خلو من النتائج القيمة لان الحملات التي جردت منذ سنة ١٨٢٤ مضاعدا ، مع وجود البواخر المسلحة في دجلة قد مهدت الطريق لتاسيس خط تجارى بريطاني في دجلة (١٩) وتوسيع شان التجارة هناك بوجه عام . ذلك التوسع الذي تقدم بمراحل عن الايام التي كانت فيها

(١٧) انظر ايرلاند ص ٤٤ - ٤٥ وخدوري ص ٦٦ - ٧ ، ولونكريك ١٩٢٤ - ٩٣

(١٨) لونكريك ص ٩٣ - ٩٤

(١٩) ترك خط الفرات ، باعتباره طريقا لبريد الهند عندما ظهر بان النهر غير صالح

البصرة مركزا لقسم من تجارة الخليج ،والذى ساعد بمقدار غير قليل في خلق المركز الممتاز الذى كانت تتمتع به بريطانيا العظمى في بلاد العراق " (٢٠) وفي سنة ١٨٦١ قال هنرى لينج فرمانا يدخله تسيير باخرة في المياه العراقية . وقد اسست هذه الاسرة منذ ذلك الحين " شركة الملاحة التجارية في دجلة والفرات (٢١) . وقد تمتعت هذه الشركة باحتكار حقيقي لمصلحة النقل النهارى الى ان اسمرم دحت باشا مصلحة الملاحة النهرية . على ان هذه الشركة لم تحتطع منقصة شركة اللينج . وكانت شركة لينج تدير بمعاونة مالية من الحكومة مخط بواخر في نهر كارون منذ ان افتتح شاه ايران سنة ١٨٨٨ هذا الخط . يضاف الى كون القسم الاهم من النقلات النهرية كان بيد شركة لينج ، وان معظم الوارد^{البحر}ة الى العراق او المصدرة منه كانت تنقل بواسطة بواخر بريطانية — هندية (٢٢) .

شعرت الحكومة البريطانية اثنا " الحيطان الهندى " بالحاجة الماسة الى اقامة مواصلات تلغرافية بين انكلترا والهند . فقد كان ارسال رسالة بين هذين القطرين وتلقي الجواب عنها يستغرق ثلاثة اشهر في ذلك الحين . وقد قامت الحكومة الانكليزية سنة ١٨٥٩ بماول محاولة لوصل الهند بانكلترا تلغرافيا . بعد الحبل السلبي (القابلو) في البحر الاحمر ، ويوصله بالحبل السلبي الذي يصل بين الاسكندرية ومرسيليا ، والعائده لاحدى الشركات الاهلية . ولكن هذا الخط فشل فشلا تاما ولما يعس على استخدامه ثلاثة اسابيع ، فوجهت انكلترا اهتمامها لربط الهند بانكلترا عن طريق الخليج الفارسي وايران والعراق . وقد اتفقت الحكومتان التركية والبريطانية سنة ١٨٥٢ على قيام المهندسين البريطانيين بمخط يسل العراق بالخليج الفارسي ، على ان يكون المشروع تركيا صوفا . وفي صيف ١٨٦١ تم الاتصال عن طريق البر بين الاستانة وبغداد .

تابع (١٩) المذلة ، وبعد ان اصاب " دجلة من كارثة موبعد وفوق حواد شاخري . واصبحت اعمال الحكومة البريطانية بعد سنة ١٨٤٢ منحصرة في امور المسح فقط .

(٢٠) ل ايرلاند ص ٤٧ — ٤٨ من الاصل وص ٢٢ — ٤ من الترجمة العربية .

(٢١) لا تزال هذه الشركة قائمة الى الان وهي تسيطر على معظم حركة النقل في دجلة بين بغداد والبصرة . وقد وصعت شركة لينج نطاق اعمالها فاخذت مؤسساتها التجارية في بغداد قائمة الى اليوم باسم (Mesopotamian) انظر خدوى ص ٦٨

(٢٢) انظر ايرلاند ص ٤٨ .

وبدي العمل في اواخر سنة ١٨٦٣ في ربط بغداد بالخليج ، وبدي في الوقت نفسه بعد خط بغداد خانقين . وفي عام ١٨٦٤ اصبحت خطوط التلغراف العراقية متصلة بخطوط تركية وايران (في خانقين) وبالخليج الفارسي في الفاو . وكان يشرف على خطوط التلغراف في الفاو موظفون انكليز واتراك . (٢٣)

وقد ادى ازدياد النفوذ الروسي في تركيا وايران وتعاظم خطره المزعوم على سلامة الهند ، الى اهتمام بريطانيا بعد شبكة من خطوط السكك الحديدية في العراق . ففي سنة ١٨٤٣ عرض الكمندر كامبل مشروع سكة حديد (انكلترا - الهند) يمتد على طريق وادي الفرات وهو مشروع عرض من بعد ذلك على شركة الهند الشرقية . وقد دلت تصميم هذا الخط مورست له الخرائط . وفي سنة ١٨٤٩ عرض جون رايت مشروها اخر ^{خط يمر بوادي الفرات . هي خطوط من الهند الى الهند} لانشاء طريق مثل هذه الى الهند خلال سنين عديدة جماعة من العلماء والمغامرين ، وبعد ثلاث سنوات جمع و . ب آندور الداعي لانشاء طريق مثل هذه الى الهند ، خلال سنين عديدة جماعة من العلماء والمغامرين ، لينج وجزني ومكيل وغيرهم ، وكونوا شركة ~~لانشاء~~ سكة حديد من البحر الابيض المتوسط الى الخليج . وكانوا يرون ان تمر سكة الحديد هذه بسلوقية وانطاكية وحلب ومقلعة جعبر ، وهيت وبغداد ، ومن هنالك الى القرنة والبصرة . وقد رضيت هذه الجماعة ان تمتد اولا خط سلوقية - حلب فقط (طولها ثمانون ميلا) ومن هنالك يتصل الخط بطرق البواخر الحاملة في نهر الفرات . وكانوا يدللون على اهمية هذا الخط وضرورته بحجج عديدة منها الخوف من تسرب النفوذ الروسي ، الي الشرق ، والثروة العظيمة الكامنة في العراق ، واستفادة تركيا والهند منه والتوسع المنتظر في التجارة مع الشرق الاقصى ، وسهولة انجاز المشروع من الوجهة الهندسية ، وتوفر المواد الانشائية في سوريا . وقد حظي المشروع بتأييد الحكومة البريطانية ، لاسباب سياسية (٢٤) فقد وعد بالمرستون بتأييد الحكومة له ، كما ابداه المستر ستراتفور واثنيخ هذا بالاضافة الى ان الحكومة التركية كانت على استعداد لقبوله . غير ان اللورد بالمرستون تراجع فجأة وسحب مؤازرة الحكومة للمشروع في ١٤ آب ١٨٥٧ فانهار من اساسه .

(٢٣) كروزن ج ٢ ص ٦٠٨ و ص ٣٢٦ . وانظر كذلك لونكريك ص ٤٩٦ - ٩٧

(٢٤) « وكان من جملة الحجج السياسية التي بسطت لتأييد سكة الحديد هذه امكانية ايقاف النفوذ الفرنسي الذي اخذ يتعالى من جديد في سوريا ومصر ، وتحويل الانظار عن مشروع قناة السويس ، وسبق الخطط الروسية في الخليج الفارسي » انظر لاند ص ٤٦ حاشية »

كانت بريطانيا العظمى والتي عرضت لني* من مصالحها في العراق هدائية على تعزيز مركزها وتنمية امتيازاتها وموثوقة نفوذها ويرجع كثير من نفوذ بريطانيا في العراق الى مؤسساتها السياسية في البلاد . فقد كانت مقيمة ببغداد والتي حصلت محل مقيمة البصرة في سنة ١٨١٠ ، ذات نفوذ واسع في الاوساط التركية الحاكمة في العراق نتيجة للمساعدات التي كانت تقدمها بريطانيا لها ضد الثوار ومعركى صفو الامن من العرب والاييرانيين .^{٢٥} فقد طلب بانبا بغداد في سنة ١٧٦٢ سفن من بومبي للمساعدة ضد بني كعب الذين كانوا يهاجمون السفن والبلدان حول البصرة . فارسلت اليه سنة ١٧٦٦ ستة سفن من بومبي . وبعد ذلك وفي سنة ١٧٧٤ ، عندما جهزت السفن الى البانبا طلب من البريطانيين ان يستخدموها بحسب ما يرونه مناسباً للمصالح البريطانية التركية . وفي سنة ١٧٧٨ ساعد البريطانيون الاتراك في استرجاع البصرة من الايرانيين . وفي سنة ١٧٩٨ دهي مقيم يونسار ليسوى الحقوق والادعاءات بين سلطان عمان وبانبا بغداد . وعندما توقع الاتراك هزيمة بين ١٨٢٥ و ١٨٢٩ بان يتقدم جيش محمد علي باشا المصري من راس الخليج فيهاجم بغداد ، ذكر بان الحكومة التركية طلبت تدخل الحكومة البريطانية^(٢٥) . وكانت مقيمة ببغداد ، التي كانت تحرسها قوة من الجنود الهنود وزورق مسلح ، ذات هبة وسلطان وعلى الاخر لدى القبائل العربية . «على ان الوسائل التي استمرت بريطانيا على ادامة نفوذها وتعزيز مكانتها بواسطة بقيت متمثلة في حماية التجار الهنود والموجودين في البصرة وبغداد ، ورعاية زوار العتبات المقدسة الاربعة الموجودة في العراق من المسلمين الهنود ، وفي اتمامها بالاهوال الصحية في البصرة والعتبات المقدسة ، وتوزيع واردات اوقاف اوده (٢٦) ، وادارة دوائر البريد الهندية المؤسسة في بغداد والبصرة منذ

(٢٥) ايرلاند ص ٤٤ حاشية ٣ من الاصل وص ٢٠ حاشية ٣ من الترجمة العربية
 (٢٦) تقول من جيرترود لوتيان بيل في كتابها "A Review of the Civil Administration of Mesopotamia" (London, 1920) .
 الذي نقله الى العربية الاستاذ جعفر خياط بعنوان "فصول من تاريخ العراق القريب" (بيروت ١٩٤٩) ص ٢٨ (لقد بدأت علاقاتنا بمجتمدي كربلاء والنجف قبل الحرب بعدة طويلة . حيث ان الحكومة الهندية في ١٨٤٩ كانت لها علاقة بساتين المدينتين فيما يختص بوقف اوده . لان فازي الدين حيدر ملك اوده ، اوقف مبلغ قدره ١٢١٠٠٠ روبية في السنة لتصرف صدقات الى مستحقينها في المدينتين المقدستين فوجدت حكومة الهند التي ورثت مسؤوليات شركة الهند الشرقية نفسها في موقف الناظر على هذا الوقف .

سنة ١٨٦٨ ، ومشاريع الري التي وضعها السير وليام ويلكوكس في سنة ١٩١١ وقامت
بإنشائها شركات بريطانية . وفوق كل ما تقدم فقد ظل تشجيع التجارة ، والملاحة النهرية
وحمايتها الأسلوب الذي كانت بريطانيا تتبعه لادامة نفوذها وتوسيعه ، بوضع مركزها
في البلاد .^(٢٧) .

ان موقع العراق السوقي الممتاز ، الذي يسيطر على الخليج الفارسي ،
وهذا النفوذ البريطاني القوي فيه ، وهذه السيطرة البريطانية التي كانت ان تكون تامة
على تجارته ، مما جعل الساسة البريطانيين يعتبرونه امتدادا جغرافيا وساسيا وتجاريا
للخليج الفارسي . فقد قال كرزون في عام ١٨٩٢ : بعد ان ذكر اهمية بغداد
التجارية واحصى تجارتها مع ايران التي ذكرت عنها شيئا فيما تقدم ، : « (والخلاصة
ان بغداد تقع في ضمن موافق الخليج ، ويجب ان تدخل في ضمن السيادة البريطانية
التي لا نزاع فيها) »^(٢٨) . وقد أكد كرزون رايه هذا بوضوح في البيان الذي القاه
في مجلس اللوردات عام ١٩١١ والذي يقول فيه ، : « من الخطأ ان نفتقر بان مصالحنا
السياسية تنحصر في نطاق الخليج الفارسي وحده . ان مصالحنا هذه لا تنحصر
في نطاق الخليج ، كما انها ليست منحصرة في المنطقة الواقعة بين البصرة وبغداد ، وانما
تمتد شمالا الى بغداد نفسها »^(٢٩) وقد بلغ من شدة تمسك الحكومة البريطانية
بامتيازاتها في العراق ، واعتبار القسم الجنوبي من العراق على الاقل ، منطقة نفوذ لها
انها كانت تعتبر اي اجراء دفاعي تقوم به الحكومة التركية في تلك المنطقة عملا عدوانيا
فقد احتجت الحكومة البريطانية واحتجاجات متوالية على قيام الحكومة التركية بانشاء قلعة
محصنة في الفاو عام ١٨٨٦ ، واعتبر كرزون هذا العمل « خطرا جسيما ، لا يمكن التسامح
تجاهه ، على مصالح التجارة البريطانية ، وسفن النقل البريطانية ، والتي تعمل في الانهار
العراقية »^(٣٠) .

تابع (٢٦) وكان توزيع هذا المبلغ في كل سنة منها لعدة مشاغل لكنه انتظم في ١٩١٠
بموجب ترتيبات خاصة اجريت فاصبح التوزيع يجري بواسطة لجنتين خيريتين بوحدة
في كل مدينة متالف كل منها من مجتهدين وانا من محترمين اخرين بعد ان يحول المقيم
البريطاني في بغداد المبلغ لهما .^(٣١)

(٢٧) إيرلاند ص ٤٢ من الاصل و ص ٢٣ من الترجمة العربية .

(٢٨) كرزون ج ٢ ص ٢٨٥ .

(٢٩) إيرلاند ص ٤٩ من الاصل و ص ٢٤-٢٥ من الترجمة العربية .

(٣٠) كرزون ج ٢ ص ٣٣٥ .

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت بريطانيا تواجه الخطر الروسي الذي يحاول الامتداد على الخليج الفارسي ، وفي مطلع القرن العشرين كان عليهما ان تواجه بصعوبة اشد الخطر الالمانى . وقد تجلى الخطر الالمانى على الخليج الفارسي والعراق في سكة حديد برلين — ميونخية — بغداد . وقد رحبت بريطانيا بهذا المشروع عندما وافق عليه السلطان عبد الحميد ، سنة ١٨٩٩ ، واعتبرته وسيلة لابقاف الجماع فرنسا وروسيا في هذه المناطق ، وما كانت بريطانيا لتفشى المانيا والدولة الناشئة في التجارة والمبتدئة في الاستعمار . ولكن عندما اشتد حول المانيا التجار ، وعندما نما اسلوب التجارى والحربي نموا عظيما وعندما اخذت بضائعا تزامم البضائع الانكليزية في الاسواق التي كانت انكثرتا تحتكر التجارة فيها ، احساست بريطانيا بالخطر المداهم . ورات ان تحد من توسع المانيا في العراق بواسطة المساهمة في انشاء سكة الحديد هذه . ولكن اقتراح رئيس الوزارة البريطانية ~~على~~ ~~استثمار~~ ~~رؤوس الاموال~~ المسترارثر بلفور في ٧ و ٨ نيسان ١٩٠٣ ، وبجواب موافقة الحكومة البريطانية على استثمار رؤوس الاموال البريطانية في المشروع ، عند دعوة السولين الالمان بشرط ان يكون هذا الاشتراك على اساس المساواة مع اية دولة اخرى لم يرش البرلمان ، وما جئته الصحافة واحتجت عليه شركات النقل المتصلة بالتجارة الهندية ، وشركة الملاحة التجارية العاملة في دجلة والفرات ، واصحاب سكة الحديد البريطانية في اسيا الصغرى . هذه المعارضة القوية اضطرت المستر بلفور على ان يتراجع عن اقتراحه ، ويعلن في مجلس العموم في ٢٣ نيسان ١٩٠٣ بان الحكومة البريطانية لن تؤيد الاشتراك المالي في المشروع . (٣١) . وبعد ان فشلت بريطانيا في ايقاف التوسع الالمانى في العراق ، ومن طريق المساهمة العالية بالمشروع الالمانى اتجهت وجهة التكتلات الدولية ، والمفاوضات الدبلوماسية ، فاستت الحلف الودى مع فرنسا عام ١٩٠٤ ، وحققت اتفاقا مع روسيا في ٢١ اب ١٩٠٧ ، قسمت بموجبه ايران بين دون علمها او موافقتها الى مناطق نفوذ بين الدولتين . وشرعت تفاوض الحكومتين التركية والالمانية بخصوص سكة حديد بغداد . ابتدأت المفاوضات مع تركيا سنة ١٩٠٩ ولكن الطرفين لم يتوصلا الى اتفاق الا في سنة ١٩١٣ . وقد صفت بريطانيا بالاشغالات الموقعة في ٢٩ تموز ١٩١٣ الاعتراض بمركزها الخاص في الخليج الفارسي .

وبندرية المعاهدات التي عقدتها مع الكويت والبحرين موافق تكون البصرة نهاية سكة حديد بغداد . وعدم جواز تمديد الخط فيما وراء ذلك والا بموافقة الحكومة البريطانية . واتفق على تعيين اثنين من الرعايا البريطانيين في مجلس ادارة سكة الحديد ، وعلى ان تعامل جميع الامم معاملة واحدة ، وان يتقاضى منها رسوم واجور واحدة . وقد عهد امر اصلاح ميناء البصرة وتحسينه للاهتمام بمستقبله بصورة جزئية ، الى ايد بريطانيا . وحصلت الحكومة البريطانية حقوقا مطلقة في الملاحة لشركة ملاحية تأسست في تلك الاونة من قبل اللورد انجكيب وشركة لينج التي كانت موجودة سابقا والتي وسعت امتيازاتها . واعترفت تركيا بحق بريطانيا العظمى في حراسة شط العرب والخليج الفارسي موافقتها ووضع الحوامات فيها لارساء السفن . (٢٢)

واخذت الحكومة البريطانية تفاوض الحكومة الالمانية . وقد توصل الفريقان في ١٥ حزيران ١٩١٤ الى اتفاق وقعه المتفاوضون البريطانيون والالمان بالحروف الاولى من اسمائهم . وقد تركت المانيا بموجب هذه الاتفاقية جميع مطالبها في انشاء ميناء باسمها على الخليج الفارسي ، الا انها غضت زوال الحراقيل التي كانت تقف في طريق انشاء سكة حديد بغداد ، والاعتراف بمنا لى نفوذها الخاصة في الاناضول وفي شمالي سوريا وشمالي العراق ، وفي مقابل الاعتراف بمطالعي بسيادة بريطانيا العظمى في جنوب العراق والخليج الفارسي . وأكدت هذه الاتفاقية الامتيازات التي نالتها بريطانيا من الحكومة التركية بموجب اتفاقها معها في سنة ١٩١٣ الذي تقدم البحث عنه . وكتعهد اساسي للمفاوضات العزم اجراؤها حول انتقال حقول النفط التركية الى الشركة التي تسيطر عليها بريطانيا اجبرت الحكومة الالمانية في اذار ١٩١٤ على الاعتراف بكون بلاد ما بين النهرين الجنوبية واواسط ايران وجنوبها المجال الذي تتمتع فيه شركة النفط الانكليزية الفارسية بالحقوق المطلق في القيام بعملياتها ، واجبرت الحكومة الالمانية بالاضافة على ما تقدم ، على الاتفاق حول مد خط حديدى من كوت الامارة الى مندلي من اجل تسهيل نقل البترول . (٢٣)

(٢٢) انظر ايرلاند ص ٦٥

(٢٣) انظر المصدر السابق ص ٥٨ — ٥٩

ان مصالح بريطانيا في العراق مواهتمامها المتزايد به يمكن اجمالها على ضوء ما تقدم من البحث وفي موقعه السوقي المهم المشرف على راس الخليج الفارسي والذي كان يعتبر بابا الهند. وفي كونه جزءا من احد طرق الهند الممعة بوسقنا للبضائع ورواس الاموال الانكليزية. ومصدرا يجهزها بالمواد الخام. وبمحطة تنهير منها البضائع الانكليزية الى ايران وتركيا. وارضها بكرة بحويها طننها المعادن الثمينة وواحصيا البترول عصب الصناعة الالية ودعامة الحرب. وقد جسدت بريطانيا العظمى في قوة نفوذها في العراق خلال ثلاثة قرون للمحافظة على مصالحها

هذه وحتى اوشكت عشية الحرب العالمية الاولى فان تسيلر على العراق الجنوبي مودة تامة. ويتدخله في حمايتها. وبالذات السلمية كما ادخلت محميات العربيات في الخليج الفارسي. ولكن الحوادث الدولية تطورت تطورا مفاجئا علم ١٩١٤. واصبحت الحرب بين بريطانيا وحليفاتها وبين دول الوسط امرا ونيت الوقوع. وقد تيقن بريطانيا العظمى في اب ١٩١٤ بان تركيا ستدخل الى دول الوسط في حالة قيام الحرب. ومضى هذا ان مصالح بريطانيا في الخليج الفارسي وفي العراق اصبحت مهددة بالخطر من قبل الحكومة التركية وشريكها الدولة العسكرية الكبرى ألمانيا. يقول الجنرال باروانه في حالة اعلان الحرب "ستزل المصالح البريطانية في بغداد والبصرة من الوجود وستهدد مركز حليفنا شيخي الحمرة والكويت. وقد يهاجمان اوينديان. وفي تلك الحالة يمتهدد جميع نفوذنا واتعابنا التي بذلت على مر السنين في الدوا. وكما ان مكانتنا في الخليج نفسها ستصبح متقلقة" (٢٤).

وعلى هذا فقد اعدت الحكومة الدية حملة عسكرية لاحتلال القسم الجنوبي من العراق. وكانت الحجة الظاهرة التي تذرعت بها بريطانيا لاحتلال العراق هي حماية شركة النفط الانكليزية الفارسية في الاحمرة. وتعيدد الحكومة التركية لشيخي الحمرة والكويت. واعتداء الحكومة التركية على الرعايا البريطانيين في البصرة. ولكن الد رافع الحقيقية لاحتلال العراق هي المحافظة على المصالح البريطانية وفي العراق والخليج. الفارسي. وانتهاز فرصة الحرب لقلب امتيازاتها في بلاد العراق الى حقوق دائمة يثبتها الفتح الحربي. في اليوم السادس من تشرين الثاني سنة ١٩١٤ احتلت القوات البريطانية الفاو. وفي اليوم الثاني والعشرين من هذا الشهر احتلت البصرة. وفي ١١ اذار ١٩١٧ احتلت بغداد. وعندما انتهت هدنة مذوركي في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨، الحرب بين بريطانيا وتركيا كانت القوات البريطانية على بعد اربعة عشر ميلا الى الجنوب من الموصل ولكنها لم تتقدم بنصور الهدنة ولم توقف القتال بل تابعت تقدمها فدخلت الموصل واكملت احتلال القسم الشمالي من العراق باجمعه

وقد انفتحت بريطانيا على احتلال العراق مائتي ^{مليون} ليرة استرلينية ، وتكبدت ثواتها الحاربة حوالي مائة الف اصابة . (٣٥)

وبعد ان احتلت بريطانيا العراق ، وسيطرت سيطرة فعلية على مقدراته ، عملت على تدعيم مصالحها ، التي تكلمت عنها فيما تقدم ، وانشأت لها مصالح جديدة لم تكن لها من قبل . ويمكننا اجمال المصالح البريطانية في العراق ، منذ ان تم لها احتلاله حتى الوقت الحاضر ، بالنقاط التالية :

اولا النفط ، وقد تكلمت عن هذا الموضوع بما فيه الكفاية في الفصل الرابع من القسم الثاني .

ثانيا : المصالح التجارية . عملت بريطانيا على تنمية تجارتها مع العراق ، بحيث اصبحت الاولى بين الدول المصدرة اليه والمستوردة منه ، كما قامت الشركات الانكليزية وبخاصة شركة اندرو واير ، باحتكار تجارة اهم صادرات العراق وهي التمر ، والسيطرة على تجارة الحبوب . يضاف الى هذا ان معظم صادرات العراق تنقل بواسطة شركات النقل البحري الانكليزية ، كما تسيطر شركتان انكليزيتان على حركة النقل النهرى في دجلة . وقد احتكرت المصارف البريطانية السيطرة التامة على مالية البلاد ، وعلى الرغم من انشاء مصرف الرافدين ، والمصرف الوطني ، وبعض المصارف الاهلية الاخرى فما زالت سيطرة هذه المصارف البريطانية على الناحية المالية في البلاد قوية . وقد استغلت بريطانيا مركزها ، كاحتلة للعراق ، ومنقذة عليه ، ومخالفة معه ، في تمكين سيطرتها الاقتصادية فيه . فكانت الحكومة العراقية ، في عهد الانتداب والاستقلال مضطرة على شراء لوازمها من المملكة المتحدة ، وعلى اخراج اللوازم العسكرية ، على الرغم من مبدأ الباب المفتوح الذي نصت عليه لائحة الانتداب ، واعترفت به معاهدة الانتداب الاولى . والتجار العراقيون مجبرون ، في اكثر الاحيان ، على استيراد سلعهم من المملكة المتحدة بحكم نفوذ الحكومة البريطانية المباشر وغير المباشر في دوائر الحكومة العراقية ، السيطرة على حركة الاستيراد والتصدير . وما يقوى هذه السيطرة البريطانية على تجارة العراق ، ارتباط العملة العراقية بالكتلة الاسترلينية ، والقيود التي تفرضها الحكومة البريطانية ، منذ الحرب العالمية الثانية ، على التصرف بالعملات النادرة ، بواسطة سيطرتها على حصة العراق من هذه العملات ، وتحكمها في عملية التحويل الخارجي . (٣٦)

(٣٥) انظر ايرلاند ص ٦٠

(٣٦) انظر الفصل الخامس من القسم الثاني (اعلام)

ثالثا : موقع العراق السوقي . وصفت في مفتتح هذا الفصل أهمية موقع العراق السوقي بحكم كونه جزءا مهما من الطريق الموصل الى الهند وإلى المستعمرات البريطانية في الشرقين الاوسط والاقصى ، والنقطة المسيطرة على رأس الخليج الفارسي . وقد ازداد موقع العراق السوقي هذا خطورة ، منذ الحرب العالمية الاولى ، لحوامل عديدة أهمها تقدم فن الطيران ، وتيسر استخدامه في نقل المسافرين ، والبضائع ، والجنود والعتاد الحربي . وقد اهتمت الحكومة البريطانية بإنشاء قواعد جوية هامة في العراق وحرصت على المحافظة عليها ، بعد تخليها عن انتدابها على العراق ، وقد ثبت امتيازها هذا في المعاهدة العراقية الانكليزية الرابعة (١٩٣٠) والتي لا زالت نافذة المفعول . كما انها اصررت على الاحتفاظ بهذا الامتياز في معاهدة بورنسموث (١٩٤٨) التي رفضها الشعب العراقي . وقد اضاف تقدم النقل بواسطة السيارات عبر الصحراء في أهمية العراق السوقية . فأنشئ طريق معبد يصل بغداد بساحل المتوسط مارا بدمشق . وانشأت الحكومة البريطانية طريقا اخر يصل بغداد بالمتوسط مارا بشرق الاردن وفلسطين ليكون تحت سيطرتها التامة . كما مد خط تليفوني يصل فلسطين بالعراق عبر هذا الطريق . وقد بلط هذا الطريق بالزفت خلال الحرب العالمية الثانية ، ومد الى طهران ، وخدم الحلفاء اجل خدمة حتى لقد اطلقوا عليه "جسر النصر" . وقد اتصلت السكة الحديد العراقية بالسكة الحديد السورية والتركية التي تتصل بدورها بالخطوط الحديدية الارببية . وما يزيد في أهمية هذا الطريق وبالتالي في أهمية العراق ، في نظر الحكومة البريطانية ، مطالبة الشعب المصري بتأميم قناة السويس ، وجلاء القوات البريطانية عنها . فاذا ما جلست قواتها من هذه القناة ضعفت سيطرتها على طريق البحر الاحمر وهذا ما يتهدد مصالحها في الشرق . اضاف الى كل ما تقدم ان السيطرة البريطانية على العراق مهمة غاية الاهمية للمحافظة على مصالحها البترولية في جنوبي ايران ، وتيسير نقل منتجات النفط منها . واليوم وقد انقسم العالم الى معسكرين مختلفين في السياسة ، والمعائد ، والاهداف وقد اصبح خطر نشوب حرب عالمية حقيقة واقعة كما واضح السلم العالمي مملقا بخيط من حرير ، يزداد اهتمام بريطانيا بالعراق ، بموارده النفطية والزراعية وموقعة السوقي ، وتسعى جاهدة لتجعل منه حلقة متينة في هذا الطوق الذي تريد ضربه حول الاتحاد السوفييتي .

الفصل الثاني

تطور العلاقات العراقية - البريطانية

ان الغاية التي استمدتها من كتابة هذا القسم السياسي هي وصف الجهاز الاداري الذي يدير امور البلاد ، والانظمة التي تعين اتجاه هذا الجهاز الاداري ، حتى نعرف مقدار مسؤوليته في هذا التأخر الذي تعانيه البلاد ، ومدى امكانياته ، بوضوح الحاضر ، على تحقيق الاصلاحات الضرورية . وقد تكلمت في الفصل الاول ، من القسم الثالث ، عن مصالح بريطانيا في العراق حتى ندرس على ضوءها تطور علاقات بريطانيا بالعراق ، ومدى تأثير هذه العلاقات بمصالح بريطانيا الاساسية ، وتأثيرها فيها . وسأدرس في هذا الفصل علاقات بريطانيا بالعراق لان دراسة هذه العلاقات ضرورية لفهم تطور الجهاز الاداري في العراق ، ونشوء الانظمة والقوانين التي تتحكم في سير هذه الادارة . فقد كان كل تغيير رسمي في علاقات الدولتين يستتبع ، كما يقول التقرير الخامس* الذي رفعته بريطانيا الى عصبة الامم من الخطا العراق سنة ١٩٣١ (١) ، بعض التعديل والتحويل في جهاز الادارة ، بما في ذلك زيادة مسؤولية العراقيين في ادارة البلاد كما كان قيام الوزراء والموظفين العراقيين باعباء مسؤولياتهم المتزايدة على الوجه المطلوب يستوجب تعديل العلاقات الخارجية بين الدولتين .

اكتلت الحكومة البريطانية احتلال العراق عام ١٩١٨ . واقامت خلال احتلالها للعراق ادارة مبنية على قرار الادارة في الهند . وكان الشعب العراقي ، خلال الحرب ، ينتظر بعمق وانتهاء الحرب ليحقق حلمه في الاستقلال ، والسيادة الوطنية التي وعد بها البريطانيون . على ان سياسة بريطانيا ، منذ انتهاء الحرب لم ترض العراقيين . فقد كان فريق من الشبان المثقفين ، والساسة العراقيين ، يعملون لاستقلال العراق ، وتحرره من السيطرة العثمانية ، منذ اوائل القرن العشرين . وقد زادت تصريحات الحلفاء زمن الحرب ، وعودهم للعرب ، من يقظة العراقيين السياسية ، واشعلت آمالهم في قرب يوم التحرر المطلق ، وبناء الحكومة العراقية المستقلة . فقد اذاع الجنرال هود ، فاتح بغداد ، بيانا في ١١ آذار ١٩١٧ ، اعلن فيه ان الجيوش الانكليزية جاءت الى العراق محرة لا فاتحة (٢) . واعلن التصريح الانكليزي - الفرنسي ، الصادر في لندن وباريس ونيويورك والقاهرة بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ ، ثم في بغداد في ١٥ منه ، وعوامهم وقد تقدم به الحلفاء الى الشعوب العربية

مقد انتها الحرب ، ما يلي : أن الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسا وبريطانيا العظمى في خوس غمار الحرب في الشرق من جراء اطماع ألمانيا ، هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت اعباء استعباد الاتراك تحريرها تاما نهائيا ، وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين وحسن اختيارهم . ولتنفيذ هذه الغايات قد اتفقت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى على تشجيع ومساعدة انشاء حكومات وادارات وطنية في كل من سورية والعراق (٣) وجاء في النقطة الثانية عشرة من تصريح الرئيس ويلسن المشهور في ٨ كانون الثاني ١٩١٨ : أن الاقسام التركية من الامبراطورية العثمانية الحالية يجب ان تضمن لها سيادتها لكن الاقوام الاخرى التي تخضع الان للحكم التركي يجب ان تضمن لها حياة آمنة لا تشوبها شائبة ، وفرضة لا تمس قطعيا للحكم الذاتي (٤)

وقد قوى قيام دولة عربية في سوريا ايمان العراقيين في التحرر ، ونشطهم في المطالبة بالاستقلال وكانت حكومة سوريا العربية على اتصال بالحركة الوطنية في العراق تشجيعها ، وتغذيتها بالمال ، وتشارك في توجيهها . (٥) وكان قسم كبير من الشيوخ والاقطاعيين قد برموا بالضرائب الثقيلة التي فرضتها عليهم السلطات البريطانية ، وكرهوا الطريقة التي كانت تتبعها في جمع الضرائب منهم . وكان فريق من الاقطاعيين ومن ابنا العشائر ، حائقين على البريطانيين الذين مكثوا النفر من الشيوخ المقربين ، نسلطوهم عليهم ، ومنحوهم السلطات الواسعة ، واعفوهم من الضرائب ، ووسعوا في اراضيهم . (٦) يضاف الى كل ما تقدم ان تعنت ت. ئي . ويلسون ، نائب الحاكم المدني العام بواقامته نظاما دكتاتوريا في العراق ، وسعيه لتحويل العراق الى مستعمرة بريطانية بحقة ، خلافا لوعود الحلفاء ، دفع العراقيين الى توحيد صفوفهم وحشد قواهم ، لاخذ حقوقهم بالقوة . (٧)

(١) تقرير خامس ص ١١

(٢) انظر نص البيان الانكليزي في "ابرلاند" ملحق ١ ص ٤٥٢ — ٠٨ . وانظر الترجمة العربية في عهد الرزاق الحسيني ، "تاريخ الثورة العراقية" (صيدا ١٩٣٥) ، ص ١٧ — ٠١٨

(٣) انظر نص التصريح الانكليزي في ابرلاند ملحق ٤ ص ٤٥٩ — ٠٦٠ ، وانظر الترجمة العربية في الحسيني ، "تاريخ الثورة العراقية" ص ٢١

(٤) انظر ابرلاند ص ٤٥٩ من الاصل وص ٣٦٢ من الترجمة العربية .

وقد لعب رجال الدين ، وخاصة في النجف وكربلاء ، والكاظمية ، دورا فعالا في الحض على التخلص من المستعمرين الاجانب ، والدعوة الى اقامة حكومة وطنية مستقلة . كانت كل عوامل اليقظة الوطنية هذه ، وعوامل الاستياء من الحكم البريطاني المباشر ، تتراكم وتزداد حدة . فلما اعلن انتداب بريطانيا العظمى رسميا على العراق ، في ١٣ ايار ١٩٢٠ ، تحقق العراقيون من نكت بريطانيا بعودها لهم ، فقاموا بثورة دموية ، ابتدأت في الرميثة ، وامتدت الى معظم مناطق القسم الاوسط والجنوبي من البلاد واستمرت من اواخر ربيع ١٩٢٠ الى اوائل تشرين الثاني من السنة نفسها ، وكلفت الحكومة البريطانية نحو ٢٢٦٦ إصابة بين قتيل وجريح من الضباط والجنود ، وما يزيد عن الثلاثة ملايين ليرة استرلينية ، وكلفت الثوار بحسب تقدير الجنرال هولدين في كتابه "الحصيان في العراق" نحو ٨٤٥٠ إصابة بين قتيل وجريح . (٨)

ومما يكن من امر هذه الثورة العراقية فقد وجدت كلمة العراقيين ، والغت بين طوائفهم ، واثبتت لهم عمليا قيمة اتحادهم ، وتأثير هذا الاتحاد في صراعهم مع السلطات المحتلة ، كما اثبتت للحكومة البريطانية صعوبة حكم العراق حكما مباشرا ، وقوت نظرية ذلك القسم من السياسة الانكليز القائلين بوجوب اقامة حكومة وطنية في البلاد ، تشرف عليها الحكومة البريطانية ، وتوجه سياستها . وقد قررت الحكومة البريطانية إلغاء الحكم العسكري للبلاد وتأسيس ادارة مدنية . فاقالت ولسون من وظيفته ، و عينت السير برسي كوكس معتمدا ساميا . وادعت في بغداد ، في ٢٠ حزيران ١٩٢١ ، البلاغ التالي : (٩) "حيث ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد تقررت وكالتها في خصوص العراق فتتوقع ان سيكون من الشروط المنيرة اولا جعل العراق حكومة مستقلة تضمن استقلالها جمعية عصبة الامم وتوكل بريطانيا العظمى وكالة بها . ثانيا تكليف الحكومة البريطانية بالمسؤولية عن حفظ السلم الداخلي والامن الخارجي ونالنا الزامها بتشكيل قانون اساسي وبان تستشير اهالي العراق في مسألة تشكيله مع ملاحظة حقوق الاجناس المختلفة الموجودة في بلاد العراق ورفائنها ومنافعها فتحتوى الوكالة المذكورة على شروط لتمهيد مسالك الرقي للعراق بصفة حكومة مستقلة الى ان تتمكن من الوقوف على نفسها فحينئذ تنتهي مدة الوكالة .

(٥) انظر J. B. Philby, "Arabian Days" (London, 1948), P. 18.

(٦) انظر ايرلاند ص ٢٤٨ - ١

(٧) انظر فيلبي ص ١٨٤ - ٥ وفي هذا الصدد يقول الكولونيل لورنس ، في رسالة

نشرها في جريدة "لندن تايمس" ، بتاريخ ٢٣ آب ١٩٢٠ ،

فقررت حكومة جلالة الملك تكليف السير بيرسي كوكس بتنفيذ هذه المهمة وعليه سيرجع سعادته الى بغداد في موسم الخريف ويتقلد وظيفة الممثل الاعلى للحكومة البريطانية في العراق بعد انقضاء الادارة العسكرية الموجودة الان وستعطى السلطة للسير بيرسي كوكس لتنظيم مؤقت ، اولا — مجلس شورى تحت راسه عربي وثانيا — مؤتمر عراقي مثل جميع اهالي العراق ينتخب اعضاؤه باختيارهم فيكون مما يجب عليه تجهيز القانون الاساسي المار ذكره باستشارة المؤتمر العراقي .*

وصل السير بيرسي كوكس الى العراق في ١١ تشرين الاول ١٩٢٠ ، فاخذ يعمل على تاليف حكومة مؤقتة . وفي ١١ تشرين الثاني اعلن رسميا من قيام مجلس دولة عراقية برئاسة السيد عبد الرحمن الرقيب ، يتالف من ٩ وزراء (للداخلية ، والمالية ، والعدلية ، والدفاع ، والاشغال العامة ، والمعارف والصحة ، والتجارة والاوقاف) ، ومن ٩ وزراء بلا وزارة . وكانت هذه الوزارة مسؤولة عن ادارة البلاد تحت اشراف المعتمد السامي فيما عدل الشؤون الخارجية والعسكرية التي بقيت تحت سيطرة المعتمد السامي ، المباشرة .

وكان امام الحكومة المؤقتة مهمات عديدة منها تهدئة البلاد ، والاطلان العنصر العام ، وسن قانون للانتخاب ، وانتخاب جمعية تأسيسية تضع دستورا للبلاد وتنتخب رئيسا للحكومة ، وتشكيل جيش عراقي ، وتنظيم الادارة في جميع انحاء البلاد على اساس جديدة تلائم الاوضاع المستجدة ، على ان تكون خاضعة للادارة البريطانية .

* لقد نار العرب على الاتراك ، خلال الحرب ، لا لان الاتراك كانوا اشرارا عربيين في الشر ، ولكن لانهم كانوا يريدون الاستقلال . ان الحرب لم يتعرضوا للموت في المعارك الحربية في سبيل ان يغيروا اسيادهم فيصبحون رعايا بريطانيين او مواطنين فرنسيين ، ولكن ليقموا لهم نظاما للحكم خاصا بهم لا عجب ان عيل صبرهم بعد عامين من انتهاء الحرب . ان الحكومة التي اقمتها في العراق حكومة انكليزية الاسلوب واللغة . وهي تضم ٤٥٠ موظفا بريطانيا ، ولا يوجد فيها موظف عراقي واحد مسؤول ، على حين كان سبعين بالمائة من الموظفين في العهد التركي عراقيين . ان ثمانين الفا من جنودنا يقومون بوظيفة الشرطة ، وليس بحماية الحدود ، انهم موجودون في البلاد لا خضاع الشعب والسيطرة عليه .

وقد وضع بونهام كارتر ، مستشار العدلية ، قانونا للانتخاب ، وافقت عليه الوزارة وارسلته الى المفدوب السامي ليصادق عليه . ولكنه لم يصادق عليه ابدا فقد استجدت ظروف استدعب العدول من فكرة عقد جمعية تأسيسية . اراد المستر تشرشل عندما تولى ادارة شؤون الشرقين الادنى والاوسطوان يحقق رغبة الجمهور البريطاني الملحة في اجراء تخفيض جوهري في المصاريف ، وضرورة المحافظة على الممتلكات التي حصل عليها والنقاط الاستراتيجية التي فنمت في الشرق نتيجة للتضحيات البريطانية الجسيمة التي بذلت في الاموال والارواح . ولاجل تحقيق هاتين الغايتين عقد مؤتمر في القاهرة في ١٢ آذار ١٩٢١ ضم جميع الموظفين البارزين والقادة العسكريين في البلاد التي سينظر في شؤونها . وكانت اهم القضايا التي نظر فيها المؤتمر فيما يختص بالعراق هي : التخفيض العاجل في المصروفات البريطانية مع ما يترتب على ذلك من اغادة النظر في السياسة المختصة بما يلي : اولا : مستقبل العلاقات بين الدولة الجديدة وبريطانيا العظمى ، ثانيا : شحذ العاهل المنتظر لدولة العراق ، ثالثا : طبيعة وتشكيلات القوات الدفاعية للدولة الجديدة التي يفترض فيها ان تظلم بحصة كبيرة من الدفاع عن نفسها . وقد تقرر في هذا المؤتمر ترشيح الامير فيصل بن الحسين لتولي عرش العراق ، كما تقرر تأييد الحكومة البريطانية لهذا الترشيح ، بعد ان قبل الامير بعقد معاهدة مع الحكومة البريطانية ، تحدد وضع بريطانيا في العراق ، وتحدد وضع العراق بالنسبة لهذه الدولة وللعصبة الامم . (١٠) وقد مهدت الحكومة العراقية الموقته ببارشاد المربرسي كوكس ، السبيل لنجاح الامير فيصل . وقد ابعد المعتمد السامي السيد طالب النقيب ، وزير الداخلية في الحكومة الموقته ، وكان اقوى منافس للامير فيصل . (١١)

وكانت الفرقتان التركيتان ، في العهد التركي ، تضمان ستين بالمائة من الضباط العرب وخمسا وتسعين بالمائة من الحربي من مختلف الاصناف العسكرية الاخرى . ان هذه الحالة مما يثير نقمة المثقفين العرب ، ويستفز ضغائنهم نغلا من

Henry A. Foster, "The Making of Modern Iraq" (Norman University of Oklahoma Press, 1935), p. 84

(٨) انظر الحسنی ، تاريخ الثورة العراقية ص ١٢١ - ٢٢

(٩) عبد الرزاق الحسنی ، العراق في دورى الاحتلال والانتداب (صيدا ١٩٣٥)

ص ٩١ وانظر النص الانكليزى في ايرلاند ص ٢٢٠ - ٢٢١

ورأت الحكومة البريطانية ان انتخاب الامير فيصل من طريق جمعية تاسيسه معروض للخطر ، ولهذا عدلت عن الفكرة ، واكتفت باخذ موافقة العراقيين بواسطة استفتاء عام . في ٢٣ حزيران وصل الامير فيصل الى البصرة نادما من جدة على ظهر بارجة بريطانية وفي ١١ تموز ١٩٢١ قرر مجلس الوزراء بالاجماع المناداة باسم الامير فيصل ملكا على العراق ، ويشترط ان تكون حكومة سموه دستورية نيابية ، ديمقراطية مقيدة بالقانون " وقد سر المندوب السامي وفيصل معا بما قام به مجلس الوزراء في هذا الصدد ، لكهما كانا متفقين بان الحاجة ما زالت تدعوا لاجراء استفتاء عام لاجل ان يثبت للعالم بان الشعب قد اعطى رأيه حقيقة لفيصل . وعند ما جاء دور المندوب السامي في استعمال حقه بالمصادقة على قرارات مجلس الوزراء اعلن بان قرار يوم ١١ تموز يجب ان يقترن بموافقة الشعب ، التي يمكن التاكيد منها بالاستفتاء العام ، قبل ان يضع مصادقته عليه . " (١٢) وجرى الاستفتاء حسب الخطة التي وضعتها وزارة الداخلية وكانت النتيجة ان ٩٦ ٪ / ٠ من المستفتين ايدوا بيعة الامير فيصل ملكا على العراق .

في ٢٣ آب ١٩٢١ توج الامير فيصل ملكا على العراق باحتفال رسمي . وقدلقى الملك في هذه الحفلة خطبة تاريخية جاء في ختامها : " لا وان اول عمل اقوم به هو مباشرة الانتخابات ، وجمع المجلس التاسيسي . ولتعلم الامة ان مجلسها هذا هو الذي سيضع بمشاوري دستور استقلالها على قواعد الحكومات السياسية الديمقراطية وحين اسرحياتها السياسية والاجتماعية ، ويصادق نهائيا على المعاهدة التي ساعد بها له فيها يتعلق بالصلوات بين حكومتنا والحكومة لبريطانية العظمى وقرر حرية الاديان والعبادات بشرط الا تخل بالامن العام والاخلاق العمومية .

(١٠) ايرلايد ص ٣١١ - ٣١٨ .

(١١) راجع تفاصيل المؤامرة التي دبرها السربرسي كوكس لاختطاف السيد طالب

النقيب ونفيه الى جزيرة سيلان في "تيلبي" ص ١٩٢ - ١٩١

(١٢) ايرلانند ص ٣٣١ - ٢ من الاصل و ص ٢٦٠ من الترجمة العربية

(١٣) انظر النمر الكامل لخطاب الملك فيصل الاول في الحسنى ، العراق بين

احتلالين " ج ١ ص ٢١١ - ٢٢٠ .

ومن قوانين مدنية تضمن منافع الاجانب ومصالحها وتمنع كل تعرض بالدين والجنس واللغة وتكفل التساوى في المعاملات التجارية مع كافة البلاد الاجنبية واني لوافق بان بالاستشارة مع نخامة المندوب السامي جناب السربريسي كوكرا الذي برهن على صداقة للعراق خلدت له الذكر الجميل سينصل الى غايقتنا هذه باسرع وقت ان شاء الله * (١٣)

— المعاهدة العراقية الانكليزية الاولى — (١٩٢٢)

في ١٠ ايلول ١٩٢١ صدرت الادارة الملكية بتايف اول وزارة عراقية ، بعد تتويج الملك ، استلمت الحكم من مجلس الدولة او الحكومة المؤقتة . وكان من اول اعمال الوزارة العراقية عقد معاهدة مع بريطانيا العظمى . واستمرت المفاوضات بين الوزارة العراقية وبار المعتمد السامي حوالي العام . وقد صادق مجلس الوزراء ، في ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ ، على المعاهدة العراقية — الانكليزية ، مشترطاً وجوب ابرامها نهائياً من قبل المجلس التأسيسي .

لقد وضع العراق تحت انتداب الحكومة البريطانية . ولكن الحكومة البريطانية وجدت نفسها غير قادرة على حكم العراق حكماً مباشراً ، كما وجدت ان تطبيق نظام الانتداب بشكله الصريح سيلاقي مصاعب جمة ، ويخلق لها مقاعب عظيمة ، فقد فهم العراقيون من هذا النظام انه لا يختلف عن الاستعمار الصرف الا بالتسمية حسب وقد كان اعلان الانتداب احد العوامل التي ادت الى الثورة العراقية عام ١٩٢٠ كما تقدم معنا . ولهذا قررت الحكومة البريطانية ، بعد تاسيس الحكومة العراقية وتتويج الامير فيصل ملكاً على العراق ، ان تضع لائحة الانتداب بشكل معاهدة .

كانت الحكومة البريطانية تريد ، من عقد هذه المعاهدة ، المحافظة على مصالحها في العراق ، وتبديل شكل الانتداب مع المحافظة على جوهره ، بحيث يكون حكمها امتن اساطير اخصر كلفة ، وقل استشارة لشعور العراقيين الوطني . فقد صرح هذا ل . ل . فيشر تصريحاً رسمياً ، في ١٧ تشرين الثاني ١٩٢١ ، امام عصبة الامم (٢) بان المعاهدة ستوضع لتؤمن اولا سيطرة حكومة صاحب الجلالة على علاقات العراق الخارجية ، وثانياً ما ينتظر من تحقيقه من المسؤوليات الدولية الواقعة على عاتق حكومة صاحب الجلالة بالمعاهدة او الانتداب او الاتفاقية ، وثالثاً تدبير السيطرة المالية كما تدعو اليها الحاجة * (١٤)

(١٤) انظر ايرلاند ص ٣٣٨ حاشية ٣ من الاصل و ص ٢٦٥ حاشية ٣ من الترجمة العربية .

ولم تقصد الحكومة البريطانية ان تكون هذه المعاهدة بديلا عن الانتداب كما يستفاد من تصريح فشر المتقدم الذكر ، ومن هذه الجملة التي تكمله : " وسيكون مفهوما بان المعاهدة المقترحة ستقوم فقط بتنظيم العلاقات بين حكومة صاحب الجلالة كدولة منتدبه ، وحكومة العراق العربية . ولا يقصد بها ان تكون بديلا عن الانتداب الذي سيبقى وثيقة عمل تعين الالتزامات التي اضطلعت باعبائها حكومة صاحب الجلالة من عصبة الامم " (١٥) اما العراقيون فقد كانوا يؤملون ان تلغي هذه المعاهدة الانتداب ، وتقيم العلاقات على اساس المساواة بين الدولتين ، كما هو المفروض في المعاهدات التي تعقد بين الدول المستقلة ، ذات السيادة ، المتساوية في الحقوق . وكانت هاتان النظرتان المتباينتان في المعاهدة مبعث التوتر الذي ساد العلاقات العراقية — الانكليزية طوال فترة الانتداب . وعندما اعلنت نصوص المعاهدة ، واطلع العراقيون على مضمونها ، وتحققوا من مطابقتها ، في الجوهر ، لصك الانتداب ، اعلنوا معارضتهم لها . ولما صدرت الارادة الملكية ، في ١٩ تشرين الاول ١٩٢٢ باجرا ، انتخاب اعضا المجلس التاسيسي ، الذي سيكون ابرام المعاهدة من اول مهماته ، في ٢٤ تشرين الاول ، اتحد السياسيون الوطنيون وعلما ^{المعرب} ~~الشيعة~~ ^{العلماء} لاجباط ابرام المعاهدة عن طريق عرقلة اجتماع المجلس التاسيسي . وقد اصدر علما النجف والكلامية الفتاوى ، في اوائل تشرين الثاني ، بتحريم الاشتراك في الانتخاب ^{والمجلس} واصدار مثل هذه الفتاوى في حزيران ١٩٢٣ . ولم تستطع الحكومة اجراء الانتخابات الا بعد ان نمت مظاهرات المعارضة بالقوة ، ونفت عددا من علما ^{الشيعة} ~~العلماء~~ بينهم الشيخ مهدي الخالصي ، الى ايران . في ٢٥ شباط تمت الانتخابات الثانوية ، وكان عدد المندوبين ١٠٠ مندوب . وفي ١٢ آذار ١٩٢٤ افتتح الملك المجلس وكان عدد الحاضرين ٨٤ مندوبا . واستمرت مناقشة المجلس للمعاهدة مدة طويلة ولم يجروا المندوبون على المصادقة عليها خوفا من نقمة الراي العام ، ولم تتساهل الحكومة البريطانية باجرا ، اي تعديل فيها . وفي ٢٦ ايار اخطر المعتد السامي الملك بان المجلس اذا لم يوافق على المعاهدة قبل يوم ١١ حزيران فان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تفكر في ان تعرض على المجلس العصبة اجرا ترتيبات اخرى يعامل العراق بموجبها . (١٦)

واجتمع المجلس في صباح ١٠ حزيران ولكنه لم يصادق على المعاهدة . فخطر
المعتد السامي الملك بوجوب حل المجلس إذ لم يصادق على المعاهدة قبل الساعة
السابعة من صباح ١١ حزيران . وقد تمكن رئيس الوزراء من ان يجمع في الساعة
العاشرة والنصف من صباح يوم ١٠ حزيران ١٩١٤ مندوباً . فتم التصديق على المعاهدة
والبروتوكول والاتفاقيات الملحقة بها بان صوت بالموافقة عليها ٣٧ ، وصوت ضدها
٢٤ ، وامتنع ٨ عن التصويت . وقدمت الحكومة البريطانية المعاهدة والبروتوكول
والاتفاقيات الملحقة بها الى مجلس عصبة الامم في ٢٧ ايلول سنة ١٩٢٤ .
فوافق عليها المجلس ، واصبحت نافذة المفعول في ١٩ كانون الاول ١٩٢٤ .
ولهذه المعاهدة اهمية خاصة في تاريخ العراق السياسي ، فقد حددت العلاقات
بين الحكومتين العراقية والبريطانية منذ ان اصبحت نافذة المفعول الى دخول
العراق في عصبة الامم سنة ١٩٣٢ ، على الرغم من التعديلات التي ادخلت عليها
في فترات مختلفة خلال هذه المدة ، لان تلك التعديلات لم تمس جوهرها .
جاءت هذه المعاهدة متضمنة لجوهر لائحة الانتداب البريطاني على العراق (١٧)
فقد جعلت الحكومة العراقية خاضعة لمشورة الحكومة البريطانية . (١٨) وقد ضمنت
الحكومة البريطانية تحقق اتباع الحكومة العراقية لهذه المشورة ، وتبنيها بتعليماتها
بان جعلت "ملك العراق ~~مختلف المعاملات~~ يوافق على ان يستدل بها يقدمه جلالة ملك
بريطانيا من المشورة بواسطة المعتد السامي — في جميع الشؤون المهمة التي تمس
بتعهدات ومصالح جلالة ملك بريطانيا الدولية والمالية وذلك طول مدة هذه المعاهدة .
وتشير جلالة ملك العراق المعتد السامي في الاستشارة التامة في ما يؤدي الى
سياسة مالية ونقدية سليمة ، ويؤمن ثبات وحسن نظام مالية حكومة العراق ما دامت
تلك الحكومة مديونة لحكومة جلالة ملك بريطانيا " (م ٤) .

(١٦) المصدر السابق ص ٣٩٩ من الاصل وص ٣١٢ من الترجمة العربية

(١٧) قابل المواد ٣، ٥، ٨، ٩، ١١، ١٦، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧ من لائحة

هذه المعاهدة بالمواد ١، ٨، ٣، ٤، ٥، ١١، ١٠، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦،

من لائحة الانتداب على التعاقب . وتجد نص لائحة الانتداب منشوراً في

"العراق في دورى الاحتلال والانتداب" ج ١ ص ١٩١ — ١٩٤ .

ولاجل ان تضمن الحكومة البريطانية دوام هذه السياسة ، سياسة خضوع الحكومة العراقية للسياسة البريطانية ، وسعت سلطات الملك في الدستور ، ووضعت عددا كبيرا من الموظفين البريطانيين في المراكز الرئيسية في الجهاز الاداري . فقد جاء في المادة الاولى من الاتفاقية الخاصة بالموظفين البريطانيين الملحق بهذه المعاهدة : " توافق الحكومة العراقية على ان تعين عككما وعندما يطلب اليها ذلك موظفا بريطانيا ينال موافقة المعتمد السامي في اية من الوظائف المينة في الجدول الاول الملحق بهذه الاتفاقية " وهي مستشار وزارات الداخلية والمالية والحدلية والدفاع والاشغال والمواصلات . والمدراء او المفتشون العامون للرى والاشغال والزراعة والطابو والمساحة والبيطرة . والمفتشون العامون للبرق والبريد والشرطة والصحة والمعارف والكرك . ومدير مراجعة الحسابات ومساعداه . ورئيس محكمة الاستئناف . ^١ راجع الجدول الاول الملحق باتفاقية الموظفين البريطانيين) . واشترطت المادة الثانية من المعاهدة ان لا تعين الحكومة العراقية اى موظف غير عراقي في وظائف تقتضي اداة ملكية ، الا بموافقة الحكومة البريطانية . ويعتبر هؤلاء الموظفين البريطانيون موظفين لدى الحكومة العراقية ، مسؤولين امامها وليس امام المعتمد السامي . (م ٦ من ملحق الموظفين) ولكن هؤلاء الموظفين كانوا في الواقع مسؤولين امام المعتمد السامي عن ادارة الحكومة العراقية ، وتنفيذ السياسة البريطانية في العراق ، كما سنبين في الفصل القادم . ولجل ان تضمن الحكومة البريطانية دوام مصالحها في العراق ، وسلامة طرق مواصلاتها الامبراطورية ، ولجل ان تتخلص من تكاليف حماية هذه المصالح التي كانت الصحافة البريطانية والبرلمان البريطاني تلج في وجوب تخفيضها او حتى في التخلي عن العراق في سبيل تخفيف عبء دافع الضرائب البريطاني ، وضعت مسؤولية حفظ الدام في العراق ، والدفاع عنه ضد اى تعدد خارجي على عاتق الحكومة العراقية . (م ١ من الاتفاقية العسكرية) وعلى هذا فقد تعهدت الحكومة العراقية بان تخصص ما لا يقل عن ٢٥ / ٠ من ايرادات العراق السنوية لاجل القيام باعباء الجيشر النظامي والقوات الحلية الاخرى . (لاتفاقية العسكرية م ٤)

(١٨) " المعاهدة العراقية — الانكليزية مع الاتفاقيات الملحقه بها " (مطبعة الحكومة بغداد ، ١٩٢٤) المادة الاولى . وتحتوى هذه الطبعة على النصين العربي والانكليزي .

ويكون الجيش العراقي تحت قيادة ملك العراق — على ان يكون هذا الجيش خاضعا
لإقتضائ قائد القوات البريطانية في العراق ، الذي يقدم اقتراحاته الى جلالة الملك
بواسطة المعتمد السامي ، بشأن ما يراه ضروريا من الاجراءات لاجل تحسين حالة
الجيش والقوات المسلحة الاخرى . وتكون حركات الجيش العراقي ، وتوزيعه ، خاضعة
لرؤائب المعتمد السامي (الاتفاقية العسكرية م ٧) . ولا يستخدم هذا الجيش الا
في مصلحة العراق . و موافق الحكومتان على ان لا تقوم واحدة منهما باعمال عسكرية
لحفظ النظام الداخلي او الدفاع عن العراق ضد تجاوز خارجي * بدون استشارة
الحكومة الاخرى والاتفاق معها مقدما * (الملحق العسكري م ٨) . وحين القيام
بأعمال عسكرية ، مما ينوي ان تشارك فيها قوات تقوم بأعبائها او تتولى امرها حكومة
صاحب الجلالة البريطانية ، يجب ان يعهد بقيادة القوات المشتركة الى قائد عسكري
بريطاني (م ٩) . ويجب على ملك العراق ، في حالة قيام هذه القوات البريطانية بأعمال
عسكرية لاجل مساعدة الحكومة العراقية على رد اي اعتداء خارجي او قمع هياج اهلي
ان يعلن الاحكام العرفية ، لدى طلب المعتمد السامي ، في جميع جهات العراق
التي يتناولها هذا التعدي الخارجي او الهياج الاهلي ، وعلى ان يعهد بإدارة
هذه الاحكام العرفية الى قائد القوات الجوية البريطانية او من يعينه هذا القائد
من الضباط . (م ١٢) . وتتلخص مساعدة الحكومة البريطانية للحكومة العراقية ، بان
تبقى في العراق حامية من الجنود الامبراطورية ، او من الجنود المحليين ، تقوم
بأعبائهم الحكومة البريطانية ، وان تتفقد الضباط العراقيين بالعلم العسكرية وفن
الطيران في المملكة البريطانية ، وان تجهز الجيش العراقي بكليات وافية من الاسلحة
والذخائر والمعدات والطائرات . اهلي حساب الحكومة العراقية (م ٢) .
وتقدم الحكومة العراقية جميع التسهيلات لاجل تحريك القوات الامبراطورية بما في ذلك
استعمال البرق واللاسلكي وخطوط البرق والتلفون البرية . و لاجل نقل وخزن الوقود
والعتاد اللازم لهذه القوات على طرق العراق وسككه الحديدية وطرقه المائية ،
وهوائيه . (م ١٣) .

اما الاتفاقية العدلية فقد حفظت للاجانب حقوقا خاصة ، واعادت النظام القضائي
الخامر الذي كان موجودا على عهد الامتيازات الاجنبية بشكل محوور على الرغم من ان
الامتيازات كانت قد الغيت . (١٩)

فقد اعطت للاجانب الحق في ان يطلبوا ان يحاكموا امام محاكم بريطانيين . ولاجل ان تضمن الحكومة البريطانية مراعاة الاجانب في القضاء العراقي اشتركت المادة الثالثة من الاتفاقية العدلية * ان يتعهد صاحب الجلالة ملك العراق ان تعرض كل لائحة قانونية تتعلق باختصاص المحاكم وتشكيلها او اصول المرافعة فيها او تعيين الحكام وهزلهم على المعتمد السامي قبل عرضها على السلطة التشريعية ليعين اراءه ونسورته فيما له مناس بمصالح الاجانب (٢٠).

وقد عينت الاتفاقية المالية التزامات العراق المالية قبل الحكومة البريطانية . فقد نصت المادة الخامسة على ان تقبل الحكومة العراقية نقل ملكية المرافق العمومية اليها بالثمن المبين ادناه .

الري	٦٠٤٠ م ٢١٢ م	روبية
الطرق	٣٢٠ م ٠٠٠	روبية
الجسور	١١٧ م ٥٠٠	=
البرق والبريد والتلفون	١٧٦٠ م ٠٠٠	= =

المجموع ٩٥٤٠ م ٤٠٩ م = =

ويجب ان يكون هذا المبلغ دينا يقتضي تسديده باقساط سنوية في خلال مدة معينة وسعين مقدار هذه الاقساط على وجه يضمن دفع المبلغ الاصلي مع فائدة سنوية قدرها ٥ بالمائة في خلال عشرين سنة من تاريخ عقد هذه الاتفاقية (الملحق المالي م ٧) ويتفصل مباشرة وادارة السكة الحديد في العراق والتي ستظل ملكا للحكومة البريطانية الى حكومة العراق وذلك من اول نيسان سنة ١٩٢٣ ولعدة لا تزيد عن اربع سنوات من تاريخ ابرام معاهدة التحالف . ويجب ان تحفظ جميع واردات السكة الحديد العراقية بمعزل عن واردات العراق العمومية ما دامت مباشرة وادارة السكة الحديد بيد الحكومة العراقية ولا تستعمل الا لتسديد المصروفات العمومية وتكاليف الاعمال الرئيسية التي تقام بموافقة المعتمد السامي . وتوافق كل من الحكومتين على وجوب انتقال ملكية السكة الحديد الى حكومة العراق على اثر انتهاء الاربع سنوات من تاريخ ابرام معاهدة التحالف هذه

(٢٠) عينت المادة الاولى من الاتفاقية العدلية معنى لفظة اجنبي بقولها : انها تطلق على رعايا الدول الاوربية والاميركية التي كنفت تستفيد من احكام الامتيازات في تركيا سابقا والتي لم تتنازل عن تلك الامتيازات بمنحها اتفاق موقع قبل تاريخ ٢٤ تموز ١٩٢٣ والدول الاسيوية

في الحال . (الملحق العالي ٨٣) .

وسلم ميناء البصرة الى شركة تديره بالامانة (تدعى امانة الميناء) على شرط ان تفصل ايرادات الميناء ومصرفاته عن حسابات العراق العمومية وتقام لاجل ادارة شؤونه . الميناء امانة ميناء بامر الحكومة العراقية على ان توافق الحكومة البريطانية على ذلك . ويحتبر الثمن المقدر البالغ ٢٠٠٠ م ١١٩ م ٧ روبية دينارا على امانة الميناء لخدمة الحكومة البريطانية ، كما يشترط ان توافق الحكومة البريطانية على الشروط التي بموجبها تقوم امانة الميناء باعمالها . (الملحق العالي م ١٠)

ونصت المادة الثالثة عشرة من الملحق العالي على ان تدفع الحكومة العراقية نصف مرتبات ومصاريف المعتمد السامي وحاشيته ونصت المادة الرابعة على اعفاء المواد الاتية من الرسم الكركية على الواردات والصادرات :

(١) جميع المواد العائدة الى المعتمد السامي واستعماله الخاص .

(ب) جميع اللوازم الرسمية العائدة الى المعتمد السامي وحاشيته والقوات او المصالح الامبراطورية وغير الامبراطورية المقامة في العراق على نفقة حكومة جلالة ملك بريطانيا وجميع المستوردات العائدة الى الحوانيت والمصالح العائدة الى هذه القوات ، او المحنوة باسم افراد من افراد القوات البريطانية . كما نصت المادة الخامسة عشرة على ان لا تتقاضى الحكومة العراقية رسما ما من القوات البريطانية او مصالح جلالة ملك بريطانيا من الدوائر او الاراضي او المقار التي تشغلها هذه القوات والمصالح لمقاصد رسمية .

المعاهدة العراقية — الانكليزية الثانية (١١٢٦)

نص البوتوكول الملحق بالمعاهدة الاولى والوقع في ٢٠ نيسان ١٩٢٣ على انه " يجب ان تنتهي المعاهدة الحالية عند صيرورة العراق عضوا في جمعية الامم وعلى كل حال يجب الا يتاخر انتهاءها عن اربع سنوات من تاريخ ابرام الصلح مع تركيا " على ان حكومة مصلي كمال استلمت ات تلغي معاهدة سيفر ، التي تنازلت بموجبها تركيا عن العراق وبضم اولاية الموصل . وقد نصت المادة الثالثة من معاهدة لوزان التي حلت محل معاهدة سيفر على ان تحل الحكومتان البريطانية والتركية مشكلة الحدود بين العراق وتركيا بمفاوضات ودية خلال تسعة اشهر . وهذا عدم التوصل الى اتفاق تحل القضية الى

تابع (٢٠) التي لها الان مثل دائم في مجلس عصبة الامم . وتشمل الاشخاص الحكيم القائمة بموجب قوانين تلك الدول والهيئات والمؤسسات الدينية او الخيرية المؤلفة من اشخاص كلهم او اكثرهم من رعايا الدول المذكورة .

الى مجلس عصبة الامم . وقد فشلت المفاوضات التي جرت في الاستانة سنة ١٩٢٤ .
وهضمت القضية على عصبة الامم فاوقدت لجنة العراق^(١) لدراس الموضوع . وقد اوصت اللجنة بابقاء
الموصل ضمن العراق مشترطة بقاء الانتداب البريطاني على العراق مدة ٢٥ سنة .
وقد اخذ مجلس العصبة بهذا الرأي في ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ ، وطلب من بريطانيا
تقديم معاهدة جديدة تضمن دوام العلاقات العراقية الانكليزية كما حددت في معاهدة
سنة ١٩٢٢ ، وفي الاتفاقات الحقة بدلا ولمدة ٢٥ سنة الا اذا قبل العراق عضوا في
عصبة الامم . وتم عقد هذه المعاهدة الجديدة في ١٢ كانون الثاني ١٩٢٦ . وقدمت
في ٢ اذار ١٩٢٦ الى مجلس عصبة الامم فصدقها هذا المجلس في ١١ اذار ١٩٢٦
وقد اصبحت نافذة المفعول في ١٣ اذار ١٩٢٦ .

المعاهدة العراقية - الانكليزية الثالثة (١٩٢٧)

على ان متعدد اجل انتباء الانتداب وقد اذع اعباء الاتفاقيتين المالية والعسكرية ،
قوبل بالسخط العام في العراق . وعلى هذا فاتفق ايدى المجلس العراقي الذي احيلت
اليه لائحة المعاهدة في ٢٨ كانون الاول ، ورغبة شديدة في وضع جمل تشريعي اجراء
تعديلات عاجلة في الاتفاقيتين المالية والعسكرية بواسطة النظر بصورة دورية في امكانية
دخول العراق في عصبة الامم موافقت وزارة المستعمرات البريطانية . وابتدأت المفاوضات
من اجل عقد معاهدة جديدة في بغداد ثم نقلت الى لندن . وانتجت هذه المفاوضات
الى عقد معاهدة وقعت في لندن في ١٤ كانون الاول ١٩٢٧ . واقرتها الوزارة العراقية
في جلستها المنعقدة في ١٨ كانون الاول سنة ١٩٢٧ . ولكن هذه المعاهدة
التي لا تختلف عن سابقتها اختلافا جوهريا ، لاقت معارضة شديدة واستقالت الوزارة
بسببها . واهم ما جاء فيها المادة التي تنص بشرط الاحتفاظ بمعدل التقدم الحاضر في
العراق وسير الامور سيرا حسنا خلال هذه الفترة يعضد صاحب الجلالة البريطانية ترشيح
العراق للدخول في عصبة الامم في عام ١٩٣٢ . واستمرت المفاوضات من اجل تعديل
الاتفاقيتين المالية والعسكرية ، ولم يتوصل الفريقان الى اتفاق . وعلى هذا قررت الحكومة
العراقية انتباء المفاوضات ، وانباء حكم المعاهدة بدول العراق في عصبة الامم . وقد
ساعد مجيئ الشمال الى الحكم في بريطانيا في ٥ حزيران ١٩٢٩ حل القضايا المعلقة
بين البلدين . فقررت بريطانيا التخلي عن هذه المعاهدة وتمشية العلاقات وفقا للمعاهدات

والاتفاقيات القديمة المؤرخة في ١٩٢٢ ، ١٩٢٤ ، و ١٩٢٦ ، ووافقت على ترشيح العراق الى عضوية عصبة الامم في سنة ١٩٢٢ دون اشتراط تقدم العراق في هذه الفترة . وفي ١٤ ايلول ١٩٢٩ اعلم وكيل المعتد السامي الملك فيصل بالقرارات التالية التي اتخذتها الحكومة البريطانية :

١- ان الحكومة البريطانية مستعدة لمعاوضة ترشيح العراق للدخول في عصبة الامم في عام ١٩٣٢ .

ب- ان الحكومة البريطانية ستخبر مجلس عصبة الامم في اجتماعه المقبل انها قررت عدم الشروع بمعاهدة سنة ١٩٢٢

ج - ان الحكومة البريطانية ستخبر مجلس عصبة الامم في اجتماعه المقبل انها قررت وفقا للفقرة (١) من المادة الثالثة العراقية - البريطانية لسنة ١٩٢٦ ، التوصية بدخول العراق في عصبة الامم عام ١٩٢٢ .

وقد اضاف وكيل المعتد السامي الى المقررات السابقة ما يلي : " ان الحكومة البريطانية تامل عقد معاهدة مع الحكومة العراقية قبل عام ١٩٣٢ قائمة على الاغلب على اساس المقترحات الاخيرة لمشروع المعاهدة البريطانية - العراقية وذلك لاجل تنظيم علاقات بريطانية بالعراق وبعد دخول العراق الى عصبة الامم (٢١)

المعاهدة العراقية - الانكليزية الرابعة (١٩٣٠)

وعلى هذا ابتدأت المفاوضات من اجل عقد هذه المعاهدة الجديدة في ٢٨ نيسان ١٩٣٠ . وتمت المعاهدة ووقع عليها في بغداد ، في ٣ حزيران من السنة نفسها ، المعتد السامي ه . ف . هـ ، وزير خارجية العراق السيد نوري السعيد ومحل البرلمان وجي " ببرلمان جديد لاقرار المعاهدة ، فصدقها في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٠ . وتبوتلت وثائق ابرامها في ٢ كانون الثاني ١٩٣١ على ان تكون نافذة المفعول من تاريخ قبول العراق عضوا في عصبة الامم . وقد تقدمت الحكومة البريطانية بترشيح العراق الى عصبة الامم . فوافق مجلس العصبة في ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٢ على دخول العراق في العصبة بشرط ان يعطي تصريحاً بثمان حقوق الاقليات وبالحكم بالعدل وبمراعاة القانون الدولي

(٢١) انظر الحمصى ، تاريخ العراق السياسي الحديث ج ١ ص ١٦٢ - ٢

وغير ذلك من التحفظات . وفي ٢٠ ايار وقّع العراق على هذا التصريح المطلوب . وفي ٣ تشرين الاول ١٩٣٢ تبوأ العراق مقعده في مجلس عصبة الامم .

تبدأ المعاهدة (٢٢) بتحديد علاقة الحكومتين العراقية والبريطانية في الشؤون الخارجية فتقول المادة الاولى : " وتجري بينهما مشاوره تامه وصريحه في جميع شؤون السياسة الخارجية ما قد يكون له مساس بمصالحهما المشتركة . ويتعبد كل من الفريقين الساميين بان لا يفتني البلاد الاجنبية موقفا لا يتفق وهذا التحالف ما وقد يخلق مصاعب للفريق الاخر . " وقد جاء في المادة الاولى من المذكرة الايضاحية لهذه المعاهد (٢٣) ان المقصود من هذه المادة ، وبخاصة معنى الشؤون الخارجية " منحصري الشؤون الواقعة ضمن السياسة الخارجية اما الشؤون التجارية والاقتصادية البحتة فانها خارجة عن نطاق هذه المادة " وتقول المادة الثالثة : " اذا ادى اي نزاع بين العراق وبين دولة ثالثة الى حالة يشترتب عليها خطر قطع العلاقات بتلك الدولة يوحد الفريقان الساميان المتعاقدان حاجتهما لتسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية وفقا لاحكام ميثاق عصبة الامم . " ووفقا لاي تعهدات دولية اخرى يمكن تطبيقها على تلك الحالة . " وتقول المادة الرابعة " اذا اشتبه احد الفريقين الساميين المتعاقدين في حرب رغم احكام المادة الثالثة ، يبادر حينئذ الفريق السامي المتعاقد الاخر فوراً الى معونته بصفته كونه حليفاً ، وذلك دائماً وفق احكام المادة التاسعة ان معونة صاحب الجلالة ملك العراق في حالة حرب ما وخطر حرب محدق منحصري ان يقدم الى صاحب الجلالة البريطانية في الاراضي العراقية جميع ما في وسعه ان يقدمه من التسميلات والمساعدات ، ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والانهر والعواتي ، والملاطات ، ووسائل المواصلات . " وتنتهي المادة الخامسة بذكر اهمية طرق المواصلات الامبراطورية لكلا الفريقين ووجوب المحافظة عليهما وكيفية القيام بهذه المحافظة . والحضان هذه القضية هي اهم نقطة في المعاهدة والمحور الذي تدور حوله المعاهدة بأسرها . فقد جاء في البيان الذي تقدمت به الوزارة الى البرلمان عن الاسباب الموجبة لعقد هذه المعاهدة (٢٤) .

(٢٢) اعتمدت في تحليل المعاهدة والاتفاقيات الملحقة بها على النسخ المنشورة في المجلد

تاريخ العراق السياسي الحديث ج ٢ ص ١٩٧ - ٢١٥

(٢٣) انظر نص هذه المذكرة الايضاحية في المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٢ - ٢١٤

(٢٤) انظر نص هذه البيان في المصدر السابق ج ٢ ص ١٩٠ - ١٩٧

[illegible]

ويتعهد ملك العراق ^{بان يقدم} على طلب ملك بريطانيا وعلى نفقته بحرسا خاصا من القوات العراقية لحماية القواعد الجوية . (الملحق العسكري م ٤) ويتحتم على الحكومة العراقية ان تقوم بجميع التسهيلات الممكنة لمرور القوات البريطانية من جميع الصنوف العسكرية عبر العراق ، ولنقل وخزن جميع المؤن والتجهيزات ، والتي قد تحتاج اليها هذه القوات ، في اثنا مرورها في العراق وتتناول هذه التسهيلات استخدام طرق العراق ، وسكك الحديد ، وطرقه المائية ، وموانئه ، ومطاراته . ويؤكد للسفن البريطانية اننا عاما في زيارة شط العرب . (الملحق العسكري م ٧) . كما يتحتم على الحكومة العراقية ان تقوم بجميع التسهيلات لتنتقل القوات البريطانية المقيمة في العراق ، وتدريبها ، واعاليتها . (الملحق العسكري م ٢) وجب ان تذل الحصانات والامتيازات في شؤون القضاء والعائدات الاميرية (وفي ذلك الاعفاء من الضرائب) التي تتمتع بها القوات البريطانية في العراق شاملة القوات البريطانية المقيمة في العراق والقوات البريطانية من جميع الصنوف التي يحتمل وجودها في العراق فعلا باحكام هذه المعاهدة . (الملحق العسكري م ٢) .

اما مساعدة الحكومة البريطانية للعراق فهي :

- ١ - تعليم الباطنيين العراقيين الفنون البحرية ، والعسكرية ، والجوية في المملكة المتحدة .
- ٢ - تقديم الاسلحة ، والعتاد ، والتجهيزات ، والسفن والطائرات من احدث طراز ميسر الى القوات العراقية .
- ٣ - تقيم ضباط بريطانيين بحريين ، وعسكريين ، وجوئيين ، للخدمة بصفة استشارية في القوات العراقية (الملحق العسكري م ٥) . وتشترط المادة السادسة من الملحق العسكري هذه الشروط التالية :

- (١) يتعهد جلالة ملك العراق بانه اذا راي ضرورة الالتجاء الى مدربين عسكريين اجانب فانهم يختارون من الرعايا البريطانيين .
- (٢) وان الاشخاص التابعين للقوات العراقية الذين يرسلون للخارج للتدريب العسكري يجب ان يرسلوا الى مدارس وكليات ودور تدريب عسكرية في بلاد جلالتة البريطانية .
- (٣) وان التجهيزات الاساسية للقوات العراقية ، واسلحتها وجب ان لا تختلف في نوعها من اسلحة القوات البريطانية وتجهيزاتها .

اما الاتفاقية العدلية فقد اذنت النظام الدائم الخاص الذي اسس حسب المعاهدة الاولى لمصلحة الاجانب واشترعت تطبيق نظام قضائي موحد على جميع العراقيين والاجانب على حد سواء (الاتفاقية العدلية م ١) . ولكن النام النظام القديم لم يكن كاملا . فقد اشترطت المادة الثانية من الاتفاقية العدلية ضرورة الاستمرار على استخدام عدد محدود

من الخبراء القانونيين البريطانيين في وزارة العدلية موني محاكم العراق ينتخبهم صاحب الجلالة ملك العراق بموافقة صاحب الجلالة البريطانية على ان يخول هو "الخبراء" سلطات قضائية وفقا لقوانين العراق . وعليه يتعهد صاحب الجلالة ملك العراق بان يستخدم تسعة خبراء قانونيين بشروط لا تقل ملائمة عن الشروط الموضوعة في اتفاقية الموظفين البريطانيين المؤرخة في ٢٥ مارس ١٩٢٤ ويعقود مدتها عشر سنوات من تاريخ دخول هذه الاتفاقية في حيز التنفيذ . ويتعهد جلالته بان تنقل عادة الوظائف الاتية بموظفين بريطانيين من الخبراء القانونيين السابقين الذكر : (١) مستشار قضائي بريطاني (٢) رئيس بريطاني لمحكمة الاستئناف والتمييز (٣) رؤساء بريطانيون لمحاكم البداية والكبرى في بغداد والبصرة والموصل وفي الأماكن التي يتفق عليها فيما بعد . وقد حظت هذه الاتفاقية للإجانب حقوقهم الشخصية كاملة .

وأما الاتفاقية المالية فقد بحثت في شروط نقل الملكية المطارات والمحركات الموجودة في النجف والموصل الى الحكومة العراقية وقد نصت على ان الحكومة العراقية لا تستوفى بدلات ايجار عن مواقع القواعد الجوية التي تخرج من الحكومة العراقية ما اذا كانت اراضي أميرية خالية (الاتفاقية المالية م ١) . ثم تناولت قضية السكك الحديدية . فنصت المادة الرابعة على نقل ملكية السكك الى الحكومة العراقية على ان تكون بشكل نقابة ذات شخصية حكومية يتألف راسماليها من اسهم بريطانية وعراقية وعلى ان ~~تكون~~ يتألف مجلس ادارتها من خمسة مديرين ، معين اثنين منهم الحكومة العراقية واثنين منهم الحكومة البريطانية . وأما الخاضع الذي يكون رئيس الادارة فيتم تعيينه باتفاق كلتا الحكومتين ويكون اول رئيس لمجلس الادارة مدير السكك الحديد العراقية الحالي . وتكون النقابة مسؤولة باجمعها عن ادارة السكك الحديد العراقية وتدير شؤونها جميعا . ونحن للحكومة العراقية ان تستقرى متى شاءت الاسهم المخصصة للحكومة البريطانية بقيمتها الاصلية (٢٥) . ونبحث المادة الخامسة من الاتفاقية المالية في ملكية وادارة ^{ميناء} البصرة فنقول : ان الملك الكائن في ميناء البصرة الموجود الان في حيازة الملكة المتحدة ينتقل الى الحكومة العراقية

(٢٥) انتقلت حقوق الحكومة البريطانية في السكة الحديد بموجب اتفاق امضي في بغداد في ٢١ اذار ١٩٢٦ الى الحكومة العراقية بعد ان دفعت الحكومة العراقية اربعمائة الف ليرة استرلينية . وقد انيطت ادارة السكة الحديد العراقية هذه لمدة عشرين سنة بمجلس مديرين يتألف من الحد الزراعي ورئيسا للمجلس والمدير العام للسكك الحديد وثلاثة اعضاء اخرين يكون احدهم من الرعايا البريطانيين وتعيينه الحكومة العراقية وقد خول مجلس المديرين المصالحات الكافية لادارة السكك . وقد نصت الاتفاقية على ان تنقل ميزانية السكك لمدة

وتقوم ^{بإدارة} ~~بإدارة~~ المينا هياة تدعى مجلس امنا المينا . ولهذه الغاية يسن العراق تشريعا بنص موافق عليها مع المملكة المتحدة لتأليف مجلس امنا مينا له شخصية قانونية . على ان لا يعدل هذا التشريع الا بموافقة حكومة المملكة المتحدة ما دام لحكومة المملكة المتحدة اي جز كان من الدين المتعلق بالمينا . وعند سن التشريع المذكور وتأليف مجلس امنا للمينا ينتقل الملك الكائن في المينا الى الحكومة العراقية . ويسجل باسمها . وفي عين الوقت الذي يتم فيه هذا الانتقال يمنع مجلس امنا المينا حق الانتفاع التام على سبيل الايجار او الامتياز او بواسطة اخرى مناسبة على ان توافق حكومة المملكة المتحدة على الشروط وذلك للمدة التي يكون فيها المينا مدينا لحكومة المملكة المتحدة باي جز كان من الدين . (٢٦)

تابع (٢٥) لمدة عشرين سنة منفصلة عن الميزانية العامة للحكومة . ويتخذ خلال هذه المدة المناصب التالية رعايا بريطانيون : المدير العام مفتش النقل العام ، رئيس المهندسين ، معاون رئيس المهندسين ، رئيس المهندسين الميكانيكيين ، معاون رئيس المهندسين الميكانيكيين . (انظر حمادة ص ٣١٩) لقد ضمنت الحكومة البريطانية مصالح الحياوية في السكة الحديد بواسطة هؤلاء الموظفين البريطانيين الذين يحتلون المراكز الرئيسية في ادارتها . وتقوم ادارة السكك بتحقيق كل المشاريع التي تحتاجها القوات البريطانية في تنقلاتها او التي قد تحتاجها في المستقبل . وقد اخبرني موظف عراقي مسؤول في السكك ان ادارة السكك لا تقوم بل بالمشروع مما كانت البلاد بحاجة ماسة اليه ، اذا لم يكن للانكليز نفع فيه . فبينما تشتت جهات كثيرة من العراق الى السكة الحديد تقوم مديرية السكك التي يرأسها الجنرال سميت البريطاني ، ببناء جسر من العراخ الى السكة الحديد تقوم ثابت للقطار على دجلة كلف حوالي اربعة ملايين دينار حتي تسهل سرعة اتصال قطارات كركوك بقطارات الموصل والبصرة فتؤمن بذلك سرعة الاتصال بكركوك والحدود الايرانية بواسطة خط بغداد كركوك وبغداد بعقوبة خانقين . اضاف الى هذا ان ادارة السكك تتبع سياسة التبذير حتى لا تدع وفراقد يستعمل في المشاريع النافعة . ففي الوقت الذي تحتاج البلاد فيه الى خطوط حديدية تقوم ادارة السكك ببناء محطة عالمية في بغداد ، وتنشئ الفنادق الضخمة ، وفي المدن والمعاليق والتي لا تدرا الا اقل الربح ان لم تخسر . وقد انشأت خطا جويا تستاجر له الطائرات وفي الوقت الذي تستطيع ان تشتري بهذا المبلغ الذي تدفعه ايجارا عذة طائرات تصبح ملكا لها . والمقدرا ان هذا المشروع الطيران المدني يخسر سنويا ما لا يقل عن ٥٠٠٠٠ دينار .

حاشية (٢٦) : ظل ميناء البصرة هذا يدار ، بحسب هذه المادة وبحسب ما جاء في الملحق المالي للمعاهدة العراقية - الانكليزية الاولى ، من قبل مجلس خاص ، وقيمت ايراداته ومصروفاته منفصلة عن حسابات الحكومة العراقية ، لان الميناء لا يزال مدينا للحكومة البريطانية ببلغ سبعين الف دينار من اصل ثمنه البالغ ٢١٩٠٠٠ ٢٢ روية اي ما يعادل ٣٠٧ / ٥٥٥ دينار تقريبا . وقد يعجب المرء كيف ان الميناء والحكومة العراقية باسرها ، لم تستطع ايفاؤها هذا الدين الضئيل خلال مدة تزيد عن ربع القرن ، مع العلم ان ايرادات الميناء ضخمة فهي تتألف من رسوم الميناء ، ورسوم قيادة السفن ، ورسوم صحية ، ورسوم تفريغ ، وما يربحه الميناء من مشروعي اسالة الماء والكهرباء اللذين يمتلكهما في مدينة البصرة ؟ ولكن هذا العجب يزول اذا علمنا ان ميناء البصرة قد وسع خلال المدة المذكورة ، وشيدت عليه الارصفة الحديثة ، وجهاز باحدث الآلات وعمق مستوى شط العرب ، وازيلت ما في مصبه من رواسب ترابية ، بحيث اصبح ملائما لرسو اضخم البواخر الحربية ، واكبر السفن التجارية . وقد استفادت الحكومة البريطانية منه اتم الاستفادة خلال الحرب العالمية الثانية اذا اتخذته قاعدة لايصال المعدات الحربية والذخائر الى الاتحاد السوفييتي . وبريطانيا العظمى ، الحريضة على حماية مصالحها البترولية في عبادان وما جاورها وحفظ مواصلاتها في الخليج الفارسي ، تريد ان تدوم سيطرتها على هذا الميناء البحري العظيم الذي يسيطر على راس الخليج الفارسي سيطرة تامة ، ولذلك فهي تآبى ان تستلم بقية دينها على الميناء ليصبح لها الحق في الاشراف عليه بحسب ما جاء في المادة الخامسة اعلاه . وقد اثار نواب المعارضة في المجلس النيابي السابق قضية الميناء ، وابانوا ما يجري فيه من تبذير ، واختلاسات ادت الى عزل كبار الموظفين البريطانيين من وظيفته ، وطلبوا بنقل ملكية الميناء التامة الى الحكومة العراقية . وبعد مرور بضعة اشهر على هذا الحدث صرح وزير الاشغال الى مندوب جريدة الزمان ، بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩٥٠ ، بأنه يتوقف نقل ملكية الميناء على دفع الدين البالغ اكثر من سبعين الف دينار الى الجهة البريطانية ، وان الحكومة مستعدة للدفع . وقد صرح وزير الاشغال التالي الى مندوب الجريدة المذكورة بتاريخ ١٦ آذار ١٩٥٠ فقال : " لقد فاتحنا الحكومة البريطانية بان العراق مستعد لتسليم ما عليه من بقايا الدين حتى تنتهي قضية الميناء ، والى الان لم نجب . " (راجع مقالة لاني سبيل تحررنا من الامتيازات الاجنبية " بجريدة صدى الاهالي ، عدد ٣٠١ ، الصادر في ٢٠ ايلول ١٩٥٠)

(تابع حاشية ٢٦) وقد مضى على تصريح الشيخ الوزير هذا اكثر من عام ولم نجب الحكومة البريطانية ، او اجابت بالنفي لا ادرى ، واغلب الظن ان الحكومة البريطانية لن توافق على تسديد هذا الدين حتى تنتهي مصالحها في الميناء ، او حتى تتخذ طريقة شرعية اخرى تسيطر بواسطتها عليه . والحق ان ميناء البصرة الذي يحتل جميع المراكز المهمة فيه موظفون وضباط بريطانيون ، هو ، في واقع الحال ، عبارة عن مؤسسة بريطانية تقوم على ارض عراقية .

ما زالت هذه المعاهدة الرابعة تعين علاقات العراق ببريطانيا حتى وقتنا هذا الحاضر . وفي الحق انها جاءت خطوة تقدمية عن المعاهدات التي سبقتها والتي كانت انتدابا مستورا الذي كان بدور استعمارا مقنعا بقناع شفاف — فقد خلصت خزينة الدولة العراقية من رواتب نسيم كبير من ذلك الحشد الجرار من الموظفين والمستشارين والخبراء البريطانيين ، ومن نفقات المعتمد السامي وحاشيته ؛ وارتحت قبضة الانكليز على دوائر الحكومة ؛ والنعت بعد استيازات الاجانب العدلية ؛ واطلقت يد الحكومة العراقية في التمثيل الخارجي ، واتاحت له ان يتمتع بمظهر الدولة المستقلة . ولكنها حافظت على السيطرة البريطانية على مقدرات العراق بشكل جديد . مستور . فقد اعطت لبريطانيا قواعد جوية في ارض العراق ، وصفت لها استخدام اراضي العراق وطرق مواصلاته ، عند اشتباكها في حرب فعلية او في حالة توقع خطر حرب وبذلك نالت حق التمتع بكل ما في موقع العراق من ميزات سوقية . وحافظت على طرق مواصلاتها الامبراطورية ، وهذا هو اهم ما تبتغيه من احتلال العراق . وسحبت بنقل القوات البريطانية عبر العراق ، وبقيت القوات البريطانية المقيمة في العراق والمارة فيه متمتعة بالحصانات العدلية ، بالامتيازات المالية نفسها ، التي كانت تتمتع بها في عهد الانتداب ، بما في ذلك الاعفاء من الضرائب والرسوم الكمركية . وبكلمة واحدة ان هذه المعاهدة تبيح للحكومة البريطانية احتلال العراق بكلمة ، في حالة الحرب او في حالة توقع خطر حرب ، يعني في اى وقت تشاء في هذه الايام التي اصبح فيها خطر الحرب حقيقة واقعة . لقد سحبت بريطانيا جيوشها البرية من العراق لانها كانت تكلفها نفقات باهضة ، ولان وجودها كان يثير شعور العراقيين العدائي نحوها ، اما السيطرة الجوية ، التي تقرر ان تحل محل القوات الحربية الاخرى الموجودة في العراق في مؤتمر القاهرة ١٩٢١ (٢٧) ، فهي اشد فعالية ، واسرع عملا ، واقل كلفة ، سواء كان ذلك من حيث المال او الرجال ، واقل قدرة على التخلخل في الاماكن النائية العصية وهي على كل ما تقدم ، اقل تعرضا للخطر من القوات البرية .

وقد ضمنت هذه المعاهدة لبريطانيا ان تتشئ سياسة العراق الخارجية مع المصالح البريطانية . وزيادة على كل ذلك فقد قيدت ملكية العراق للسكك الحديدية

والبناء بحيث أصبح بإمكانها ان تكيف سياسة موادارة هذين المرفقين الهامين من مرفأ العراق لخدمة مصالحها العسكرية والتجارية . اما سيطرتها على الجسر العراقي فلم تنته ، فالضباط العراقيون المرسلون للتدريب في الخارج يجب ان يدرخوا في المدارس البريطانية ، والاسلحة يجب ان تستورد من بريطانيا وحدها وكذلك بقيت البعثة العسكرية الاستشارية ، محتفظة بالامتيازات التي كانت تتمتع بها في عهد الانتداب . (٢٨)

لأن العراق خلال هذه المدة وفيما في تطبيق صور هذه المعاهدة ، وأقول
كان مرفعا على الوثائق ، ولكن الحكومة البريطانية لم تنقيد بها . مثال ذلك ان الفقرة
التاسعة من المذكرة الايضاحية تقول : "ايضاها لعبارة (مرور القوات عبر العراق)
المشار اليها في الفقرة السابعة من الملحق فان اتجاه هذا المرور قد حدد من
غربي الفرات الى الخليج الفارسي او بالعكس " . ومع ذلك فقد اخترقت بريطانيا
حياد ايران بجيش مر من حدود العراق الشرقية الى الاراضي الايرانية في صيف
١٩٤١ ، واتخذت بغداد قاعدة لتموين هذا الجيـ . واسناد . (٢١) وتقول الفقرة
الثالثة من المذكرة الايضاحية : " ان التسهيلات والمساعدات التي يقدمها العراق
وفق احكام المادة الرابعة من المعاهدة ، تكون على نفقة الحكومة البريطانية بولن
يتكلف العراق بشي " من ذلك " . ويقول السيد الحسني جابا على هذا الايضاح (٣٠)
كما احتل الانكليز العراق " لاحتلال الثاني بعد حوادث نيسان ومايس سنة ١٩٤١ ،
اتخذوه قاعدة لتموين الجيـ الروسي محليهم ، ولاحتلال ايران . وقد جاء في تقرير
وضعه الملحق العسكري للمفوضية العراقية في واشنطن عن " نصيب العراق في مجهود
الحلفاء الحربي " ان الحكومة العراقية تحملت (جميع التكاليف التي نشأت من جراء
وجود هذه المؤسسات) " . وقد خالفت الحكومة البريطانية سر المادة الاولى من
المعاهدة ، وروحها في موقفها من قضية فلسطين ، اهم قضية تضر العراق ، سواء
كان ذلك من ناحية الاخوة التي تربطه بفلسطين ، ام من ناحية سلامته الخاصة
ومساعدتها في انشاء دولة اسرائيل من العدم التي اصبحت خطرا يهدد امن
وسلامة البلاد العربية ، وبضمنها العراق ، تهديدا مباشرا ماحقا .

(٢٨) انظر مذكرة السيد نوري السعيد الى المحترم السامي بشأن البحث العسكري ،
الحسنى "تاريخ العراق السياسي الحديث" ج ٢ ص ٢٠٨ . انتهى امر
البعثة عام ١٩٤٨ .

(٢٩) انظر المصدر السابق ٢ ص ٢١٣ حاشية ٢

ان المادة الاولى من المعاهدة ، التي تنص على ان لا يقف العراق في البلاد
الاجنبية موقفا قد يخلق مصاعب للفريق الاخر ، تحول دون كل محاولة للتقارب الجدي
الصحيح بين العراق وبين الاقطار العربية الشقيقة . فالبلاد العربية تعتبر ، في
العرف الدولي ، اجنبية عن العراق ، ومعنى هذا ان يقف العراق مكتوف اليدين من
مطالب الشعوب العربية المناضلة في سبيل التخلص من السيطرة البريطانية ، كمصر
مثلا ، لان اي عون للبلاد العربية ضد بريطانيا يعتبر خرقا لنسب هذه المادة
الاولى . ~~ولذلك لا يمكن~~ ~~الاعتراف~~ ~~بأن~~ ~~المصالح~~ ~~العراق~~ ~~اين~~ ~~هي~~ ~~مصلحة~~ ~~العراق~~ ~~في~~ ~~حفظ~~ ~~وحماية~~ ~~مواصلات~~
صاحب الجلالة الامبراطورة الاساسية بصورة دائمة في جميع الاحوال ؟ الحق انه ليس من
مصلحة العراق في شيء ابدا المحافظة على طرق المواصلات الامبراطورية هذه ، التي
تستخدم للدفاع عن امتيازات بريطانيا في الجارة ~~الشرق~~ ^{العربية} ايران ، وتشديد قبضة بريطانيا
الحديدية على ~~الخليج العربي~~ ^{البحر العربي} ~~في~~ ~~الخليج~~ ~~الفارسي~~ ~~بتهديد~~ ~~استقلال~~
الدول العربية الاخرى ، ودوام نير الاستعمار البريطاني معلقا في اعناق الشعوب
الاسيوية المناضلة في الشرق الاوسط والاقصى .

منذ ان اعلن نصر هذه المعاهدة استنارها الشعب وبها رضا كبر من الساسة
وطالبوا بالخائها او تعديلها تعديلا يضمن حق العراق، ويحفظ سيادته الوطنية
وقد كانت مقاومة الشعب للمعاهدة تتخذ اشكالا مختلفة . ففي بداية الحرب العالمية
الثانية كان الجيش مسيطرا على السياسة في البلاد . وقد تمكن الجيش من تنصيب
السيد رشيد عالي الكيلاني رئيسا للوزارة . واراد بعض قادة الجيش بالتعاون مع
قسم من السياسيين ، ويحتري من العانبا النازية ، ايقاف تطبيق بنود المعاهدة ، والتمسك
بحرقيتها تمسكا يضيق من امتيازات الحكومة البربرانية فاستغلت الحكومة البريطانية
حركة رشيد عالي الكيلاني العدائية لها في ايار سنة ١٩٤١م والتي ايدها الشعب
العراقي تايدا قويا دون ان تفهم اقليمه ودافعها الخفية لكرهه للانكليز ورقيته
في التخلص منهم ومن نفوذهم باية وسيلة ممكنة ، وبلاهة هو : لا القادة العسكريين ،
وضعف الجيش العراقي الذي رسته هي خلال ربع قرن من الزمن ، واعلنت الحرب
على العراق وسيّرت جيوشها عليه فاحتلته بكامله ، ليصبح حكمها له مباشرا فعلا .
وقد افسحت الحكومة خلال الحرب ، المجال لنحو الافكار الديمقراطية لمكافحة الافكار
والدعوات النازية التي كانت قد تغلغلت في بعض اوساط الشبان قبل الحرب
فما الوعي القومي ، وزاد نمو ما اذاع الحلفاء من وعود لنصرة الشعوب المضطهدة ،
واعطائها حرياتها ، وتحقيق استقلالها ، بمقاومة العدالة الاجتماعية وما اليها .

فلما وضعت الحرب أوزارها ، أخذ الشعب العراقي يطالب بتعديل المعاهدة العراقية الانكليزية تعديلا اساسيا يضمن حقوق العراق كدولة مستقلة فعلا ذات سيادة حقيقية . نتيجة هذه المطالبة الشعبية بالغاء المعاهدة او تعديلها تعديلا اساسيا ونتيجة للسياسة الانكليزية التي تكشفت منذ انتهاء الحرب عن اقامة طوق محكم من الحلقات من الدول الحليفة والتابعة تحيط به الاتحاد السوفيتي ، ولقرب موعد انتهاء المعاهدة في سنة ١٩٥٢ ، ارادت ان تعدل المعاهدة وتتخذ التعديل الجديد نموذجا لمعاهدات اخرى تعقدتها مع لاقطار العربية . وقد وقع السيد صالح جبر رئيس الوزراء في شتاء ١٩٤٨ في بورتسموت معاهدة عراقية — انكليزية جديدة وعندما نشرت مسودة هذه المعاهدة تبين انها استبقت جوهر المعاهدة القديمة وازافت اليها امتيازات جديدة لم تكن تتمتع بها بريطانيا من قبل وخاصة في الناحية العسكرية بحيث جاءت بلجنة مشتركة للدفاع ، وانارت الى مشاركة العراق في مساريف القوات البريطانية في العراق ، ولصحت الى استخدام اقوات العراقية خارج الوطن (٢) . وعندما رأى الشعب ان الوزارة مسرعة على ابرام المعاهدة بموان مجر الاعيان مؤيد لها ، موان مجلس النواب ما هذا الثلاثة عشر معارضا الذين يكونون الجبهة الدستورية موافق عليها مسبقا لم يجد بدا ، لاحباط توقيع هذه المعاهدة واجبار الوزارة على التنازل ، من ان ينزل الى الشارع ويقرص ارادته على الحاكمين فرضا . وقد تظاهر الشعب في جميع انحاء العراق باصطدام مع قوات الشرطة مخافة في بغداد ، فسقط من المتظاهرين اكثر من مئة ~~مقتول~~ ^{مقتل} وجريح . وكادت الحركة تتطور الى ثورة شعبية دامية تزعم بنيران الدولة من اساسه ، لولا ان ادرك الامر بحكمة سمو الامير عبد الله الوصي على العرش ، فاعلن ان الحكومة لن توافق على المعاهدة ثم اقال الوزارة واسند تاليف الوزارة الجديدة الى السيد محمد الصدر فاعلن هذا الغاء معاهدة بورتسموت رسميا . وعادت العلاقات العراقية الانكليزية تسير بحسب معاهدة ١٩٣٠ وما زالت .

(٢١) انظر نص المعاهدة في كتاب صدر الدين شرف الدين " صحابة بورتسموت " ص ١٠٦ —

الفصل الثالث

نشوء وتطور الحكومة العراقية

كانت المدة العليا وطوال فترة الاحتلال العسكري ١٩١٤ - ١٩٢٠ هيد القائد البريطاني العام . ولكن الضرورة دعت الى اقامة سلطة مدنية لادارة الاقسام المحتلة من البلاد ، وتوطيد دعائم الامن فيها ، وتيسير التعاون بين الشعب وحكومة الاحتلال . ولى هذا فقد عهدت ادارة البلاد الى حاكم ملكي تحت امرة القائد العسكري العام . وقسمت البلاد الى خمسة عشر قسما يدير كل قسم منها حاكم سياسي ، وقسمت هذه المناطق الخمسة عشر الى اربعين منطقة يدير كل منها مساعدا حاكم سياسي بريطاني وفي حالات قليلة وكيل مساعد حاكم سياسي عراقي او هندي او ايراني . وفي نهاية سنة ١٩٢٠ كان في العراق ١٦ حاكما ومساعد حاكم سياسي بريطاني (١) وكان هؤلاء الحكام السياسيون الذين كان معظمهم ضباطا استعيرت خدماتهم من الجيش مسؤولين عن تنفيذ القوانين التي يصدرها القائد العام ورئيس الحكام السياسيين ، وتوطيد دعائم الامن والادارة العامة في البلاد ، وحماية الضرائب والواردات العائدة للحكومة ، ومن تاسيس العلاقات الودية مع القبائل . كما كانوا مسؤولين عن جمع العمال ، للقيام بالاعمال التي يحتاجها الجيش وتزويد الجيش بما يحتاجه من المواد المحلية ، ومن حماية المواصلات .

في هذه الفترة وضعت اساس الادارة المدنية في البلاد بواسطة اصلاحات الاجتماعية . ولى هذا فدراسة نظام الادارة في هذه الفترة مهمة جدا . لان النظام الاداري الذي انشئ في عهد الانتداب على العراق رغم ما اعتوره مظهره من تغير كتصويب ملك على العرش ومن دستور للبلاد ، واقامة مجلس للنواب هو تحديد العلاقات بين بريطانيا والعراق بمعلومة - انما كان تطورا لهذا النظام الذي اقيم على فرار الانظمة الادارية المتبعة في المستعمرات البريطانية . ولان نظام الادارة وجهاز الدولة باسره في عهد الاستقلال انما كان امتدادا لما كان متبعاً في عهد الانتداب (٢) . لقد انشئت في هذه الفترة نواة الحكومة العراقية ، وتاسست مديريات للمعارف ، وفتح عدد من المدارس الابتدائية والثانوية وانشئت الشرطة المدنية واقامت دوائر للواردات والرى ، كما اقيمت المحاكم المدنية في معظم اقسام البلاد .

(١) انظر " تقرير خاص " ص ٤٨

(٢) انظر " فوستر " ص ٢٠٣

الدولة

أقيمت الادارة المدنية في العراق على غرار المدنية في الهند . وقد دعا الى ذلك عوامل عديدة اهمها : ان الحكومة الهندية كانت تأمل في ان تجعل العراق ، وعلى الاخص القسم الجنوبي منه منطقة تابعة للهند فعملت على ادخال اساليب الادارة الهندية في البلاد . ليتسنى لها بذلك ضم المناطق المحتلة . يضاف الى هذا ان معظم الموظفين الاتراك المسؤولين عن الادارة انسحبوا من البلاد مع الجيش التركي ، وان معظم الضباط البريطانيين الذين عهد اليهم القيام بادارة البلاد ، وكانوا يجهلون اصول الادارة التركية جهلا تاما . وقد استعان الحكام السياسيون بعدد من الموظفين العرب الذين كانوا يشغلون الوظائف الادارية في العهد التركي ، كما دروا عددا من الشبان العراقيين على اصول الادارة والحقوقم بالوظائف الحكومية . ولما كانت الحكومة البريطانية ، خلال معظم هذه الفترة متخوفة جدا من طاحنة معادلة التركية ، ولما كان معظم المناطق المحتلة من البلاد مناطق عشائرية فقد حرصت السلطات البريطانية كل الحرص على استمالة العشائر الى جانبها ، ومنعهم من اسداء اية معونة الى القوات التركية . وجعلهم يلتزمون الحياد ويحافظون على السكينة والهدوء كي تتفرغ لهدفها الرئيسي . وقد رأت السلطات البريطانية ان الهيلة الوحيدة لاستمالة العشائر الى جانبها هي استمالة شيخ هذه العشائر . فتقوية نفوذهم وتوسيع سلطاتهم على ابناء عشائرتهم . على اساس ان اتجاه كل قبيلة وما تفعله متوقف بالكلية تقريبا على اكثر شيوخها نفوذا (٣) وقد اتبعت الحكومة البريطانية في هذا الشأن خطة السروهرت ساندمان التي طبقها في الهند . فاقامت نظام الحكم العشائري قائم على التقاليد والعرف القبلي ويحتل فيه الشيخ المركز الممتاز . وقام السروهرسي كوكس ورئيس الحكام السياسيين بمعاونته بالتساهل بجمع الضرائب من شيخ العشائر والوجهاء المحليين ، واقاموا العلاقات الشخصية معهم موافقوا عليهم المعطيات والهبات . كما اقطعوا الواردات في بعض المناطق ، كمنطقة العمارة مثلا ، بالالتزام للملاكين والاقطاعيين الكبار بمشروط سهلة جعلتهم ميالين للحكومة البريطانية المحتلة (٤) وحملت السلطات البريطانية على حصر السلطة في كل قبيلة بيد شيخ كبير واحد يشرف عليه ويوجه اعماله ، يحاكم سياسي ، ليسهل على السلطة المحتلة ان تدبر القبيلة بأسرها وتوجه اعمالها . فبمقتضى دوام الامن والاستقرار فيها ، بمقابل كلفة بواكر سرفه .

(٣) ايرلاند ص ١٤

(٤) انظر المصدر السابق ص ٧٦ - ٧٧ ، و ٨٨

• وجعل كل شيخ ينتخب على هذا الاساس مسؤولاً عن الامن والاستقرار بين عشيرته وعن اكتشاف المايشين ومحاية خطوط المواصلات والاموال البريطانية مومع وصول التجهيزات والمساعدات الى الترك مومن جمع الضرائب التي كانت مقررة حينذاك • وكان يحصل مقابل ذلك على تايبند الموظفين البريطانيين والسلطة اللازمة، وعلى السلاح اذا اقتضى الامر لذلك • ثم صودق على تملكه للارض وحددت حدوده العشائرية بادي ما يمكن كما عززت اهميته في المجلس العشائري بواسطة القداير الموضوعة في نظام دعاوى العشائر هذا بالاضافة الى سياسة بذل العطايا والهبات الجسيمة، وعدم دفع الضرائب (٥) •

والحق ان نظام الادارة في هذه الفترة كان موجهاً نحو حفظ مصالح بريطانيا الاساسية، واطرار الامن في البلاد، مواعدادها لتكون ولاية تابعة للمند • ولم يكن القصد منه انشاء حكومة صورية تحقق تقدم البلاد، وتساعد على تطورها • فقد وطد اعتماد السلطات البريطانية على شيخ القابشل مركز هو "الشيخ المتزعزع" وقوى نفوذهم الموشك على الانسيار وخلق منهم طبقة اقطاعية اثرت تأثيراً سيئاً في حياة البلاد المقبلة • في تشرين الاول من سنة ١٩٢٠ اقامت الحكومة البريطانية حكومة مؤقتة في العراق على الصورة التي تكلمت عنها في الفصل السابع • وفي ٢ تشرين الثاني عقد اول اجتماع لمجلس الوزراء • وقد نوقشت في هذا الاجتماع علاقة الوزراء العراقيين بالمستشارين البريطانيين، كما نوقشت قضية منصب المندوب السامي • وقد تم المستر فيليبي مذكرة بياتين القضيتين فقبلت في الاجتماع الثالث لمجلس الوزراء في ١٣ تشرين الثاني وهو اول اجتماع رسمي يعقده هذا المجلس • وقد اصبحت مذكرة المستر فيليبي هذه والتي صدرت بشكل تعليمات لمجلس الوزراء، اول دستور للعراق • يعتبر كل وزير بحسب هذه التعليمات رئيساً لـ دائرة من دوائر الدولة ويكون مسؤولاً عن ادارتها بشرط ان يكون خاضعاً الى (١) اشراف مجلس الوزراء (٢) مشورة الضابط البريطاني الذي يختاره المندوب السامي لتقديم الاستشارة اليه (٣) سلطة المندوب السامي العليا • وكانت اعمال الوزارات تجري على هذه الصورة • ترفع جميع المسائل التي تعود الى اختصاص الوزير بواسطة مستشاره ويقوم الوزير باجرا ما يلزم بمعد مشاركة المستشار • واذا اراد احد الوزراء اتمام اجراءات جديدة فيما يتعلق باختصاص وزارت

فعلية اما ان يستشير المستشار اولا او ان يرسل اوامره الى الدوائر المقصودة بواسطته ليتمكن المستشار من ابداء رأيه قبل ان يأخذ الامر صورته النهائية .
والا حصل خلاف بين المستشار والوزير يرفع الخلاف الى مجلس الوزراء . فيدرسه ولا يتخذ قرارا نهيا الا بعد مشاوره المندوب السامي . وتعتبر قرارات مجلس الوزراء قاطعة بشرط موافقة المندوب السامي عليها ، بصفتها رئيس الحكومة ومندوبا ساميا .
وللمندوب السامي الحق في رد او تعديل اي قرار من قرارات مجلس الوزراء . (٦)
واعيد تنظيم الادارة في البلاد ، بعد ممارسة الحكومة الموقته صلاحياتها ، تدريجيا . فحل في كل لواء متصرف عراقي محل الحاكم السياسي البريطاني الذي اصبح مشورا للواء من دون ان تكون له صلاحية تنفيذية . واصبح معاونو الحكام السياسيين مشاورين مساعدين . واستعين بالموظفين العراقيين في اشغال الوظائف الحكومية ، على ان الوظائف الرئيسية كانت تدار مباشرة من قبل موظفين بريطانيين . وقد اخبر ظباط الادارة البريطانيون بالتغييرات التي حصلت وصدرت التعليمات اليهم من المندوب السامي في ٢٠ تشرين الثاني من مكانتهم في الادارة . جاء في هذه التعليمات ما يلي : ان الظباط والدوائر الذين كانوا يكونون جزءا من الادارة البريطانية الملكية في العراق سيكونون من الان فاعدا في خدمة مجلس الوزراء ، وان اعادة تنظيم الماكينة الادارية سوف تسير باشرافه ، على ان تكون خاضعة لاشراف المندوب السامي العام باسرع ما يمكن . وعلى الحكام السياسيين ومعاونيهم في المناطق المختلفة رؤساء الدوائر في المركز وغيره ان يتصلوا بعد الان بالوزارات المختلفة وتلقوا الاوامر منها . (٧)

كان الوزراء العراقيون متبعين بروح الحكم التركي ، فقد تلقوا كليم في المدارس التركية وكان معظمهم موظفين وظباطا في الدولة العثمانية ، ولهذا السبب ادخلوا اساليب الدولة العثمانية في الحكم وز وطرائقها في ادارة البلاد ، وروحيتها في معاملة الشعب ، بقدر ما كانت تسمح لهم بذلك المصالح البريطانية وسلطة المندوب السامي ومستشاريه . وقد قوى هذا الاتجاه كون معظم الموظفين العراقيين الذين اخذوا يشغلون وظائف الحكومة الجديدة ، من الموظفين السابقين في الدولة العثمانية ، وكون الشعب العراقي قد ألف هذه الاساليب واعطاد عليها .

(٦) راجع لائحة التعليمات للهيئة الادارية العراقية * في : عبد الرزاق الحسني
تاريخ الوزارات العراقية * ج ١ (ص ١١٢٢) ص ١١ - ١٤ . وتجد
الشرع الانكليزي للائحة في الملحق السادس

لقد ولدت الحكومة العراقية الفتية تحمل جرثومة التأخر والفساد من الرحم ، واقامت على اسر قديمة ، وشيدت بلبينات متينة الكونين . ولقد تركت هذه الهداية اثرا سيئا في مستقبل الدولة العراقية ، لان هذه الاساليب التركية في الحكم مضانا اليها ما ادخله الانكليز من اساليب الادارة الهندية نمت وتطورت في مهدي الاحتلال والانتداب ، وبلغت اشدها في عهد الاستقلال ، ولقد امتد ظل اولئك الموظفين والوزراء العراقيين الضبيين بروح الحكم التركي المدربين على اساليب الادارة الاستعمارية في الهند ، الى وقتنا هذا ، اذا اصبحوا على توالي الايام موظفين كبارا في الدولة ، وزراء ومتصرفين ومدراء عاملين ونوابا واميانا ، يسيرون مقدرات البلاد بروحيتهم تلك العتيقة . واصبح لزاما على الاجيال الفتية من العراقيين المثقفين بالثقافة العصرية ان تنام طغيان هؤلاء الموظفين على الادارة وروحية النظام البالي ، لتفرض وجهة نظرها في اصلاح جهل الدولة وكثيرا ما تستسلم هذه الاجيال المثقة الى طغيان النظام العتيق ، وتتجرف بتياره القوى الذي لا يحمده له الا ذور العقائد . وفي هذا السرد يقول فيليب ايرلند (٨) :

ان مقتضيات الادارة العملية العاجلة ربما كانت تتطلب من البريطانيين المشرفين على الحكومة الجديدة ان يسلموا بهذا الاتجاه الى درجة كبيرة . ومع ذلك فان فشل مجلس الوزراء المؤقت في الاستفادة من ثمرات ما كانت الادارة الملكية قد انتجته ، وفي التفريغ التام الى واجب خلق دولة جديدة على منوال احسن الامثلة الموجودة امامه .

اقول ان نضله في ذلك كله حصر نظام الحكم الجديد بالنظم والاساليب البالية في نفس الوقت الذي كان فيه وراثا الامبراطورية العثمانية (الأتراك) ينبذون تلك النظم البالية باعتبارها لا تتلائم مع وضع الدولة التركية الجديدة . وكان ذلك يدل على ميل العراق ليصبح الوريث لبقية التركة التي خلفتها الامبراطورية الغابرة فيكون دستور وقوانينه الانتخائية ونظامه القضائي ونظامه المالي وموقفه بالنسبة للاقلية وحتى روحية مقاربا له كان موجودا في العهد البائد .

ونظمت الحكومة في عهد الانتداب على فرار الادارة المتبعة في عهد الحكومة المؤقتة ، مع بعض التعديل في الشكل . فقد اصبح الملك هو المرجع الاعلى في الدولة بدلا من المعتمد السامي .

(تابع "٦") السادس من ايرلند ص ٤٦١ — ٤٦٥ .

(٧) ايرلند ص ٢١٣ — ٤ من الاصل وص ٢٢٨ — ٢٢٩ من الترجمة .

(٨) ص ٢١٥ — ٦ من الاصل وص ٢٢٠ من الترجمة .

الراب العام العراقي وسخطه . وكانت هذه المسؤولية المزدوجة التي جعلت في البلاد حكومتين - حكومة ظاهرة هي الحكومة العراقية بكامل اجهزتها الادارية وبجانبها التشريعية وموظفيها العراقيين محكومة مستورة هي حكومة الموظفين والمستشارين البريطانيين - تعرقل سير الادارة وتضع المسؤولية بين الموظفين والمستشارين وتعميق تقدم البلاد . وكانت الى ذلك تثقل كاهل الخزينة العراقية برواتب الموظفين والمستشارين البريطانيين . فقد بلغ عدد الموظفين البريطانيين في الحكومة العراقية عام ١٩٢٣ ٥٦٩٠ موظفا كلهم من ذوي الرواتب الضخمة وقد دعي هذا الوضع بحق "بالوضع الشاذ" وكان من اهم الاسباب لنقمة الشعب على الانتداب ومحاربه له حتى تمكن من التخلص من بعض شروره عام ١٩٣٢ .

على ان هذا النظام الذي عاين في العراق كافي لا بد له ان يتخذ طابعا دستوريا ليصبح شرعيا في نظر الشعب العراقي بموجي نظر الدول الاوربية التي وضعت العراق تحت انتداب بريطانيا . وقد تحتم ان يكون هذا النظام ديمقراطيا لان النظام الديمقراطي هو شكل الحكم التقدمي في نظر العالم المعتمد انذاك ولان هذا النظام يوافق رغبات الشعب العراقي ويحقق اماله ويهيئ وسائل تقدمه . وقد ورد شكل نظام الحكم الديمقراطي هذا في البيان الذي اذاعه مجلس الوزراء بتاريخ ١١ تموز ١٩٢١ عندما نادى بالامير فيصل ملكا على العراق . حيث جاء فيه : " ويشترط ان تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية ديمقراطية ، مقيدة بالقانون . " واكدت المادة الاولى من صك الانتداب على هذا الشكل من الحكم . اما المادة الثالثة من المعاهدة العراقية الانكليزية الاولى فقد عينت الخطوط الرئيسية للدستور حيث تقول : «يوافق جلالة ملك العراق على ^{ان يقر} قانونا اساسيا ليعرض على المجلس التأسيسي ويكمل تنفيذ هذا القانون الذي يجب ان لا ~~يحتوي~~ ^{يحتوي} على ما يخالف تصور هذه المعاهدة وان ياخذ بعين الاعتبار حقوق ورفائب ومسالح جميع السكان القاطنين في العراق ويكفل للجميع حرية الوجدان التامة وحرية ممارسة جميع اشكال العبادة بشرط ان لا تكون مخلة بالاداب والنظام العموميين وكذلك يكفل ان لا يكون ادنى تمييز بين سكان العراق بسبب قومية او دين او لغة وهو من لجميع الطوائف عدم تفران او اساس حقها بالاحتفاظ بمدارسها لتعليم اعضائها بلغاتها الخاصة على ان يكون ذلك موافقا لقتضيات التعليم العامة التي تفرضها حكومة العراق . ويجب ان يعين هذا القانون الاساسي الاصول الدستورية التشريعية كانت او تنفيذية التي ستنبع في اتخاذ القرارات في

جميع الشؤون المهمة بما فيها الشؤون المرتبطة بمسائل الخطط المالية والنقدية والعسكرية .

تألفت في أوائل خريف ١٩٢١ لجنة خاصة لوضع لائحة القانون الاساسي توامها الميجريونك الموظف في دار الاعتماد، والمسترد راور مستشار وزارة العدلية، والمعتد السامي نفسه بمأشراف المستر أليسون المناور الحقوق للحكومة البريطانية . وضعت هذه اللجنة لائحة للدستور مستمدة اصولها من دساتير استراليا ونيوزيلندا وبعض دساتير الممالك الصغرى . وعرضت اللائحة على الملك قبلها مبدئيا واحالها على لجنة عراقية مؤلفة من ناجي السويدي وزير العدلية ، وسامون حسقييل وزير المالية ، وموسم هميدر سكرتير الملك الخاص فاعترضت اللجنة على اللائحة لانها منحت الملك سلطات تشريعية واسعة . واعدت هذه اللجنة بدورها لائحة خديدة اقتبست نصوصها من الدستور العثماني . وقد اختيرت من هاتين اللائحتين لائحة جديدة ارسلت الى وزارة المستعمرات عدة مرات كانت في كل مرة تنقح فيها وتعديل في موادها حتى اقرتها اخيرا .

وعرضت هذه اللائحة النهائية للدستور على المجلس التأسيسي فقرر تأليف لجنة خاصة لدراستها في ٧ نيسان ١٩٢٢ . ولكن اعضاء هذه اللجنة شغلوا بمناقشة المعاهدة فلم يستطيعوا ان يتفرغوا لدراسة الدستور دراسة نقدية . ولم يستطيعوا ان يعقدوا غير ثماني جلسات درسوا خلالها ٨٠ مادة دراسة اولية . اما مناقشة المجلس للقانون الاساسي فاستغرقت اقل من شهر واحد من ١٤ نيسان الى ١٠ تموز ١٩٢٤ . يقول الدكتور مجيد خدوري (١) :
 « اما مناقشة المجلس ل مواد القانون الاساسي فكانت تجري بسرعة /^{سريع} انه اقر مواد كثيرة بمجرد قرائتها مرة واحدة دون مناقشتها . وكانت كلما تولى المذاكرة في بعض المواد التي تطول يقترح بعض اعضاء المجلس انها المذاكرة والتصويت على المادة كما جاء ذلك في لائحة القانون الاساسي فيقبل الاقتراح وهكذا يكتفي بالمذاكرة . وكان النص الوارد في المادة الثالثة من المعاهدة والذي يشترط ان لا يحتوي الدستور ما يخالف نصوص المعاهدة عائفا امام كثير من المحاولات التي قام بها المجلس لتنقيح وتعديل مواد لائحة الدستور . فقد عدل المجلس مثلا المادة الرابعة والاربعين باكثرية الارب . وكان التعديل يخسر اعطاء النواب صلاحية

اقترح اللوائح القانونية المتعلقة بالامور المالية . ولكن الحكومة وجدت ان هذا التعديل يعارض المادة الرابعة من المعاهدة فاضطر المجلس ان يقر المادة الاصلية كما وردت في اللائحة .

وقد فرغ المجلس من قبول لائحة القانون الاساسي بعد موافقته على المعاهدة مباشرة . ثم تقدمت الحكومة العراقية باللائحة الى الحكومة البريطانية لتستكمل موافقة مجلس عصبة الامم عليها موافقا للمادة الاولى من صك الانتداب ، فارسلتها الحكومة البريطانية الى عصبة الامم مع مذكرة اوضحت فيها بان لائحة القانون الانساني العراقي جاءت مطابقة للارضية الانتداب . وصدقها مجلس العصبة واعدها لنشرها والعدل بمقتضاها . ولما كانت المادة ١٢ من الدستور تنص على ما يلي : " لا يعطى انحصار او امتياز لاستثمار مورد من موارد البلاد الطيبة او لاستعماله في مصلحة من المصالح العامة ولا تعطى الواردات الاميرية بالالتزام الا بموجب القانون . على ان ما يتجاوز منها ثلاث سنوات يجب ان يقتصر ~~باللغة~~ بقانون خاص لكل قضية " . فقد اشارت الحكومة البريطانية الى الحكومة العراقية بتاجيل نشر الدستور حتى يتم منح امتياز شركة النفط التركية من قبل المجلس الوزاري لانها كانت تخشى ان يلقى معارضة من قبل المجلس النيابي . وبعد ان وقع على الامتياز المذكور في ١٤ اذار قرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ١٢ اذار نشر الدستور في ٢١ اذار ١٩٢٥ (١٠) .

يتكون القانون الاساسي من مقدمة وخمسة ابواب . تحدد المقدمة معنى القانون الاساسي وخاصة البلاد بوشكل العلم العراقي وتعين المادة الثانية منها شكل الحكم في البلاد فهي تنص على ان " العراق دولة ذات سيادة وهي مستقلة حرة ملكها لا يتجزأ ولا يتنازل عن شي منه وحكومة ملكية وراثية وشكلها نيابي »

وببحث ^{الاول} الباب في الحقوق الشعب فينص على صيانة الحقوق الفردية والعامّة للعراقيين جميعا . الا انه قيد كثيرا من هذه الحقوق باحكام القوانين دون ان ينص على الضمانات التي تضمنها لاصحابها . فقد نصت المادة السابعة على ان " الحرية الشخصية مضمونة لجميع سكان العراق من التعرّض والتدخل ولا يجوز القبض على احدهم او توقيفه او معاقبته او اجباره على تبديل مسكه او تعريضه

لقبود او اجباره على الخدمة في القوات المسلحة الا بمقتضى القانون . اما التعذيب ونفي العراقيين الى خارج السلطنة ممنوع بتاتا . " وتنص المادة الثامنة على ان " للعراقيين حرية ابداء^{الرأي} والنشر والاجتماع وتاليف الجمعيات والانضمام اليها ضمن حدود القانون . " وقد اكدت المادة التاسعة على احترام وصيانة حقوق الملكية الفردية .

اخذ واضعو الدستور بمبدأ تقسيم السلطات الى تشريعية وتنفيذية وقضائية وتكون السلطة التشريعية منوطة بمجلس الامة مع الملك . ويتألف مجلس الامة من مجلسي الاعيان والنواب (م ٢٨) وتعتبر زيادة المملكة العراقية الدستورية للامة . وهذه السيادة هي ودبعة الشعب للملك فيصل بن الحسين ثم لورثته من بعده (م ١٩) والملك مصون وغير مسؤول (م ٢٥) والعقود بعدم المسؤولية السياسية هذه ان الملك لا يمسأل سياسيا بل ولا يسأل جنائيا امام ^{المحاكم} ~~المحاكم~~ لان ذلك يتنافى مع = بيعة مكره السامي (١١) ومورار الدولة الاعلى . فهو الذي يصدق القوانين ويامر بنشرها ويراقب تنفيذها ويأمره توضع الانظمة لاجل تطبيق احكام القوانين . والملك يصدر الاوامر باجراء الانتخاب العام لمجلس النواب واجتماع مجلس الامة ويفتح عذا المجلس ويعطله ويغضه ويحل مجلس النواب . ويحق للملك ان يصدر اثناء عطلة المجلس ~~كالمجلس~~ المراسيم بموافقة هيئة الوزراء يكون لها قوة القوانين . ويجب ان تدرس هذه المراسيم على مجلس الامة في اول اجتماع عدا ما صدر منها لاجل القيام بواجبات المعاهدات المصدقة من قبل مجلس الامة او المجلس التاسيسي فان لم يصدقها المجلس تصبح ملغاة . والملك يعقد المعاهدات بشرط الا يصدقها الا بموافقة مجلس الامة عليها .

والملك يختار رئيس الوزراء وعلى ترشيح الرئيس معين الوزراء . وللملك عند الضرورة التي تقتضيها المصلحة العامة ان يقيل رئيس الوزراء (١٢) والملك يعين اعضاء مجلس الاعيان ويقبل استقالتهم من مناصبهم . والملك بناء على اقتراح الوزير المسؤول يعين ويحزل جميع المسؤولين السليبيين والموظفين الملكيين والقضاة والحكام وينزع الرتب العسكرية ويعين قواد الفرق فما فوقهم ما لم يفوض ذلك الى سلطة اخرى بقانون . وللملك القيادة العامة لجميع القوات المسلحة . وهو يعلن الحرب بموافقة مجلس الوزراء . وله ان يعقد معاهدات الصلح بشرط ان لا يصدقها نهائيا

الا بعد موافقة مجلس الامة . وله ان يعلن الاحكام العرفية او حالة الطوارئ
ولا ينفذ حكم الاعداد الا بتصديق الملك وللملك ان يخفف العقوبة او يرفعها
بعفو خاص وله ان يعلن العفو العام بموافقة المجلسين (م ٢٦) . ويستعمل
الملك سلطته بأراءات ملكية تصدر بناء على اقتراح الوزير او الوزراء المسؤولين
وموافقة رئيس الوزراء بموقع عليه من قبلهم . (م ٢٧) .

ويتألف مجلس الاعيان من عدد لا يتجاوز ربع مجموع النواب (١٢) يعينهم
الملك (م ٣١) ومدة العضوية للمجلس الاعيان ثمان سنوات اعتبارا من تاريخ التعيين
ويجوز إعادة تعيين العضو السابق (م ٣٢) وفي جملة ما يشترط في العيين ان
لا يقل عمره عن اربعين سنة (م ٣٣)

اما مجلس النواب فيتألف بالانتخاب بنسبة نائب واحد من كل عشرة ن الف
نسمة من الذكور . (م ٣٦) ويجب ان ترفع جميع اللوائح القانونية الى احد المجلسين
فاذا قبلها ترفع الى الثاني ولا تكون قانونا ما لم يوافق عليها المجلسان وصدقها
الملك (م ٦٢ فقرة ١) ولكل عضو من اعضاء المجلس النيابي ان يقترح وضع لائحة
قانونية عدا ما يتعلق بالامور المالية على شرط ان يؤيده فيه عشرة من زملائه .
واذا قبل المجلس الاقتراح يودعه مجلس الوزراء لسن اللائحة القانونية . وكل اقتراح
يرفضه المجلس لا يجوز تقديمه ثانية في الاجتماع نفسه (م ٤٥) وقد قرر قانون الانتخاب
الصادر في ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٤ ان يكون الانتخاب غير مباشر والتصويت
سريا . ويعتبر كل المواطنين الذين تتوفر فيهم شروط معينة منها كونهم عراقيين
اكملوا سن العشرين وغير محكومين بالسجن لجريمة تخل بالشرف "مستحقين اولين"
ومستطيعون ان يصوتوا للمنتخبين الثانويين . ينتخب كل ٢٥٠ منتخبا اوليا
منتخبا ثانويا واحدا . ووظيفة المنتخبين الثانويين هي انتخاب النواب . وهم
يستمررون في مناصبهم هذه طوال حياة الدولة البرلمانية وذلك لانتخاب نائب جديد
او املاء الشواغر في المجلس كلما دعت الحاجة الى ذلك . وقد كان عدد
النواب في المجلس النيابي حتى سنة ١٩٣٥ ثمانية وثمانين نائبا بينهم اربعة

(١٢) اضيفت هذه الفقرة الى الدستور عام ١٩٤٣

(١٣) كان عدد الاعيان قبل تعديل الدستور سنة ١٩٤٣ عشرين فينا فقط

نواب من المسيحيين وأربعة نواب من الموسوليين وزاد هذا العدد بعد سنة ١٩٢٥ فأصبح ١٠٨ . وفي سنة ١٩٤٢ بلغ عدد هم ١١٨ نائبا بالنظر لزيادة سكان العراق (١٤) وقد أصبح عدد النواب الآن ١٣٨ نائبا . ولا يقل عدد الوزراء من السبعة بعضهم رئيس الوزراء . ولا يكون وزيرا من كانت فيه موانع تحول دون انتخابه نائبا . والوزير الذي لا يكون عضوا في احد المجلسين لا يبقى في منصبه اكثر من ستة اشهر مالم يعين عضوا في مجلس الاعيان . وينتخب نائبا قبل ختام المدة المذكورة (م ٦٤) ان مجلس الوزراء هو القائم بادارة شؤون الدولة . ويحدد برئاسة رئيس الوزراء ليتروا يجب اتخاذه من الاجراءات في القضايا المتعلقة باكثر من وزارة واحدة وفي جميع الامور العامة التي تقوم بها الوزارات ويعرض رئيس الوزراء ما يقره المجلس على الملك للمصادقة عليه (م ٦٥) ويكون الوزراء مسؤولين بالتضامن امام مجلس النواب عن الشؤون المتعلقة بوزارة كل منهم وما يتبعها من الدوائر . فاذا قرر مجلس النواب عدم الثقة بالوزارة باكثرية الاعضاء الحاضرين فعليها ان تستقيل . واذا كان الفرار المذكور يصح واحد الوزراء فقط فعلى ذلك الوزير ان يستقيل . وعلى المجلس ان يؤجل التصويت بعدم الثقة مرة واحدة الى مدة لا تتجاوز ثمانية ايام اذا طلب ذلك رئيس الوزراء او الوزير المختص . ولا يحل المجلس في هذه المدة (م ٦٦) ويبحث الباب الخامس من الدستور في السلطة القضائية تعيين تعيين الحكام وانواع المحاكم موظفاتها . وقد جاء فيه ان " المحاكم مصونة من التدخل في شؤونها " (م ٧١)

هذه صورة سريعة لنظام الحكم كما حدده الدستور . وهو نظام ديمقراطي قائم على ارادة الشعب ~~محموق~~ الى خدمة المالح العام . على ان هذا النظام الديمقراطي النيابي بني كركا ميثا بصورة مزوقة الظاهر خالية من جوهر الديمقراطية في الواقع . فقد كانت سلطة الحكومة العراقية ^{في عهد الانتداب} تابعة لاشراف المستشارين البريطانيين وكانت كلمة المتمد السامي في الواقع هي العليا ابدان كما تبين لنا ما تقدم . ولاجل ان تضمن الحكومة البريطانية سلامة مصالحها في العراق ولاجل ان تستبعد مجيى مجلس نواب عارض يعرقل مشاريعها هيمن القوانين

التي لا توافق مصالحها عند واضع الدستور الى تركيز معظم السلطات بيد الملك بحيث أصبحت القوانين لا تكون شرعية ^{هنا} نافذة المفعول الا بعد موافقته عليها، لان المفروض في الملك كما تنص على ذلك بنود المعاهدة الا لا يضع موافقته على اى قانون لو نظام الا بعد استشارة المعتمد السامي واخذ موافقته مسبقا .

وكان الملك فيصل الاول اذا شخصية قوية، وإرادة نافذة موداية بفن الحكم،

وخبرة عميقة في معاملة الرجال . وكان ينزع الى التمتع باقصى حدود السلطات المخولة له بل لقد كان يتجاوز نطاق سلطته احيانا . وقد استطاع ان يسيطر على الوزارات المختلفة سيطرة تامة في اغلب الاحيان هو ورجلها الوجهة التي يراها . وعلى هذا فقد كان الوزراء في عهد الملك فيصل الاول مقيدين بمستشاريهم الانكليز من جهة ، وتابعين لاوامر الملك من جهة اخرى . هذا طبعا في الامور الخطيرة اما في القضايا الاخرى التي لا تؤثر في المصالح البريطانية فكانوا مطلقين الارادة يفعلون ما يشاؤون . وكانت سيطرة الملك فيصل على نظام الامور في الدولة اكثر وضوحا في مجال تشكيل

الوزارات وسقوطها منه في اى مجال اخر في الدولة . فعلى الرغم من ان المادة ٦٦ من القانون الاساسي جعلت الوزراء مسؤولين بالتضامن وبمصلحة فردية امام البرلمان الا انه لم يحدث ان سقطت اية وزارة من الوزارات الخمسة عشرة التي اتت اى الحكم في عهده

(١٩٢١ - ١٩٢٢] بسبب تصويت البرلمان بعدم الثقة فيها . باستثناء سقوط الوزارة

الصعدونية الثانية سنة ١٩٢٦ التي كان سببها المعارضة الشديدة التي لاقتها في

البرلمان عند افتتاحه وكان السبب في سقوط كل وزارة في عهد فيصل الاول يرجع

اما الى رغبته المباشرة في انسحاب الوزارة من الحكم او الى عدم استمرار ثقتها فيها، (١٥)

وعندما توفي الملك فيصل الاول وخلفه الملك غازي، وكان صغير السن قليل الخبرة بفن الحكم،

وعندما ارتخت قبضة الانكليز على ادارة شؤون الحكومة العراقية انطلق الوزراء بمكنون لمصالحهم

في حرية ويستبدون بالامر في افراط ويتنازعون فيما بينهم على التمتع بسلطان الدولة،

مما جر الى فوضى الجهاز الادارى وإلى ثورات العشائر والانقلابات العسكرية التي

امامت تشد البلاد، مما سببته بعد قليل .

وقد اتخذت كل الاجراءات في عهد الانتداب والاستقلال واتبعت نفس الطرق

لمكون الاتهامات النيابة تحت سيطرة السلطة التنفيذية حتى يضمن الوزراء اتصال نواب

الى المجلس موافقون على ما يصدر من مراسيم وقوانين موافقون على ما قطعوا على انفسهم من تعهدات قبل الدولة المنتدبة . وعلى هذا فقد كانت المجالس خاضعة خضوعا مطلقا للقوة التنفيذية تسييرها كما تنبأ . ومن ادلة ذلك ان البرلمان لم يستطع وزارة ما بحجب الثقة عنها بل على العكس من ذلك نجد الوزارات المختلفة تحل المجالس القائمة كلما شمرت بوجود معارضة تناوئها وتحاول حرقلة مشاريعها . وقد كانت حجة الحكومة في حل المجلس النيابي عدم وجود توازن بين السلطين التنفيذية والتشريعية ومعنى هذا ان يكون المجلس مسليا لخطوة الوزارة القائمة به لا من ان تكون الوزارة خاضعة للبرلمان تستقيل اذا ما خالفت اراء الاكثية فيه كما يحتم ذلك الحكم ^{١١٨٨} بالديمقراطي السليم . وكان النواب يأتون الى المجلس مستقلين في اكثر الاحيان لا يحملون فكرة معينة في الاصلاح ولا ينتسبون الى حزب فليذا كانت المصلحة النيابية تسيير كل وزارة قائمة ما لم تصطدم مصالح الوزراء واهدافهم بمصالح النواب ومن امثلة ذلك الدورة الانتخابية التاسعة التي استطاعت ان تكمل مدتها القانونية فماتت ثمانى وزارات متباعدة الاتجاهات وهي الوزارة السعيدية الرابعة والخامسة والوزارة الكيلانية الثالثة ووزارة طه النحاسي والوزارة الكيلانية الرابعة والوزارة المدفعية الخامسة والوزارة السعيدية السادسة والسابعة (١٦)

ويرجع ضعف المجالس النيابية وخضوع النواب امام مشيئة الوزراء الى عوامل عديدة اهمها تدخل السلطة التنفيذية في الانتخابات وفرضها على الامة نوابا لا يمثلون مصالحها الحقيقية ولا يمثلون بخيرها وتقدمها . وما يساعد الحكومة على التدخل في الانتخابات النيابية وترتيب نتائجها كون الانتخابات في العزل على درجتين . وقد كانت الطريقة الانتخابية الغير المباشرة هذه متبعة في العهد العثماني فثبتها الانكليز في عهد الانتداب . وجاراهم الوزراء العراقيون الماثرون بالعقلية التركية في الحكم فحافظوا عليها في عهد الاستقلال مع مخالفتها لموج الديمقراطية . وبهذه الطريقة تستطيع الوزارة ان تؤثر على المنتخبين الثانويين بحكم قلة عددهم وتضطرهم على انتخاب من تريد من النواب بالاغراء تارة وبالتخويف والتهديد والتكبل تارات اخرى . والسادة المتبعة منذ تاسيس الحكومة الحارثية كفى الوقت الحاضر ان تعد الوزارة قائمة باسماء النواب توزيعا على متصرفي الالوية فيقوم هؤلاء باخراج منتخبين ثانويين وكثير منهم من موظفي الدولة فيحققون لهم

انجاح قوائم الحكومة وقد يقال : ولكن هذه الطريقة غير المباشرة في الانتخاب على ما فيها من نقائص وعلى مخالفتها هذه الصريحة للديمقراطية الحقبة فقد تمكن الشعب من انتخاب منتخبين ثانويين لا يصد هم عن انتخاب نواب يمثلون ارادة الامة تمثيلا صحيحا تهدد متصرف ولا توعد مدير شرطة ولا جميع ما تلحق به الحكومة من وعود ومغريات . هذه حجة قوية ولكنها لا تصدق على الانتخابات في العراق . فتدخل الحكومة في الانتخاب لا يقتصر على انتخاب النواب من قبل المنتخبين الثانويين فحسب بل انه ليمتد الى الانتخابات الاولى . وامر التزوير في الانتخابات الاولى ميسر في العراق للحكومة لحوامل عديدة اهمها : ان اقلية السبائية جاعلة ، لا تدرك مصالحها السياسية لادراك صحيحها . ولا تهتم بممارسة حقوقها الاساسية التي كفلها الدستور وليس لها حظ من الوعي السياسي يدفعها للنضال في سبيل حقوقها المسلوبة عن طريق البرلمان وان الموظفين خاضعين لروسائهم في العاصمة خضوعا تاما لا يستطيعون ان يعارضوا اوامرهم وان خالفت العدالة والقانون . وان الحكومة كثيرا ما تضيق على الحريات وتشيع جوا من الارهاب ايام الانتخاب ومكلمة واحدة ان الرأي العام المستنير الذي يرانف المصلحة التنفيذية ويوجه الانتخابات لصالح الامة محدود او كالمحدوم في العراق . فاذا علم ان اكرية هذا الشعب من ابناة العشائر الذين يخضعون لروسائهم وشيوخهم خضوعا تقليديا وان هؤلاء الروساء والشيوخ كثيرا ما يكونون هم المرشحين للنيابة او يتعهدون بانجاح نواب الحكومة على اقل تقدير سهلا على امر ان يفهم كيف يحتل شيخ العشائر الاقطاميون اكثر من عشرين بالمئة من مقاعد المجلس وكيف يحتل الموالون للحكومة القائمة بالمقاهل الباقية (١٢)

(١٢) ان الامثلة على تدخل الحكومة في الانتخابات النيابية وتزويرها اكثر من ان تحصى فلم يسلم منه انتخاب . ويمكن الاطلاع على ذلك في كتاب " محلكة كامل الجها درجي " في صيف ١٩٤٩ (بغداد ١٩٤٩) الذي يحتوي على نصوص صريحة ووثائق دامغة تثبت تدخل الحكومة في انتخابات عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٨ ، وما اشاعت من الباز في ايلام الانتخابات من ارهاب واضطهاد ، وكتابا لكسني ، اسرار الانقلاب ، (صيدا ، ١٩٣٢) ص ٩ - ٢ ، وفي اماكن مختلفة من كتاب الحفي " تاريخ الوزارات العراقية " اربعة اجزاء (صيدا ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤٠) ، وايرلاند ص ٤٢٣ - ٢٤

ان قوام الراي العام المستدير الذي لا يكون للحياة النيابية الديمقراطية معنى ولا وجود بدونه هو الاحزاب السياسية والنقابات العمالية التي تمارس اعمالها بحرية في الصحافة المستمرة والمدارس والجامعات التي تقدم حقائق العلم الى الطلاب في حرية . وقد قامت الحكومة في عهد الانتداب بحرقه نمو الحياة الحزبية والقضاء على الاحزاب المنظمة والوطنية المطالبة بحقوق البلاد الداعية الى التحرر والاستقلال ومن امثلة ذلك ما لاقاه الكتيبة الوطني وحزب النهضة من اضطهاد الحكومة حتى حلها المعتمد السامي عام ١٩٢٢ ، ونفى زعماءها الى جزيرة منجم وعزل جريدتها المفيد والرافدين وقد اصبحت مقاومة الاحزاب السياسية والمعارضة وذات الاهداف الاصلاحية بخاصة مستقصارت عليها الحكومات المتعاقبة منذ عهد الانتداب حتى يومنا هذا . وكانت الاحزاب العراقية في عهد الانتداب واولائل عهد الاستقلال ضعيفة التكوين فامضة الخبايا محدودة المجال ، لا تستند الى قاعدة واسعة من الجماهير . وكان اكثرها قائما على الرابطة الشخصية بين الاعضاء ^{والله اعلم} ولذلك كانت سرعان ما تنهار لاشتماد ارباب الحكومة ضد اعضائها ، اولاحتمول اقل خلاف بينهم او لانحياز بعضهم الى جانب الحكومة . وبكلمة واحدة ان هظم احزاب تلك الفترة لم تكن احزابا مفاهيمية ذات مناهج سياسية واقتصادية واجتماعية واضحة ، واهت اف بعيدة الى الاصلاح ^{والله اعلم} . ومما يكن من شيء في فقد كان وجود هذه الاحزاب يحرك الحياة السياسية ، ويستحدث تفكير الشباب وينفع الناصر املا في تحسن الاحوال العامة . على ان ^{والله اعلم} هذه الاحزاب الغيت عام ١٩٣٥ وظلت البلاد دون احزاب حتى عام ١٩٤٥ حيث سمحت الحكومة بتأسيس خمسة احزاب علنية هي " الاستقلال " و " الاحرار " والوطني الديمقراطي " و " الاتحاد الوطني " و " الشعب " (١٨) ولم تعط اجازة لحزب التحرر الوطني وبقي الحزب الشيوعي خارجا على القانون يمارس نشاطه سرا . ولكن هذه الاحزاب لم تجد المجال الترنشاطها فلم يسمح لكثرها بانشاء فروع لها خارج بغداد وبقيت اجتماعاتها محدودة النطاق وحرمتها مقيدة . ولم يدر على انشائها ^{والله اعلم} فامين حكمتي الفت الحكومة اجازة اثنين منها وعطلتها وهما " الاتحاد الوطني " و " الشعب " وضيق الخناق على الباقية فكان اعضاءها يطاردون من قبل الشرطة ويوزون

(١٨) لم يكتب تاريخ الحياة الحزبية في العراق . وقد اعتمدت في كتابة هذه الملاحظات عن الاحزاب العراقية في فترة الانتداب واولائل عهد الاستقلال على الحسني " تاريخ العراق السياسي ج ٣ ص ٢٢٦ - ٢٥١ " و خدوري " نظام الحكم

في المواقف والسجون بمختلف التهم وكانت جرائمها تعطل موقعا للمحاكمة فلما كانت الحرب الفلسطينية ، وامتدت الاحكام العرفية في البلاد ، نشطت الحركة في مطاردة الاعضاء الحزبيين وخاصة اعضاء احزاب التحرر الوطني ، والوطني الديمقراطي ، والشعب ، والشيوعي حتى لقد اضطر حزبا الاحرار والوطني الديمقراطي عام ١٩٤٩ على ايقاف نشاطهما الحزبي ، معلنين ان قيام الاحزاب في البلاد دون السماح لها بممارسة نشاطها بحرية تقيط باعضائها الامنيين بوشادة دور على وجود الحياة الديمقراطية في البلاد ، وخدمة وتحذير للشعب . وقد سبق وان بينت طرفا من مكافحة الحكومة لنقابات العمال ، ومطاردتها للشبطين من اعضائها ، بما فيه الكفاية .

اما الصحافة فمقيدة الحرية . وقد ظلت خاضعة " لقانون المطبوعات الحثاني المؤقت المؤرخ في عام ١٩١٤ " حتى سنة ١٩٣١ . (لنوع هذا القانون قيودا على الصحافة فاستوجب ان يكون لكل جريدة او مجلة دورية ، مدير مسؤول مواخذ يبدأ التامين النقدي والتعطيل الاداري . وقوالغي هذا القانون بـ " قانون المطبوعات رقم ٨٢ لسنة ١٩٣١ " . ابقى هذا القانون على قيود الصحافة . فاجب على كل شخص يرمي الصدور مطبوع دوري ان يحصل على اجازة من وزير الداخلية . واعطى للوزير سلطة مطلقة في منع الاجازة او رفضها . واجب ان يكون للمطبع مدير مسؤول تتوافر فيه الشروط التالية : ان يكون :
(١) عراقيا ،

(٢) مكلا من ال ٢٥ من العمر ،

(٣) غير محكوم عليه بجناية او جنحة مخلة بالشرف ،

(٤) مأذونا من مدرسة ثانوية كاملة او ما يعادلها ، ومن ذوي الخبرة والسعة الحسنة

وللمطبوعات الدينية ان يكون مجازا بالدريس .

(٥) غير موظف او عضوا في احد مجلسي الامة .

وقد خول هذا القانون الحكومة حق تعطيل المطبوع ، والغاء اجازته ، وبصادرته . وعدلت

بعض مواد هذا القانون بـ " قانون تعديل قانون المطبوعات رقم ٨٢ لسنة ١٩٣١ رقم ٥٦

لسنة ١٩٣٢ " . على ان هذا التعديل اضاف قيودا جديدة على الصحافة . فقد اشترط

ان يكون طالب الاجازة مأذونا من مدرسة ثانوية او ما يعادلها ، وان لا يقل عمره عن ٢٥

سنة ، وان يكون معروفا بحسن السمعة ، وغير محكوم عليه بجنحة مخلة بالشرف او بجناية .

على حين لم يشترط قانون ١٩٣١ هذه الشروط . وقد شدد الشروط التي يجب توافرها في

المدير المسؤول فاجب ان يكون عمره ٣٠ سنة بدلا من ٢٥ ، وان يكون مأذونا من مدرسة عالية .

وجعل الغاء المطبوع اكثر سهولة من ذي قبل ، ورفع مدد التعطيل الوقت التي يستطيع ان يوقعها وزير الداخلية او مجلس الوزراء ، وقال في قانون المطبوعات رقم ٨٢ وتعديله بـ "قانون المطبوعات رقم ٥٧ لسنة ١٩٣٣" وهو القانون الذي لا يزال مطبقا حتى الوقت الحاضر مع بعض التغييرات التي ادخلت عليه بـ "قانون لتعديل قانون المطبوعات رقم ٨٨ لسنة ١٩٣٤" وقانون المطبوعات رقم ٥٧ لسنة ١٩٣٣ رقم ٢٣ لسنة ١٩٣٤ . وقد احتوى قانون المطبوعات لسنة ١٩٣٣ على كل القيود الواردة في القوانين السابقة . فقد اوجبه ان يكون للمطبوع مدير مسؤول (م ٢٠) واشطرط استحصال اجازة من وزارة الداخلية (م ٥) واشطرط ايداع تأمين نقدي (م ٤٠) واعطي لوزير الداخلية سلطة اصدار صاحب المطبوع وتعطيله (م ١٢٠ و ١٣) واعطاء سلطة معاداة المطبوع مصادرة ادارية (م ٣٢٠) . والتغيير المهم الذي ادخله قانون عام ١٩٤٤ هو نصه على انه (ليس للحكومة ان تعطل صحيفة حزبية مسلنا فيها انها لسان حزب سياسي مجاز قانونا الا بحكم من المحكمة) على ان عدم استقلال القضاة في الواقع يجعل تحرير الصحافة الحزبية من السلطة التنفيذية امرا شكليا . (١١)

يضاف الى هذه القيود الثقيلة التي فرضها قانون المطبوعات على الصحافة ، خضوع الصحافة لنظام المراقبة على المطبوعات . وذلك وفقا للمادة الرابعة عشرة من مرسوم الادارة العرفية رقم ١٨ لسنة ١٩٣٥ ، التي تنص الفقرة الثالثة منها على انه يجوز للقائد القوات العسكرية في المناطق المعلن فيها الاحكام العرفية " ان يفرض الرقابة على الصحف والنشرات الدورية ، ايقاف نشرها من غير اخطار سابق " . وقد خضعت الصحافة العراقية لنظام الرقابة الصارم منذ ابتداء الحرب العالمية الثانية الى الوقت الحاضر باستثناء فترات هبة قصيرة . كما انها كانت خاضعة قبل ذلك التاريخ للرقابة في الاماكن المعلن فيها الاحكام العسكرية . وقد كثر اعلان الاحكام العرفية بسبب الفتن والثورات العشائرية والانقلابات العسكرية التي حدثت في العقد الثالث من هذا القرن . ولم تقتصر القيود على المطبوعات وحدها بل تعدتها الى المطابع نفسها . فالمطابع في العراق تخضع لقانون المطابع العثماني الصادر عام ١٩٠٩ .

-
- (١١) للاطلاع على موقف القضاء العراقي من الجرائد الحزبية راجع على سبيل المثال " محاكمة جريدة لواء الاستقلال " ، منشورات حزب الاستقلال (بغداد ١٩٤٢) و " محاكمة كامل الجادرجي " مطبوعات الحزب الوطني الديمقراطي (بغداد ١٩٤٦)

وانعدام مقاييس الكفاءة في تعيين الموظفين وحل محلهم النفوذ الشخصي، والمحسوبية والنسب،
والرشوة، والفساد، والفساد، والفساد، والفساد، والفساد، والفساد، والفساد، والفساد، والفساد،
وما زاد في فوضى جهاز الادارة وانعدام الكفاءات فيه هذه القوانين التي
تتحكم في مصائر الموظفين واحدها المرسوم الذي صدر سنة ١٩٣٩ لتعديل
قانون الانضباط والديول التي سبقتها وهي ديول قانون الانضباط لسنة ١٩٣١
وذيول قانون التقاعد المدني لسنة ١٩٣٥. فقد خولت هذه الديول الوزير،
بعد استحصاله قرارا من مجلس ~~الوزراء~~ ^{الوزراء} وملاحية فصل الموظف متى تبين
ان بقاء ذلك الموظف في وظيفته اضر بمصلحة العامة وذلك لمدة معينة
وهي ستة اشهر. على ان المرسوم المتقدم الذكر قد جعل هذه المدة دائمة (٢١)
وهكذا اصبح الموظفون، ولا استثنى منهم الحكام والقضاة في خوف من السلطات
العليا مسئولون ابتكار عليهم ان ينفذوا الاوامر التي تصدر لهم من فوق، وهكذا كانت
منافية للمصلحة العامة منسية الفصل والعزل والتحويل، وتأخر الترقية. وقد
يتحرر الموظفون من كل خوف ويتابعون هواهم في جر المغانم ومن وظائفهم اذا
ما كانوا حسمي العملة بالسلطات العليا او تدعمهم الشخصيات المتميزة بها لها،
او جاعها ونفوذها. فلذا علمنا ان لافتياء المدن والاقطاعيين وشيوخ
العشائر والانتلوز، كانوا في ~~الحكومات~~ ^{الحكومات} انوارا لولا العليا مسئول علينا ان نتصور عبز جهاز
الادارة غذا عن رعاية المصلحة العامة وخدمة البلاد وتنفيذ الاصلاحات الضرورية
لتقدم الشعب. وما زاد في فوضى جهاز الادارة وابعادنا عن خدمة الكافة
تحكم الحكومة البريطانية في توجيهه اثناء الاحتلال الاول وهذا الانتداب وقد تعاضم
توجيه بريطانيا للادارة بعد احتلالها الثاني للعراق سنة ١٩٤١. فقد عاد كثير
من المستشارين الانتلوز الى الوزارات ~~العراقية~~ ^{العراقية} واخذوا بالذکر منها المعارف والداخلية

(٢٢) عبدالله اسماعيل البستاني وعروة الصحافة: دراسة مقارنة، (القاهرة ١٩٥٠)، ص ١٣٣

اعتقدت في كتابة هذه الفقرات من الصحافة العراقية في هذا الكتاب ص ١٠٢ - ١١٢
وبني على قانون المطبوعات رقم ٥٥ لسنة ١٩٣٣، (ج ١ ص ١٩٣٣)
٢١ راجع خدوري نظام الحكم في العراق ص ٦٧ - ٦٨

والعدلية والمالية . واقامت الحكومة البريطانية موظفين في اهم المدن العراقية المسيطرة على مناطق العشائر اسمتهم ضباط ارتباط ووظفتهم الاتصال بشيوخ العشائر والمتنفذين من سكان المدن لتمثيل او اصر المسلة بينهم وبين الانكليز وذلك عن طريق التدخل في الادارة لصالحهم . وكثيرا ما يقوم ضباط الارتباط هؤلاء بحل مشاكل شيوخ العشائر والاقطاعيين والتوفيق بينهم وبينهم او باثارة الخلافات بينهم حسب مقتضى الاحوال . والموظف الذي لا ينفذ طلبات الارتباط عليه ان يواجه حسابا عسيرا من رؤسائه الذين هم بدورهم معرضون للمناقشة والحساب ان لم يلبيوا مطالب الانكليز من السلطة العليا في الحكومة .

وقد نتج عن تسلط الوزارة على المجلس التشريعية ، وخنق حرية الرأي العام وانساد جوار المدارس العلمية ، وعدم رعاية جهاز الادارة للمصلحة العامة ، نتائج خطيرة اهمها : ما اشرنا اليه من بطئ في تقدم البلاد ، واصارح للتحالة الشعب ، وبقاء عوامل التأخر ، التي ذكرتها بتفصيل على حالها ، وهذا ما ولد استياء اغلبية السكان من الحكومة ، وقاد النيران الى اعتناق المذاهب القائمة على العنف في الإصلاح ، وجعل كثيرا من السياسيين مكثرون بالديمقراطية ، ومياسون منها ، ويعتقدون انها نبتة لا تصلح لها تربة العراق ، ولا يلائمها مناخه . فجرموا وسائل اخرى منها هذه الثورات العشائرية التي قامت في الفرات الاوسطيين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٦ ، والتي اثارها وجرى عليها بعض الموترين من الوزراء الاقدمين والساسة الطامعين الى الحكم ، بقصد اسقاط الوزارات القائمة والحلول محلها ، والتي ايدها رؤساء العشائر مدعومين بالجهالة طورا ، والمصلحة الشخصية طورا آخر ، والرفية في اصلاح الاحوال الناجمة احيانا (٢١) . فلما فشلت هذه الاساليب التي ادت الى اراقة دماء عراقية بريئة من ابناء العشائر ومن افراد القوات المسلحة الحكومية ، عمد الساسة الى الانقلابات العسكرية ، فابتدأ اولها الفرض ~~بالحزب~~ بكر صديقي عام ١٩٣٦ ، وتبعته ستة انقلابات اخرى كان اخرها الانقلاب العسكري الذي رفع رشيد عالي الكيلاني الى الحكم عام ١٩٤١ (٢٢) . وقد مالبثت الحكومة هذه المشكلة العميقة الخطيرة معالجة سطحية مغلولة ، منافية لروح الديمقراطية . فعدلت الدستور عام ١٩٤٣ ، ووضعت فيه مادة تخول الملك حق اقالة الوزارة ، بدلا من ان تعالجها معالجة صحيحة وذلك بافساح المجال لنشاط الاحزاب ، ورفع القيود عن حرية الصحافة ، وتنوير الرأي العام ، وجعل الانتخاب مباشرا حرا ،

والحد من الاقطاعية، والعمل على اصلاح ما في البلاد من تاخر وفساد وفوضى .
وهكذا تركت اعظم السلطات بيد الملك، حتى لقد كاد الحكم في العراق ان يصبح
ديكتاتوريا في الواقع . وقد عبر عن هذه الحقيقة احد السياسيين بقوله : ان نظام
الحكم في العراق ديكتاتوري بلا ديكتاتور ظاهر السلطان، وديمقراطي بلا صحافة
مستنيرة حرة، ولا احزاب حرة الفشاط .

وكذلك من نتائج فقدان الديمقراطية في الحكم، وفشل الحياة النهائية، وتراكم الشرور
في البلاد ان عبد العراقيون الى تغيير الاوضاع عن طريق القوة والعنف تغييرا
مباشرا ، كما حدث في وثبة الشعب في شباط ١٩٤٨ ضد معاهدة بورتسمان والتي
جعلت شعارها احباط التوقيع على هذه المعاهدة ، وان كان مبعثها الحقيقي لفساد
الاحوال ، وانعدام العدالة، وسوء تصرف الطبقة الحاكمة في البلاد .

خاتمة

تبين لنا مما تقدم ان اقلية الشعب العراقي امية، مريضة، فقيرة، بعيادة عن

التمتع بالحضارة التي كسدت مفهوماتها في فاتحة هذه الرسالة . وتبين لنا ان العوامل

التي تعيق تقدم البلاد، وتعرقل تحضر الشعب، متعددة منها هذا الفقر المزمن

الذي تعانيه اقلية السكان والمسبب عن انخفاض مستوى الانتاج^{الطردى والعام، والانتاج الزراعي خاصة}، وضعف الصناعة

واستغلال الانكليز لاهم مصادر الثروة في البلاد وهو النفط، وسببهم على اشم

صادراتها كالقصور والحبوب، وتحكمهم في اهم موانئها للاقتصاد كالميناء والسكة الحديد .

ومنها هذه الامراض العديدة المبثالة بين اقلية الشعب والمسببة عن انخفاض مستوى

الحياة، وسوء التغذية والجهل، وانعدام الوسط الصحي . ومنها هذا الجهل

الذي يعيش في ظلامه اكثر من تسعين بالمائة من السكان، والذي يجعل الشعب

يتمسك بالخرافات، وينقاد الى العنعنات الطائفية ويستسلم لما هو فيه من تاخر وعبودية .

وتبين لنا ان الحكومة العراقية، بهيئتها الادارية الحاضرة، وقوانينها النافذة،

واخص بالذكر منها قانون دواوي العشائر، وقانون حقوق وواجبات الزراع، وقانون السطوحات،

وقانون الجمعيات، وقانون المضباط الموظفين، تستخدم مصالح الاقطاعيين والمتنفذين .

وتبين على قيام اجيال جديدة منهم، وتخدم مصالح بريطانيا المتنامية ابدا في البلاد

وتمكن لهذه المصالح، وانها تفيد الحرية، وتشمل نشاط المصلحين .

ولقد تبين لنا ان هذه العوامل وحده متماكة الاصول والفروع، لا يمكن علاج احدها

علاجاً اساسياً ناجحاً الا اذا عولجت جميعها . فلا يمكن محو الامية، وتثقيف الشعب

وتخليصه من الامراض الا اذا ارتفع مستوى الاقتصاد، ولا يمكن ان يرتفع مستوى

الاقتصاد الا اذا تعلم، وفهم اسباب تاخره، وكالغ في سبيل حياة افضل . وليس

بإمكان شخص شير، او مجموعة اشخاص شيرين ان يغيروا هذه الاوضاع ظفوة او تدريجاً،

وانما يحتاج ذلك الى حكومة رشيدة، تتفهم الداء، وتسعى منصفة الى علاجه . ولهم

تقوم هذه الحكومة الرشيدة المصلحة الا اذا وجد في البلاد راي عام متقف مستنير حر،

منظم في احزاب شعبية عقائدية، يراقب الحكومة ويواجه اعمالها